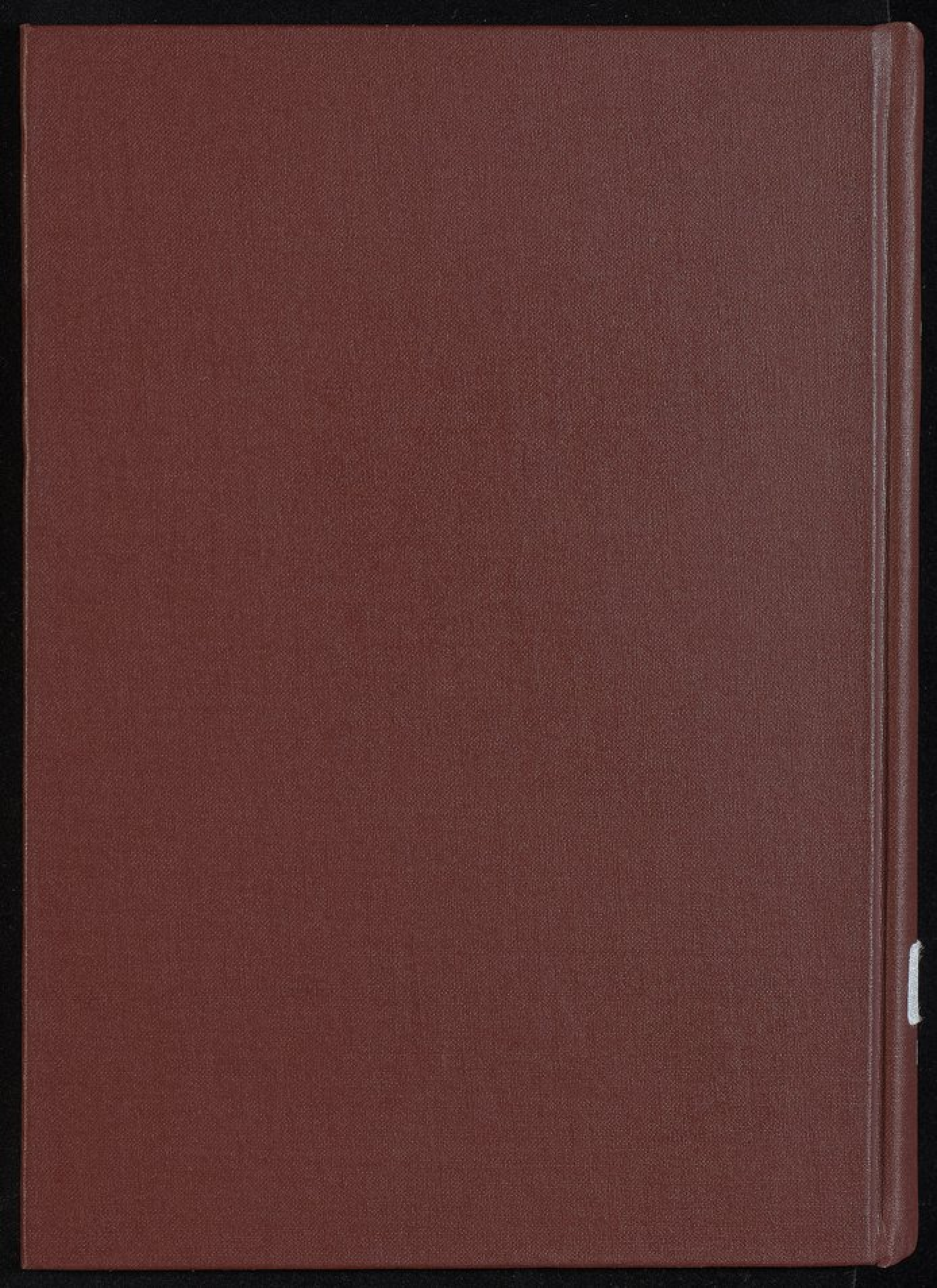
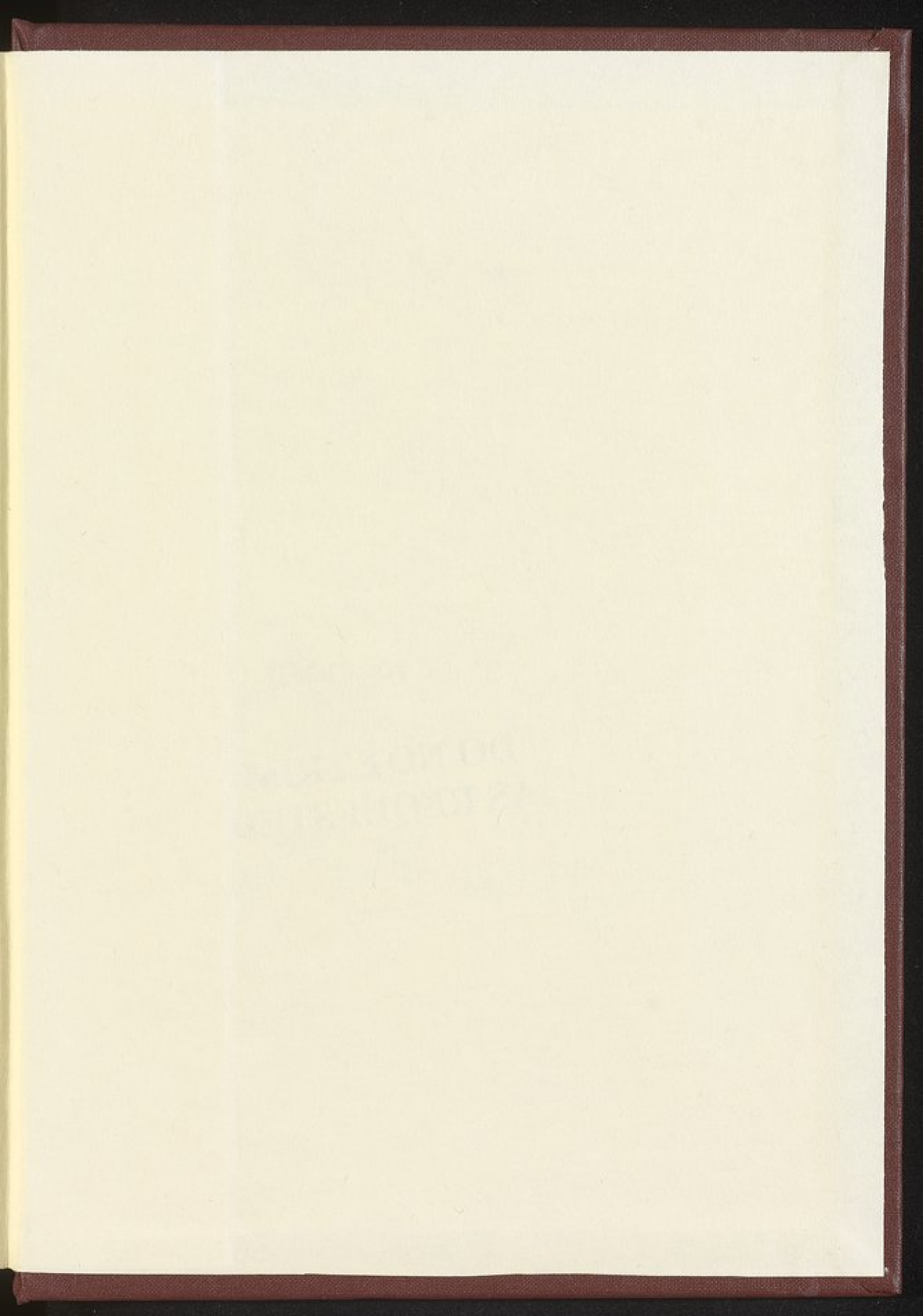
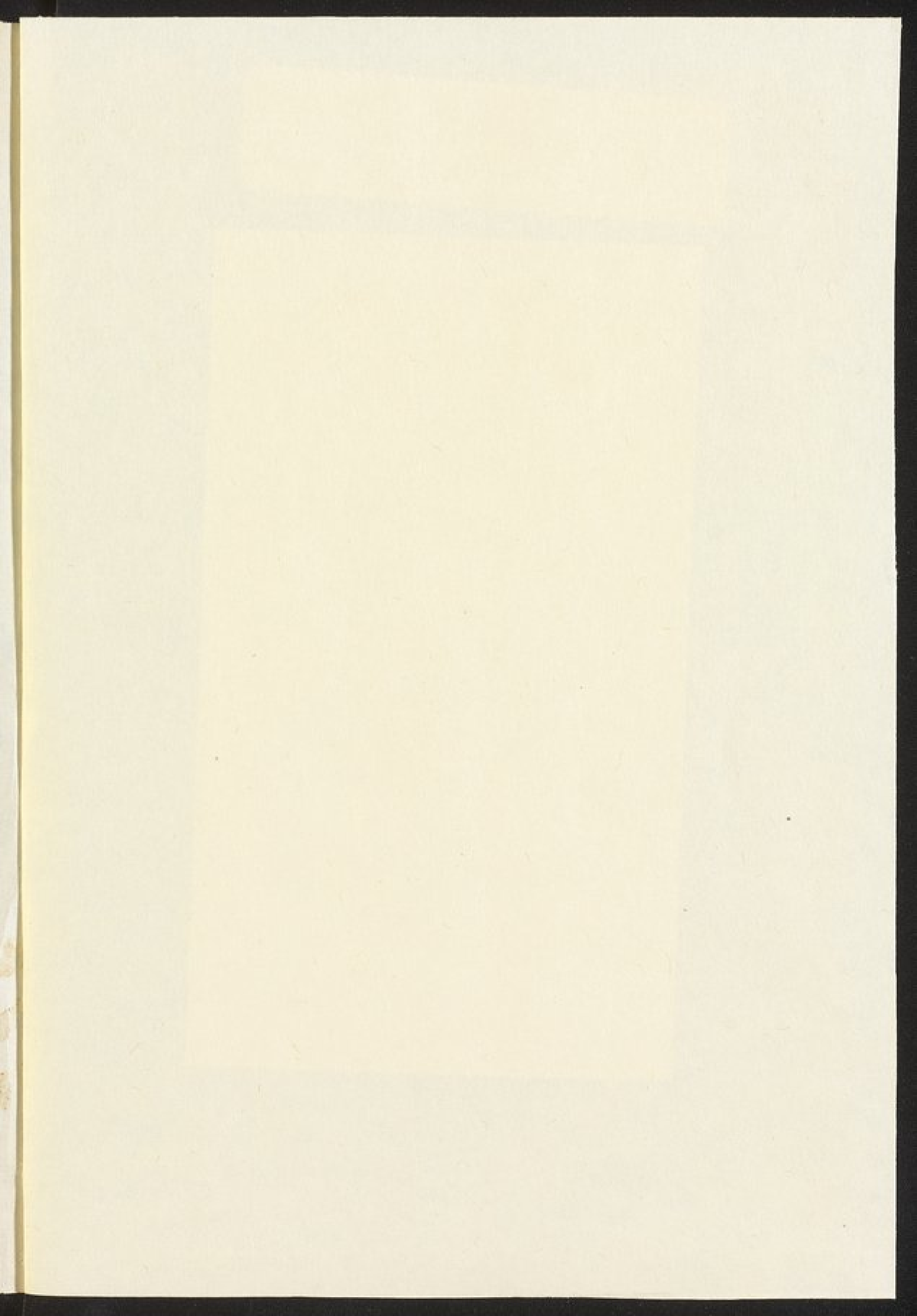








المجلد الخامس والاربعون

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباري

ايران - قم

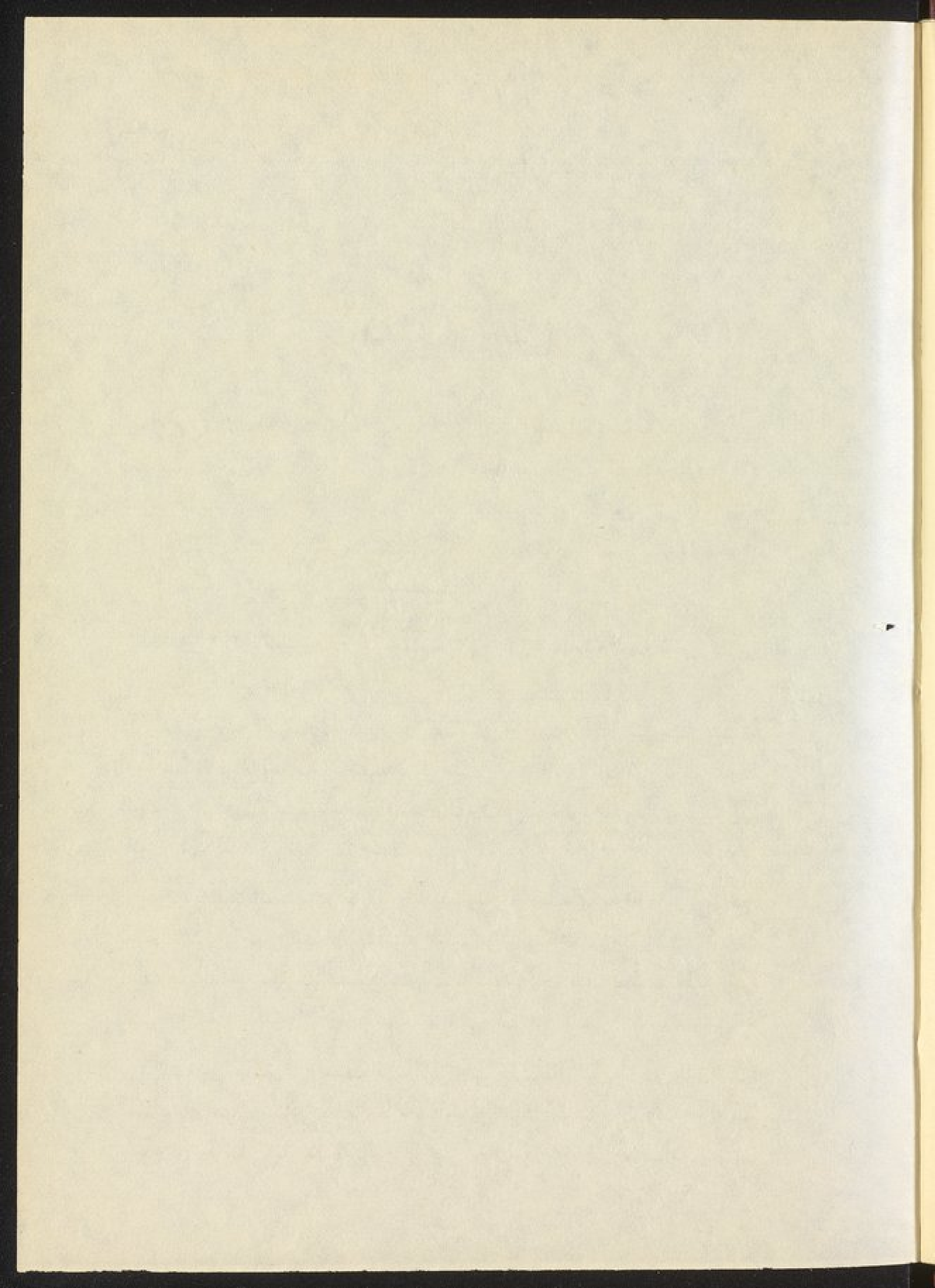
سورة الحشر مدنية وآياتها أربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ١ هو الذي أخرج الذين كفروا
من أهل الكتب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم
من الله فأتىهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم
وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ٢ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم
في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ٣ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله
فإن الله شديد العقاب ٤ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها
فبإذن الله وليخزي الفاسقين ٥ وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه
من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ٦

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ
وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ
فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ
﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ
لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَ
لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي
صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى
مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾

كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله
رب العالمين ﴿١٦﴾ فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاؤا الظالمين ﴿١٧﴾
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما
تعملون ﴿١٨﴾ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴿١٩﴾ لا يستوي
أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴿٢٠﴾ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
﴿٢١﴾ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ﴿٢٢﴾ هو الله الذي
لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان
الله عما يشركون ﴿٢٣﴾ هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات و
الأرض وهو العزيز الحكيم ﴿٢٤﴾



﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق : رحمه الله تعالى فى ثواب الاعمال باسناده عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال : من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسى ، ولا الحجب والسموات السبع ، والارضون السبع والهواء والريح والطير والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة الا صلّوا عليه واستغفروا له ، وإن مات فى يومه أو ليلته مات شهيداً .

أقول : رواه الطبرسى فى المجمع ، والبحرانى فى البرهان ، والحويزى فى نور الثقلين والمجلسى فى البحار .

وفى جامع الاخبار : عن رسول الله صلى الله عليه وآله : من قال بكرة : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وكّل الله عليه سبعة آلاف من الملائكة يحافظونه ، ويصلّون عليه إلى الليل ، وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيداً .

وفى الدر المنثور : عن النبى الكريم صلى الله عليه وآله قال : من قال حين يصبح ثلاث مرّات : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وكّل الله به سبعين ألف ملك يصلّون عليه حتى يمسى وإن مات ذلك اليوم مات شهيداً ، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة .

وفيه : عن محمد بن الحنفية : ان البراء بن عازب قال لعلى بن أبى طالب عليه السلام أسئلك بالله ما خصصتنى بأفضل ما خصّك به رسول الله صلى الله عليه وآله مما خصّه به جبرئيل مما بعث به إليه الرحمن ، قال : يا براء إذا أردت أن تدعو الله

باسمه الاعظم ؟ فاقرأ من أول الحديد عشر آيات و آخر الحشر، ثم قل : يا من هو هكذا ، وليس شيء هكذا غيره أسئلك أن تفعل بى كذا و كذا ، فوالله يا براء لو دعوت عليّ لخسف بى .

وفي المجمع : عن أبى سعيد المكارى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من قرأ إذا أمسى : الرحمن والحشر و كّل الله بداره ملكاً شاهراً سيفه حتى يصبح .

وفي البرهان : روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال : من قرأ هذه السورة كان من حزب الله المفلحين ، ولم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسى ولا حجب ولا السموات السبع ولا الارضون السبع ولا الطير فى الهواء ولا الجبال ولا شجر ولا دواب ولا الملائكة إلا صلّوا عليه ، واستغفروا له ، وإن مات فى يومه أو ليلته كان من اهل الجنة .

ومن قرأها ليلة الجمعة أمن من البلاء حتى يصبح ، ومن صلى اربع ركعات يقرا فى كل ركعة : الحمد والحشر ويتوجّه إلى اى حاجة شاءها وطلبها ، قضاها الله تعالى ما لم يكن معصية .

وفي الدر المنثور : عن ابى امامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من تعوّذ بالله من الشيطان ثلاث مرات ، ثم قرا آخر سورة الحشر بعث الله سبعين الف ملك يطردون عنه شياطين الانس والجن إن كان ليلا حتى يصبح ، وإن كان نهاراً حتى يمسى .

وفيه : عن الحسن بن على عليه السلام قال : من قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر إذا اصبح ، فمات من يومه ذلك طبع بطابع الشهداء ، وإن قرا إذا امسى ، فمات فى ليلته طبع بطابع الشهداء .

أقول: ان المستفاد من الروايات المذكورة امور خمسة ، كلها يماس بما تحويه السورة .

أحدها : ان يكون قاريها من جملة حزب الله المفلحين ، ويمكن ان يستفاد هذا من قوله تعالى : « والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم - إلى -

فأولئك هم المفلحون ـ اصحاب الجنة هم الفائزون» : ٩ ـ ٢٠).

وذلك فمن قراها وتدبّر فيها وعمل كان من المفلحين الذين هم حزب الله تعالى ، قال : «ألا ان حزب الله هم المفلحون» المجادلة : ٢٢).

ثانيها : ان يصلّى على القارىء ما فى هذا العالم الشاسع ، ويستغفرون له ، ويمكن ان يستفاد هذا من قوله تعالى : «للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم ، يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون» السورة : ٨).

ولعمرى ان من قرأها وتدبّر فيها وعلم مقام المهاجرين والمجاهدين فى سبيل الله تعالى بأموالهم وانفسهم يسعى بما فى وسعه ان يجعل نفسه من زمرتهم ومن إليهم من المؤمنين حقاً يصلى عليهم الله تعالى وملائكته ويستغفرون لهم.

قال الله تعالى : «يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبّحوه بكرة واصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً» الاحزاب : ٤١ ـ ٤٣).

وقال : «ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات ـ اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون» البقرة : ١٥٤ ـ ١٥٧) ،

وقال : «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا» غافر : ٧).

ثالثها : ـ ان يرفع الله تعالى البلاء عن قاريها ويجعله فى حمايته فيحفظه ملائكته صباحاً ومساء.

وذلك من قرأها وتدبّر فيها وخاصة الآيات الاربع : ٢ و ٦ و ١٣ و ٢١) لزال عنه الترديد لو عرض عليه فيؤمن فان الله تعالى يدافع عنه.

قال : «ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوّان كفور» الحج : ٣٨).

رابعها : أن يكون القارىء من جملة الشهداء والصالحين ، وحسن

اولئك رفيقاً .

وذلك من قرأها متدبّراً فيها وآمن وأطاع الله ورسوله صلى الله عليه وآله وعلم مآل أمر الشهداء والهجرة والنصرة فى إعلاء كلمة الله تعالى ، فيرجوها فهو فى زمرة الشهداء والمهاجرين والمجاهدين فى سبيل الله جلّ وعلا .

قال الله : «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً» النساء : ٦٩) .

خامسها : ـ ان الله تعالى يقضى حاجة القارىء إذا دعاه جل وعلا ، أشار إلى ذلك بقوله : «هو الله الذى لا إله إلا هو ـ وهو العزيز الحكيم» : ٢٢ ـ ٢٤) .

وقال: «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى» الاسراء : ١١٠) .

وفى البرهان : عن الصادق عليه السلام فى حديث ـ ومن كتبها بماء طاهر وشربها رزق الذكاء وقلة النسيان باذن الله تعالى .

أقول ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ذلك .



﴿ الغرض ﴾

بدأت السورة بهذا النشيد العلوى الذى يعلن فرحة الوجود بانتصار الاسلام والخلاص من هذا الكابوس الثقيل الذى كان يجثم على صدر المدينة ، ويوقد فيها نار الفتن ، ويثير عليها دخان الاحقاد . . . فيعلو صوت الحق مؤذناً فى الوجود بهذا اللحن السماوى الخالد :

« سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم » كما ختمت بذلك اللحن أيضاً :

« يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم » .

ولكنها بصدد إجلاء فريق من اليهود عن المدينة ووقعتهم ، وما كان من مواقف أهل النفاق فيه ، وتشريع للنبى الكريم ﷺ ومداه ، وما كان من تشاد حوله على ما اقتضته الحكمة الالهية بـا كتفاء إخراجهم وجلائهم ، مع كونهم مستحقين للعذاب أشد من ذلك فى الحياة الدنيا .

وفيها عظة وعبرة وتذكير للمسلمين بما يسر الله تعالى لهم بحيث لولم يكن تيسيره لما تم لهم ما تم .

﴿ النزول ﴾

سورة الحشر مدنية نزلت بعد سورة البيّنة على التحقيق ، وقبل سورة الحج وهى السورة الثانية والمأة نزولاً ، والتاسعة والخمسون مصحفاً .

وتشتمل على اربع وعشرين آية سبقت عليها ٥٧٤٧ آية نزولا و٥١٢٦ آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على ٤٤٥ كلمة وعلى ١٩١٣ حرفاً ، وقيل : على ١٥٣٠ حرفاً على ما فى بعض التفاسير .

ولهذه السورة اسمان : سورة الحشر وسورة بنى النضير .

عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر ، قال : انزلت فى بنى النضير ، وقال : سورة بنى النضير .

فتسمية سورة الحشر بسورة بنى النضير باعتبار نزولها فيهم .

واتفق المفسرون والمحدثون والمؤرخون على ان آيات أوائل سورة الحشر نزلت فى اجلاء اليهود من بنى النضير الذين كانوا مقيمين فى احدى ضواحى المدينة ، وكان الحادث بعد وقعة احد وقبل وقعتى الاحزاب وبنى قريظة .

ويظهر من اسلوب الايات ان القصة جائت للعظة والاعتبار وتذكير المسلمين بما يسر الله تعالى لهم ، بحيث لولم يكن تيسيره لما تم لهم ما تم ، ولم تأت للسرد القصصى وهو شأن سائر حوادث الجهاد فى القرآن الكريم .

فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم » **الاية .**

قال : سبب ذلك انه كان بالمدينة ثلاثة أبطن من اليهود من بنى النضير وقريظة وقينقاع ، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ومدة ، فنقضوا عهدهم وكان سبب ذلك بنى النضير فى نقض عهدهم انه أتاهم رسول الله ﷺ يستسلفهم دية رجلين قتلهما رجل من أصحابه غيلة يعني يستقرض ، وكان قصد كعب بن الاشرف فلما دخل على كعب فقال : مرحباً يا أبا القاسم وأهلا ، وقام كانه يصنع له الطعام ، وحدّث نفسه أن يقتل رسول الله ﷺ ويتبع أصحابه ، فنزل جبرئيل فأخبره بذلك .

فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وقال لمحمد بن مسلمة الانصارى : إذهب إلى بني النضير ، فأخبرهم ان الله عزوجل قد أخبرنى بما هممتم به من الغدر فاما أن تخرجوا من بلدنا ، وإما ان تأذنوا بحرب ، فقالوا : نخرج من بلادكم .

فبعث إليهم عبدالله بن ابىّ : أن لا تخرجوا وتقيموا وتنابذوا محمداً الحرب فانى انصركم أنا وقومى وحلفائى فان خرجتم خرجت معكم ، ولئن قاتلتم قاتلت معكم ، فاقاموا وأصلحوا حصونهم ، وتهيئوا للقتال ، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ انا لا نخرج فاصنع ما أنت صانع .

فقام رسول الله ﷺ وكبّر وكبر أصحابه وقال لامير المؤمنين تقدّم على بنى النضير فأخذ أمير المؤمنين الراية وتقدم وجاء رسول الله ﷺ وأحاط بحصنهم وغدر بهم عبدالله بن ابىّ .

وكان رسول الله ﷺ اذا ظهر بمقدم بيوتهم حصّنوا ما يليهم وخربوا ما يليه وكان الرجل منهم ممن كان له بيت حسن خرّبه ، وقد كان رسول الله ﷺ أمر بقطع نخلهم ، فجزعوا من ذلك وقالوا : يا محمد إن الله يأمرك بالفساد ؟ إن كان لك هذا فخذه ، وإن كان لنا فلا تقطعه .

فلمّا كان بعد ذلك قالوا : يا محمد نخرج من بلادك فأعطنا مالنا فقال : لا ولكن تخرجون ولكم ما حملت الابل ، فلم يقبلوا ذلك ، فبقوا أيّاماً ثم قالوا : نخرج ولنا ما حملت الابل ، فقال : لا ولكن لا تخرجون ولا يحمل أحد منكم

شيئاً ، فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه ، فخرجوا على ذلك ، ووقع منهم قوم إلى فدك ووادى القرى ، وخرج قوم منهم إلى الشام ، فأنزل الله فيهم : «هو الذى أخرج الذين كفروا ـ إلى ـ فان الله شديد العقاب» .

وأنزل الله عليه فيما عابوه من قطع النخل : «ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله ـ إلى ـ ربّنا انك رؤف رحيم » وأنزل الله عليه فى عبد الله بن ابىّ وأصحابه : «ألم تر إلى الذين نافقوا ـ إلى ـ ثم لا ينصرون» .

وفى أسباب النزول للسيوطى : أخرج البخارى عن إبن عباس قال : سورة الانفال نزلت فى بدر وسورة الحشر نزلت فى بنى النضير .

وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت : كانت غزوة بنى النضير ، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر ، وكان منزلهم ونخلهم فى ناحية المدينة ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما اقلّت الابل من الامتعة والاموال الا الحلقة وهى السلاح فأنزل الله فيهم : «سبح لله ما فى السماوات وما فى الارض » وكانت منازل بنى النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقيها ، وقيل : على ميلين منها .

وفى تفسير الكشاف : «صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له ، فلما ظهر يوم بدر قالوا : هو النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية ، فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا ، فخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكباً إلى مكة ، فحالفوا عليه قريشاً عند الكعبة ، فأمر صلى الله عليه وآله وسلم محمد ابن مسلمة الانصارى ، فقتل كعباً ذات ليلة غيلة ، وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب ، وهو على حمار مخطوم بليف ، فقال لهم : اخرجوا من المدينة فقالوا : الموت أحب إلينا من ذلك .

فتنادوا بالحرب ، وقيل : استمهلوا رسول الله عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدسّ عبدالله بن ابىّ المنافق وأصحابه إليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ، ولئن خرجتم لنخرجن معكم ، فدرّبوا على الازقّة

وحصنوها ، فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة ، فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح ، فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم ، فجلوا إلى الشام إلى أريحا واذرعات إلا أهل بيتين منهم : آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب ، فأنهم لحقوا بخيبر ، ولحقت طائفة بالحيرة .

وفي الدر المنثور : ان كفار قريش كتبوا إلى عبدالله بن ابي ابن سلول ، ومن كان يعبد الاوثان معه من الاوس والخزرج ورسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر يقولون : انكم قد آويتم صاحبنا وانكم أكثر أهل المدينة عدداً وانا نقسم بالله لنقاتلنه أو لنخرجنه أو لنستعدين عليكم العرب ثم لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم وأبناءكم ، فلمّا بلغ ذلك عبد الله بن ابي ومن معه : من عبدة الاوثان تراسلوا واجتمعوا وأجمعوا لقتال النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه ، فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله لقاهم في جماعة من اصحابه فقال : لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت لتكيدكم باكثر مما تريدون ان تكيدوا به انفسكم ، فأنتم هؤلاء تريدون ان تقاتلوا ابناءكم وإخوانكم .

فلما سمعوا ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله تفرّقوا ، فبلغ ذلك كفار قريش وكانت وقعة بدر بعد ذلك ، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود انكم اهل الحلقة والحصون وانكم لتقاتلن صاحبنا او لنفعلن كذا وكذا ولا يحول بيننا وبين خدم نساءكم شيء وهي الخلاخيل ، فلمّا بلغ كتابهم اليهود اجتمعت بنو النضير بالغدو ارسلوا إلى النبي صلى الله عليه وآله اخرج إلينا في ثلاثين من اصحابك القصة .

وفي تفسير فتح البيان لأبي طيب صديق بن الحسن بخاري هندي : « ان بني النضير هم رهط من اليهود من ذرية هارون نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظاراً منهم لمحمد صلى الله عليه وآله فغدوا بالنبي صلى الله عليه وآله بعد ان عاهدوه وصاروا عليه مع المشركين ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله

حتى رضوا بالجلاء».

وفي أسباب النزول: للواحدي النيشابوري باسناده عن إبن عباس قال: جاء يهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: انا اقوم فأصلي، قال: قدّر الله لك ذلك ان تصلّي، قال: انا اقعد قال: قدر الله لك ان تقعد قال: انا اقوم إلى هذه الشجرة فاقطها قال: قدر الله لك ان تقطعها قال: فجاء جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد لقنت حجتك كما لقّنها ابراهيم عليه السلام على قومه، وأنزل الله تعالى: «ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين» يعني اليهود.

أقول: قوله صلى الله عليه وآله: «قدر الله لك» أي ان الله تعالى اودع فيك قوة تقدر على أن تفعل، وأن لا تفعل وبها أنت مختار في فعالك.

وفي رواية: ان النبي صلى الله عليه وآله لما أمر بقطع نخل بني النضير وتحريقها، قالوا: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض، فما بال قطع النخيل وتحريقها، وكان في أنفس المؤمنين من ذلك شيء اذ قالوا: لنسئلنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركناه من وزر؟ فأنزل الله تعالى: «ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين».

فأجيب عن قولهم بأن ما قطعتموها وما تركتموها من نخيلهم فبأمر الله تعالى ولله في حكمه هذا غايات وحكم بالغة، منها إخزاء الفاسقين.

وفي المناقب: لابن شهرآشوب رضوان الله تعالى عليه عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام: «الذين اخرجوا من ديارهم» قال: نزلت فينا.

أقول: وهذا من باب الجري والانطباق.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «اذن للذين يقاتلون - إلى قوله - لقدير» قال: نزلت في علي وجعفر وحمزة ثم جرت في الحسين عليه السلام، وقوله: «الذين اخرجوا» الاية قال في الحسين عليه السلام حين طلبه يزيد لعنه الله ليحمله إلى الشام

فهرب إلى الكوفة وقتل بالطفّ .

وفي المجمع : عن إبن عباس : نزل قوله تعالى : «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى» الاية في أموال كفّار أهل القرى وهم قريظة وبنو النضير وهما بالمدينة ، وفدك وهي من المدينة على ثلاثة أميال ، وخيبر وقرى عرينة ، وينبع جعلها الله لرسوله يحكم فيها ما أراد وأخبر انّها كلها له ، فقال اناس : فهلا قسّمها فنزلت الاية .

وفيه : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بني النضير للانصار : إن شئتم قسّمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة ، وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسّم لكم شيء من الغنيمة ، فقال الانصار : بل نقسّم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ، ولا نشاركهم فيها نزلت : «ويؤثرون على أنفسهم» الاية .

أقول: وهذا من باب الجري والانطباق .

وفيه : عن ابن عباس : كان النبي صلى الله عليه وآله حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وان يخرجهم من أرضهم وأوطانهم وان يسيّرهم إلى أذرعات بالشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء فخرجوا إلى اذرعات بالشام وأريحا الا أهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حييّ بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة .

وفيه : عن محمد بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجّلهم في الجلاء ثلاث ليال .

وفيه : عن محمد بن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وآله من احد ، وكان فتح قريظة مرجعه من الاحزاب وكان الزهري يذهب إلى ان إجلاء بني النضير كان قبل احد على رأس ستة اشهر من وقعة بدر .

وفي أسباب النزول : للواحدي باسناده عن عبدالله بن عمر قال : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله رأس شاة ، فقال : إن أخي فلاناً

وعياله أحوج إلى هذا منّا ، فبعث به إليه ، فلم يزل يبعث به واحداً إلى آخر حتى تداوله سبعة أهل أبيات حتى رجعت إلى اولئك ، قال : فنزلت : «ويؤثرون على انفسهم » الاية .

وفى شواهد التنزيل : للحاكم الحسكانى الحنفى باسناده عن ابى هريرة قال : ان رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وآله : فشكى إليه الجوع ، فبعث إلى بيوت ازواجه ، فقلن ما عندنا إلا الماء ، فقال صلى الله عليه وآله : من لهذا الليلة؟ فقال على عليه السلام : انا يا رسول الله فأتى فاطمة فأعلمها ، فقالت : ما عندنا الا قوت الصبية ولكنّا نؤثر به ضيفنا ، فقال على عليه السلام : نوّمى الصبية وأنا اطفىء للضيف السراج ، ففعلت وعشى الضيف ، فلمّا اصبح انزل الله عليهم هذه الاية : « ويؤثرون على انفسهم » الاية .

وفيه : باسناده عن ابن عباس فى قول الله : «ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة» قال : نزلت فى على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

وفى الاحتجاج : عن الامام على عليه السلام فى حديث يقول فيه للقوم بعد موت عمر بن الخطاب : نشدتكم بالله هل فيكم احد انزلت فيه هذه الاية : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» غيرى؟ قالوا : لا .

وفى تفسير البرهان : بالاسناد عن كليب بن معاوية الاسدى عن ابى عبد الله عليه السلام فى قوله تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

قال: بينا على عليه السلام عند فاطمة عليها السلام إذ قالت له : يا على إذهب الى ابى فابغنا منه شيئاً ؟ فقال : نعم فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطاه ديناراً وقال : يا على اذهب فابتع لأهلك طعاماً فخرج من عنده فلقاه المقداد بن الاسود وقاما ما شاء الله ان يقوما وذكر له حاجته ، فأعطاه الدينار وانطلق الى المسجد فوضع رأسه فنام فانتظره رسول الله ، فلم يأت ثم انتظره فلم يأت ، فخرج يدور

فى المسجد ، فاذا هو بعلى عليه السلام نائماً فى المسجد فحركه رسول الله صلى الله عليه وآله فقعد فقال له :

يا على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله خرجت من عندك فلقانى المقداد ابن الاسود فذكر لى ما شاء الله ان يذكر فأعطيته الدينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اما ان جبرئيل فقد انبأنى بذلك ، وقد انزل الله كتاباً فيك : «ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» .

وفيه : بالاسناد عن جابر بن يزيد عن ابى جعفر عليه السلام قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم واصحابه جلوس حوله ، فجاء على عليه السلام وعليه شمل ثوب منخرق عن بعض جسده ، فجلس قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله فنظر اليه ساعة وقرا : «ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام : اما انك راس الذين نزلت فيهم هذه الاية وسيدهم وامامهم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام : اين حلتك التى كسوتها يا على ؟ فقال : يا رسول الله ان بعض اصحابك اتانى يشتكى عريه وعرى اهل بيته فرحمته وآثرته بها على نفسى ، وعرفت ان الله سيكسونى خيراً منها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : صدقت اما ان جبرئيل فقد اتانى يحدثنى ان الله اتخذ لك مكانها فى الجنة حلة خضراء من استبرق وصبغتها من ياقوت وزبرجد ، فنعم جواز جواز ربك بسخاية نفسك وصبرك على شملتك هذه المنخرقة فأبشر يا على ، فانصرف على عليه السلام فرحاً مستبشراً بما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفى رواية : ان الاية نزلت فى سبعة عطشوا يوم احد فجيىء بماء يكفى

لاحدهم فقال واحد منهم : ناول فلاناً لانه اعطش منّي او اشد عطشاناً منّي ، فقال آخر: كذلك الى ان طيف الماء على السبعة فرجع جاء الماء بالاول رآه ميتاً ثم الثاني ، فكذلك الى السبعة فماتوا جميعاً عطشاناً فلم يشرب به احد لعطش صاحبه ، فنزلت : «ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا» الاية .

وفى أسباب النزول: للسيوطى : واخرج ابن ابى حاتم عن السدى قال : اسلم ناس من اهل قريظة ، وكان فيهم منافقون وكانوا يقولون لاهل النضير : «لئن اخرجتم لنخرجن معكم» فنزلت هذه الاية فيهم : «الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم» .



﴿القرائة﴾

قرأ أبو عمرو «يخرّبون» بتشديد الراء من باب التفعيل على ان التخريب هو الهدم ، وأمّا الاخراب فهو أن يترك الموضع خرباً ، وقرأ الباقون «يخربون» بالتخفيف من باب الافعال ، وعليه المصاحف التى بأيدى المسلمين .

قرأ أبوجعفر « لاتكون » بالتاء و « دولة » بالرفع على كون « تكون » تامة والقرائة المتفق عليها « يكون » بالياء و « دولة » بالنصب على الخبرية .

قرأ إبن كثير وأبو عمرو « جدار » بالالف على الافراد على إرادة الجمع من المفرد ، والباقون « جدر » بضمتين من غير ألف على الجمع على انهم يقاتلونهم من وراء جدار متعدد كما انهم لايقاتلون الا فى قرى محصنة .

قرأ عاصم وحمزة « تحسبهم » بفتح السين ، والباقون بالكسر .

وقرأ نافع وأبوجعفر وابن كثير وابوعمرو « انى اخاف » بالفتح ، والباقون بسكون الياء .

وقرأ ابوعمرو « البارىء » بالامالة ، والباقون من غير إمالة .

« الوقف والوصل »

« الارض ج » لتمام الكلام وتذييله بما هو بمنزلة التعليل و« الحشر ط » لتمام الكلام و « فى الدنيا ط » لما تقدم و « رسوله ج » بناء على أن الشرط من جملة المذكور و « من يشاء ط » لتمام الكلام و « ابن السبيل لا » للتعليل الآتى و« منكم ط » لتمام الكلام.

« فانتهوا ج » لابتداء مابعد جزاء الشرط مع اتفاق النظم و« اتقوا الله ط » بناء على كونها معترضة وعلى ارتباط مابعدها بما قبلها ، و« رسوله ط » لتمام الكلام و « الصادقون ج » بناء على ان ما بعده مستأنف أو معطوف ، ويجيىء وجه كل منهما فى التفسير و« خصاصة ط » لاستيناف مابعدها و« المفلحون ج » لاحتمال العطف والاستيناف لما بعدها.

« رحيم ىع » على ان « ى » علامـة العشر فتوضع عند انتهاء عشر آيات و« ع » علامة انتهاء الركوع وهو الحصة اليومية لمن أراد ان يحفظ القرآن فى عامين تقريباً « ابداً لا » لان مابعده من تمام القول و «لننصرنكم ط» لتمام الكلام و«معهم ج» للعطف مع الابتداء بالقسم و«لا ينصرونهم ج» لما تقدم و«الادبار قف» «من الله ط» لتمام الكلام و «جدر ط» لما تقدم و «شديد ط» لما سبق و«شتى ط» لما ذكر و«لايعقلون ج» لتعلق الكاف الآتية بقوله «يعقلون» أو بمحذوف أو مثلهم كمثل و « أمرهم ج » لاختلاف الجملتين و « اليم ج » لمـا ذكر و « كفر ج » و« فيها ج » لتمام الكلام والعطف و« لغد ج » لاعتراض خصوص بين العمومين أى

لم يتق الله كل واحد منكم فلتنظر لغدها نفس واحد منكم .

و « اتقوا الله ط » لتمام الكلام و « أنفسهم ط » لما تقدم .

« الجنة ط » الاولى لتمام الكلام و « خشية الله ط » لما تقدم و « هو ج » لاحتمال كون مابعده خبر مبتدإ محذوف و « الشهادة ج » لاحتمال كون الضمير بدلا من عالم او مبتدأ و « الاهوج » لما تقدم و « المتكبر ط » لتمام الكلام و « الحسنى ط » لما ذكر و « الارض ج » لاحتمال العطف والاستيناف .



﴿ اللغة ﴾

٣٩ - الحشر - ٣٢٧

حشر يحشر حشراً - من باب نصر - : جمع

قال الله تعالى : « فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى » النازعات : ٢٣) أى جمع .

وقال : « هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر » الحشر : ٢) أى لاول الجمع لاخراجهم ، وهو الأجلاء من جزيرة العرب وآخر حشرهم يوم القيامة ، وحشر فلاناً : جلاه عن وطنه وحشر الجمع : أخرجه من مكان إلى آخر .

وقد يتضمّن الحشير معنى الرجوع قال تعالى : «يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً » مريم : ٨٥) .

وقال : « واعلموا انكم إليه تحشرون » البقرة : ٢٠٣) .

يوم الحشر : يوم البعث والمعاد وهو مأخوذ من حشر القوم اذا جمعهم .

وحشر الاجساد : هو جمع أجزاء بدن الميت وتأليفها مثل ما كانت عليها في الحياة الدنيا ،

والمحشر : المجمع والموضع الذى يحشر إليه الناس .

وحشر الشيء والمال : أهلكه .

وحشر السكين والسّنان : دقّقه وأحدّه ولطّفه ، و كل لطيف ودقيق حشر .

وفى الحديث « فأخذت حجراً فكسرته وحشرته » .

فى المفردات : الحشر : إخراج الجماعة عن مقرّهم وإزعاجهم عنه إلى

الحرب ونحوها .

وفي اللسان : الحشر: اللزج من اللبن كالحشن ، وحشر عن الوطب اذا كثر وسخ اللبن عليه .

وفي حياة الحيوان الحشرات : صغار دواب الارض وصغار هوامّها . . . فمنها : الحيات والجرذان واليربوع والضب والقنفذ والعقرب والحنفساء والنمل والحلم ونحو ذلك مما لا يحتاج الى الماء ولا يشم النسيم .



٢٥ - الحصن - ٣٣٣

حصن يحصن حصانة - من باب حسن - : منع .

الحصين : المنيع يقال للمبالغة : حصن حصين ، والحصن : المكان المحمى المنيع ، جمعه : حصون .

قال الله تعالى : « وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله » الحشر : ٢) الحصن : المكان المرتفع لا يقدر عليه لارتفاعه ، ومنه : « الفقهاء حصون الاسلام كحصن سور المدينة » ، والحصان : الدرة والفحل من الخيل .

حصّنه تحصيناً : جعله حصيناً منيعاً .

قال تعالى : « لا يقاتلونكم جميعاً الاّ في قرى محصّنة » الحشر : ١٤) أى ممنوعة من أن يوصل اليها من حصنت القرية اذا بنيت حولها سور .

أحصنه احصاناً : جعله فى المواضع الحصينة التى تجرى مجرى الحصن ، وأحصنه : زوّجه ، وأحصن فرجه : صانه بالعفة .

قال تعالى : «والتي أحصنت فرجها » الانبياء : ٩١) أى صانته بالعفة ، وتحصّن تحصّنا : صان نفسه بالعفة أو الزواج أو الاسلام .

قال تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصّنا » النور : ٣٣) وتحصّن الرجل : اتخذ لنفسه حصناً وحرزاً ثم يتجوّز به في كل تحرز ، ومنه : درع حصينة لكونها حصناً للبدن .

قال تعالى : « وعلّمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم » الانبياء : ٨٠) وفى الدعاء : « اسئلك بدرعك الحصينة » أى التى يتحصن ويستدفع بها المكاره .

المحصنة : جمعها محصنات وهى الحرّة أو العفيفة أو المتزوجة أو بالاسلام

قال تعالى : «ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات» النساء : ٢٥) أى الحرائر وقال : « وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات» النساء : ٢٥) أى عفيفات ، وقال « والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم» النساء : ٢٤) أى المتزوجات .

وفى دعاء الاستنجاء : « اللهم حصن فرجى » أراد ستره وعفته وصونه عن المحرمات ، ومنه : « حصنوا أموالكم بالزكاة ».

فى اللسان : قال الزهرى : والامة اذا زوجت جاز أن يقال : قد أحصنت لان تزويجها قد أحصنها ، وكذلك اذا اعتقت ، فهى محصنة لان عتقها قد اعفها وكذلك اذا اسلمت فان اسلامها احصان لها .



١٧ - القذف - ١٢٠٩

قذف الشيء يقذفه قذفاً - من باب ضرب - ألقاه أو رماه من بعد .

قال الله تعالى : «وقذف في قلوبهم الرعب» الحشر : ٢) .

وقال : «لا يسمعون إلى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب» الصافات: ٨) أي يرمون أو يرجمون بالشهب ، والقذف : الرمي بقوة .

قاذفه : راماه ، وتقاذفوا بالحجارة : تراموا بها ، فرس متقاذف : سريع العدو وبلدة قذوف : طروح لبعدها .

قذف بالشيء على الشيء : رماه به أو سلّطه عليه .

قال تعالى : «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه» الانبياء : ١٨) أي نرمي الباطل بالحق أو نسلّطه عليه .

وقذف بالغيب : تكلم عما لا يعرف رجماً بالغيب غير مستند إلى دليل .

قال تعالى : «وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد» سباء : ٥٣) أي يتكلّمون عما لا يعرفون رجماً بالغيب غير مستند إلى دليل .

والامر منه : اقذف ، قال تعالى : «أن اقذفيه في التابوت» طه : ٣٩) ، أي القيه ، وفي الدعاء : «واقذف في قلبي رجائك» أي اطرحه وألقه ، وفي الحديث : «اني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً» أي يلقي ويوقع .

القذاف : - بكسر القاف - : ما قبضت بيدك مما يملأ الكف فرميت به و - بكسرها - : سرعة السير ، ناقة قذافة : متقدمة من سرعتها ترمي بنفسها امام الابل في سيرها ، وقذف المحصنة : رماها بالفاحشة .

في المفردات : القذف الرمي البعيد ولاعتبار البعد فيه قيل : منزل قذف وقذيف ، واستعير القذف للشتم والعيب كما استعير الرمي .

٤٣ ـ الرعب ـ ٥٧١

رعب يرعب رعباً ورعباً ـ من باب منع ـ : خاف ، لازم ومتعد ، الرعب : الخوف الذى يملأ القلب ، ورعبه : ملأه خوفاً .

قال الله تعالى : « وقذف فى قلوبهم الرعب » الحشر : ٢) .

وفى الحديث: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» وذلك كان أعداء النبى الكريم ﷺ قد أوقع الله فى قلوبهم الخوف منه ، فاذا كان بينه ﷺ وبينهم مسيرة شهر هابوه وفزعوا منه .

وقيل : معناه : اوقع الله الخوف فى أعلى الجبل فخافوه من مسيرة شهر .

الرعب : أشد الخوف ، والرعيب : المرعوب ، والرعبوب : الضعيف الجبان .

رعبت الحمامة رفعت هديلها وشددته ، الحمامة الراعبية التى ترعّب فى صوتها ترعيباً وذلك قوة صوتها .

وفى الحديث : « اتّخذوا الحمام الراعبية فى بيوتكم فانها تلعن قتلة الحسين عليه السلام » ، رعّبه ترعيباً : خوفه ، وارتعب الرجل : خاف وفزع .

فى المفردات : الرعب : الانقطاع من إمتلاء الخوف ولتصور الامتلاء منه ، قيل : رعبت الحوض : ملأته ، وسيل راعب يملأ الوادى ، وباعتبار القطع قيل : رعبت السنام : قطعته .

٧١ - الفيء - ١١٩٠

فاء يفيء فيئاً - من باب ضرب - : رجع .

ومن الحسّي : الرجوع فى فاء الظل ، ثم كان كل رجوع فيئاً ، والفيء : الظل الراجع من المشرق إلى المغرب ، وتفيأ الظل وفاء وفيأت الشجرة وتفيأ بالشجرة ، استظل بها .

وأصل الفيء : الرجوع كأنه فى الأصل لهم ثم رجع إليهم ، ومنه : «أفاء الله على المسلمين» أى أرجعه إليهم وصيّره لهم .

قال الله تعالى : « وما أفاء الله على رسوله » الحشر : ٦) .

الفيء : ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد .

قيل : سميت الغنيمة فيئاً وهو الظل ، تنبيهاً إلى أن أشرف أعراض الدنيا يجرى مجرى الظل الذى هو يزول ، قال الشاعر :

أرى المال افياء الظلال عشية .

وقال الاخر : انما الدنيا كظل زائل .

وورد من المادة فى معنى تفيّؤ الظل قوله تعالى : « يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل » النحل : ٤٨) أى تتميّل .

ومن الرجوع ورد الماضى والمضارع فى قوله تعالى : « فان فاؤا » البقرة : ٢٢٦) .

وقوله : « حتى تفيء إلى أمر الله » الحجرات : ٩) .

ويقال : « هو سريع الفيء عن غضبه » أى سريع الرجوع .

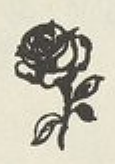
ومن المعنوى : تفيأت بفيئك : إلتجأت إليك وأفاء عليه فيئاً أى غنيمة لا تلحق فيها مشقة .

والفىء أيضاً : القطعة من الطير ، والفئة : الجماعة المتظاهرة التى يرجع بعضهم إلى بعض فى التعاضد قال الله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة » البقرة : ٢٤٩) والهاء عوض من الياء التى نقصت من وسطه لان أصله فيء ، وهذا بناء على كون الفئة فيئاً فى الاصل والا فلا .

والفئة : العود إلى طاعة الامام ، والتزام احكام الاسلام .

فى المفردات : الفىء والفيئة : الرجوع إلى حالة محمودة .

وفى القاموس وشرحه : الفيئة : طائر كالعقاب، فاذا خاف البرد انحدر إلى اليمين ، والفيئة أيضاً : الحين ، يقال : جاءه بعد فيئة أى بعد حين .



٤٣ - الدولـة - ٥٠٢

دال بطنه يدول دولا ودولة - من باب نصر نحو قال - : استرخى ودالت الايام : دارت وتحولت من قوم إلى آخرين ، ودال الزمان : انقلب من حال إلى حال ، ودال الدهر : تحول من حال إلى حال .

قال الله تعالى : « وتلك الايام نداولها بين الناس » آل عمران : ١٤٠) أى نصرّفها بينهم فنجعلها لهؤلاء مرة ولهؤلاء اخرى . والدولة -بضم الدال- : الشيء المتداول قال الله تعالى: « كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » الحشر: ٧) أى كى لايكون الفيء شيئاً يتداوله الاغنياء ويتعاورونه فلا يناله أحد من الفقراء .

الدولة : انقلاب الزمان من حال البؤس والضر إلى حال الغبطة والسرور ، والدولة : العقبة فى المال . داول الامر يداوله : نقله من واحد لاخر .

وفى حديث الامام على عليه السلام : « انى لصاحب الكرات ودولة الدول » لعله اشارة إلى مجيئه مع الأنبياء المتقدمين بحسب روحه ، واشارة إلى مجيئه مع القائم عليه السلام . والدولة : الانتقال من حال الشدة إلى حال الرخاء .

ومن كلام الحق : « لا إله إلاّ أنا مديل المظلومين » أى أجعل لهم الدولة والغلبة على من ظلمهم .

وفى حديث أشراط الساعة : « اذاكان المغنم دولا » جمع دولة وهى مايتداول من المال ، فيكون لقوم دون قوم .

فى المجمع : يقال : الدولة - بالضم - : المال و - بالفتح - : الحرب ، ويقال : صار الفيء دولة يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا ، والجمع دولات ودول بالضم فيهما ، فالمعنى : كيلا يكون الفيء دولة جاهلية بينهم يستأثر بها الرؤساء وأهل الدولة والغلبة .

٧ - الشح - ٧٧٥

شح بالشيء وعليه يشح شحاً - من باب نصر نحو مد - : ضن وبخل به وحرص عليه فهو شحيح وهم أشحة .

قال الله تعالى : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » الحشر : ٩) .

وقال : « أشحة عليكم - أشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا » الاحزاب : ١٩)

الشحاح : البخيل الحريص ، فهو أشد من البخل ، إذ البخل في المال وهو في المال والمعروف . في الحديث : « البخيل يبخل بما في يده والشحيح يشح بما في أيدى الناس وعلى ما في يده حتى لا يرى في أيدى الناس شيئاً إلا تمنّى أن يكون له بالحل والحرام ولا يقنع بما رزقه الله تعالى » ، وفيه : « لايجتمع الشح والايمان في قلب عبد أبداً » .

وذلك لان الشح إذا استولى على القلب عرى القلب عن الايمان ، لانه يشح بالطاعة ، فلا يسمح بها ولا يبذل الانقياد لأمر الله .

وفي حديث ابن مسعود : « الشح منع الزكاة وادخال الحرام » .

وفي الحديث : « اياكم والشح » .

إبل شحائح : أى قليلة الدر .

لامشاحة في الاصطلاح أى لامناقشة فيما اصطلح عليه أهل فن أو صناعة من استعمالهم ألفاظاً مخصوصة لمعان بينهم معروفة وان بعدت الالفاظ عن اوضاعها اللغوية أو خالفت اصطلاح قوم آخرين .

وتشاح الخصمان في الجدل : أراد كل منهما ان يكون هو الغالب .

تشاحا على الامر : تنازعا عليه ، فلا يريد كل منهما أن يفوتهما ذلك الامر .

في المفردات : الشح : بخل مع حرص وذلك فيما كان عادة .

٧٥ - الرهب - ٦٠٣

رهبه يرهبه رهباً ورهبة ـ من باب علم ـ : خافه وفزعه .

والرهب : مخافة مع تحرز وإضطراب .

قال الله تعالى : « لانتم أشدرهبة فى صدورهم من الله » الحشر : ١٣) .

وقال : « هم لربّهم يرهبون » الاعراف : ١٥٤) .

وفى الحديث : « الرهبة من الله » وضدها : الجرأة على معاصى الله تعالى .

وفى حديث وصف المؤمنين : « رهبان الليل أسد النهـار » ، أى متعبدون بالليل خوفاً من الله تعالى شجعان فى النهار فى مجاهدة النفس وأعداء الله .

الـرهيب : المرهوب ، والمراهب : الاهوال والمخاوف ، والارهاب : فزع الابل ، والرهب : الجمل الذى استعمل فى السفر وكل ، والرهب : السهم الرقيق والرهب : النصل الرقيق من نصال السهام ، والرهب : الكم يقال وضعت الشىء فى رهبى : فى كمّى .

ارهبه : خوفه وافزعه ، وجعله يرهب جانبه .

قال الله تعالى : « ترهبون به عدو الله وعدوكم » الانفال : ٦٠) .

استرهبه : استدعى رهبته حتى رهبه .

قال تعالى : « واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم » الاعراف : ١١٦) .

ترهب غيره : توعده .

الراهب : المتعبد فى صومعة ، وراهب النصارى : من يعتزل فى دير ويتخلّى للعبادة ، والجمع : رهبان .

قال تعالى : « ان كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلوا اموال الناس بالباطل» التوبة : ٣٤) .

الرهبانية : حالة الراهب وطريقته ، قال تعالى : « ورهبانية ابتدعوها » الحديد : ٢٧) .

وفي الحديث : «لا رهبانية في الاسلام» وفي حديث آخر : « عليكم بالجهاد فانه رهبانية امتي » يريد ان الرهبان وان تركوا الدنيا وزهدوا فيها وتخلّوا عنها ـ لو لم يكن ذلك لاستحمار العوام ـ فلا ترك ولا زهد ولا تخلّي اكثر من بذل النفس والمال في سبيل الله ، وكما انه ليس عند النصارى عمل افضل من الرهب ففي الاسلام لاعمل أفضل من الجهاد بالنفس والمال ، ولهذا قال : « ذروة سنام الاسلام الجهاد في سبيل الله » .

مع أن إعطاء المال وإنفاقه أفضل من ترك كسب المال .

وفي الحديث : « اعطى الله محمداً الفطرة الحنيفية لا رهبانية ولا سياحة » .

والرهبوت : بزيادة الواو والتاء للمبالغة كالملكوت : الخوف العظيم ، ومنه رهبوت خير من رحموت أى كونك مرهوباً خير من كونك مرحوماً لان الذى يخافه الناس يقتضي أن يكون عزيزاً ، والذى يشفقون عليه يقتضي أن يكون ذليلا .

٣٩ - النسيان - ١٥١٤

نسى الشيء ينساه نسياً ونسياناً ونساية - من باب ضرب نحو رضى - : ذهل عنه وغاب الشيء عن ذكره وحفظه .

النسيان : خلاف الذكر والحفظ وهو ترك الشيء على ذهول وغفلة و«نسيت ركعة» أى أهملتها ذهولا .

قال الله تعالى : « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم اولئك هم الفاسقون» الحشر : ١٩) .

انما معناه تركوا معرفة الله تعالى وذكره وطاعته ، فتركهم فلما كان النسيان ضرباً من الترك وضعه موضعه .

وقال : « فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم » السجدة : ١٤) أى تركتم الطاعة وصالح العمل ليوم لقائه ، انّا تركناكم للعقاب فعاملنا معاملة المنسيين ، وقال : « يقول الذين نسوه من قبل » الاعراف : ٥٣) أى لم يعملوا له وتركوه ترك المنسيّ .

ويقال : نسى الله : ترك ما يجب له ، ونسى الله الكافر : عامله معاملة المنسى من رحمته فتركه للعقاب ، وهذا على سبيل المشاكلة والمجاز وقال : « نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون » التوبة : ٦٧) ، أى تركوا حق الله فتركهم وأهملهم من رحمته .

وفيه تنبيه بان هذا النسيان ماكان سببه عن تعمّد منهم وتركه اياهم على طريق الاهانة واذا نسب ذلك إلى الله تعالى فهو تركه اياهم استهانة بهم ومجازاة لما تركوه .

وفى الحديث : « فيتركون فى المنسى تحت قدم الرحمن » أى ينسون فى النار و « تحت القدم » إستعارة كأنه قال : ينسيهم الله الخلق لئلا يشفع فيهم أحد .

يقال : فلان نسى الشيء : غفل عنه .

قال الله تعالى : « فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما » الكهف : ٦١) أى غفلا عنه .

وقال : « واذكر ربك اذا نسيت » الكهف : ٢٤) أى غفلت عن ذكره وقال : « فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى » طه : ٨٨) أى غفل موسى عن الهه أو ترك السامرى الدين .

يقال : هو ناس الشيء وهو منسى ، فاذا اريد المبالغة فى وصف الناس قيل : نسىّ كما يقال : رحيم فى راحم ، وعليم فى عالم .

ويقال : نسى - بتشديد الياء - لمن كثر نسيانه ، ومنه : « كنت ذكوراً فصرت نسياً » ، والنسى : الشى المنسىّ الذى لا يذكر .

والنسيان - بالفتح - : الكثير النسيان .

ويقال : نسى الشيء : فرّط فى تذكّره حتى غاب عن حفظه .

قال الله تعالى : « ونسى ما قدّمت يداه » الكهف : ٥٧) ، أى فرّط فى تذكّره .

وقال : « أحصاه الله ونسوه » المجادلة : ٦) أى فرّطوا فى تذكّره حتى غاب عن حفظهم .

وهذا مجاز من التعبير بالشيء عن سببه ، وهذا النسيان هو الذى يرد عليه الذم .

النسى : الشيء التافه الحقير الذى شأنه ان ينسى ولا يتألم لفقده كالوتد والحبل للمسافر ، وهو فى الاصل مصدر أطلق على المفعول ، ويقال لخرقة الحائض : نسى وجمعه : انساء وتقول العرب اذا ارتحلوا من المنزل : انظروا أنساؤكم بريدون بها الاشياء الحقيرة التى ليست عندهم ببال .

قال تعالى حكاية عن مريم : « وكنت نسياً منسياً » مريم : ٢٣) .

والمنسية : ريح يبعثها الله تعالى إلى المؤمن تنسيه أهله وماله .

انساه الشيء : جعله ينساه ، فيذهل عن ذكره اويتركه .

قال تعالى : « فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكرى »المؤمنون : ١١٠) اى جعلوكم تتركون ذكرى .

وقال : « إستحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله » المجادلة : ١٩) أى جعلهم أن يتركوا ذكره .

وقال : « وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » الانعام : ٦٨) اى يحملنك على عدم التذكر .

وقال : « ما ننسخ من آية أو ننسها » البقرة ١٠٦) أى نرفعها من ذكر الحفاظ لها فانساؤها : حذف ذكرها عن القلوب بقوة إلهية .

وفى الدعاء بعد زيارة عاشوراء : « وأنسه ذكرى كما أنسيته ذكرك » .

وقال تعالى : « سنقرئك فلا تنسى » الاعلى : ٦) هذا إخبار وضمان من الله تعالى انه يجعله بحيث لاينسى ما يسمعه من الحق .

نسّاه الله الشيء تنسية وأنساه اياه انساء : حمله على نسيانه وتناسى تناسياً : أرى من نفسه انه نسيه .

٥٢ - الفكر والتفكر - ١١٧١

فكر فى الشىء يفكر فكراً - بفتح الفاء وكسرها - من باب ضرب - : أعمل خاطره ونظره فيه وتأمله كتفكر ، والفكرة والفكرى كالفكر .

وقيل : الفكر - بفتح الفاء - : مصدر وبكسرها اسم .

وفكر فى الشىء تفكيراً ، وافكر وتفكر وافتكر بمعنى فكر .

وما ورد فى القرآن الكريم ثلاثياً ، وانما جاء ببابى التفعيل بصيغة الماضى والتفعل بصيغة المضارع .

قال الله تعالى : « انه فكّر وقدر » المدثر : ١٨) .

وقال : « وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » الحشر : ٢١) .

الفكرة : قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم ، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نقل العقل وذلك للانسان دون الحيوان لفقدها فيه ، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة فى القلب ولهذا ورد كثيراً : « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله اذ كان الله منزهاً ان يوصف بصورة » .

والفكرة : اسم من الافتكار كالعبرة من الاعتبار .

الفكر : تردد القلب بالنظر والتدبر بطلب المعانى ، جمعه الأفكار .

يقال : لى فى هذا الأمر فكر اى نظر وروية ، وقد يقال : مالى فيه فكر اى لا حاجة إلى نظر .

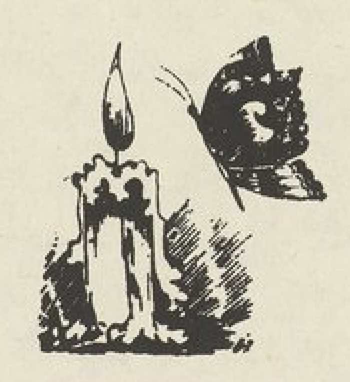
الفكير - مبالغة - : كثير الفكر .

عن بعض الأدباء : ان الفكر مقلوب عن الفرك ، لكن يستعمل الفكر فى

المعانى ، وهو فرك الامور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها .

فى المجمع : التفكر التأمل ، والفكر - بالكسر - : اسم منه وهو لمعنيين أحدهما - القوة المودعة فى مقدمة الدماغ .

ثانيهما - أثرها اعنى ترتيب امور فى الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً .



٥ - الوبال - ١٦٣٨

وبل المطر يبل وبلا ووبولا - من باب ضرب - : غزر وعظم قطره ووبلت السماء : أمطرت الوبل .

ومن هذا قيل للمطر الغزير : وابل ، وقد التحق الوابل فى هذا المعنى بالاسماء .

قال الله تعالى : « فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً » البقرة : ٢٦٤) .

وبل المرتع والطعام يوبل وبالة ووبالة - من باب شرف - : وخم وثقل ولم يستمرأ ، واستوبل فلان الارض : استوخمها ، واستوبلت الارض : تمارضت من وبال مرتعها .

ويقال من هذا : وبل الشيء : اشتدّ وغلظ ، يقال : وبل عقاب فلان ، والوصف : وبيل ، ويقال : أخذ الله الكافر بكفره أخذاً وبيلا ، وفى الحديث : « اسئلك الزهد فيما هو وبال » أى عذاب شديد .

الوبال : الضرر والمكروه يلحق المرء وأصله وبال الطعام أى وخامته وثقله وسوء عاقبته ، ويقال : ذاق فلان وبال عمله اى عاقبته السيئة وجزائه الوخيم ، ويقال : العمل السيىء وبال على صاحبه أى سبب الضرر والمكروه ، وللامر الذى يخاف ضرره وثقله وبال .

قال الله تعالى : « ذاقوا وبال أمرهم » الحشر : ١٥) .

وفى الحديث : « كل مال اديت زكاته فقد ذهبت وبلته » أى ذهبت مضرته وإثمه .

٣٧ - الهيمن - ١٦٢١

هيمن على الشيء يهيمن هيمنة - رباعى من باب دحرج - : كان رقيباً وشاهداً عليه وحافظاً له ، هيمن الطائر على فرخه : رفرف .

الهيمنة : القيام على الشى ، والوصف : مهيمن .

قيل : - ثلاثى - من همن ، وقيل : أصله أأمن بالهمزتين فقلبت الهمزة الثانية ياء كراهية اجتماعهما فصار مؤيمن ثم صيّرت الاولى هاء .

وجاء المهيمن فى الكتاب وصفاً لله تعالى وللقرآن الكريم ، فالله مهيمن : رقيب على عباده حافظ لهم وشاهد عليهم بأعمالهم وقائم بهم على آجالهم وأرزاقهم واموراهم .

قال تعالى : « الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن » الحشر : ٢٣) .

والقرآن مهيمن على ما سواه من الكتب السماوية ، أى رقيب عليها فما فيها مما يوافقه ، فهو حق وما خالفه علم انه مبدّل مغيّر .

قال الله تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » المائدة : ٤٨) .

﴿النحو﴾

١ - (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم)

« سبّح » فعل ماض من باب التفعيل و « لله » متعلق بفعل التسبيح و « ما » موصولة فى موضع رفع ، فاعل الفعل و «فى السموات» متعلّق بمحذوف وهو الصلة و « ما فى الارض » عطف على ما تقدّم ، و « هو » مبتداء ، و « العزيز » خبره ، و « الحكيم » خبر بعد خبر .

٢ - (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار)

« هو » مبتدأ و « الذى » موصولة و « أخرج » فعل ماض من باب الافعال صلة الموصول ، والجملة فى موضع رفع خبراً للمبتداء ، و « الذين » فى موضع نصب مفعول به و « من » الاولى بيانية و « ديارهم » جمع دار ، والضمير راجع إلى أهل الكتاب و « لاول الحشر » اللام بمعنى « عند » أى عند أول الحشر كقولك : جئت لوقت كذا وقولك : كتبته لخمس خلون ، وإضافة « اول » إلى الحشر من اضافة الصفة إلى الموصوف .

« ما » نافية و « ظننتم » فعل ماض من أفعال القلوب و « أن يخرجوا » فى موضع نصب سد مسد المفعولين ، و « ظنّوا » فعل ماض لجمع الغائب ، و « انّهم مانعتهم » فى موضع نصب سدّ مسد المفعولين لفعل الظن وانما أتى بـ «أن» الخفيفة

والثقيلة بعد الظن ، لان الظن يتردد بين الشك واليقين ، فتارة يحمل على الشك فيؤتى بالخفيفة ، واخرى يحمل على اليقين فيؤتى بالثقيلة .

و «حصونهم» مرفوعة بقوله : «مانعتهم» ، لان اسم الفاعل جرى خبراً لقوله : «ان» فوجب أن يرفع ما بعده على الفاعلية .

«فأتاهم الله» الفعل ماض من باب الافعال ، وفي ارجاع الضمير أقوال : أحدها ـ راجع إلى اليهود ، ثانيها ـ راجع إلى المؤمنين .

ثالثها ـ راجع إلى الجميع على حذف المفعول الثاني والمعنى على الثالث فأتاهم الله اليهود الذلة والانهزام بعد منعتهم وأتى المؤمنين العزة والغلبة و«قذف» فعل ماض فاعله الضمير المستتر فيه راجع إلى الله تعالى .

و «الرعب» مفعول به لفعل القذف و «يخربون» فعل مضارع من باب الافعال و «بيوتهم» جمع بيت مفعول به ، و «بأيديهم» جمع يد متعلّق بفعل الاخراب ، والجملة في موضع نصب حالا وقيل : تفسير للرعب فلايكون لها موضع «فاعتبروا» الفاء للتفريع ، ومدخولها فعل أمر من باب الافتعال ، و «الابصار» جمع البصر .

٣ ـ (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار)

«لولا» حرف امتناع وجود لوجود آخر ، فتدخل على الجملة الاسمية ويكون جوابها فعلا مقروناً بلام إن كان مثبتاً كقوله تعالى : «فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون» الصافات : ١٤٣ ـ ١٤٤) .

«أن» حرف مصدري تنسبك مع مدخولها بالمصدر ، والمعنى : لولم يكن قضاء الله تعالى على اليهود بالجلاء . . .

«لعذّبهم» جواب لحرف الامتناع والفعل ماض من باب التفعيل والضمير في موضع نصب على المفعولية راجع إلى أهل الكتاب من اليهود .

٤ - (ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب)

« ذلـك » مبتدأ « بأنّهم شاقـوا الله » بعد انسباك الجملة بالمصدر وتعلقها بمحذوف خبر للمبتداء و « شاقوا » فعل ماض من باب المفاعلة و « من » شرطية و « يشاق » فعل مضارع مجزوم على الشرط و « فان الله الخ » جواب للشرط .

٥ - (ما قطعتم مـن لينة أو تـركتموها قـائمة على اصـولها فباذن الله وليجزى الفاسقين)

« ما » موصولة فـى موضع نصب و « قطعتم » فعل ماض على حـذف العائد فالتقدير : الذى قطعتموه ومن فى « من لينة » بيانية « او تركتموها » عطف على « قطعتم » وضمير التأنيث راجع إلى « لينة » ولينة عينها واو لانّها من اللون ، قلبت لسكونها وانكسار ما قبلها ، وقيل : من لين ، و « قائمة » حال من « لينة » والفاء فـى « فباذن الله » للتفريع نازلة بمنزلة جواب الشرط ، و « ليجزى الله » اللام للتعليل والفعل منصوب على تقدير « أن » والجملة عطف على مقدر فالتقدير الذى قطعتموه ـ الخ فباذن الله ليفعل كذا و كذا وليجزى الفاسقين .

٦ - (وما أفاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه مـن خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شى قدير)

الواو للعطف و « ما » موصولة ، و « أفاء » فعل ماض مـن باب الأفعال صلة الموصول على حذف العائد أى والذى أرجعه الله والضمير فى « منهم » راجع إلى الكفار أى من أموالهم فمن بيانية « فما » الفاء للتفريع بمنزلة الجزاء ومدخولها نافية و « أوجفتم » فعل ماض من باب الافعال لخطاب الجمع المذكر والضمير فى « عليه » راجع إلى ما أفاء و « من » فى « من خيل » زائدة جيئت للتأكيد .

« لكنّ » حرف استدراك و « الله » اسمها و « يسلّط » فعل مضارع من باب التفعيل و« رسله » جمع رسول مفعول به ، والجملة فى موضع رفع خبراً لحرف الاستدراك و « من » موصولة و « يشاء » صلتها على حذف العائد و « الله » مبتداء و« على كل شيء » متعلّق بقوله : « قدير » وهو خبره .

٧ - (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله أن الله شديد العقاب)

لم تعطف الاية على ما قبلها كما عطفت السابقة على ما قبلها لان هذه الاية بيان لسابقتها فهى غير أجنبيّة عنها .

« اليتامى » جمع اليتيم و « المساكين » جمع المسكين و « كى » تعليلية « لا يكون » منفى منصوب على تقدير « أن » ويحتمل أن تكون « كى » مصدرية فالنصب بها على تقدير اللام التعليلية ، فكى إما تعليلية مؤكدة للام أو مصدرية مؤكدة بان و « دولة » خبر لفعل الناقص على استتار اسمه فيه أى لا يكون الفىء دولة و « الاغنياء » جمع الغنى و« ما » موصولة فى موضع نصب على المفعول به الاول و« آتاكم » فعل ماض من باب الافعال وضمير الخطاب فى موضع نصب على المفعول به الثانى .

« فخذوه » الفاء تفريعية والفعل للامر والضمير فى موضع نصب على المفعول به راجع إلى الموصول « وما نهاكم عنه » عطف على « ما آتاكم » و« فانتهوا » فعل أمر من باب الافتعال .

٨ - (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون)

« للفقراء » بدل من « لذى القربى » ، وقيل : بيان مصداق لصرف سبيل الله تعالى الذى اشير إليه بقوله تعالى : « فلله » ، وقيل :على تقدير : « اعجبوا » و« المهاجرين » صفة من « للفقراء » و « اخرجوا » فعل ماض مبنى للمفعول من باب الافعال و « يبتغون » فى موضع نصب حال من الفقراء فتكشف عن حال تلبس بها هؤلاء المهاجرون حين اخرجوا من ديارهم وأموالهم فكانوا حين خروجهم

على حال يبتغون بها فضل الله تعالى ورضوانه وينصرون الله ورسوله .

« فضلا » مفعول به و « اولئك » مبتدأ ، و« هم » ضمير فصل و« الصادقون » خبر المبتداء .

٩ - (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

« والذين » فى موضع جرّ عطف على الفقراء ، فعلى هذا يشارك الانصار المهاجرين فى الفىء و« يحبون » على هذا حال من الموصول وقيل : « والذين » مستأنف سيق لمدح الانصار لتطيب بذلك قلوبهم اذ لم يشاركهم المهاجرون فى الفىء ، فالذين على هذا مبتدأ و « يحبّون » خبره .

« تبوؤا » فعل ماض من باب التفعل ، و « الدار » مفعول فيه « والايمان » عطف على « الدار » وقيل : عطف على « تبوؤا » على حذف العامل ، أى وآثروا الايمان وقيل : أى وأخلصوا الايمان ، وقيل : أى قبلوا الايمان وقيل : أى جعلوا الايمان ملجأ لهم وقيل : دار الايمان ملجأ لهم ، فعلى تقدير ان الايمان عطف على الدار لفظاً لا معنى لان الايمان ليس بمكان يتبوّأ وضمير « من قبلهم » راجع إلى « المهاجرين » والمراد من قبل مجيئهم وهجرتهم إلى المدينة وضميرا « لايجدون فى صدورهم » للانصار وضمير « اوتوا » راجع إلى المهاجرين و « حاجة » مفعول به على حذف المضاف ، أى مس حاجة ، ومن فى « مما » تبعيضية ، وقيل : بيانية و« اوتوا » فعل ماض مبنى للمفعول من باب الافعال صلة الموصول على حذف العائد.

و« يؤثرون » فعل مضارع من باب الافعال على حذف المفعول أى ويقدم هؤلاء الانصار المهاجرين على أنفسهم و «من» شرطية و «يوق» فعل مضارع مبنى للمفعول ، و« شح نفسه » مفعول به « فاولئك هم المفلحون » جزائية .

١٠ - (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم)

« والذين » في موضع جر عطفاً على « للفقراء المهاجرين » وقيل : مستأنف فالذين مبتداء و« يقولون » خبره ، و« ربنا » مناد منصوب للاضافة على حذف حرف النداء اى يا ربنا نحو يا عبدالله و « رحيم » خبر بعد خبر .

١١ - (الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم احداً أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون)

« الم تر » الاستفهام تعجيبي ، والفعل مجزوم بحرف الجحد على حذف اللام و« نافقوا » فعل ماض من باب المفاعلة واللام في « لاخوانهم » للتبليغ و« الذين » في موضع جر بياناً لاخوانهم اوبدلا ، واللام في « لئن » لتوطئة القسم تسمى المؤذنة ايضاً ، اى والله لئن اخرجتم من دياركم -الخ - و« لنخرجن معكم -الخ » جواب للقسم . و« ابداً » ظرف للنفي لا للمنفي .

والجمل - من لئن اخرجتم - لننصرنكم - كلها مقولة قول المنافقين و« والله يشهد » الواو للحال والجملة حالية ، وقيل : الواو للعطف على محذوف فالتقدير : ان هذا القول يشهد بكذب المنافقين وينادى عليهم بانهم كاذبون فيه والله يصدق هذه الشهادة ويشهد بانهم لكاذبون ، وقيل : ان الجملة مستأنفة ، واللام في « لكاذبون » للتاكيد ومدخولها خبر لحرف التاكيد « ان » .

١٢ - (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون)

اللامات في « لئن » الثلاث لتوطئة القسم تؤذن باضمار القسم و« اخرجوا » فعل ماض مبني للمفعول من باب الافعال و« لايخرجون معهم » جواب القسم الاول و« قوتلوا » فعل ماض مبني للمفعول من باب المفاعلة و« لا ينصرونهم » جواب للقسم الثاني ، و« ليولن » فعل مضارع من باب التفعيل لجمع الغائب المذكر المؤكد بنون التاكيد الثقيلة ، وأصله : ليولين فنقلت ضمة الياء إلى اللام بعد حذف كسرها

لثقل الضمة على الياء ثم حذفت الياء ، والجملة جواب للقسم الثالث .

هذا بناءعلى حذف جواب الشرط والا فالجمل الثلاث جواب للشروط الثلاثة فلم تجزم لكون الشرط فعل ماض وقد ثبت : ان الشرط اذا كان ماضياً والجزاء مضارعاً ففى الجزاء وجهان : الجزم وعدمه و « ثم » لترتيب الاخبار .

١٣ - (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لايفقهون)

اللام للتاكيد ومدخولها مبتداء و « أشد » خبره و « رهبة » مصدر جيىء تمييزاً على تقدير: أى أشد من رهبتهم من الله فان المنافقين كانت رهبتهم فى السر من المؤمنين أشد من رهبتهم وخوفهم من الله تعالى لانهم لايفقهون عظمة الله فلا يخشونه حق خشيته و « قوم » خبر لحرف التأكيد و « لايفقهون » نعت من قوم .

١٤ - (لا يقاتلونكم جميعاً الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون)

« لايقاتلونكم » فعل مضارع من باب المفاعلة منفى بحرف النفى ، وضمير الخطاب فى موضع نصب على المفعول به و « جميعاً » حال من فاعل الفعل ، وهم بنو النضير والمنافقون .

« قرى » جمع قرية و « محصّنة » اسم مفعول من باب التفعيل صفة من « قرى » و « بأسهم » مبتداء و « بينهم » ظرف متعلق بقوله : « شديد » وهو الخبر والواو فى « وقلوبهم شتّى » للحال ، والجملة حال من بنى النضير ، والمنافقين و « ذلك » مبتدأ و « بأنهم قوم » بعدالانسباك خبره و « لايعقلون » صفة من «قوم»

١٥ - (كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب اليم)

« كمثل متعلق بمحذوف وهو الخبر لمبتداء محذوف أى مثلهم كمثل الذين و « من قبلهم » متعلق بمحذوف وهو صلة الموصول ، أى استقروا من قبلهم ، و « قريباً » صفة لمحذوف أى زمناً قريباً ، وقيل : قائم مقام الظرف منصوب على الظرفية أى فى زمن قريب ، وقيل : أى ذاقوا وبال امرهم قريباً أى عن قريب ، و « لهم » متعلق بمحذوف وهو الخبر ، و « عذاب » مبتدأ و « أليم » وصف للعذاب

١٦ - (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين)

« كمثل الشيطان » متعلق بمحذوف وهو الخبر لمبتداء محذوف أى مثلهم كمثل الشيطان و« اذ » ظرف و« اكفر » فعل أمر مقول للقول والفاء فى « فلما » للتفريع ومدخولها لربط مضمون جملة بوجود مضمون اخرى وذلك اذا دخلت « لمّا » على الماضى .

١٧ - (فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاؤ الظالمين)

الفاء للنتيجة و « عاقبتهما » منصوب خبراً لفعل الناقص ، وضمير التثنية راجع إلى الشيطان والانسان المذكورين فى المثل ، و « انهما فى النار » بعد الانسباك إلى المصدر اسم لفعل الناقص ، و « خالدين » منصوب على الحال من المضمر فى « فى النار » فالتقدير : كائنان فى النار خالدين فيها ، و كررت كلمة « فى » للتاكيد كقولك : زيد فى الدار قائماً فيها .

١٨ - (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)

« لتنظر » اللام لام أمر للغائب و « نفس » فاعل الفعل و « ما » موصولة فى موضع نصب على المفعول به و « قدّمت » صلتها على حذف العائد ، و كذلك فى « بما تعملون » .

١٩ - (ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم اولئك هم الفاسقون)

« ولا تكونوا » جملة منهية و « كالذين » خبر لفعل الناقص و « فأنساهم » الفاء للتفريع ومدخولها فعل ماض من باب الأفعال وضمير الجمع فى موضع نصب مفعول به الاول و « أنفسهم » مفعول ثان ، ويحتمل أن تكون أنفسهم بدلا او بياناً من الضمير بناء على الجواز و « اولئك » مبتدأ و « هم » ضمير فصل و« الفاسقون» خبره .

٢٠ ـ (لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون)

« لايستوى » فعل مضارع من باب الافتعال منفى بحرف النفى و « أصحاب الجنة » عطف على « أصحاب النار » فان المعنى : لا يتساويان هاتان الفرقتان و « أصحاب الجنة » مبتداء و « هم » ضمير فصل و «الفائزون» خبره .

٢١ ـ (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)

« لو » شرطية أى عقد السببية والمسببية لما بعدها ، و « أنزلنا » فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال و « هذا » فى موضع نصب مفعولا به و « القرآن » عطف بيان ، واللام فى « لرأيته » لام جواب والضمير فى موضع نصب مفعولا به والرؤية : رؤيه البصر و « خاشعاً » حال من ضمير ما قبلها و« متصدعاً » حال ثانية و « يتفكّرون » فعل مضارع من باب التفعل فى موضع رفع خبر لحرف الترجى.

٢٢ ـ (هو الله ألذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم)

« هو » مبتدأ أول و « الله » مبتدأ ثان و«الذى» موصولة و « لا اله الا هو » صلتها ، والجملة خبر للثانى ثم الجملة خبر للاول و « عالم الغيب » صفة لله تعالى و« الشهادة » عطف و« هو » مبتدأ و« الرحمن » خبره و « الرحيم » خبر بعد خبر.

٢٣ ـ (هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون)

« الملك ـ إلى ـ سبحان الله ـ الخ » نعوت تسعة من الله تعالى و « القدوس والجبار » صيغتان مبالغتان .

٢٤ ـ (هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم)

« المصوّر » اسم فاعل من باب التفعيل ، وصف بعد وصف أو خبر بعد خبر و « له » متعلق بمحذوف على الخبرية و « الاسماء » مبتدأ ، و « الحسنى » وصف منها و « يسبّح له ما فى السموات والارض » فى موضع رفع على الصفة وقيل : فى موضع نصب على الحال .

﴿ البيان ﴾

١ - (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم)

وقد افتتحت السورة بهذا النشيد القدسي الذي ينتظم الوجود كله في سمواته وأرضه مسبّحاً له جل وعلا في ولاءٍ لعزّه وانقياد لحكمه .

وقد بدء بعض السور القرآنية بالصيغ الثلاث من التسبيح لله تعالى الدالة على أزمنة الحدث : ماضياً وحاضراً ومستقبلا . . .

أمّا الماضي فكما ترى وأمّا الامر فقوله تعالى : « سبح اسم ربك الاعلى » الاعلى : ١) ، وامّا المضارع فقوله تعالى : « يسبّح لله ما في السموات وما في الارض » الجمعة : ١) .

وفي ذلك إشارة إلى أن جميع آنات الزمن ولحظاته مملوءة بذكر الله تعالى والتسبيح بحمده من عوالم الوجود في السموات والارض جميعاً طوعاً وكرهاً إذ قال : « وان من شيء الاّ يسبّح بحمده » الاسراء : ٤٤) .

وان في افتتاح السورة واختتامها بالتنزيه بصيغتي الماضي والمضارع إشارة إلى ما وقع فيها من خيانة اليهود ونقضهم العهد واستمرارهم على ذلك في طوال الاعصار .

« وما في الارض » في تكرير الموصول زيادة تقرير ، وتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح .

وفي تذييل الاية بوصفي « العزيز الحكيم » تمهيد لذكر إنفاذ الامر ، وتشريع الحكم على ما تقتضيه الحكمة الالهية .

٢ - (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار)

« هو الذى أخرج الذين كفروا » بيان لبعض آثار عزته تعالى ، واحكام حكمته وانفاذ أمره ، إثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة الغالبة والحكمة الباهرة على الاطلاق .

وضمير « هو » راجع إلى الله تعالى بذلك العنوان إمّا لكمال ظهور اتصافه جلّ وعلا بهما مع مساعدة تامة من المقام ، وإمّا لجعله مستعاراً لاسم الاشارة مشعراً بحكمة الاخراج ، فكأنه قيل : ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذى أخرج الخ ونسبة الاخراج إلى ذات الله تعالى لانه قذف الرعب فى قلوب الكافرين ولو لا الرعب لما خرجوا من ديارهم وان كان عمل المسلمين مظهراً للرعب من إجراء الامور باسبابها .

وفى إيثار الموصول وصلته باتصافهم بالكفر مشعر بعلّيّة الحكم أيضاً .

وفى قوله تعالى : « لاول الحشر » إشارة إلى أن هذا أوّل اخراج لليهود من ديارهم ، وهذا أول مرّة حشروا فيها واخرجوا من جزيرة العرب لم يصبهم الذل قبلها ، لانهم كانوا أهل عزة ومنعة وشوكة ظاهراً .

وإشارة أيضاً إلى أنه سيكون بعد ذلك إخراج لجماعات آخرين منهم . . وقد حدث هذا فعلا ثم اخرج بنو قريظة بعد غزوة الاحزاب وهكذا . . .

وسمى هذا الاجلاء حشراً لانه أشبه بالحشر الموعود يوم القيامة حيث وقع عن قصر ولم يقع عن رغبة منهم - والحشر إخراج الجماعة بازعاج - ثم انه كان إجلاء عاماً لم يدع أحداً منهم كما لم يدع حشر القيامة أحداً ممن فى القبور . . .

ثم انه من جانب آخر كان جماعياً فورياً ، وليس جماعة جماعة وزمناً بعد زمن .

فالحشر : يشير إلى قوة ضاغطة حاشرة تسوق المحشورين سوقاً عنيفاً وتجمع أشتاتهم فى دائرة واحدة وتقيمهم على وجه واحد .

قوله تعالى : « ماظننتم أن يخرجوا » تقرير لما فضل الله تعالى على المؤمنين ونعمة عليهم فى إخراج أشد أعداءهم من ديارهم ولم يكن ذلك منتظراً ، وفى هذا تعظيم للنعمة فانها إذا جائت من حيث لا يرتقب كانت مكانتها فى النفوس ، وكانت بها أشد سروراً وابتهاجاً ، والخطاب للمسلمين وفيه إشارة إلى أهميّة اخراج أشد أعداءهم من ديارهم .

وقوله تعالى : « وظنّوا انهم مانعتهم حصونهم من الله » تقرير لما جرّأهم على مشاكسة رسول الله الأعظم ﷺ وتأليب المشركين عليه وتقريره : « ظنّوا ان حصونهم تمنعهم أو مانعتهم من بأس الله » على تقديم الخبر ، ففى تغيير النظم من التأكيد والجملة الاسمية وإسناد الجملة إلى ضمير « هم » دلالة على كمال وقوفهم بحصانة حصونهم واعتقادهم فى أنفسهم انهم فى عزة ومنعة وشوكة لا يبالى معها باحد يتعرض لهم أو يطمع فى مغارتهم .

و « حصونهم » جمع الحصين وفيه دلالة على أن كانت لهم حصون متعددة .

وقوله تعالى : « فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا » تأكيد وتقرير لما قبله .

وقوله تعالى : « وقذف فى قلوبهم الرعب » فيه اشارة إلى ما كان من تدبير الله تعالى لابطال عمل هذه الحصون وإنفاذ أمره فقد قذف الله تعالى الرعب والفزع الشديد فى قلوب المتحصنين بها ، فبدت لهم هذه الحصون الحصينة وكأنها بيوت من زجاج أو ورق فلم يكن منهم حين رأوا المؤمنين يحاصرونهم إلا أن يستسلموا من غير قتال أو إعتداد بتلك الحصون وان القذف من خواص نبينا ﷺ وامته .

فقذف الرعب هو السبب لهذا الاستسلام السريع ، ونزولهم على حكم الرسول ﷺ على مناعة الحصون وكثرة العدد والعدد .

وقوله تعالى : « يخربون بيوتهم بايديهم وأيدى المؤمنين » تقرير لمدى ما لحق اليهود من الهلع والجزع وكيف حاروا فى الدفاع عن أنفسهم .

وقوله تعالى : « فاعتبروا يا اولى الابصار » إلفات إلى هذا الحدث لمافيه من دلالات على قدرة الله تعالى وتدبيره المحكم الذى لايغالب وهذا مالا يراه إلا أصحاب الابصار النافذة إلى حقائق الامور والى مواقع العبر والعظة منها ، فعلى العاقل : أن يجعل هذا الحدث نصب عينه جداً حيث إعتمدت اليهود على حصونهم وعدتهم ، فعلى أرباب العقول أن ينظروا فى حالهم ولا يعتمدوا على ما سوى الله تعالى .

٣ـ (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب النار)

فى الاية تنبيه إلى ان اليهود كانت فى الجزيرة العربية يومئذ : بين امرين من امر الله تعالى : إما الجلاء ، وإما القتل والاسر ، وان احسنهم حظاً الذين كتب عليهم الجلاء ، إذ كان الجلاء أخف من القتل والسبى .

وان الفرق بين الجلاء والاخراج ـ وان كان معناهما فى الابعاد واحداً ـ من وجهين :

أحدهما ـ ان الجلاء ماكان مع الاهل والولد والاخراج قد يكون مع بقاء الاهل والولد .

ثانيهما ـ ان الجلاء لايكون إلالجماعة ، والاخراج يكون لواحد ولجماعة وفى هذا إرهاص بالبقية الباقية من اليهود فى المدينة ، وانهم إذا لم يجلوا عنها عذبوا فى الدنيا بالقتل والاسر . .

اما فى الاخرة فلهم عذاب النار لكفرهم بعد ما جاءهم الحق ووقوفهم على معطيات رسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وشهودهم شواهد الاعجاز منها ، ولهذا كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين بلغتهم الرسالة يخاطبون فى القرآن الكريم على انهم كافرون .

وقوله تعالى : « ولهم فى الاخرة عذاب النار » مستأنف غير متعلّق بجواب « لولا » بل جيىء به لبيان انهم ، وإن نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء إذ اقتضت الحكمة الالهيـة على الاكتفاء باخراجهم وجلائهم ، وإن كانوا مستحقين

لعذاب أشد منه فى الدنيا ، ولكن ليس لهم نجاة من عذاب الاخرة لكفرهم برسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وماجاءهم من الكتاب الكريم .

٤ - (ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب)

« ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله » تعليل لما وقع على اليهود من الجلاء فى الدنيا وهم فى عذاب النار يوم الاخرة .

« ومن يشاق الله » تعميم بعد التخصيص ، وتقرير لمآل من يعادى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفى الاقتصار بذكر مشاقة الله عن مشاقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتضمنها لمشاقته صلى الله عليه وآله وسلم ، فمشاقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هى مشاقة لله جل وعلا سواء بسواء ، إذ كان الرسول هو رسول الله وكلماته التى يتلوها على الناس هى كلمات الله فذكر الرسول مع الله أولا ثم الاكتفاء بذكر الله وحده .

ثانياً - هو تأكيد لهذا المعنى وإقامته على التسوية بين مخالفة الله ومخالفة رسوله وليوافق قوله تعالى : « فان الله شديد العقاب » وهذا تعليل مع كونه جزاء و ان شاق الله تعالى سبب للعقاب .

قيل : ان قوله تعالى : « فان الله شديد العقاب » جزاء حذف منه العائد إلى من عند من يلتزمه ، أى شديد العقاب له .

وقيل : تعليل للجزاء المحذوف ، أى من خالف الله تعالى وخالف أمر نبيه صلى الله عليه وآله ونهيه يعاقبه الله جل وعلا فان الله شديد العقاب ، وعلى أى التقديرين ، فالشرطية تكملة لما قبلها ، وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهانى ، كأنه قيل : ذلك الذى حاق بهم العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله ، وكل من يشاق الله جل وعلا كائناً من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فان لهم عقاباً شديداً .

٥ - (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليجزى الفاسقين)

لعل قطع الاشجار : ان بنى النضير لم يخرجوا ولم يخلوا بالاعلان لحبهم

بوطنهم ، فأمر الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين بقطع الاشجار ليتيقّنوا بأنهم لامحالة أن يخرجوا ويجلوا فلما رأوا ذلك فاعترضوا بأنك يامحمد ﷺ تدعى الاصلاح ، وهذا القطع لايكون إلا فساداً .

فأجابهم رسول الله ﷺ هذا ليس من تلقاء نفسى بل بأمر الله تعالى .

وفى تخصيص اللينة بالقطع إن كانت من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل ، وان كانت هى الكرام ليكون غيظهم أشد .

« أو تركتموها » الضمير راجع إلى «ما» وتأنيث الضمير لتفسير« ما » باللينة كقوله تعالى : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها » فاطر : ٢) .

وان الخطاب موجّه إلى النبى صلى الله عليه وآله والمؤمنين على طريق تبرير ما فعلوه من قطع بعض نخيل بنى النضير لارهابهم وارغامهم تقريراً لما قطعوه وأبقوه بأنه كان باذن الله تعالى ، ورداً على اليهود والمنافقين إذا استشكلوا فى ذلك .

« وليجزى الفاسقين » تعليل للقطع والترك فليرى المسلمون وجه الحكمة منه وليعلموا ان ذلك انما كان ليخزى الله به هؤلاء الفاسقين وليذلّهم وليريهم ان ماغرسوه بايديهم وبذلوا لهجهدهم وأموالهم قداستبدّت به يدالمسلمين وحصدته يد المنايا كما يحصد الموت أبناءهم بين أيديهم دون أن يملكوا لذلكدفعاً ، وفى هذا ما فيه من إذلال لهم ومضاعفة للحسرة فى قلوبهم .

وبالجملة وفيها من تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعلّيته ما لا يخفى .

٦ - (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير)

شروع فى بيان ما اخذ من أموالهم بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل ، وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع .

والفىء لغة : الرجوع وشرعاً : ما ردّ الله تعالى على المجاهدين من أموال الكافرين من غير قتال وفى هذا دلالة على أن ما فى أيدى الكافرين من أموال هى

في حقيقتها أموال المؤمنين إذ كانوا هم أولى بها وأعرف بحق الله تعالى والعباد فيها ، فلما أخذها المؤمنون من أيدى الكافرين أصبحت وكأنها رجعت الى اهلها الذين هم أحق بها .

« ولكن الله يسلط رسله على من يشاء » هذا بيان ان تلك الاموال كانت خاصة برسوله ﷺ دون اصحابه ، لكونهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب بل مشوا إليها مشياً .

وقوله تعالى : « والله على كل شيء قدير » جار مجرى التعليل لما سبق .

فالاية مقدمة تبريرية لتشريع الفيء وان املاك اليهود المجليين وبساتينهم كانت هبة الله تعالى وتيسيره لرسوله ﷺ وما كان على المسلمين في إحرازها مشقة وكلفة من حرب واعداد خيل ومؤونة ، وقد مكّن الله تعالى رسوله ﷺ من ذلك ، وهو الذي يسلط رسله على من يشاء من أعدائه لانه على كل شيء قدير وفى الجملتين الاخيرتين من امر السياسة ما لا يخفى على من كان اهلها فتدبّر .

٧ - (ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

تشريع بشأن هذه الاملاك والبساتين وبيان لمصارف الفيء بعد اختصاصه برسوله ﷺ من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق ، وفى اعادة عين العبارة الاولى من غير عطف زيادة تقرير .

وفى وضع « اهل القرى » موضع ضمير « هم » اشعار بأن هذا الحكم لا يختص ببنى النضير وحدهم ولا بهذا المورد ، بل يعم لكل قرية من بنى النضير وغيرهم .

وقوله تعالى : « كى لا يكون دولة » الخ تعليل للاقتصار بالموارد المذكورة من حكم التصرف فى الفيء ، فجرى هذا الحكم حتى ينال الفقراء والمساكين

حظهم منه ولا ينتقل من يد الذين يملكون إلى يد الذين يملكون ، فيصبح الفيء متداولا بين الاغنياء على حين يظل الفقراء على فقرهم ويقيم المحرومون على حرمانهم ، فلا ينبغى ان تكون الثروة محصورة التداول بين فئة قليلة من الناس .

وقوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » تشريع حاسم عام الشمول بوجوب اتباع اوامر النبى الكريم ﷺ ونواهيه وسننه القولية والفعلية ، وفيه إلفات للمؤمنين إلى ما ينبغى لهم من ولاء وطاعة للرسول ﷺ وتقبل ورضى بكل ما يقتضى به النبى ﷺ فى المؤمنين وخاصة وهم فى مواجهة هذه الفتنة المطلة عليهم من المال الذى وضعه الله تعالى فى يد الرسول ﷺ فهناك كثير من الاعين ترنوا إلى الفيء وكثير من القلوب تلتفت إلى هذا المال ، وانه لن يعصم المسلم من هذه الفتنة إلا الايمان الوثيق والرضا المطلق بكل ما يقتضى به الرسول : « وما آتاكم الرسول » الخ فالامتثال والطاعة ـ من غير توقف وريبة ـ حق الرسول ﷺ على المؤمنين وقوله تعالى : « واتقوا الله ان الله شديد العقاب » تحذير وتخويف على من خالف الامر والنهى وتأكيد لقوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه » الخ .

٨ـ (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون)

« للفقراء المهاجرين » بيان توضيحى للمستحقين للفيء من الفقراء وتقرير مصداق لصرف الفيء فى سبيل الله تعالى الذى أشار إليه بقوله : « فلله » لا بأن يكون الفقراء المهاجرون أحد السهماء فى الفيء ، بل بأن يكون صرفه فيهم واعطاؤهم اياه صرفاً له فى سبيل الله ، ويحتمل ان يكون بدلا من قوله تعالى : « فلله وللرسول » الخ فكأن مالله تعالى ولرسوله ﷺ ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل : هم هؤلاء المهاجرون الفقراء الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم .

ويحتمل أن يكون استينافاً بيانياً فيكون جواباً عن سؤال يتردد فى خاطر

رسول الله ﷺ بعد أن وضع الله تعالى هذا الفيء بين يديه ، وجعل ينظر فيما حوله إلى الفقراء الذين دعاه الله جل وعلا إلى إعطائهم نصيباً من هذا الفيء . .

فالفقراء كثيرون فالى من من هؤلاء الفقراء يمديده بالعطاء ؟ فأجابه بقوله :
« للفقراء المهاجرين »

« الذين اخرجوا من ديارهم » فى توصيف الفقراء بالموصول واسنادالفعل إلى المفعول إشارة إلى أنهم لم يخرجوا عن رغبة منهم فى الخروج بل اخرجوا قهراً وعدواناً .

قيل: وفي ايثار الفعل مجهولا للتعميم بأن المهاجرين بعضهم هاجروا باختيارهم فتركوا أموالهم وديارهم ، واختاروا الهجرة وتبعية الرسول الكريم ﷺ ، وبعضهم اضطرهم الكفار من مشركى مكة ، « يبتغون » : يطلبون « فضلا » : رزقاً «من الله» في الدنيا «ورضواناً» : مرضاة في الأخرة فوصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانياً بما يوجب تفخيم شأنهم .

« اولئك هم الصادقون » تنويه بشأن هؤلاء المهاجرين الاولين ، وانهم انما كانت هجرتهم لله تعالى ولرسوله ﷺ لا لابتغاء مغنم من مغانم الدنيا ، أو متاع من متاعها .

٩ - (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

« والذين تبوؤ الدار والايمان من قبلهم » قيل : مستأنف سيق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها كمال محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم أحسن رضا ، وأكمل محبة حين طابت نفوسهم عن الفيء إذ جعل للمهاجرين دونهم فلهم صفات كريمة وشيم جليلة تدل على كرم النفس ونبل الطباع .

وفى الكلام استعارة لان تبوء الدار هو استيطانها والتمكن فيها ، ولايصح حمل ذلك على حقيقته في الايمان فلا بد إذن من حمله على المجاز والاتساع ،

فيكون المعنى انهم استقروا فى الايمان كاستقرارهم فى الايمان ، وهذا من صميم البلاغة ولباب الفصاحة وقدزاد اللفظ المستعار ههنا معنى الكلام رونقاً ألا ترى كم بين قولنا : استقروا فى الايمان وبين قولنا : تبوؤا الايمان فان الالفاظ خدم للمعانى لانها تعمل فى تحسين معارضها وتنميق مطالعها .

« ومن يوق شح نفسه » تقرير لسوء عاقبة البخل والحرص وفى التعبير عن السلامة من شح النفس وبخلها وحرصها بلفظ الوقاية منه إشارة إلى أن الشح عدو راصد يتربص بالنفس الانسانية فى أية لحظة يغفل فيها الانسان عن حراسة نفسه منه فاذا غفل الانسان عن هذا العدو دخل على نفسه واستولى عليها .

« و اولئك هم المفلحون » فى بعد الاشارة وضمير الفصل تنويه لهم ولبعد منزلتهم .

١٠ ـ (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم)

عطف أو مستأنف سيق لمدحهم لمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة فى الدين والسبق بالايمان ، وفى إيثار المضارع ـ يقولون ـ دلالة على إستمرار قولهم او لاستحضار صورته .

« ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان » حث على الدعاء للمؤمنين وخاصّة السابقون منهم ، وإشارة إلى ما يتوسل به المؤمنون اللاحقون إلى أن ينتظموا فى سلك المؤمنين السابقين من المهاجرين والانصار .

وان تقديم النفس على الاخوان من باب التزكية ثم التحلية وإشارة إلى إحدى شرائط الدعاء .

وفى التعبير عنهم بالاخوان إشارة إلى انهم يعدّونهم من أنفسهم فكانوا يحبونهم كما يحبون أنفسهم ويحبّون لهم ما يحبونه لانفسهم ولذلك عقبوه بقوله : « ولا تجعل فى قلوبنا غلا » .

وفى قوله : « للذين آمنوا » تعميم لعامة المؤمنين منهم وممن سبقهم ،

وتلويح إلى انه لا بغية لهم الا الايمان .

وفي قوله تعالى: « ربنا انك رؤف رحيم » استدعاء لهاتين الصفتين الكريمتين من صفات الله تعالى ، وهما : الرأفة والرحمة ليستشعر بهما المؤمن مشاعر الرأفة والرحمة باخوانه المؤمنين ، فيؤثرهم ببعض ما عنده من خير رأفة ورحمة بهم .

١١ - (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون)

مستانف سيق لبيان المتعجب منه من اغترار اليهود بما وعدهم المنافقون من النصر مع علمهم بأنهم لا يعتقدون ديناً ولا يؤمنون كتاباً ، وفيها وصف لمشهد من مشاهد وقعة بني النضير واجلائهم وموقف المنافقين حلفائهم في ذلك ، وحالة اليهود النفسية والاجتماعية مع تشديد المنافقين عزيمتهم الخروج إذا خرجوا بالقسم ، ووعدهم بعد اطاعة احدفيهم بكلمة التأبيد بالنصرة عند القتال اذا قوتلوا وتشجيعهم على موقفهم العدائي ضد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وضد اصحابه وقد ثبت انهم اجلوا ولم يفعل المنافقون اقل شيء لنصرتهم .

« يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب » إيثار المضارع للدلالة على استمرارهم او لاستحضار صورته .

والجملة حالية تمثل الحال التي عليها المنافقون وقد دعي النبي الكريم صلى الله عليه وآله إلى النظر إليهم وهم على تلك الحال التي يقولون فيها لاخوانهم الكافرين ما يقولونه . . مع الاشارة إلى هذه الاخوة التي يجمعهم عليها هذا النسب من الكفر والضلال ، فتكشف عن وجه اهل الضلال والنفاق وعن الروابط الزائفة الواهية التي تربط بعضهم ببعض .

أي انظر اليهم وهم في تلك الحال التي يقولون فيها هذا القول الكاذب المنافق .

« لئن اخرجتم » الخ مقول قول المنافقين مؤكدين له بالقسم ، وفى تقديم الاخراج على القتال مع ان القتال هو الذى ينبغى ان يكون مقدماً فاذا غلبوا على امرهم اخرجوا - كشف عما فى عهد هؤلاء المنافقين من كذب ونفاق اذ لو كانوا على ولاء حقاً مع إخوانهم الكافرين لحرضوهم على القتال ولقالوا لهم : نحن معكم بأسلحتنا اذا وقع بينكم وبين محمد قتال .

ولكنهم جاؤا إلهم بما لا يكلفهم شيئاً أكثر من مجرد الكلام ، وما اكثر الكلام وما أرخصه فى سوق المنافقين ، فبذلوا لهم القول فى سخاء وبلا حساب قائلين : « لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً » .

ثم لما رأوا ان هذا القول الذى القوا به إلى اسماع اخوانهم الكافرين هو مجرد كلمة عزاء اذ ما ذا يغنى القوم ان اخرجوا من ديارهم واموالهم ان يخرج معهم المنافقون او لا يخرجوا ؟ تنبه المنافقون حين نظروا فى وجه هذا الكلام القوا اليهم بهذه القولة الزائفة المنافقة ايضاً « وان قوتلتم لننصرنكم » ولكن كان ذلك بعد فوات الاوان وبعد ان فضحوا وكشف كذبهم ونفاقهم بقولهم اولا : « لئن اخرجتم » الخ ولهذا جاء قوله تعالى : « والله يشهد انهم لكاذبون » تعقيباً على هذه الوعود الكاذبة التى يبذلها المنافقون لاخوانهم بنى النضير ، وتكذيباً لمقول المنافقين مما وعدوا بنى النضير ، وتصريحاً بانهم لايفون بوعدهم ، وتفضيحاً لما عهده المنافقون ثم قطعوه .

١٢ - (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون)

تكذيب تفصيلى لوعد المنافقين بعد تكذيبه الاجمالى ليزيد تعجيب المخاطب من حالهم ، وليبين له مبلغ خبث طويتهم وشدة جبنهم وفزعهم من القتال ، وان هذه الوعود أقوال كاذبة لاكتها ألسنتهم وقلوبهم منها براء مؤكداً بالقسم من الله تعالى من غير حاجة إلى التأكيد ، ولكن هذا الخبر يواجه المنافقين الذين لا يقدرون الله حق قدره فكان توكيده إشارة إلى ما فى قلوبهم من مرض ، وان

اخبار الله تعالى يقع من نفوسهم موقع الشك والارتياب .

وقوله تعالى : « ولئن نصروهم » إشارة إلى أن نصرهم على فرض وقوعه منهم ـ ولن يقع أبداً ـ لايدوم ولا ينفعهم بل يولّون الادبار فراراً ثم لاينصرون هم أنفسهم من غيرأن ينصرهم أحد فيهلكون وقوله : « ليولن الادبار » كناية عن النكوص والهزيمة .

١٣ ـ (لانتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لايفقهون)

قوله تعالى : « لانتم أشد رهبة » تعليل لقوله : « ولئن نصروهم ليولّن الادبار » بان المنافقين أشد رهبة من بنى النضير ، وتقرير للسبب فى عدم نصرتهم لليهود والدخول مع المؤمنين فى قتال .

وفى قوله : « فى صدورهم » دلالة على نفاقهم ، والمراد انهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله تعالى خوفاً شديداً ورهبتكم فى السر منكم أشد من ذلك لانهم لايفقهون عظمة الله فلا يخشونه حق خشيته .

فقوله تعالى: « ذلك بانهمقوم لايفقهون » تعليل للتعليل بان رهبة المنافقين للمؤمنين أشد من رهبة بنى النضير للمؤمنين او لله تعالى ، وذلك لو كانوا فقهوا حقيقة الامر بانه كله لله جل وعلا ، فيرهبوا ويخافوا منه سبحانه كما هو حال المنافقين الذين يخافون من الخلق أشد مخافة من الخالق جل وعلا .

١٤ ـ (لايقاتلونكم جميعاً الا فى قرى محصنة أو من وراء جدد بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لايعقلون)

بيان لاثر رهبة المنافقين وجبن بنىالنضير جميعاً وتأكيد لذلك ، وشديد خوفهم منالمؤمنين ، وتشجيع للمؤمنين على ان أعدائهم لايقدرون على قتالهم ، وحث على قتال مخالفيهم .

« بأسهم بينهم شديد » مستأنف سيق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم من أنفسهم ، فان بأسهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد ، وانما ضعفهم

وجبنهم بالنسبة إلى المؤمنين اذ قذف الله تعالى فى قلوبهم رعباً منهم .

وفى الجملة إشارة إلى حال اليهود والمنافقين فيما بينهم وانّهم أشد الناس شراسة وأقساهم قلباً وأقدرهم على الفتك حيث يقاتل بعضهم بعضاً ويفتك بعضهم ببعض . انهم حينئذ يكونون أشبه بالحيّات ينهش بعضها بعضاً ويفتك بعضها ببعض فهى أعلم بمواطن الضعف فى أبناء جنسها وهى لهذا أشد جسارة ، واكثر اقداماً من غيرها على هذا نفث السّم الكامن فيها .

« قلوبهم شتى » كشف عن حقيقة حال المنافقين واليهود بانهم وان كانوا فى ظاهرها جمعاً واحداً ويداً واحدة ، أمّا قلوبهم فهى أشتات موزعة تذهب فى أودية مختلفة ، كل فى واحد غير ما يذهب فيه صاحبه ، فسبب الجبن والخوف - بعد الكفر والنفاق - هو التفرق واختلاف الاراء فلا يمكن لهم ان يقاتلوا المؤمنين وهم فى تخاذل وانحلال ، ومن ثم استكانوا وذلّوا .

وفى الجملة تشجيع آخر لقلوب المؤمنين وحثهم على قتال مخالفيهم ، « ذلك بانهم قوم لايعقلون » تقرير لاهم أسباب الفرقة وتشتت القلوب واختلاف الاراء وانحلال وحدتهم وشدّة البأس بينهم ، فلو كان لهم عقل لكانوا مؤمنين ولو كانوا مؤمنين حقاً لما تفرقوا .

ان الله تعالى نفى عنهم الفقه اولا وهو معرفة ظاهر الشيء وغامضه ، ونفى عنهم العقل ثانياً وبه يعرف الحق من الباطل والصواب عن الخطاء لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ولسلكوا طريق الصواب ولم يتفرقوا ، فتشتت شملهم دليل على افول العقل فيهم ، حيث ان العقل يحكم على الاجتماع والاتحاد ينال به كل إلى المطلوب ، فلابد للفقه من العقل .

وفى الاية الكريمة عبرة ودرس للمسلمين عامة وللقائدين خاصة فى كل وقت ومكان فان الحكومة الاسلامية ماهدّ كيانها وأضعفها أمام أعدائها الاتخاذلها أفراداً وجماعات وانفراط عقد وحدتها .

ومن ثم طمع أعداء المسلمين فى بلادهم ، ودخلوها فاتحين ، وأذاقوا أهلها

كؤوس الذل والهوان وفرقوهم شذرمذر وجعلوهم عبيداً أذلاّء في بلادهم والتهموا ثرواتهم ولم يبقوا لهم الا النفاية وفتات الموائد.

١٥ - (كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم)

في التشبيه لابد من امور ثلاثة : المشبه والمشبه به ووجه التشبيه ، اما في المقام فالمشبه بنو النضير من يهود المدينة الذين نقضوا العهد ووعدهم المنافقون بالنصر كذباً ولم ينصروهم فجلوا وذاقوا سوء عاقبة كفرهم ونقضهم العهد والمشبه به بنو قينقاع رهط آخر من يهود المدينة الذين نقضوا العهد بعد غزوة بدر ووعدهم المنافقون بالنصر كذباً ولم ينصروهم ، فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أذرعات بالشام ، ووجه الشبه فهو اشتراك الفريقين من اليهود في ذوق سوء عاقبة الكفر ، ونقض العهد بالجلاء في الحياة الدنيا ، وفي مآل أمرهم إلى النار وذوقهم حرها في الاخرة ، ويحتمل أن يكون وجه الشبه تخلّف المنافقين عما وعدوهم واغترار اليهود بوعدهم .

١٦ - (كمثل الشيطان اذقال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين)

هذا ضرب مثل آخر لليهود والمنافقين في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم أشد انكالا وأوجع ايلاماً لهم .

وفي هذا التشبيه ثلاثة أطراف : الشيطان والانسان الضال أضلّه الشيطان والله تعالى الذي يخافه الشيطان ، وفي تجاه هذه الأطراف : المنافقون واخوانهم اليهود والنبي الكريم صلى الله عليه وآله الذي يخافه المنافقون ، وفي هذا التشبيه يمثل المنافقون دور الشيطان فهم يعرفون طريق الصواب ويتجنبونه وهم يزيّنون الشر لاخوانهم اليهود ويدعونهم إلى المحادة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله ويشدون ظهرهم في كيدهم للنبي صلى الله عليه وآله وخلافهم له حتى اذا وقعت الواقعة بهم نظر إليهم هؤلاء المنافقون نظر الشيطان إلى صاحبه الذي استجاب له ، وأروهم أنهم لايستطيعون

أن يخفوا إلى نجدتهم وانهم يخافون النبى صلى الله عليه وآله والمؤمنين كما يخاف الشيطان الله رب العالمين .

ان تسئل : ماذا يريد الشيطان بقوله : « انى اخاف الله رب العالمين » هل هو صادق فيما يقول ؟ ولو كان صادقا فكيف يدعو الناس إلى الكفر بالله تعالى ؟

تجيب : ان الشيطان عارف بجلال الله تعالى وعظمته ، ولكن غلبت عليه الشقوة وأعماه الحسد لابناء آدم وعداوته لهم فيسعى فى اضلالهم واغوائهم بكل قواه . . .

وكم من الناس من يعلم الحق يأخذ نفسه بخلافه ويعرف الطريق القويم ويسلك المعوج .

وكم من المشركين وأهل الكتاب يعرفون صدق محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم أبوا أن يصدقوه ويؤمنوا به ، فبهتوه وكذبوه وآثروا أن يعيشوا بما هم فيه من عمى وضلال .

١٧ - (فكان عاقبتها انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاؤ الظالمين)

تفريع وتقرير لتبعات الكفر ، وسوء عاقبة الاغواء والاتباع ، ففيها بيان لعاقبة الشيطان فى تغريره الانسان واضلاله ولمآل أمر الانسان فى اغتراره وضلاله مع الايمان إلى أن عاقبة المنافقين فى وعدهم لبنى النضير وغدرهم بهم وعاقبة بنى النضير فى اغترارهم بوعدهم الكاذب واصرارهم على المشاقة والمخالفة وفى الختام من تعليق الحكم على الوصف ما لا يخفى .

١٨ - (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)

نصيحة وموعظة للمؤمنين ودعوتهم إلى التقوى والاخلاص ، وأن يعملوا فى دنياهم ما ينفعهم فى اخراهم حتى ينالوا جميل الجزاء وجزيل الثواب ، ومن تقوى الله محاسبة المرء نفسه ومراجعتها فى نوازعها ورغباتها . . .

وان هذه المحاسبة وتلك المراجعة لا تعطيان ثمراً طيباً إلا اذا وقف المرء من نفسه موقفاً حذراً حازماً ، حتى يقهر هواها ولا تغلبه على أمره ، وذلك لا يكون الا باستحضار تقوى الله والخوف من عقابه . .

ولهذا جاء قوله تعالى بعد ذلك « واتقوا الله » تلك التقوى التي تشهد محاسبة المرء نفسه ومراجعتها بين يدى جلال الله وعظمته وسلطانه حتى لا يميل مع نفسه ولا يغلبه هواها على تقوى الله .

« ولتنظر نفس » فى تنكير النفس دلالة على نظرة كل نفس بما قدمت ، فتنكيرها لاستقلال كل نفس فيما قدمت للاخرة ، وقيل : تنكيرها للتقليل .

« ما قدمت لغد » تنكير الغد لتعظيم يوم القيامة وإبهام أمره لا يعرف أحد كنهه ولتهويله ، والمراد من الغد : يوم القيامة ، سمى بذلك لقربه ، فكل آت قريب كما يقال : وان غداً لناظره قريب وقيل : جعل مجموع زمان الدنيا كنهار عند الاخرة .

« ان الله خبير بما تعملون » وعد ووعيد وتبشير وانذار وتعليل للامر بالتقوى ، ثانياً على أن المراد بها هى التقوى فى مقام المحاسبة والنظر فى الاعمال من حيث اصلاحها واخلاصها لله تعالى وحفظها عما يفسدها .

١٩ ـ (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم اولئك هم الفاسقون)

ضرب مثل لهم فيه تحذير وانذار ومنطوق الكلام نهى عن نسيان الله تعالى المتفرع عليه نسيان النفس ، ولكن بمفهومه الامر بذكر الله تعالى ومراقبته المتفرع عليه ذكر الله جل وعلا عباده .

ولما كان سبب نسيان النفس نسيان الله تعالى حوّل النهى فى نسيان النفس فى الاية إلى النهى عن نسيانه تعالى ، فان إنقطاع المسبب بانقطاع سببه أبلغ وآكد ولم يقنع بمجرد النهى الكلى عن نسيانه بان يقال : ولا تنسوا الله فينسيكم أنفسكم بل جرى بمثل إعطاء الحكم بالمثال ليكون أبلغ فى التاثير وأقرب إلى القبول ، فنهاهم أن يكونوا كالذين نسوا الله مشيراً به إلى من تقدم ذكرهم من

يهود بني النضير وبني قينقاع ومن حاله حالهم في مشاقة الله ورسوله ، فقال : « ولا تكونوا كالذين نسوا الله » ثم فرّع عليه قوله : « فانساهم أنفسهم » تفريع المسبب على سببه .

« اولئك هم الفاسقون » تفضيح لهم وتعليل لنسيانهم على طريق تعليق الحكم على الوصف بان النسيان ناشيء عن الفسق الدال على انهم خارجون عن زى العبودية .

٢٠ - (لا يستوى أصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون)

موازنة بين أهل الايمان وصالح العمل وبين أهل الكفر والنفاق والفسق وفساد العمل وبين أصحاب النار الناسين لله تعالى وبين أصحاب الجنة الذاكرين لله تعالى المراقبين له جل وعلا .

قال بعض المفسرين : في تقديم أصحاب النار في الذكر ايذان من أول الامر ، بأن القصور الذى ينبىء عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم ، فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصاناً وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص ، وعليه قوله تعالى : « هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور » وأمّا قوله تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها .

فالمراد بعدم الاستواء عدم الاستواء في الاحوال الاخروية كما ينبىء عنه التعبير عن الفريقين بصاحبيّة النار وصاحبيّة الجنة ، فعلى هذا لا دلالة في الآية على أن المسلم لا يقتص بالكافر ، ولا دلالة على أن الكافر لا يملك مال المسلم بالقهر انتهى كلامه .

اقول : وهذا غير وجيه ، لان عدم استواء الفريقين في الآخرة ناشيء عن عدم استواءهم في الدنيا يترتب عليه الاحكام المختلفة .

« أصحاب الجنة هم الفائزون » مستأنف سيق لبيان عدم الاستواء بين الفريقين وفي تكرير « أصحاب الجنة » وضمير الفصل تفخيم وقصر وتنبيه إلى أن الناس لفرط غفلتهم وقلة تفكرهم في مآل أمرهم وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباعهم للشهوات الفانية كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار وشاسع البون بين أصحابهما ، وان الفوز لاصحاب الجنة ، فمن حقهم أن يعرفوا ذلك بعد أن نبّهوا له ، وفي الختام تعليق حكم على الوصف .

وفي الاية تحريص وتشويق على لحوق الانسان بالذاكرين لله تعالى المراقبين له دون الناسين وهي حجة تامة على وجوب ذلك أيضاً .

وتقريرها انّ هناك فريقين لا ثالث لها وهما الذاكرون لله والناسون له فلا للانسان من اللحوق بأحدهما ومن البديهي انهما ليسا بمساويين حتى يتساوى اللحوقان ولا يبالي الانسان بايّهما لحق ؟ .

بل هناك راجح ومرجوح يجب اختيار الراجح على المرجوح والرجحان لطائفة الذاكرين لانهم الفائزون لا غير فالترجيح ثابت لجانبهم ، فمن الواجب لكل عاقل أن يختار اللحوق بالذاكرين لله تعالى .

٢١ - (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)

هذا من باب التمثيل كقوله تعالى : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها » الاحزاب : ٧٢) .

لعلو شأن القرآن الكريم وتعظيم أمره ، وقوة تأثيره لما فيه من المعارف والحكم والمواعظ والعبر ولاحتوائه اصول الشرائع والقوة الروحانية والهداية والوعد والوعيد والانذار والتبشير ، فهو كلام الله يجب فيه التأمل والتفكر كما ينطق به قوله تعالى : « وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » تحريصاً على التأمل ، وحثاً للتفكر فيه ورجاء أن يتفكر فيه الناس فيتلقوه بما هو حقه ويهتدوا بهداه وسلكوا طريق العبودية التي لا طريق إلى كمالهم وسعادتهم وراءها .

ولايخفى ان التمثيل على سبيل المجاز ، والمعنى : ان الجبل لوكان مما يعى القرآن ويعرف البيان كالانسان لخشع عند سماعه ولتصدع من عظم شأنه على غلظ أجرامه وخشونة أكتافه ، فالانسان أحق بذلك منه اذكان واعياً لقوارعه وعالماً بصوادعه ، ففيه توبيخ على من لايخشع ولا تتأثر عند تلاوة القرآن الكريم لقساوة قلبه ، وقلة تدبر ما فيه من القوارع التى تذل لها الجبال الراسيات ، فقد انطوى فى الاية معنى التأنيب والتنديد للذين لايتأثرون بالقرآن ولايخلصون لله وهم الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم الذين حذرت الايات السابقة المؤمنين من أن يكونوا مثلهم ، فلاعذر بعد ذلك فى ترك التدبر اذلو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متشققة من خشية الله .

وفى « من خشية الله » التفات من التكلم مع الغير إلى الغيبة دلالة على علة الحكم بان الجبل يخشع ، ويتصدع بنزول القرآن عليه لانه كلام الله .

وفى وضع الحكم الكلى موضع الجزئى فى قوله : « وتلك الامثال نضربها للناس » - الخ للدلالة على ان الحكم ليس ببدع فى مورده ، بل جار فى موارد اخرى كثيرة .

٢٢ - (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم)

مستأنف بيانى سيق تعليلا لخشوع الجبل وتصدعه من خشية الله تعالى كانه قيل : وكيف لاوهو الله الذى لااله الاهو والصفات التى ذكرت بعد ذلك بمنزلة التعليل لاختصاص الالوهية به جل وعلا كانه قيل : لا اله الاهو لانه عالم الغيب الخ فوصف ذاته المقدسة بجليل الصفات التى هى سر العظمة والجلال لخالق السموات والارض مع كون جملة الموصول والصلة نعتاً يفيد معنى اسم من أسماء الله تعالى وهو وحدانيته جل وعلا فى الوهيته ومعبوديته .

قدم الغيب على الشهادة لتقدمه عليها وجوداً كتقدم الرحمن على الرحيم لتقدم آثاره على آثاره . .

ومن المحتمل أن يكون المراد بالغيب والشهادة معنيين اضافيين ، فيكون شيء شهادة بالنسبة إلى شيء ، وغيبا بالنسبة إلى آخر ، فيدور الامر مدار نوع من الاحاطة بالشيء حسا أو خيالا اوعقلا او وجوداً وهو الشهادة وعدمها وهو الغيب فكل ما فرض من غيب أوشهادة فهو من حيث هو محاط لله تعالى معلوم فالله جل وعلا عالم الغيب والشهادة .

وأما ما سواه فلا علم له بالغيب الا ما علّمه إذ قال : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول » الجن : ٢٧) لمحدودية وجود ما سواه وقدرته وعلمه فالله تعالى هو وحده عالم الغيب على الاطلاق لا سبيل إلى الاحاطة به وبعلمه شيء قط إذ قال : « ولايحيطون به علما » طه : ١١٠) .

وقال : « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » البقرة : ٢٥٥) .

٢٣ - (هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون)

تكررت جملة الاولى لابراز الاعتناء بأمر التوحيد ، وتوكيد لحقيقته الكبرى التي يقوم عليها الكون كله ، فينبغي أن يعقلها الانسان ويمسك بها فى قلبه ويستشعرها بكل مشاعره واخلاء قلبه من كل وساوس الشرك بالله تعالى ، وان يعلم ان التوحيد هو مركب النجاة من كل خطر ، وان هذه الحقيقة هى فيصل ما بين الايمان والكفر ، وان تلك الصفات العشرة جائت متتابعة من غير عطف لانها جميعها كأنها صفة واحدة لموصوف واحد .

« القدوس » مبالغة القدس وهو التبليغ فى الطهارة والبراءة عما يشين ، وهذا بالنسبة إلى ماضى الزمان وزمن الحال « والسلام » إشارة إلى كونه تعالى سالماً عن الافات والعاهات والنقائص كلها فى مستقبل الزمان .

ويحتمل ان يراد بالسلام : المعطى للسلامة .

« سبحان الله عما يشركون » تنزيه له تعالى عما يشركون به جل وعلا أو عن اشراكهم به سبحانه اثر تعداد صفاته التى لايمكن أن يشاركه فى شيء منها

شيء ما أصلا ، ورد على القول بالشركاء .

٢٤ - (هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم)

ولقد احتوت الايات الثلاث مجموعة رائعة من أسماء الله الحسنى لم تجتمع فى مجموعة قرآنية اخرى مع التنبيه على انها وردت متفرقة فى آيات متعددة وأسلوبها نافذ من شأنه أن يثير فى النفس الطيبة الشعور بهيبة الله وعظمته والقوة الروحية للقرآن الكريم .

وأمّا وقوع اسم الجلالة فى صدر الايات فانه علم للذات المستجمع لجميع صفات الكمال يرتبط به ويجرى عليه جميع الاسماء ، وفى التكرار مزيد تأكيد واهتمام وتثبيت للمطلوب .

قيل : لمكان تعداد هذه الاوصاف تكرر التسبيح بصيغى الماضى بدءاً والمضارع ختاماً ، ومن عزته كان منزهاً عن النقائص أهلا للتسبيح ومن حكمته أمر المكلفين فى السموات والارضين بالتسبيح دائماً ليربحوا لا ليربح هو عليهم .

وتكررت صفتا العزة - تشير إلى القدرة والسلطان - والحكمة - تشير إلى العلم والكمال - بدءاً وختماً يخضع لديهما كل ما فى هذا الوجود .

ان تسئل : ما الفرق بين الخالق والبارىء حتى جاء الثانى إثر الاول ؟

اجيب : ان الخالق هو المقدّر لما يوجده والبارىء هو المميز بعضه عن بعض بالاشكال المختلفة ، وقيل : الخالق : المبدىء والبارىء : المعيد .

ولا يخفى ان الاسماء الثلاثة تتضمن معنى الايجاد باعتبارات مختلفة وبينها ترتّب ، فالتصوير فرع البرء والبرء فرع الخلق .

وفى قوله تعالى : « وله الاسماء الحسنى » إشارة إلى سائر اسمائه الحسنى لكونها محلى باللام يفيد العموم وان الاسماء الكريمة بمنزلة التعليل لاختصاص الالوهية به تعالى .

﴿ الإعجاز ﴾

وقد ثبت ان من وجوه اعجاز القرآن الكريم هو الاخبار بالغيب، ومن البديهي ان القرآن قد أخبر في عدة كثيرة من آياته عن امور مهمّة بما يأتي من الانباء والحوادث وما نواه عليه المؤمنون والكافرون وتواطىء الاعداء بينهم على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين وغيرها من الاسرار التي لم يطلع عليها أحد لاسبيل إليها غير طريق الوحي والنبوة.

ومن وجوه اعجاز هذه السورة ما اشير إليه في قوله تعالى: « ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ».

في المجمع: في قوله تعالى: « فاعتبروا يا اولي الابصار » قال: أي فاتعظوا يا اولي العقول والبصائر وتدبّروا وانظروا فيما نزل بهم، ومعنى الاعتبار: النظر في الامور ليعرف بها شيء آخر من جنسها، والمراد: استدلوا بذلك على صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اذ كان وعد المؤمنين: ان الله سبحانه سيورثهم ديارهم وأموالهم بغير قتال، فجاء المخبر على ما أخبر فكان آية دالة على نبوته.

وفي تفسير النيسابوري وقيل: معنى الاعتبار ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعدهم ان يورثهم أرضهم وأموالهم بغير قتال، فكان كما وقع فدل على صحة نبوته والجلاء أن لم يبق لهم بالمدينة دار ولا فيها منهم ديار، وهذا عندهم أشد من الموت، فلهذا قال: « ولو لا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ».

ومن المستفاد انه ليس لليهود أينما كانوا وحيثما عاشوا استقلال ولا ديار ثابتة ، وان حصّنوا لانفسهم حصوناً ، وأوجدوا عدداً وعدداً ، بل لابد لهم من الجلاء عن ديارهم بعد سنين هذا ما قضى الله تعالى عليهم من زمن موسى عليه السلام بل من بعد يعقوب النبى عليه السلام إلى يوم القيامة جزاء لهم على ما فعلوا بأخيهم يوسف عليه السلام فتدبّر .

ومنها : الاخبار بحب الانصار للمهاجرين وبما فى صدورهم فى قوله تعالى « والذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم » الاية : ٩) .

ومنها : الاخبار بدعاء اللاحقين للسابقين فى قوله تعالى : « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقوا بالايمان » الاية : ١٠) .

ومنها : قوله تعالى : « الم تر إلى الذين نافقوا - إلى قوله - انى أخاف الله رب العالمين » الايات : ١١ - ١٦) .

وفى الايات الست اخبار بامور غيبية :

أحدها - الاخبار بوعد المنافقين لليهود من خروجهم معهم مؤكدين بالقسم واغترار اليهود بما وعدهم المنافقون .

ثانيها - الاخبار بوعدهم لهم بعدم طاعتهم فيهم أحداً .

ثالثها - الاخبار بوعدهم لهم بالنصرة فى القتال ، ولو كان المنافقون لم يعدوهم لكذّبوا النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخبر به .

رابعها - الاخبار بان المنافقين كاذبون فى ذلك كله ، فظهر كذبهم كما أخبر فخرجت اليهود ولم يخرج معهم المنافقون .

خامسها - الاخبار برعبهم ورهبتهم من المؤمنين أشد من رهبتهم من الله تعالى .

سادسها - الاخبار بعدم مقاتلتهم المؤمنين .

سابعها - الاخبار بشدة بأسهم بينهم وتشتت قلوبهم .

ثامنها ـ الاخبار بذوقهم وبال أمرهم عن قريب من الزمان .

تاسعها ـ الاخبار ـ على سبيل التمثيل ـ بان المنافقين يعاملون اليهود معاملة الشيطان مع أتباعه . . .

وفي ذلك كله اخبار عن غيوب وقع على ما اخبر به ، وهذا دليل قاطع وبرهان ساطع على أنّ هذا القرآن الكريم من لدن عليم حكيم .

وغير ذلك من وجوه اعجاز السورة تركناها للاختصار فعلى القارىء الخبير البحث والتحقيق .



التكرار

إعلم أن السور التى ابتدئت بالتسبيح - على صيغ المصدر والماضى والمضارع والامر - سبع :

١ - سورة الاسراء ٢ - سورة الحديد ٣ - سورة الحشر ٤ - سورة الصف ٥ - سورة الجمعة ٦ - سورة التغابن ٧ - سورة الاعلى .

لعل وجه التعبير عن التسبيح بالصيغ الثلاث هو الارشاد إلى مشروعية التسبيح فى جميع الاوقات : ماضيها وحالها ومستقبلها والتحريض والحث على التسبيح فى كل حال .

ونشير فى المقام إلى صيغ اثنتى عشرة لغة - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة - جائت فى هذه السورة وفى غيرها من السور القرآنية :

١ - جائت كلمة (الحشر) على صيغها فى القرآن الكريم نحو : ٤٣ مرة :
٢ - » » (الحصن) » » » » » ١٨ مرة :
٣ - » » (القذف) » » » » » ٩ مرات :
٤ - » » (الرعب) » » » » » ٥ مرات :
٥ - » » (الفيىء) » » » » » ٧ مرات :
٦ - » » (الدولة) » » » » » مرتين :
٧ - » » (الشح) » » » » » ٥ مرات :
٨ - » » (الرهب) » » » » » ١٢ مرة :
٩ - » » (النسيان) » » » » » ٤٥ مرة :
١٠ - » » (الفكر والتفكر) » » » » ١٨ مرة :
١١ - » » (الوبال) » » » » » ٨ مرات :
١٢ - » » (الهيمن) » » » » » مرتين :

﴿ التناسب ﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها - : التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولا .

ثانيها - : التناسب بين هذه السورة وماقبلها مصحفاً .

ثالثها - : التناسب بين آى هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة البيّنة فلما اشير في سورة البينة إجمالا إلى أهل الكتاب والمشركين وتفرقتهم في المجتمع البشرى رأسهم اليهود الذين يوقدون نار الفتنة ويثيرون بين الناس دخان الاحقاد بعد ما جائتهم البينة ، ودعوا إليها مع كونهم منتظريها وإلى أنهم شرالبرية جاء في هذه السورة إجلاء فريق من اليهود عن المدينة ، وخلاصها من هذا الكابوس الثقيل الذى كان يجثم على صدرها .

واما الثانية : فمناسبة هذه السورة لما قبلها مصحفاً فبامور :

أحدها - لما ختم الله تعالى سورة المجادلة بذكر حزب الشيطان وحزب الله تعالى افتتح هذه السورة بقهره حزب الشيطان من اليهود والمنافقين وما نالهم بالجلاء من الخزى والهوان ونصرة حزبه من أهل الطاعة والايمان من المهاجرين والانصار ، ومن سلك مسلكهم من التابعين .

ثانيها - لما تحدثت سورة المجادلة فضح وجوه المنافقين الذين كانوا يتناجون مع اليهود الكيدة للاسلام ، ويدبرون معهم ما يكيدون به للمؤمنين . .

وقد توعدهم الله تعالى بالخزى في الحياة الدنيا والمذلة والخسران والعذاب

الاليم فى الاخرة . . جائت هذه السورة تعرض على المنافقين بعض مالقى أحلافهم وأولياءهم من اليهود من خزى وذلة ونكال فى الحياة الدنيا ، وان هذا الخزى ليتربص بهؤلاء المنافقين ، فانهم ضلّوا على نفاقهم وسيلحقهم باخوانهم الذين رأوا باعينهم ماحل بهم وعدم غناء تولى المنافقين اياهم .

ثالثها ـ لما وعدالله تعالى المؤمنين بغلبته ورسوله ﷺ على أعدائه فى السابقة بقوله : « كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز » المجادلة : ٢١) .

أشار فى أوائل هذه السورة إلى انه كيف يغلب عليهم بقوله تعالى : « فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار » .

رابعها ـ لما ذكر فى السابقة : « ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم ـ اولئك فى الاذلين » المجادلة : ٥ ـ ٢٠) .

جاء فى هذه السورة قصة المحادين و كبتهم فما فى السابقة كمقدمة تمهيدية لما بعدها .

خامسها ـ لما أشار تعالى فى سورة المجادلة إلى اليهود المغضوب عليهم وأعوانهم وحلفهم كذباً على سبيل الاجمال بقوله : « ألم تر إلى الذين تولّوا ـ إلى ـ الا انهم هم الكاذبون » : ١٤ ـ ١٨) ، جاء فى هذه السورة تفصيل ذلك ففضحهم فيها .

سادسها لما ختمت السابقة بذكر حزب الله الذين رضوا عن الله تعالى جاء فى هذه السورة إشارة اليهم بانهم المهاجرون الفقراء ومحبوهم الانصار والتابعون من بعدهم : « للفقراء المهاجرين ـ إلى قوله ـ انك رؤف رحيم » .

واما الثالثة : فمناسبة افتتاح السورة واختتامها بالتنزيه على صيغتى الماضى والمضارع ـ تنبيها على أن التسبيح لله تعالى من الكون ومافيه من بدء وجوده إلى انتهائه ـ اشارة إلى خيانة اليهود ونقضهم العهد وإلى وعد المنافقين لهم بالنصر كذباً وغدراً .

ومناسبة اختتام آيتي التسبيح بوصفي العزة والحكمة لما في السورة من ذكر بعض آثار عزته تعالى وأحكام حكمته من إذلال الاعداء وإذاقتهم وبال كيدهم وكفرهم ونصر الاولياء على ما تقتضيه الحكمة الالهية.

فالاية الاولى كمقدمة تمهيدية لما بعدها وتوطئة لبيان غلبته على أهل الكتاب واذلالهم الذى هو من آثار العزة وبيان لاجلائهم الذى هو من مقتضيات الحكمة على سبيل الترتيب.

فقال لوصفه الاول: «الذى أخرج الذين كفروا» مع الايماء إلى ان الكفر مردود وأهله مغلوب دائماً كما ان الايمان مقبول وأهله غالب لانتساب الاول إلى الشيطان المغلوب وانتساب الثاني إلى العزيز الغالب.

ثم ذكر فضله تعالى على المؤمنين ونعمته عليهم فى اخراج عدوهم من ديارهم وهم غير منتظرين بذلك فقال: «ما ظننتم أن يخرجوا» وذلك لان النعمة اذا جائت من حيث لا تحتسب كانت مكانتها فى النفوس أعظم وأشد سروراً وابتهاجاً للنفس وما أعظم من تخويفهم على سلطة الاعداء عليهم فبدل الخوف بالغلبة.

ثم أشار إلى ما جرّأهم على مشاكسة الرسول ﷺ وتأليب الكافرين عليه بقوله: «وظنّوا انهم مانعتهم حصونهم من الله».

ثم بيّن هذه النعمة العظيمة: «فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا».

ثم أخذ بذكر أهم أسباب الغلبة، وهذا الاستسلام السريع من ذوى العدد والعدد، وهو إلقاء الرعب فى قلوب الكافرين فقال: «وقذف فى قلوبهم الرعب» بحيث أخذوا هم والمؤمنون بتخريب بيوت الكفار الذين كانوا هم والمؤمنون ظانى استحالة مغلوبيتهم، وذلك لانهم لم يكونوا ضعفاء فى الظاهر لتسهل الغلبة عليهم بل كانت الغلبة فى نظر الناس مستحيلة ولكنهم مع تلك القوى والكبكبة والجولان غلبوا حتى بلا قتال، وهذا معنى عزته تعالى وغلبته على الكافرين فقال: «ما ظننتم أن يخرجوا» بل كان نظر الكافرين أيضاً استحالة غلبة غيرهم عليهم بقوله تعالى: «وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله».

ثم ذكر مدى ما لحقهم من الهلع والجزع وكيف حاروا فى الدفاع عن أنفسهم بقوله : « يخربون بيوتهم » الخ .

ثم ذكر ما يجب أن يجعله العاقل نصب عينيه من عظة واعتبار بقوله : « فاعتبروا يا اولى الابصار » .

ثم بيّن ان الجلاء الذى كتب عليهم كان أخف من القتل والاسر بقوله : « ولولا أن كتب الله » الخ .

وقال لوصفه الثانى : - الحكمة - « ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله » على ان الشقاق هو السبب فيما حلّ بهم ثم أشار إلى مآل من يعاد الله تعالى بقوله : « ومن يشاق الله » الخ ...

ثم ذكر أن كل ذلك على الاسباب والمسببات بترتب المسبب عند وجدان السبب هكذا قضى الله تعالى وقدره بقوله : « ما قطعتم من لينة » الخ ...

ثم أخذ بذكر حكم ما بقى من أموال اليهود بعد الجلاء وجعلها من الفىء فقال : « وما أفاء الله على رسوله منهم » الخ .

ثم بيّن أحكام الفىء على العموم ومصارفه ، فقال : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى » الخ ... مع الاشارة إلى سبب اختصاص الفىء بالمذكورين بقوله: « كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » مع أمير المؤمنين باتباع الرسول ﷺ فعلا وتركاً وتحذيرهم على المخالفة .

ثم أفرد ذكر الفقراء المهاجرين لما لهم من الصفات السامية والفضائل الرفيعة ، وعقّبهم بمدح الانصار ساكنى المدينة مبالغة فى مدحهم وتركهم البخل ، ومآل أمرهم إلى الفلاح حين طابت نفوسهم عن الفىء ، اذ جعل للمهاجرين دونهم .

ثم ذكر التابعين الذين جاؤا من بعد المهاجرين والانصار مع الاشارة الى بعض خصالهم الحميدة وصفاتهم الفاضلة ...

ان الله تعالى : لما وصف المهاجرين وما لهم من الفضل وذكر الانصار

ومـا لهم من جزيل الثواب وذكـر التابعين باحسان ودعائهم لانفسهم ولاخوانهم ذكر المنافقين وذبذبتهم وخوفهم ومواليهم اليهود من المؤمنين وشأنهم في القتال ومـا يكون بينهم مـن بأس شديد وتفرّق قلوبهم وتشتت شملهم وكونهم حمقاء غير العقلاء .

فكانت الايات الثلاث السابقة عرضاً لوصف الفقراء المهاجرين ، وايمـان الانصار وولاء بعضهم لبعض وايثار بعضهم بعضاً ، في مشهد ومغيب في حاضر وماض وآت وانهم جميعاً امة واحدة وكيان واحد يجمعه الايمان ويوحد بينه التوحيد وجائت الايات الاربـع التالية « ألم تر الـى الذين نافقوا ـ الـى ـ بانهم قوم لا يعقلون » لتكشف عن وجه أهل الضلال والنفاق ، وعن الروابط الزائفة الواهية التي تربط بعضهم بعضاً تنفصم بأقل شيء .

ان الله تعالى لما ذكر المنافقين ومواليهم اليهود مـن بني النضير وفساد عقيدتهم وخبث باطنهم وسوء افعالهم وأحوالهم أرشد الى أن هؤلاء ليسوا ببدع في الكافرين بل قد سبقهم غيرهم ممن كان حقه ان يكون عبرة لهم إذ ذاقوا سوء عاقبة كفرهم وطغيانهم في الحياة الدنيا وسيذيقونها فـي الاخرة ، فقال : « كمثل الذين من قبلهم قريباً » الخ . . .

ثم ضرب لاغراء المنافقين اليهود على القتال ووعدهم اياهم بالنصر كذباً وغدراً مثلا آخر اشد نكالا وأوجع ايلاماً فقال : « كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر » الخ . . .

ثم اشار إلى سوء عاقبة الناصح الخائن والمنصوح المغرور ، فقال : « فكان عاقبتهما انهما في النار » الخ . . .

لما ذكر الله تعالى : موقف المؤمنين مـن المهاجرين والانصار والتابعين ، وحسن سريرتهم تتبعهم العزة والغلبة على الاعداء . . وموقف المنافقين واليهود ، ومن سبقهم في الكفر والطغيان ، وخبث باطنهم ومآل أمرهم إلى الخزى والهوان في الحياة الدنيا وإلى النار والعذاب في الاخرة أخذ بدعوة مجددة عامة المؤمنين

إلى تقوى الله تعالى ولزومها ، وإلى العمل ليوم المعاد وإلى مراقبة الاعمال عما يفسدها ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا » الخ . .

ثم نهاهم عما يوجب إنساءهم الله تعالى وانساءهم أنفسهم وخروجهم من سبيل الحق على طريق المثال ، فقال : « ولاتكونوا كالذين نسوا الله » الخ . .

ثم بين عدم استواء الفريقين : الذاكرين لله تعالى والناسين له مع الاشارة إلى مآل أمر الذاكرين تشويقاً وتحريضاً إلى ذكر الله تعالى .

فكأن ماتتضمنه الآيات الثلاث كالنتيجة المأخوذة مما تقدم من آيات السورة . .

ان الله تعالى لما دعى المؤمنين إلى التقوى ولا يكون ذلك الا بذكر الله جل وعلا واستحضار عظمته وجلاله وحذرهم من نسيان الله تعالى ، والغفلة عن ذكره جاءت الآيات الاربع لتقدم بين يدى تلك الدعوة إلى ذكر الله وتقواه ، وخير مذكر يذكر به الانسان هو القرآن الكريم إذ قال : « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » القمر : ١٧) .

ثم عرضت سبعة عشر إسماً من الاسماء الحسنى لله تعالى يذكر الانسان ويدعو الله بها يخضع لديها ما فى السموات والارض .

ان الآيات الاربع التى ختمت بها السورة إستمرار للتعقيب على الآيات السابقة تقصد تقرير كون ما فى القرآن الكريم عامة وما فى هذه السورة خاصة من الآيات والمعانى والحكم والمعارف العالية والقوة الروحانية والهداية والارشاد والموعظة البليغة لو نزل على جبل لخشى الله تعالى وتصدع من خشيته فمن شأن القرآن أن يثير فى النفس الشعور بهيبة الله تعالى وعظمته كما ان من شأن النفوس أن تتأثر من قوة القرآن الروحية .

وان الذى انزل هذا القرآن هو الله تعالى ذو الاسماء الحسنى الذى يسبّح له ما فى السموات والارض لا يفعل إلا ما فيه الحكمة .

﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

قال بعض المفسرين : مصالحة أهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شيء لايجوز الان وانما كان ذلك فى أول الاسلام ثم نسخ ، والان فلابد من قتالهم أو سبيهم أوضرب الجزية عليهم .

أقول : ولم يذكر القائل دليل النسخ .

وقد اختلفت كلمات الفقهاء والمفسرين فى الايات الثلاث : « وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ـ ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » الحشر : ٦ و ٧) .

و « واعلموا انّما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » الانفال : ٤١) .

هل معناها واحد أو مختلف ؟

فمنهم من قال : ان قوله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى » منسوخ بآية الانفال من كون الخمس لمن سمى له والاخماس الاربعة لمن قاتل إذ كان فى أول الاسلام تقسّم الغنيمة على هذه الاصناف ، ولا يكون لمن قاتل عليها شيء .

ومنهم من قال : انما غنم بصلح من غير ايجاف خيل ولا ركاب ، فيكون لمن سمّى الله تعالى فيه فيئاً والاولى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم خاصّة اذا أخذ منه حاجته كان الباقى فى مصالح المسلمين .

ومنهم من قال : الاولى للنبى ﷺ والثانية هى الجزية والخراج للاصناف المذكورة فيه ، والثالثة الغنيمة فى سورة الانفال للغانمين .

ومنهم من قال : ان معنى آيتى سورة الحشر واحد أى ما حصل من أموال الكفار بغير قتال يقسّم على خمسة أسهم : أربعة منها للنبى ﷺ وكان الخمس الباقى على خمسة أسهم : سهم للنبى ﷺ أيضاً ، وسهم لذوى القربى ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل .

ومنهم من قال : ان الاية الثانية غير الاية الاولى إذ كان الفىء فى الاولى خالصة للرسول ﷺ لم يكن فيها خمس ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، فكانت صافية لرسول الله ﷺ فقسّمها بين المهاجرين وثلاثة من الانصار ، وكانت الاية الاولى فى بنى النضير .

وكانت الثانية فى بنى قريظة وكان مستحقوا أموالهم غير الاول .

وسمى الاية الثالثة آية الغنيمة ولا شك فى انه معنى آخر باستحقاق ثان لمستحق آخر غير أنّ الاية الاولى والثانية اشتركتا فى انّ كل واحدة منهما تضمّنت شيئاً أفاءه الله تعالى على رسوله ﷺ واقتضت الاية الاولى انه حاصل بغير قتال .

واقتضت آية الانفال انه حاصل بقتال وعريت الاية الثانية عن ذكر حصوله بقتال أو بغير قتال ، فنشأ الخلاف من ههنا .

فقال بعضهم : ان الاية الثانية ملحقة بالاولى ، وقال بعضهم : هى ملحقة بآية الانفال وأمّا الذين قالوا : انها ملحقة بآية الانفال اختلفوا هل هى منسوخة أو محكمة ؟ فمنهم من قال : الحاقها بشهادة الله بالاولى اولى ، لان فيه تجديداً فائدة ومعنى ، ومنهم من قال : ان معنى الاية الثانية يعود إلى آية الانفال فيلحقها النسخ ، وقيل : لا يلحقها النسخ .

وقيل : ان سورة الحشر نزلت بعد سورة الانفال ، ومن المستحيل أن ينسخ المتقدم المتأخر ، وان قسمة الفىء وقسمة الخمس سواه ، وان سبيل خمس

الفيء سبيل خمس الغنيمة ، فهناك حكمان أو حكم واحد على موضوعين ، فلا نسخ ، فان النسخ ما كان الحكمان على موضوع واحد .

وفي كنز العرفان في فقه القرآن : للفاضل المقداد قدس سرّه قال قوله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى » بيان للاولى ولذلك لم يعطفه عليه « فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » قيل : كان قسمة الفيء في مبدء الاسلام هكذا مسدّسة ثم نسخ ذلك بالاية المتقدمة « واعلموا انما غنمتم من شيء » وقيل : بل ذلك إشارة إلى قسمة غنيمة بدر التي كانت تختص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيه نظر ، لان هذه على تقدير كونها بياناً للاولى تكون في أحكام بني النضير ، والاولى والله أعلم أن لا تكون بياناً بل تكون إشارة إلى قسمة الخمس ستة اقسام ، ويكون المذكورون مع الرسول هنا هم مستحقي الخمس وقد تقدّم بيانهم وهذا اجود الوجوه ، انتهى كلامه .

وفي أحكام القرآن : للجصّاص الحنفي قال : قد انتظم ذلك معنيين :

أحدهما ـ مصالحة اهل الحرب على الجلاء عن ديارهم من غير سبي ولا استرقاق ولا دخول في الذمة ولا اخذ جزية ، وهذا الحكم منسوخ عندنا إذا كان بالمسلمين قوة على قتالهم على الاسلام أو أداء الجزية ، وذلك لان الله قد أمر بقتال الكفار حتى يسلموا أو يؤدّوا الجزية .

قال الله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله إلى قوله : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ، وقال : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » .

فغير جائز إذا كان بالمسلمين قوة على قتالهم وادخالهم في الذمة أو الاسلام لما بيّنه الله في كتابه ، وهو ان المسلمين لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب ولم يأخذوه عنوة وانما أخذوه صلحاً .

وكذلك كان حكم فدك وقرى عرينة فيما ذكره الزهري ، وقد كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الغنيمة الصفي ، وهو ما كان يصطفيه من جملة الغنيمة قبل أن يقسم المال وكان له أيضاً سهم من الخمس ، فكان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفيء هذه

الحقوق يصرفها في نفقة عياله ، والباقي في نوائب المسلمين ولم يكن لاحد فيها حق الا من يختار هو صلى الله عليه وآله وسلم أن يعطيه .

وفي هذه الاية دلالة على أن كل مال من أموال أهل الشرك لم يغلب عليه المسلمون عنوة ، وانما أخذ صلحاً انه لا يوضع في بيت مال المسلمين ، ويصرف على الوجوه التي يصرف فيها الخراج والجزية لانه بمنزلة ما صار للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من أموال بني النضير حين لم يوجف المسلمون عليه .

وقوله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول » الاية قال : بيّن الله حكم مالم يوجف عليه المسلمون من الفيء فجعله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما قدمناه من بيانه ثم ذكر حكم الفيء الذي أوجف المسلمون عليه فجعله لهؤلاء الاصناف وهم الاصناف الخمس المذكورون في غيرها وظاهره يقتضي أن لا يكون للغانمين شيء منه الاّ من كان منهم من هذه الاصناف، وقال قتادة كانت الغنائم في صدر الاسلام لهؤلاء الاصناف ثم نسخ بقوله : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه » .

قال الجصاص : لما فتح عمر العراق سئله قوم من الصحابة قسمته بين الغانمين منهم الزبير وبلال وغيرهما ، فقال : إن قسمتها بينهم بقي آخر الناس لا شيء لهم ، واحتج عليهم بهذه الاية إلى قوله : « والذين جاؤا من بعدهم » وشاور علياً عليه السلام وجماعة من الصحابة في ذلك ، فاشاروا عليه بترك القسمة ، وأن يقر أهلها ويضع عليها الخراج ، ففعل ذلك ووافقته الجماعة عند احتجاجه بالاية .

وهذا يدل على انّ هذه الاية غير منسوخة وانها مضمومة إلى آية الغنيمة في الارضين المفتتحة ، فان رأى قسمتها أصلح للمسلمين وارد عليهم قسم وان رأى اقرار أهلها عليها ، وأخذ الخراج منهم فيها فعل لانه لو لم تكن هذه الاية ثابتة الحكم في جواز أخذ الخراج منها حتى يستوي الاخر والاول فيها لذكروه له وأخبروه بنسخها ، فلما لم يحاجوه بالنسخ دلّ على ثبوت حكمها عندهم وصحة دلالتها لديهم على ما استدل به عليهم فيكون تقدير الايتين بمجموعهما :

واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه في الاموال سوى الارضين وفي الارضين اذا اختار الامام ذلك ، وما أفاء الله على رسوله من الارضين فلله وللرسول ان اختار تركها على ملك أهلها ويكون ذكر الرسول ﷺ ههنا لتفويض الامر عليه في صرفه الى من راى .

أقول: وما يظهر من التحقيق في البيان والتناسب فراجع وأما التشابه فلم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن يكون في السورة آية متشابهة فآياتها محكمات والله تعالى هو أعلم .



﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١ - (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم)

في التسبيح أقوال :

١ - قيل : اريد بالتسبيح التسبيح التكويني .

٢ - قيل اريد به التسبيح التشريعي .

٣ - قيل : اريد به الاعم .

٤ - قيل : سبح أي سجد لله وصلّى له .

أقول : والثالث هو المؤيد باطلاق السياق .

وفي كيفية التسبيح أقوال :

١ - قيل : أي بلسان الحال .

٢ - قيل : أي بلسان المقال .

٣ - قيل أي بالقلب .

٤ - قيل : اريد به الاعم كل بحسبه .

أقول : والاخير هو المؤيد كالسابق .

٢ - (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار)

في « الذين كفروا من أهل الكتاب » أقوال :

١ ـ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد والزهري والجبائي : هم بنو النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظاراً لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وكان من أمرهم ما نص الله تعالى عليه .

٢ ـ قيل : هم بنو قريظة ولكنهم ماحشروا بل قتلوا بحكم سعد بن معاذ لما رضوا بحكمه ، فحكم عليهم بان يقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتغنم أموالهم .

٣ ـ قيل : هم بنو النضير وبنو قريظة جميعاً .

أقول : والاول هو المؤيد بما أوردناه في بحث النزول وعليه اتفق المفسرون والمؤرخون الا الحسن البصري وخالفه المتفقون وقالوا : ان بني قريظة ماحشروا ولكنهم قتلوا .

وفي قوله تعالى : « لاول الحشر » أقوال :

١ ـ عن الزهري أي لاول الجمع في الحياة الدنيا ، وذلك حشر اليهود من بني النضير إلى أرض الشام وكان هذا أول جلاءهم لانهم اول من أجلى عن أرض العرب وكانوا هم من سبط لم يصبهم قبل ذلك جلاء وذل وهوان ، لانهم كانوا أهل منعة وعزة في أعين الناس .

٢ ـ قيل : أي لاول حشر الايات .

٣ ـ قيل : أي لاول حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٤ ـ قيل : جعل الله تعالى إخراجهم من المدينة حشراً وجعله أول الحشر من حيث يحشر الناس يوم القيامة إلى ناحية الشام ثم تدركهم الساعة هناك .

٥ ـ قيل : كان هذا أول حشرهم وأما حشرهم الثاني فهو اجلاءهم من خيبر إلى الشام .

٦ ـ قيل : ان هذا لاول الحشر ، وأما حشرهم الثاني فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وان تلك النار ترى بالليل ولاترى بالنهار .

٧ - قيل : هو حشر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكتائب لقتال بني النضير وهو أول حشر منه لهم واول قتال قاتلهم .

٨ - قيل : الحشر على أربعة أوجه : حشران في الدنيا :

أولهما قوله تعالى : « لاول الحشر » حيث حشرت اليهود إلى الشام .

وعن ابن عباس وعكرمة قالا : من شك ان المحشر في الشام فليقرأ هذه الاية وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم : اخرجوا قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى أرض المحشر ، قال قتادة : هذا أول المحشر .

وثانيهما - حشرهم قرب الساعة قال قتادة : تأتي نار تحشر الناس من المحشر إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا تأكل منهم من تخلف وإثنان آخران يوم القيامة .

٩ - عن قتادة ايضاً : حشرهم من المدينة إلى خيبر بعد مارجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من احد ، فمعنى « لاول الحشر » : اخراجهم من حصونهم إلى خيبر وآخره من خيبر إلى نجد وأذرعات بالشام ، وقيل : تيماء واريحاء .

١٠ - عن ابن العربي : للحشر أول ووسط وآخر ، فالاول اجلاء بني النضير والاوسط اجلاء خيبر والاخر حشر يوم القيامة .

١١ - عن مجاهد والزهري أيضاً : قالا : منهم من خرج إلى الشام ومنهم من خرج إلى خيبر .

١٢ - عن البلخي : معناه : لاول الجلاء ، وذلك لانهم كانوا أول من أجلي من أهل الذمة من جزيرة العرب ثم أجلي إخوانهم من اليهود لئلا يجتمع في بلاد العرب دينان .

١٣ - عن يمان بن رباب قال انما قال الله تعالى : «لاول الحشر» لانه تعالى فتح على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في أول ما قاتلهم .

١٤ - عن الزهري أيضاً : أي قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله حتى صالحهم على الجلاء ، فاجلاهم إلى الشام ، وعلى أن لهم ما اقلت من شيء إلا

الحلقة ، والحلقة : السلاح .

اقول: ومن غير بعيد أن يكون « لاول الحشر » إشارة إلى أن هذا أول اخراج لليهود من ديارهم ، وانه سيكون بعده إخراج لهم كلما توطنوا ، وحيثما تحصّنوا في طوال الاعصار الى يوم القيامة ، فاستمر اخراجهم من كل ديار بعد ما توطنوها سنين الى يومنا هذا .

وفي قوله تعالى: « فأتاهم الله » أقوال :

١ - قيل : أي أمره .

٢ - قيل : أي عذابه وبأسه وقدرته لا تدفع .

٣ - قيل : أي نصره فالضمير راجع الى المؤمنين .

٤ - قيل : أي قذف الرعب في قلوبهم .

٥ - أي فطلع عليهم قدر الله فيهم من حيث لم يقدّروا فقد كانوا يحسبون انهم من حصونهم في أمن كل يد تنالهم ، وخاصة يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين لا يرون لانفسهم نيلا بهم ، فانهم في داخل الحصون التي لا تنال ، فكان من تقدير العزيز الحكيم أن يبطل حساب هؤلاء الاشقياء ، ويفسد تدبيرهم فيكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه هم تتداعى بين أيديهم هذه الحصون ويخرج منها القوم كما تخرج الفئران من أحجارها .

٦ - قيل : أي فأتاهم الله الذلة والهوان بعد كونهم أعزاء وأقوياء .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها ، وهو المؤيد بالاطلاق وان كان الرابع هو الانسب بالسياق .

وفي قوله تعالى: « من حيث لم يحتسبوا » اقوال :

١ - قيل : أي لم يظنوا ولم يخطر ذلك ببالهم .

٢ - قيل : أي من حيث لم يعلموا .

٣ - قيل : أي لم يتوهموا ان ياتيهم خزي وهوان وجلاء لما قدروا في انفسهم من المنعة جعل الله تعالى امتناعهم من رسوله صلى الله عليه وآله

امتناعاً منه .

٥ ـ عن ابن جريج والسدى وابن صالح : اى لم يحتسبوا بقتل كعب ابن الاشرف .

أقول: وعلى الاول اكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « يخربون بيوتهم بأيديهم وايدى المؤمنين » اقوال :

١ ـ قيل : كانت اليهود يخربون بيوتهم بايديهم ليسدّوا بما نقضوا منها من خشب وحجارة أفواه الازقة حتى لا يدخلها العدو ولا تبقى صالحة لسكنى المؤمنين بعد جلائهم ، وكان المؤمنون يخربونها من خارجها ازالة لمتحصّنى الكفار وممتنعيهم وليدخلوها عليهم ويزيلوا تحصنهم بها ويصلوا بذلك اليهم .

٢ ـ عن قتادة وابن زيد : لما أيقنت اليهود بالجلاء وكانت منازلهم مزخرفة حسدوا المسلمين أن يسكنوا مساكنهم فجعلوا يخربونها من أجوافها لئلايسكنها بعدهم المسلمون ، ولما راى رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك امر اصحابه على تخريبها من خارجها لئلا تتوهم اليهود بأن المسلمين طمعوا فى بيوتهم ، وانما الغرض تحريق عروق الفساد ، وتقطيع أغصان الفتن الناشئة النابتة من جانب اليهود وتطهير أرض العرب من أرجاس اليهود .

قال الزجاج : إخرابها بأيدى المؤمنين انهم عرضوها لذلك .

٣ ـ عن الزهرى : كانت اليهود يخربونها لينقلوا معهم آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل من العمد والابواب والخشب ، فلا تقع عليها ايدى المؤمنين بعد خروجهم .

وقال : لما صالحوا النبى صلى الله عليه وآله كان لايعجبهم خشبة الا أخذوها فكان ذلك خرابها ، وقال ابن زيد : انهم جعلوا يقلعون الاوتاد والخشب والعمد والابواب ويحملون على ابلهم ، وذلك خرابها ويخرب المؤمنين باقيها .

وكان هذا نكاية للكفار اذ كان ذلك عظيم التنكيل والغيظ لهم .

٤ ـ عن الزهرى أيضاً قال : اريد باخراب البيوت : اختلال نظام حياتهم

فقـد خرّبوها بأيديهم حيث نقضوا الموادعة ، وبأيدى المؤمنين حيث بعثوا إليهم للقتال .

٥ ـ عن ابن عباس والضحاك : ان اليهود كانوا يخربون بيوتهم ليبنوا بنقضها ماهدمه المسلمون من حصونهم ، وكان ذلك توسيعاً لمجال قتال المؤمنين مع الكفار .

قال ابن عباس : كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع موضع القتال ، وهـم ينقبون دورهم من أدبارها إلى التى بعدها ليتحصّنوا فيها ، ويرموا بالتى أخرجوا منها المسلمين .

٦ ـ عـن الحسن : أى كانوا يهدمون بيوتهم بأيديهم مـن داخـل ليهربوا ويهدمها المؤمنون من خارج ليصلوا بذلك اليهم .

٧ ـ عن أبى عمرو بن العلاء : ان المراد بالاخراب : التعطيل أو ترك الشىء خراباً ، وان التخريب : الهدم والنقض ، فالمراد مـن اخراب اليهود بيوتهم : تعطيلها أو تركها بلا أصحاب ، والمراد من اخراب المؤمنين اياها اجلاء أصحابها عنها ، فصارت بلا أصحاب .

وذلك ان هـذه الحصون التى كانت بمكان إعزاز وإعجاب من نفوسهم قـد هانت عليهم ، وخفت موازينها فى أعينهم بعد أن رأوا ـ بما امتلات به قلوبهم من رعب وهلع ـ انهـا لا ترد عنهم عدواً ولا تدفع مغيراً ، فاخذوا يخربونها بايديهم ، ويفتحون معاقلها للمسلمين كما تركوا للمسلمين أن يدخلوها عليهم ، وأن يفتحوا مغالقها ويطلعوا على مسالكها .

وهذا هو معنى خرابها الذى يبدو فى تعطيلها وتعطيل وظيفتها التى اعدت لها ، ومنه قوله تعالـى : « ومن أظلم ممن منع مسـاجد الله أن يذكـر فيها اسمه وسعى فى خرابها » البقرة : ١١٤) .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين والاخير غير بعيد .

٥- (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين)

فى « لينة » أقوال :

١ ـ عن الزهرى ومالك وسعيد بن جبيروعكرمة والخليل وقتادة : اللينة : هى النخلة كلّها الا العجوة .

٢ ـ عن ابن عباس : هى لون من النخل .

٣ ـ عن سفيان الثورى : هى كرام النخل .

٤ ـ عن ابن عباس أيضاً ومجاهد والحسن وابن زيد : هى أنواع النخل كلها من غير استثناء عجوة ولا غيرها .

٥ ـ عن أبى عبيدة : انها جميع ألوان التمرسوى العجوة والبرنى .

٦ ـ قيل : اللينة : هى العجوة خاصة ، وذكر ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح عليه السلام فى السفينة والعتيق : الفحل ، وكانت العجوة أصل الاناث كلها ، فلذلك شقّ على اليهود قطعها .

٧ ـ قيل : هى ضرب من النخل يقال لتمره : اللون وتمره أجود التمر وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارجه ويغيب فيه الفرس ، والنخلة منها أحب إليهم من وصيف .

٨ ـ قيل : هى النخل القريبة من الارض .

٩ ـ قيل : اللينة : الفسيلة ، لانها ألين من النخلة .

١٠ ـ قيل : اللينة : هى الاشجار كلها للينها بالحياة .

١١ ـ عن الاصمعى : اللينة : الدقل ـ بفتح الدال والقاف ـ وقال : أهل المدينة يقولون : لا تنتفخ الموائد حتى توجد الالوان يعنون الدقل .

أقول : والسادس هو المروى .

وفى « الفاسقين » أقوال :

١ ـ قيل : هم اليهود من بني النضير .

٢ ـ قيل: هم المنافقون الذين كانوا يتولون هؤلاء اليهود ويعدونهم بالنصرة .

٣ ـ قيل : اريد بهم اليهود وأولياءهم المنافقون .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ، ولكن الاخير غير بعيد عن الاطلاق ما لم يقيّده السياق فتدبّر .

٧ ـ (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

فى الفيء أقوال :

١ ـ عن معمر انه قال : عنى بذلك الجزية والخراج .

٢ ـ عن يزيد بن رومان : عنى بذلك الغنيمة التى يصيبها المسلمون من عدوهم من أهل الحرب بالقتال عنوة ، فالفيء قسمان : فيء ما لم يوجف عليه المسلمون ، وهذا خاصة بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وفيء يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب وفتح بالحرب عنوة ، وهذا لا يختص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ ـ قيل : هذا الفيء هو الفيء الذى ذكر فى الاية السابقة فذكره ثانياً لبيان موارد صرفه مع تعميمه لفيء أهل القرى أعم من بنى النضير وغيرهم .

أقول: وعلى الاخير اكثر المفسرين وهو المؤيد بظاهر السياق .

وفى « اهل القرى » اقوال :

١ ـ عن ابن عباس : هم بنو قريظة وبنو النضير وهما بالمدينة وفدك وهي على ثلاثة ايام من المدينة وخيبر وقرى عرينة وينبع جعلها الله لرسوله صلى الله عليه وآله

٢ ـ عن مالك : هم بنو قريظة ، فمعنى الاية يعود إلى آية الانفال ويلحقها النسخ .

٣ ـ قيل : في الاية تعميم لبني النضير وغيرهم .

أقول: والثالث هو ظاهر السياق لشمول القرى بصيغة الجمع المحلّى باللام.

وفي « لذي القربى » اقوال :

١ ـ قيل : اريدبهم قرابة عامة للمؤمنين .

٢ ـ قيل : اريد بهم قرابة عامة للنبي الكريم صلى الله عليه وآله من بني هاشم وبني عبدالمطلب .

٣ ـ قيل : اريد بهم اهل البيت عليهم السلام وبنو هاشم .

٤ ـ قيل : اريد بهم اهل البيت عليهم السلام خاصّة .

أقول: والاخير هو المروي .

وفي قوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » اقوال :

١ ـ عن الحسن : اي ما اعطاكم الرسول صلى الله عليه وآله من الفيء فخذوه واقبلوه وارضوا عنه وما منعكم من الفيء فاتركوه ولا تطلبوه .

٢ ـ قيل : أي وما آتاكم الرسول صلى الله عليه وآله من الامر بشيء فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا عنه .

٣ ـ عن ابن جريج : اي وما آتاكم من طاعتي فافعلوه ، وما نهاكم عن معصيتي فاجتنبوه .

٤ ـ قيل : أي وما آتاكم الرسول من فعل شيء فخذوه ، فافعلوا كما فعل وما تركه فاتركوه .

أقول: ان الاية وان كانت في الفيء ولكن جميع اوامر الرسول صلى الله عليه وآله ونواهيه قولا وفعلا داخل فيها ، وهذا هو المؤيد بالروايات الاتية فانتظر .

٨ـ (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون)

في « للفقراء المهاجرين » أقوال وعبارات بعضها قريب المعنى :

١ ـ قيل : أي الفيء والغنائم للفقراء المهاجرين .

٢ ـ قيل : « كي لا يكون دولة بين الاغنياء » ولكن يكون للفقراء .

٣ ـ قيل : هـذا بيان لقوله تعالى : « ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » فلما ذكروا باصنافهم ، قيل : المال لهؤلاء لانهم فقراء مهاجرون ، وقد اخرجوا من ديارهم فهم أحق الناس به .

٤ ـ قيل : « ولكن الله يسلّط رسله على من يشاء » للفقراء المهاجرين لكيلا يكون المال دولة لذوي الثراة من أبناء الدنيا .

٥ ـ قيل : أي والله شديد العقاب للكفار بسبب الفقراء المهاجرين ومن أجلهم ، ودخل في هؤلاء الفقراء ذكرهم في قوله تعالى: « ولذي القربى واليتامى » .

٦ ـ قيل : هو عطف على ما مضى ولم يأت بواو العطف كقولك : هذا المال لزيد لبكر لفلان لفلان .

٧ ـ قيل : « للفقراء » بدل من « ذي القربى » وما بعده فذكر « الله » لمجرّد التبرك ، فيكون الفيء مختصاً برسول الله صلى الله عليه وآله والفقراء المهاجرين ، وقد روي انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قسّم فيء بني النضير بين المهاجرين ولم يعط منه الانصار شيئاً الا رجلين من فقرائهم او ثلاثة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة .

٨ ـ قيل : « للفقراء » بدل من « اليتامى والمساكين وابن السبيل » فيكون ذوو السهام هم النبي صلى الله عليه وآله وذو القربى غنيّهم وفقيرهم والفقراء المهاجرون يتاماهم ومساكينهم وأبناء السبيل منهم ، ولعل هذا مراد من قال : ان قوله تعالى : « للفقراء المهاجرين » بيان المساكين في الاية السابقة .

٩ - قيل : « للفقراء المهاجرين » بيان مصداق لصرف سبيل الله الذىاشير إليه بقوله تعالى « فلله » لا بأن يكون الفقراء المهاجرون أحد السهماء فى الفيء بل بان يكون صرفه فيهم واعطاءهم اياه صرفاً له فى سبيل الله تعالى .

أقول: وعلى الثالث أكثر المفسرين وقريب منه السابع والاخير غير بعيد ، فعلى الاخير فيحمل ما ورد ان النبى صلى الله عليه وآله قسّم فيء بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار شيئاً الا ثلاثة من فقرائهم .

٩ - (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

فى قوله تعالى : « تبوؤ الدار والايمان » أقوال :

١ - قيل : إن المراد بالدار المدينة ، وهى دار الهجرة تبوّؤها الانصار قبل المهاجرين أى والذين تبوّؤا المدينة وأخلصوا الايمان واعتقدوا حقاً .

٢ - قيل : أى انهم جعلوا الايمان مستقراً ووطناً لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما أنهم لما سئلوا سلمان عن نسبه ، فقال : أنا ابن إسلام .

٣ - قيل : سميت المدينة بالايمان ، لان الايمان ظهر فيها وقوى فيها المؤمنون .

٤ - قيل : فى الجملة تقديم وتأخير ، أى والذين تبوّؤ الدار من قبلهم والايمان .

٥ - قيل : على حذف المضاف ، فتقديره : والذين تبوّؤ الدار والايمان من قبل هجرتهم بسنتين .

٦ - قيل : اى دار الهجرة ودار الايمان على حذف المضاف اليه فى الاول وحذف المضاف فى الثانى ، واقامة اللام مقامهما .

٧ - قيل : انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة ، وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان .

٨ ـ قيل : التبوؤ : اللزوم ، فالمعنى : انهم التزموا المدينة والايمان .

٩ ـ قيل : اريد بالايمان المدينة لكونها مظهره ومنشأه وذلك لان الذين تبوؤا الدارهم الانصار الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين إليها ، فالايمان منصوب بفعل محذوف لان التبوء انما يكون في الاماكن .

١٠ ـ قيل : ان المراد من تبوؤ الايمان : تعميره ورفع نواقصه من حيث العمل بحيث يستطاع العمل بما يدعو إليه من الطاعات والقربات من غير حجر ومنع كما كان بمكة كما ان المراد من تبوء الدار هو تعميرها بناء مجتمع ديني يأوي إليه المؤمنون على طريق الكناية .

أقول: والسادس هو المؤيد بالرواية الاتية من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر فتدبر .

وفي « من قبلهم » اقوال :

١ ـ أي من قبل المهاجرين .

٢ ـ قيل : أي من قبل قدوم المهاجرين .

٣ ـ قيل : أي من قبل ايمان المهاجرين ، والمراد به اصحاب ليلة العقبة وهو سبعون رجلا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله على حرب الابيض والاحمر يحبّون من هاجر إليهم لانهم احسنوا إلى المهاجرين ، واسكنوهم دورهم ، واشركوهم في اموالهم .

٤ ـ قيل : أي من قبل هجرتهم .

أقول: وعلى الاول اكثر المفسرين وهو الظاهر .

وفي قوله تعالى : « حاجة » اقوال :

١ ـ عن الحسن اي حسداً .

٢ ـ قيل الحاجة ما يحتاج إليه .

٣ ـ قيل : اريد بالحاجة ما يؤدي إليه الحاجة ، وهو الغيظ والحزازة من اطلاق اسم اللازم على الملزوم لان هذه الاشياء لاتنفك عن الحاجة .

٤ ـ قيل : أى مس حاجة على تقدير المضاف .

٥ ـ قيل : اى ولا يجد الانصار فى صدورهم شيئاً من الضيق ، وقيل : من الالم ، وقيل : من الغيرة لما اخذ المهاجرون من غنائم بنى النضير .

أقول : وعلى الثانى جمهور المفسرين وان كان الثالث غير بعيد .

١٠ ـ (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم)

فى « الذين جاؤا من بعدهم » أقوال :

١ ـ عن الحسن : أى التابعون ، الذين جاؤا إلى يوم القيامة من بعد المهاجرين والانصار .

٢ ـ عن الاصم وأبى مسلم : هم كل من أسلم بعد انقطاع الهجرة وبعد ايمان الانصار .

٣ ـ قيل : ان الذين خلفوهم .

٤ ـ قيل : ان المراد من بعد هم فى الفضل ، وقد يعبر بالقبل والبعد عن الفضل كقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : نحن الاخرون السابقون ، أى الاخرون فى الزمان السابقون فى الفضل .

أقول : وعلى الاول أكثر المحققين .

وفى قوله تعالى : « لاخواننا الذين سبقونا بالايمان » أقوال :

١ ـ قيل : الاخوان هم الذين سبقونا هذه الامة من مؤمنى أهل الكتاب .

٢ ـ عن ابن عباس : الاخوان هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين يدعون لهم هم التابعون الذين يجيئون من بعدهم إلى يوم القيامة .

٣ ـ قيل : عنى بالذين جاؤا من بعدهم المهاجرون ، فهم يستغفرون لاخوانهم من الانصار .

أقول : والثانى هو الانسب بظاهر السياق .

١١ - (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون)

فى اخوة المنافقين للكافرين أقوال :

١ ـ قيل : اريد بالاخوة اخوتهم فى الكفر والضلال لان اليهود والمنافقين كانوا مشتركين فى عموم الكفر والضلالة ، ومن جملة المنافقين عبد الله بن أبي وعبد الله بن نبتل ورفاعة بن زيد كانوا من الانصار وغيرهم من الذين نافقوا وكانوا يوالون اليهود سراً فصاروا اخوانهم فى الكفر .

٢ ـ قيل : ان المراد بالاخوة اخوتهم بسبب المصادقة والموالاة والمعاونة .

٣ ـ قيل : ان المراد بالاخوة اخوتهم بسبب مابين الفريقين من المشاركة فى عداوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

اقول : والاول هو الاوجه ، وذلك لان الاخوة التى يجمع المنافقين والكافرين عليها كفر و ضلال وغواية كما ان الاخوة التى يجمع المؤمنين عليها ايمان وهداية.

وفى « أهل الكتاب » أقوال :

١ ـ عن ابن عباس : هم بنو النضير .

٢ ـ قيل : هم اليهود من بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع .

٣ ـ قيل : هم بنو قريظة . وقيل : قال بنو النضير لبنى قريظة : « لئن اخرجتم لنخرجن معكم » .

أقول: والاول هو المؤيد بظاهر السياق ، ولانهم كانوا قوماً من أهل الكتاب دار أمرهم بين الخروج والقتال بعد قوم آخر كذلك وليس الا بنى النضير بعد بنى قينقاع .

١٢ - (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون)

فى قولة تعالى : « ولئن قوتلوا - ليولّن الادبار » أقوال :

١ - قيل : اريد بقوله « لاخوانهم » بنى النضير وبنى قريظة فاخرج بنو النضير ولم يخرجوا معهم وقوتل بنو قريظة فلم ينصروهم .

٢ - قيل : أى لئن اخرج اليهود من ديارهم قهراً واضطراراً أم اختياراً لقتال المسلمين لا يخرج معهم المنافقون ولا ينصرونهم فى القتال .

٣ - قيل : أى لا ينصر المنافقون اخوانهم اليهود طائعين ولئن نصروهم مكرهين ليولّن الادبار .

٤ - قيل : أى لا يدومون على نصرهم لو فرض وقوعه ولن يقع أبداً .

٥ - قيل : أى ولئن نصرهم من يفى منهم لولّوا الادبار .

٦ - قيل : أى ولئن نصر اليهود المنافقين ليولن الادبار .

أقول: وعلى الثانى أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « ثم لا ينصرون » أقوال :

١ - قيل : أى لا ينصرون هؤ لاء المنافقون .

٢ - قيل : أى لا ينصرون هؤلاء اليهود من بنى النضير .

٣ - قيل : أى لا ينصرون المنافقون واليهود معاً .

٤ - قيل : أى ثم لا ينصر الله هؤلاء بنى النضير .

٥ - قيل : أى ولو كان لهم هذه القوة ، وفعلوا لم ينتفع اولئك بنصرتهم .

أقول: وعلى الثالث جمهور المفسرين .

١٣ - (لانتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون)

فى قوله تعالى : « صدورهم » أقوال :

١ - قيل : أى ان المنافقين أشد رهبة فى السر منكم من الله تعالى .

٢ - قيل : أى ان اليهود يخافونكم فى صدورهم أشد من خوفهم من الله تعالى لانهم كانوا قوماً اولى بأس ونجدة ، فكانوا يتشجون لهم مع اضمار الخيفة فى صدورهم .

٣ ـ قيل : أى في صدور المنافقين واليهود من بنى النضير.

أقول: والاخير هو الانسب بظاهر السياق .

١٤ ـ (لا يقاتلونكم جميعاً الا فى قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون)

فى « لا يقاتلونكم جميعاً » اقوال :

١ ـ قيل : أى جامعاً بين اليهود جميعاً فى كل زمان ومكان ، فانهم متفرقون فى ارجاء الارض ولاقرار لهم فى مكان .

٢ ـ قيل : اى جامعاً بين اليهود والمنافقين ، فلا يقاتلكم الفريقان مجتمعين .

٣ ـ قيل : أى جامعاً بين جميع الاعداء فى قتالكم .

اقول: وعلى الثانى اكثر المفسرين .

وقوله تعالى : « بأسهم بينهم شديد » اقوال :

١ ـ عن مجاهد : اى بالكلام والوعيد لنفعلن كذا ، وذلك انهم اذا اجتمعوا يقولون لنفعلن كذا وكذا كما هو دأب اصحاب الباطل والخرافات والاوهام ولكنهم اذا واجهوا الحق ينسون ما قالوا ، وقد كانوا يهدّدون المؤمنين ببأس شديد من وراء الحيطان والحصون ثم يحترزون عن الخروج للقتال ، فبأسهم فيما بينهم شديد لا فيما بينهم وبين المومنين ، فالكفار والمنافقون اذا لم يلاقوا عدواً نسبوا انفسهم إلى الشدة والبأس ولكنهم اذا القوا العدو انهزموا اذ كل شجاع جبان وكل عزيز ذليل عند محاربة الله تعالى ورسوله .

٢ ـ قيل : أى أن بعضهم عدو لبعض .

٣ ـ عن السدى : ان المراد بالبأس الشديد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على امر واحد .

اقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق .

وفى قوله تعالى : « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » اقوال :

١ ـ عن مجاهد : اى تظن بنى النضير والمنافقين مؤتلفين مجتمعة كلمتهم والحال قلوبهم شتى فان كل واحد منهم على مذهب آخر وبينهم عداوة شديدة وهذا تشجيع للمؤمنين على قتالهم .

٢ ـ عن مجاهد ايضاً : أى تظن المنافقين على الفة ومحبةوهم على اختلاف وافتراق وعداوة .

٣ ـ عن سفيان الثورى ومجاهد ايضاً : اى تظن المشركين وأهل الكتاب مجتمعين على كلمتهم ، وآراءهم مختلفة .

٤ ـ عن قتادة ومجاهد أيضاً : أى تظن أهل الكتاب والمنافقين على اتحاد وعقيدة الفريقين مختلفة ، فان عقيدة المنافقين مخالفة لدين اليهود ، وهذا ليقوى المؤمنين عليهم .

وان أهل الباطل مختلفة آراءهم وأهواءهم وشهادتهم ، وهم مجتمعون فى عداوة أهل الحق .

اقول : وعلى الاول اكثر المفسرين .

١٥ ـ (كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم)

فى قوله تعالى : « كمثل الذين من قبلهم » أقوال :

١ ـ عن ابن عباس : هم بنو قينقاع أمكن الله تعالى منهم قبل بنى النضير . وذلك انهم نقضوا العهد مرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بدر ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخرجوا وقال عبد الله بن ابى : لاتخرجوا فانى آتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاكلمه فيكم او ادخل معكم الحصن ، فكان هؤلاء أيضاً فى ارسال عبد الله بن ابى إليهم ثم ترك نصرتهم كاولئك .

٢ ـ عن مجاهد والزهرى : هم مشركو مكة الذين ببدر وذلك قبل غزاة بنى النضير لستة أشهر .

٣ ـ عن قتادة : هم بنوالنضير أمكن الله تعالى منهم قبل قريظة فرأوا الجلاء والنفى ، ولماكان بين النضير وقريظة سنتان وكانت وقعة بدرقبل غزوة بنى النضير

بستة أشهر ، فلذلك كان « قريباً » .

٤ ـ قيل : هـذا عام لكل من انتقم منه على كفره قبل بني النضير من نوح عليه السلام إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٥ ـ قيل : هم بنو قريظة ، فرأوا وبال أمرهم اذ حكم عليهم سعد بن معاذ بقتل المقاتلة وسبي الذرية .

فمثل بني قريظة كمثل بني النضير الذين لم يمض زمن بعيد على ما وقع لهم ، وان بني قريظة سيذوقون مثل ما ذاق بنو النضير من خـزي وهوان ، بل ولهم فوق ذلك وهو القتل والسبي اللذان نجى منها بنو النضير كان حكم الله فيهم هو الجلاء ، فقريباً إشارة إلى قرب الزمن بين اجـلاء بني النضير وبين ما سينزل ببني قريظة .

اقول : والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق ، فيشمل لامر بني قينقاع ووقعة بدر كانا قبل جلاء بني النضير وكل اولئك قد ذاقوا وبال أمرهم .

١٦ ـ (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين)

في الشيطان والانسان اقوال :

١ ـ عن مجاهد : اريد بهما جنسهما بان يدعو الشيطان الانسان إلى الكفر بتزيين متاع الحياة الدنيا له وتسويل الاعراض عن الحق بمواعيده الكاذبة والاماني السرابية حتى اذا طلعت له طلائع الاخرة وعاين أن ما اغتر به مـن اماني الحياة الدنيا لم يكن إلا سراباً يغرّه وخيالا يلعب به تبرّء منه الشيطان ، ولم يف بما وعده ، فاريد بذلك عموم دعوة الشيطان اتباعهم إلى الكفر .

٢ ـ عن ابن عباس : في التمثيل إشارة إلى قصّة برصيصا العابد الذي زين له الشيطان الفجور بامراة ثم كفر .

٣ ـ قيل : اريد بالمثل المثل السابق في قوله تعـالى : « كمثل الذين من قبلهم قريباً » .

٤ ـ قيل : اريد بذلك اغواء الشيطان قريشاً يوم بدر بقوله تعالى : « لاغالب لكم اليوم من الناس واني جارلكم ـ اني برىء منكم » الانفال : ٤٨) .

وقيل : المراد بالانسان هو ابو جهل مما قصّه الله تعالى في قوله : « واذ زين لهم الشيطان أعمالهم » .

اقول : وعلى الاول اكثر المفسرين .

١٧ ـ (فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاؤ الظالمين)

في قوله تعالى : « فكان عاقبتهما » اقوال :

١ ـ قيل : أي عاقبة الشيطان وذلك الانسان الذي تبعه .

٢ ـ قيل : أي كان عاقبة الفريقين : اليهود والمنافقين .

٣ ـ قيل : أي كان عاقبة الممثل من اليهود والمنافقين ، والممثل به من الشيطان واتباعه .

اقول : والاخير هو الانسب باطلاق الذيل .

وفي « جزاء الظالمين » اقوال :

١ ـ قيل : أي جزاء المشركين لقوله تعالى : « ان الشرك لظلم عظيم » .

٢ ـ قيل : أي جزاء اليهود من بني النضير الذين اغترّوا باغراء المنافقين .

٣ ـ قيل : هذا من باب ذكر العام بعد الخاص .

اقول : والاخير هو الظاهر .

١٨ ـ (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)

في تكرير قوله تعالى : « اتقوا الله » أقوال :

١ ـ قيل : ان الاولى للتوبة عما مضى من الذنوب والمعاصي والكفر ، والثانية لاتقاء الكفر والمعاصي في المستقبل .

٢ ـ قيل : ان الامر الثاني تأكيد للامر الاول لما يستدعيه الحال من

التنبيه ، والحث على التقوى التي هي خير زاد ليوم المعاد .

٣ ـ قيل : ان الجملة الاولى هي التقوى في أصل اتيان الاعمال وتركها على ما أمره الله تعالى به وما نهاه عنه ، والثانية هي التقوى في مقام اخلاصها لله تعالى وحفظها عما يفسدها ومحاسبتها يوم القيامة .

٤ ـ قيل : ان الاولى في الاوامر وأداء الواجبات ، والثانية في ترك النواهي والمحرمات .

اقول: والثالث هو الانسب بظاهر السياق .

١٩ ـ (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون)

في « كالذين » أقوال :

١ ـ عن ابن عباس : اريد بهم بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع .

٢ ـ قيل : هم المنافقون ومواليهم اليهود الذين سبق ذكرهم .

٣ ـ قيل : اريد بهم الممثل السابق من اليهود والمنافقين والممثل بهم من الشيطان وأتباعه .

اقول: والتعميم هو الانسب بالاطلاق .

وفي قوله تعالى : « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » أقوال :

١ ـ قيل : أي نسوا أداء حق الله تعالى ، فجعلهم ناسين حق أنفسهم حتى يسعوا لها بما ينفعهم عنده وقيل : أنساهم أنفسهم أي أراهم يوم القيامة من الاهوال ما نسوا فيه أنفسهم ، كقوله تعالى : « لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء » ابراهيم : ٤٣)

٢ ـ قيل : أي لم يلطف لهم كما يلطف للمؤمنين في تخليصهم أنفسهم من عقاب الله ، والتقدير : ولا تكونوا كالذين نسوا أمر الله وطاعته فانساهم تخليص أنفسهم من عذاب الله تعالى .

فيجوز أن ينسب الانساء إلى الله تعالى ، وان كانوا هم الفاعلون له ، والمذمومون عليه كما قال تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

فأضاف الرمي إليه سبحانه لما كان يقويه اقداره فكذلك نسب الانساء إليه لما لم يلطف لهذا المنسى كما لطف للمؤمن الذي قد هدى ، وكذلك قوله تعالى : «وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا» أي الاستعداد للقاء يومكم هذا ، والعمل من التخلص من عقابه .

٣ - قيل : أي تركوا ذكر الله تعالى ومعرفته فتركهم الله جل وعلا على أنفسهم ، فأورثهم القسوة وفساد الاستعداد بالكلية ، فالنسيان بمعنى الترك .

٤ - عن ابن حبان أي تركوا أمره فأنساهم أن يعملوا لها خيراً .

٥ - قيل : النسيان بمعنى خلاف الذكر .

٦ - عن سفيان الثوري أي نسوا حق الله تعالى حق أنفسهم من حظوظ الخيرات حتى لم يشعروا لها بما ينفعها .

٧ - قيل : أي نسوا الله في الرخاء ، فانساهم أنفسهم في الشدائد .

٨ - عن الجبائي وإبن عيسى : أي نسوا الله بترك شكره وتعظيمه ، فانساهم أنفسهم بالعذاب أن يذكر بعضهم بعضاً .

٩ - قيل : ان الاية تأكيد لمضمون الاية السابقة فكأنه قيل : قدّموا ليوم الحساب والجزاء عملا صالحاً تحيي به أنفسكم ، ولاتنسوه ثم لما كان سبب نسيان النفس نسيان الله تعالى إذ بنسيانه تعالى تنسى أسماءه الحسنى وصفاته العليا التي ترتبط بها صفات الانسان الذاتية من الذلة والفقر والحاجة ، فيتوهم الانسان نفسه مستقلة في الوجود ، ويخيّل إليه أن له لنفسه حياة وقدرة وعلماً وسائر ما يتراءى له من الكمال ونظراؤه في الاستقلال سائر الأسباب الكونية الظاهرية تؤثر فيه وتتأثر عنه وعندئذ يعتمد على نفسه ويرجو ويخاف الأسباب الظاهرية ويطمئن إلى غير ربه وكان عليه أن يعتمد على ربه ويرجو ويخاف ربه ويطمئن إلى ربه .

١٠ - عن سهل بن عبد الله أي نسوا الله عند الذنوب فأنساهم أنفسهم عند التوبة ونسب تعالى الفعل إلى نفسه في «أنساهم» اذ كان ذلك بسبب أمره ونهيه الذي تركوه .

١١ ـ قيل : اى وجدهم تاركين امره ونهيه .

اقول : والثالث هو المروى من غير تناف بينه وبين الاول فتدبر .

وفى قوله تعالى : « اولئك هم الفاسقون » اقوال :

١ ـ عن ابن جبير اى العاصون .

٢ ـ عن ابن زيد اى الكاذبون .

٣ ـ قيل : هم الخارجون عن طاعة الله تعالى ، وعن زى العبودية والخارجون عن طريق فطرتهم التى فطر الناس عليها ، فان اصل الفسوق : الخروج .

اقول : والاخير هو الاعم والانسب بمعناه اللغوى .

٢٠ ـ (لا يستوى أصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون)

فى « أصحاب النار وأصحاب الجنة » أقوال :

١ ـ قيل : أصحاب النار هم الناسون لله تعالى ، وأصحاب الجنة هم الذاكرون لله جل وعلا .

٢ ـ قيل : أصحاب النار هم المنافقون ، واصحاب الجنة هم المؤمنون .

٣ ـ قيل : اصحاب النار بنو النضير ، وأصحاب الجنة هم المسلمون .

اقول: والاول هو الانسب بالسياق .

وفى « الفائزون » أقوال :

١ ـ قيل : أى هم المقربون المكرمون .

٢ ـ قيل : أى هم الناجون من النار .

٣ ـ قيل : انهم المدركون ما طلبوا وأرادوا والناجون مما حذروا .

اقول: ولكل وجه ولكن الاخير هو الانسب بمعناه اللغوى .

٢١ ـ (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)

فى الخطاب « لرأيته » أقوال :

١ - قيل : أى لرأيتم الجبال أيّها المقهورون باعجاز القرآن لا ترغبون فى وعده ولا ترهبون من وعيده .

٢ - قيل : خطاب للنبى الكريم ﷺ أى لو أنزلنا هذا من القرآن يا محمد ﷺ على جبل لما ثبت وتصدع من نزوله عليه ، وقد انزلناه عليك وثبتناك له ، فيكون ذلك امتناناً عليه أن ثبته لما لا تثبت له الجبال .

٣ - خطاب للامة المسلمة وان الله تعالى لو أنذر بهذا القرآن الجبال لتصدّعت من خشية الله تعالى والانسان أقل قوّة واكثر ثباتاً ، فهو يقوم بحقه إن أطاع ويقدر على ردّه إن عصى لانه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب .

٤ - خطاب للانسان أى لو جعل فى الجبل عقل كما جعل فيكم أيها البشر ثم أنزل عليه القرآن الكريم لخشع وخضع وتشقق من خشية الله تعالى .

اقول: والثانى هو الظاهر ولكن للاخير غير بعيد من باب اياك اعنى .

وفى قوله تعالى : « خاشعاً متصدعاً من خشية الله » أقوال :

١ - قيل : اريد من التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعها مع الحث على تأمل مواعظ القرآن وإزاحة فى ترك التدبّر .

٢ - قيل : ان الكلام مبنى على التخيّل على أن تلك الجبال لو خوطبت بهذا القرآن مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرأيتها على صلابتها خاشعة بما كلّفها الله تعالى من طاعته ذليلة عنده متشققة من خشية الله تعالى أن تعصيه فيعاقبها .

٣ - قيل : أى لو كان الكلام ببلاغته يصدع الجبل لكان هذا القرآن يصدعه .

اقول: وعلى الاول اكثر المفسرين وهو المؤيد بقوله تعالى : « لرأيته » المتعدى إلى المفعولين من افعال القلوب وفى « تلك الامثال » اقوال :

١ - قيل : اى هذا المثال سبق ذكره وغيره من امثال التنزيل التى يسوقها القرآن للناس انما هى لتقريب الحقائق إلى عقول الناس ليروا على مرآتها

احوالهم، وما فى تلك الاحوال من انحراف او عوج حتى يقدموا منها ما انحرف ويصلحوا ما اعوج .

٢ ـ قيل : أى تلك الامثال المذكورة فى السورة من قصة بنى النضير والمنافقين وقصة الشيطان واتباعه وقصة المهاجرين والانصار .

٣ ـ قيل : ان المراد من الامثال ما جاء فى هذه السورة من قصة بنى النضير والمنافقين .

اقول: والاول هو الانسب بالاطلاق المستفاد من الجمع المحلى باللام وان كان الثانى هو الاوفق بالسياق .

٢٢ ـ (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم)

فى قوله تعالى : «عالم الغيب والشهادة» اقوال :

١ ـ قيل : اى يعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه ويعلم ما يشاهدونه وما يعلمونه، فيعلم بما لايقع عليه الحس من المعدوم والموجود الذى لا يدرك مما هو غائب عن الحواس كأفعال القلوب وغيرها ويعلم بما يصح عليه الادراك بالحواس .

٢ ـ عن ابن عباس والحسن اى يستوى فى علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم .

٣ ـ قيل : أى يعلم ما كان وما يكون .

٤ ـ عن سهل أى يعلم احوال الدنيا والاخرة .

٥ ـ قيل : الغيب ما لم يكن ، والشهادة ما كان .

اقول : والاخير هو المروى من غير تناف بينه وبين الاقوال الاخر .

٢٣ ـ (هو الله الذى لااله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون)

في « الملك » قولان :

احدهما - اي السيد المالك لجميع الاشياء الذي له التصرف فيها على وجه ليس لاحد منعه منه ، فلا ينازعه احد في ملك شيء من هذا الوجود .

ثانيهما - : الملك : الواسع القدرة .

اقول : ولكل وجه من تناف بينهما فتدبّر .

وفي « القدوس » اقوال :

١ - قيل: القدوس : الطاهر من كل عيب ، والمنزّه عن كل نقص في الماضي والحاضر و «السلام» الذي لا يطرء عليه عيب في المستقبل والقدوس : هو التبليغ في الطهارة والبراءة عمايشين ، فلايوصف بصفات الاجسام ، ولابالتجزئة والانقسام .

٢ - عن قتادة والحسن : القدوس : المبارك الذي تنزل البركات من عنده .

٣ - قيل : القدوس : المطهر عن الشريك والولد .

اقول : وعلى الاول اكثر المفسرين وان الاخير داخل فيه .

وفي « السلام » اقوال :

١ - قيل : أي لايطرأ عليه تعالى العيوب ، والنقائص في المستقبل .

فالسلام بمعنى السالم عن الافات والعاهات والنقائص الطارئة على خلقه ، فالسلام صفة ذات .

٢ - قيل : السلام المسلّم على عباده في الجنة لقوله تعالى : « سلام قولا من رب رحيم » يس : ٥٨) .

٣ - قيل : السلام هو الذي سلم الخلق من ظلمه ، فيكون السلام صفة فعل .

٤ - عن الجبائي: السلام : المعطي للسلامة ، والمرجو للامن والسلام والقوي الذي اوجد كل شيء من العدم وميّز انواعه .

اقول : والاول هو الانسب بالسياق الذي يكون بصدد بيان صفات الذات .

وفي « المؤمن » أقوال :

١ - قيل : المؤمن : واهب الامن والطمأنينة .

٢ ـ عن مجاهد والحسن : هو الذى آمن بنفسه قبل ايمان خلقه به اذ قال « شهد الله انه لا اله الا هو » اذ وحّد نفسه ، فهو بيّن لخلقه توحيده وإلهيته بما أقام لهم الدلائل .

٣ ـ عن ابن عباس : هو الذى آمن الخلق من ظلمه ، يقال : آمنه من الامن الذى هو ضدّ الخوف كما قال : « وآمنهم من خوف » فهو مؤمن . وقيل : هو الذى امن المطيع من عذابه .

٤ ـ عن الضحاك وابن زيد : المصدّق لرسله باظهار معجزاته عليهم ، ومصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب ، ومصدق الكافرين ما أوعدهم من العقاب .

٥ ـ عن ابن عباس أيضاً : إذا كان يوم القيامة أخرج أهل التوحيد من النار وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبى قال الله تعالى لباقيهم : « انتم المسلمون وأنا السلام وأنتم المؤمنون وأنا المؤمن » فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين .

٦ ـ عن قتادة : المؤمن : أمن بقوله انه حق .

٧ ـ عن أبى مسلم : المؤمن : الداعى إلى الايمان والامر به الموجب لاهله إسمه .

٨ ـ قيل : المؤمن : الطاهر الذى لا تعلّق به شائبة .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ولكل قول من الاقوال الاخر وجه فتدبر.

وفى قوله تعالى : « المهيمن » أقوال :

١ ـ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة : المهيمن : الشهيد ، فأنزل الله تعالى كتاباً فشهد عليه ثم شهد على ايمان من آمن به .

٢ ـ قيل : المهيمن : الرقيب والحافظ لكل شىء .

٣ ـ عن ابن زيد : المهيمن : المصدق لكل ما حدث ، وان القرآن الكريم مصدق على ما قبله من الكتب السماوية ، والله تعالى مصدق فيما حدث عما مضى من الدنيا ، وما بقى وما يحدث فى الاخرة .

٤ ـ قيل : المهيمن : الذى سلم عباده من ظلمه .

٥ ـ قيل : المهيمن : الذى من عنده ترجى السلامة .

٦ ـ عن ابن عباس أيضاً والضحاك : المهيمن : الامين حتى لا يضع لاحد عنده حق .

٧ ـ قيل : المهيمن : المؤمن فـى المعنى لان أصله : المؤيمن الا انه أشد مبالغة فى الصفة .

أقول: والثانى هو الانسب بمعناه اللغوى .

وفى « الجبّار » أقوال :

١ ـ عن قتادة وواصل بن عطاء : الجبار : المصلح لامور خلقه ، مصرّفهم فيما فيه صلاحهم ، ويجبرهم على ما يشاء من أمره .

هذا بناء على انه فعال للمبالغة من جبر إذا أغنى الفقير وأصلح الكسير ، فهو تعالى جابر كل فقير و كسير وهو جابر دينه الذى ارتضاه .

٢ ـ عن السدى ومقاتل والزجاج : من جبره على كذا اذا أكرهه على ما أراده ، فالمعنى : هو الذى يقهر الناس ويجبرهم على ما اراده منهم فالجبار على هذا بمعنى القهّار .

٣ ـ قيل : الجبّار فى صفة الله تعالى لا ينال ، فكان هذا الاسم يدل على عظمة الله تعالى وتقديسه عـن أن تناله النقائص وصفات الحدث وهو عظيم الشأن فى الملك والسلطان ويذل ويخضع لديه كل شىء .

ومنه قيل : للنخلة التى فاتت يد المتناول : جبّارة .

٤ ـ قيل : الجبّار الذى لا تطاق سطوته .

٥ ـ عن ابن عباس : الجبار : الملك العظيم وجبروت الله : عظمته فيكون الجبار صفة ذات .

أقول: وعلى الاول اكثر المفسرين .

هـذه المعاني بالنسبة إلى الله تعالى وأما اذا نسبت هذه الصفة إلى الخلق فبمعان :

أحدها ـ الجبار : المسلّط كقوله تعالى : « وما أنت عليهم بجبّار » ق: ٤٥) أى بمسلّط .

ثانيها ـ الجبّار : العظيم الجسم كقوله تعالى : « ان فيها قوماً جبارين » المائدة : ٢٢) .

ثالثها ـ : الجبار : المتمرّد عن عبادة الله تعالى كقوله : « ولم يجعلني جباراً » مريم : ٣٢) .

رابعها ـ الجبار : القتّال كقوله تعالى : « بطشتم جبارين » الشعراء : ١٣٠) .

وقوله : « إن تريد الا أن تكون جباراً في الارض » القصص : ١٩) .

خامسها ـ الجبار : الظالم والطاغي والباغي .

كقوله تعالى : « واتبعوا أمر كل جبار عنيد » هود : ٥٩) .

وفي « المتكبّر » أقوال : قيل : المتكبّر : الذى تكبّر بربوبيته ، فلا شيء مثله .

٢ ـ عن قتادة : المتكبر المتعظم عن كل سوء وشر من صفات الحدوث والذم وفي رواية قال تعالى : « الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعني في واحد منهما قصمته ثم قذفته في النار » .

٣ ـ قيل : المتكبر : الذى تعظم عن ظلم العباد .

٤ ـ قيل : المتكبر : ذو الكبرياء ، والكبرياء عند العرب : الملك كقوله تعالى : « وتكون لكما الكبرياء » .

٥ ـ قيل : المتكبر : العالي والمتعالي الذى لايطاول .

٦ ـ قيل : المتكبر : الكبير لانه أجل من أن يتكلّف كبراً .

أقول : ولكل وجه وجيه فتأمل جيّداً .

وهذه المعانى بالنسبة إلى الله تعالى .

وأمّا بالنسبة إلى الخلق فعلى قسمين : قسم مذموم وهو الذى اذا أظهر الانسان من نفسه آثار الكبر وقسم ممدوح وهو الذى اذا أظهر منها على المتكبر لاطفاء شعلة كبره .

﴿ التفسير والتأويل ﴾

١ - (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم)

سبّح لله تعالى كل ما في السموات والارض، فليس الانسان وحده هو الذى يقدّسه وينزهه عما لايليق بالله جل وعلا ويحمد له ويذكر آلائه، بل إن كل ما في السموت والارض يسبح بحمده ويقدسه ويمجده كل بحسبه.

فعلى المؤمنين التسبيح لما كتب لهم من اعزاز ونصر، ولما كتب لاعدائهم من خزى وهوان، وهو القادر الغالب في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيتهم وكفرهم به وهو الحكيم في تدبيره اياهم، فبالعزة واقتضاء الحكمة أخرج اليهود وأجلاهم عن المدينة ونصر رسوله ﷺ والمؤمنين.

قال الله تعالى: «تسبّح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبّح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم» الاسراء: ٤٤).

وقال: «الم تر ان الله يسبّح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه» النور: ٤١).

وقال: «ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذوانتقام وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم» آل عمران: ٤ - ١٢٦).

٢ - (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار).

الله تعالى هو الذى أخرج الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ من أهل الكتاب ـ وهم اليهود من بنى النضير الذين كانوا مقيمين فى احدى ضواحى المدينة وكان الحادث بعد وقعة احد وقبل وقعتى الاحزاب وبنى قريظة ـ من منازلهم ودورهم بقوة عزته وعظيم سلطانه على ما اقتضته الحكمة الالهية لاول الحشر حين صالحوا رسول الله ﷺ أن يؤمنهم على دمائهم ونساءهم وذراريهم ، وعلى ان لهم ما أقلت الابل من أموالهم ويخلوا له دورهم وسائر اموالهم فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك فخرجوا من ديارهم ، فلم يلبثوا أن يستسلموا وقبلوا الخروج لاول ما حشر النبى ﷺ عليهم واستعدّ لمقتاتلهم ، فخرجوا بسهولة وسرعة لم تكونا متوقعين لاحد ـ وكان هذا اول مرّة حشروا فيها واخرجوا من جزيرة العرب لم يصبهم ذل وهوان قبلها فى الاسلام ، وكانوا هم أهل عزة ومنعة ثم استمر اجلاءهم عن ديارهم بعد سنين فى طوال الاعصار إلى يوم القيامة ـ لم تظنوا ايها المسلمون هؤلاء اليهود عن أن يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان وذلك لشدة بأسهم وقوة منعتهم ووثاقة حصونهم وشوكتهم و كثرة عددهم وعددهم واجتماع كلمتهم فى أنظاركم اذ كانوا هم أرباب النفوذ المالى وأصحاب الثروة والجاه العريض عندكم .

وظنوا هؤلاء اليهود ان الحصون التى هم فيها تمنع عنهم بأس الله تعالى وانزال العذاب بهم على يد النبى ﷺ حيث حصّنوها ، وهيئوا فيها آلات الحرب واغترّوا بما وعدهم المنافقون من النصر ، فأمروهم بالثبات فى الحصون ، فاتاهم الله تعالى أمره ، فقذف الرعب فى قلوبهم من حيث لم يحتسبوا ، وما خطر لهم ببال فنفذت إرادته تعالى فيهم من طريق باطنهم ، وهو طريق القلوب اذ قذف فيها الخوف لامن طريق احتسبوه وهو طريق الحصون والابواب اذ ظنوا ان حصونهم المنيعة القوية تمنعهم من أن ينالهم عدو بسوء فلا يستطيع جيش مهما اوتى من بأس أن يصل إليهم بأذى فاطمأنوا إلى تلك القوة فأوقدوا نار الفتنة بين الرسول صلى الله عليه وآله والمشركين طمعاً فى القضاء عليه بعد أن أصبحت له الزعامة

الدينية والسياسية فى المدينة .

فحينئذ كانت هـؤلاء اليهود يخربون بيوتهم ودورهـم حتى لاتبقى صالحة لسكنى المؤمنين بعد جلائهم منها ، ولينقلوا بعض أدواتها التى تصلح للاستعمال ، وهذه من آثار عزته وقوة سلطانه تعالى عليهم اذ اجرى ما أراده واقتضت حكمته بايدىأنفسهم ويخربها المؤمنون من خارجها ليدخلوها عليهم ، ويزيلوا تحصّنهم بها حيث أمرهم الله تعالى بذلك .

فاعتبروا ايها المؤمنون من إجلاء اليهود بعد قدرتهم وشوكتهم و وثاقتهم بأوليائهم المنافقين ، وتحصنهم فى بلاد ، ياذوى الابصار السليمة والعقول الراجحة كيف ألقى الله تعالى فى قلوب أعداء كم الهلع والخوف ، وغلب المؤمنين عليهم فجلوا عن ديارهم من غير قتال فجرى عليهم بما جـرى من امور عظام وبلاء ، ما كان يخطر لهم ببال بأسباب تحار فى فهمها العقول جداً ، ولايصل إلى كنه حقيقتها ذووالاراء الحصيفة ، فاتعظوا بذلك وابتعدوا عن الكفر والطغيان والغدر والاعتماد على غير الله تعالى ، وهذه هى التى اوقعت اليهود فى تلك المهالك وتقعهم فيها إلى يوم القيامة .

واستدلوا ايها المؤمنون بذلك على صدق النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم اذ كان وعد المؤمنين ان الله جل وعلا سيورثهم ديار اليهود وأموالهم بغير قتال فجاء المخبر على ما اخبر ، فكان آية دالة على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى : « فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين » الصف : ١٤) .

٣ ـ (ولو لا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار)

ولو لـم يحكم الله تعالى على هؤلاء اليهود مـن بنى النضير الجلاء مـن ديارهم ، ولـم يقض عليهم الخروج من المدينة وتركهم على هـذا الوجه المهين إلى أرض اخرى ولم يقدّر عدم استقلالهم فى ارض لعذّبهم الله تعالى فـى الحياة الدنيا بالقتل والسبى وعذاب الاستيصال كما فعل باخوانهم بنى قريظة ، ولهـم فى

الاخرة مع هذا الجلاء ، وترك الاوطان عذاب النار يعذبون بها يوم القيامة .

قال الله تعالى : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم » المائدة : ٣٣) .

٤ - (ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب)

ذلك الجلاء عن الديار والخروج من المساكن وقذف الخوف والهلع في قلوب هؤلاء اليهود ، وما نزل بهم من خزى وذل وهوان في الحياة الدنيا ، وما لهم في الاخرة من عذاب النار بسبب انهم عادوا الله تعالى ورسوله ﷺ بعد ما تبين لهم الهدى ومن يخالف الله تعالى ورسوله من بعد ذلك فان الله جل وعلا يعاقبه باشد العقاب .

قال الله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنم وسائت مصيراً » النساء : ١١٥) .

وقال: « سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب » الانفال : ١٢ - ١٣) .

٥ - (ماقطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين)

ما قطعتموه أيها المؤمنون من العجوة - وهي ام النخيل - وما تركتموها قائمة على اصولها مما لم تقطعوها او لم تقلعوها كل ذلك فباذن الله تعالى وقضائه فما كان ذلك فساداً على ما توهّم وليذل هؤلاء اليهود ومن سلك مسلكهم .

وذلك لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيفما يحبون ويتصرفونها حسبما يشاؤن على ما تقتضيه المصالح يزداد ذلك على هؤلاء الاعداد غيظاً ويتضاعف عليهم حسرة .

٦ـ (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير)

والذى أرجعه الله تعالى ورده على رسوله ﷺ من اموال بنى النضير – والفيء ما أخذ من اموال الكفار من غير قتال وذلك خاصة بالنبى ﷺ – فلم تسيروا أيها المؤمنون مسيرة على ما أفاء الله تحتاج إلى ركوب فرس ولا إبل ، ولم تقاتلوا عليه اذ كان القوم قريباً منكم ، فمشيتم إليهم باقدامكم من دون خيل ولا ابل ، وقد استسلموا لكم بلا قتال ولكن الله تعالى يسلّط رسله على من يشاء من اعدائه بالقاء الخوف والهلع فى قلوبهم ، فان الله جل وعلا على كل شيء قدير يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد تارة على ما يعهد من السنن واخرى على غير ما يعهد منها .

٧ـ (ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

الذى أرجعه الله تعالى ورده على رسوله ﷺ من أموال أهل القرى والبلدان التى تفتح هكذا ، فحكمها حكم أموال بنى النضير .

فمنها ما يختص بالله تعالى ، فيصرفه النبى الكريم ﷺ فى سبيل الله على ما يراه من وجوه البر ، ومنها ما يأخذه الرسول ﷺ لنفسه ، ومنها لذى القربى وهم أهل البيت عليهم السلام ، ومنها ما ياخذه لليتامى وهم الفقراء منهم ، ومنها ما يأخذه للمساكين وهم ذوى الحاجة والبؤس ، ومنها ما يأخذه لابن السبيل وهو الذى انقطع عنه ماله ولا يمكن أن يصل إليه .

وحكمنا فى الفيء بما ذكرناه لان لايكون الفيء الذى حقه أن يصرف مصارفه ما يتداول بين الاغنياء وذوى الثراة منكم ، فيدور يداً بيد فتتضخم الاموال لديهم ، فيتكاثروا بها وهناك فقراء جاعون عارون بلا مساكن كما كانت تتداول

بين الاغنياء في الجاهلية حيث تنتقل من غنيٍ إلى غنيٍ وكانت محصور التداول بين ذوي الثراة ويحرم منها الفقراء .

وما أعطاكم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الفيء ، فخذوه فهو حلال لكم ، وارضوا عنه ، وما نهاكم عنه فانتهوا عنه ، فانه حرام عليكم فلا تقربوه لانـه متحقق من الله تعالى .

فكل ما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو أمر الله وما نهاكم عنه فهومنهي عنه ، قال الله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » النساء : ٨٠) .

وقال : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلاوحي يوحى » النجم : ٣-٤) وقال « انا انزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » النساء : ١٠٥) .

واتقوا الله في ترك الاوامر وارتكاب النواهي ، فامتثلوا أوامره وابتعدوا عن نواهيه فان الله شديد العقاب لمن خالف أمره وعصاه .

٨ - (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون)

أرجع الله تعالى الفيء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنه ما كان يختص بالله تعالى فللنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يصرفه في سبيله جل وعلا ، ومن مصاديقه إنفاقه للفقراء الذين هاجروا من مكة إلى المدينة ومن دار الكفر والحرب إلى دار الاسلام والسلام قبل الفتح ، فتركوا الديار والاهلين والاوطان حباً في النبي صلى الله عليه وآله ونصرة له .

وهم الذين اخرجهم مشركو مكة - قيل : كانوا هم مأة رجل - يطلبون فضلا من الله تعالى في الحياة الدنيا ومرضاة ربهم في الاخرة وينصرون الله ورسوله باموالهم وانفسهم اولئك هم الصادقون في ايمانهم وفي اقوالهم وافعالهم .

قال الله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم » البقرة : ٢١٨) .

وقال : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا

ونصروا اولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم » الانفال : ٧٤) .

٩ ـ (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)

والانصار هم الذين سكنوا المدينة وعمّروها بالايمان حقاً من قبل أن يهاجر إليهم المهاجرون وكانوا هؤلاء الانصار يحبّون المهاجرين اليهم ، وهم لا يجدون في صدورهم حزازة وغيظاً وطلباً مما تحمل عليه الحاجة مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره فانفسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح إلى شيء منه يحتاج إليه ، ولو كان بهم خلة وشديد حاجة ، وكانوا في فقر وفاقة .

وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله قسّم أموال بني النضير على المهاجرين ، ولم يعط منها الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين منهم ، وهم أبودجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وقال لهم : ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة ، وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة ؟ .

فقالت الانصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ، ولا نشاركهم فيها فيؤثرونهم بأموالهم ويقدمونهم على أنفسهم حتى من كان له منزلان ينزل المهاجرين في أحدهما ومن كان له منزل واحد ينزل المهاجرين فيه فوقانياً ويعيش تحتانياً حتى حين كثر المهاجرون نزلهم الانصار في منازلهم وخرجوا من منازلهم ولا يثقل ذلك عليهم ، ومن هنا كان الانصار يتمنون للمهاجرين من الخير ما يتمنون لانفسهم ، وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهم وبينهم .

ومن يمنع بخل نفسه ويخالف هواه من حب المال وبغض الانفاق بمعونة الله تعالى وتوفيقه ، فاولئك هم المنجحون الفائزون بثواب الله ونعيم جنته .

١٠ - (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم)

والذين جاؤا - وهم جميع التابعين إلى يوم الدين - من بعد المهاجرين والانصار يدعون الله تعالى لهم ، ولمتقدميهم من الفريقين يقولون : ربنا اغفرلنا ذنوبنا واغفر لاخواننا فى الدّين الذين سبقونا بالايمان .

بدؤا بأنفسهم فى الدعاء لقول النبى الكريم صلى الله عليه وآله : « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول » ويقولون : ربنا لا تجعل فى قلوبنا حقداً وغشاً وعداوة للذين آمنوا من سابقينا ومعاصرينا ولاحقينا جميعاً ربنا انك عظيم الرأفة كثير الرحمة بعبادك ، فأجب لنا دعائنا ، فاستجاب الله لهم دعاءهم .

قال الله تعالى : « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » التوبة : ١٠٠) .

وقال : « فاستغفروه ثم توبوا إليه ان ربى قريب مجيب » هود : ٦١) وما ورد فى ذلك فمن باب التأويل فتأمل جيّداً .

١١ - (الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احداً ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون)

ألم تنظر يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الذين نافقوا - أظهروا الايمان وأبطنوا الكفر فكانوا مذبذبين بين ذلك لا من هؤلاء ولا من هؤلاء - يقولون لاخوانهم اليهود فى الكفر والضلالة ، وهم الذين كفروا من أهل الكتاب من بنى النضير : نقسم إن أخرجكم المسلمون من ديار كم لنخرجن من ديارنا معكم ملازمين لكم ، ولا نطيع فى مفارقتكم ومخاصمتكم وقتالكم أحداً ، فلا نفارقكم أبداً ، ولا نترككم فرادى ونقسم إن قاتلكم المسلمون لننصرنّكم عليهم ولندفعنهم عنكم وحال كون الله تعالى شاهداً على أن المنافقين لكاذبون فى وعدهم لاخوانهم اليهود بالمساعدة

والنصرة والملازمة والدفاع عنهم كما انهم كاذبون في الايمان بالله تعالى .

وهذا هو دأب المنافقين في طوال الاعصار في كل وقت ومكان قال الله تعالى فيهم : « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون » البقرة : ١٤) .

وقال : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » النساء : ١٤٢ ـ ١٤٣) .

وقال : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفنّ إن اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون » التوبة : ١٠٧) .

وقال : « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون » المنافقون : ١ ـ ٢) .

١٢ ـ (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون)

اقسم بالله تعالى إن أخرج المؤمنون بني النضير من ديارهم لا يخرج معهم المنافقون مع أنهم أقسموا بانا نخرج معكم ، وأقسم بالله جل وعلا إن قاتل المسلمون بنى النضير لا ينصرهم المنافقون ، مع أنهم أقسموا بانا ننصركم لو قوتلتم ، واقسم بالله عز وجل إن نصر المنافقون هؤلاء اليهود الحيارى ـ على فرض ولن ينصروهم ـ لينهزمون ولن يستقيموا في النصرة ولا يظهر منهم الثبات فيما وعدوهم ، فيفرّون فرار الثعالب ويتركونهم في أيدي المسلمين ثم لا ينصرون الجميع ولقد رأينا ذلك في زماننا هذا كيف غلب الله تعالى مؤمني ايران على المنافقين والكافرين .

١٣ - (لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون)

انكم ايها المؤمنون أشد خوفاً ورعباً فى صدور المنافقين ومواليهم اليهود من بنى النضير من الله تعالى ، فيخافون منكم ما لا يخافون من الله جل وعلا ذلك الخوف من المخلوق أكثر منه من الخالق بانهم قوم لا يفقهون الحق ولا يعرفونه تعالى حق معرفته ولا قدر عظمته جل وعلا ولا قدرته .

قال الله تعالى : « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » النساء : ٧٧) .

وقال : « وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها » الاحزاب : ٢٦ _ ٢٧) .

وقال : « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم » .
النساء : ١٠٨)

١٤ - (لايقاتلونكم جميعاً الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لايعقلون)

لايقاتلكم معاشر المؤمنين بنو النضير والمنافقون مجتمعين متفقين بان يبرزوا _ وان تواطئوا على ذلك _ بل هم كائنين فى قرى حصينة محكمة بالدروب أو بالخنادق وهم يظنون ان حصينتهم تمنعكم منهم أو من خلف حيطان فيرمونكم بالنبل والحجر ، يستترون بها ويتحصّنون بها وهم محاصرون فيها ، فيرمونكم بالنبل والحجر ، من غير بروز لفرط رهبتهم وخوفهم منكم ، فلا يقدرون على مقاتلتكم .

هم فيما بينهم شديدو البطش عداوة شديدة بعضهم لبعض تظن انهم مجتمعون على كلمة واحدة و وافون على معاهدتهم وهم فى الفة واتحاد ، والحال ان قلوبهم شتى بمعاداة بعضهم لبعض ومتفرقة غيرمتحدة لافتراق مقاصدهم واختلاف آراءهم وعقائدهم ولاضطرابهم بما ألقى الله تعالى فى قلوبهم من الرعب ، وهذا الافتراق

أقوى عامل في انحطاط كل امة يتبعهم الخزى والخذلان .

ذلك بأنهم قوم لايعقلون فيما فيه رشدهم وغيّهم ، اذ لو عقلوا لاتحدوا ووحّدوا الكلمة ولم يسعوا فى انحطاطهم ، وفى خزيهم وهوانهم فى الحياة الدنيا وعذاب النار فى الاخرة .

فالمنافقون واليهود ما كانوا ينتفعون من عقولهم كما قال أمير المؤمنين على عليه السلام : « ان العقل عقلان فمسموع ومطبوع ، ولا ينفع مطبوع اذا لم يك مسموع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع » .

وأشار الامام عليه السلام إلى الاول بقوله : « ما خلق الله شيئاً اكرم عليه من العقل » وإلى الثانى بقوله : « ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى » .

وهذا العقل هو المعنى بقوله تعالى «ومايعقلها الاالعالمون» العنكبوت: ٤٣).

و كل موضع يذم غير المؤمنين بعدم العقل ، فاشارة إلى الثانى و كل موضع يرفع التكليف عن العبد لفقد العقل ، فاشارة إلى الاول .

١٥ - (كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم)

مثل هؤلاء اليهود من بنى النضير فى نقضهم العهد ، واغترارهم بعددهم وقوتهم ، وبوعد المنافقين لهم بالنصر كذباً ثم الجلاء مثل الذين من قبلهم فى زمن قريب ، وهم بنو قينقاع رهط آخر من يهود المدينة نقضوا العهد بعد غزوة بدر وعزاهم النبى الكريم صلى الله عليه وآله يوم السبت فى شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة ، فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أذرعات بالشام ، وقد كان وعدهم المنافقون أن يكلموا النبى صلى الله عليه وآله فيهم ويمنعوه من اجلاءهم فغدروا بهم .

فذاق بنو قينقاع سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وتبعة طغيانهم قبل وقعة بنى النضير التى كانت سنة أربع للهجرة ، ولهم عذاب أليم فى الاخرة ، فلابد لليهود من العبرة ولهم اسوة بمتقدميهم فى طوال الاعصار .

١٦ - (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى اخاف الله رب العالمين)

مثل هؤلاء المنافقين الذين كانوا يدعون اليهود من بنى النضير إلى مخالفة الرسول صلى الله عليه وآله ويعدونهم بالنصر كذباً، ويغرّونهم ثم يغدرونهم ويخلفون الوعد ويخذلونهم وقت الحاجة « لئن اخرجتم لنخرجن معكم » الاية.

مثل الشيطان فيما يدعو الانسان إلى الكفر والطغيان بمواعيده الكاذبة ثم يبرّىء منه بعد الكفر والعصيان وقت الحاجة ويقول لمن تبعه: انى برىء منك لانى اخاف رب العالمين.

١٧ - (فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين)

فكان عاقبة الداعى والمدعو من الشيطان ومن أغواه وعاقبة المنافقين واليهود ان الفريقين معذبان فى النار حالكونهم خالدين فيها، وذلك العذاب والخلود فى النار جزاء الظالمين لانفسهم بالكفر والاغواء وارتكابهم المعاصى.

قال الله تعالى: « لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين » الاعراف: ٤١).

ولا يخفى: ان المثالين ينطبقان على كل ما ابتلى به الناس فى هذه الحياة الدنيا.

١٨ - (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله فى أوامره ونواهيه وأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ولينظر كل امرىء ما قدمه من خير أو شر ليوم القيامة، واتقوا الله فى اخلاص أعمالكم لله تعالى وحفظها عما يفسدها وفى محاسبتها والنظر فيها، لان الله تعالى خبير بما تعملون، فلا يفوته شيء من أعمالكم فراقبوها حق مراقبتها عن الفساد.

قال الله تعالى : « انا أنذرنا كم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت تراباً » النباء : ٤٠) .

وقال : « وما تقدّموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير » البقرة : ١١٠) .

١٩ - (ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم اولئك هم الفاسقون)

ولا تكونوا ايها المؤمنون كالذين سبق ذكرهم من الكافرين والمنافقين الذين تركوا ذكرالله تعالى ومعرفته وتركوا ما أمرهم الله تعالى به وأتوامانهاهم عنه فتركهم الله جل وعلا على أنفسهم فينسون أنفسهم .

فأورثهم القسوة وفساد الاستعداد ، اولئك هم الخارجون عن طريق الفطرة وعن زى العبودية والطاعة .

قال الله تعالى : « الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرّتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاءيومهم هذاوما كانوا باياتنا يجحدون» الاعراف : ٥١).

وقال : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون » التوبة : ٦٧) .

وقال : « فمنهم مهتد و كثير منهم فاسقون » الحديد : ٢٦) .

٢٠ - (لايستوى أصحاب النارو أصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون)

لايستوى أصحاب النارهم الناسون لله تعالى من الكافرين والمنافقين وأصحاب الجنة هم الذاكرون لله جل وعلا المراقبون من المؤمنين فى الفضل والرتبة عند الله تعالى : فشتان بين الفريقين فان الكافرين ومن إليهم يستحقون النار وعذابها وان المؤمنين يستحقون الجنة ونعيمها وهم الظافرون بكل مطلوب المدركون بما أرادوا والناجون من كل مكروه .

قال الله تعالى : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون » السجدة : ١٨)

وقال : « ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار » ص : ٢٨) .

وقال : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » الجاثية : ٢١) .

وقال : « قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور » الرعد : ١٦) .

وقال : « وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون » المؤمن : ٥٨) .

وقال : « قل هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون » الانعام : ٥٠) .

وقال : « فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز » آل عمران : ١٨٥) .

٢١ ـ (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت هذا الجبل خاشعاً مع صلابته ورزانته مشفقاً متصدّعاً من خشية الله تعالى وحذر من أن لا يؤدى حق الله تعالى في تعظيم القرآن الكريم والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والاحكام كأنه لم يسمعها لقساوة قلبه ، فهو غافل عما يتضمنه القرآن من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والحلال من الحرام ، فاذا كان الجبل مع صلابته كذلك فكيف بكم يا معشر المكلفين مع ضعفكم وقلتكم وسرعتكم في الزوال والفناء فأنتم اولى بالخشية والاشفاق .

وضربنا تلك الامثال المأتية في هذه السورة من قصة اليهود وأنصارهم الكاذبة وقصة الشيطان واتباعه وقصة المهاجرين والانصار المؤمنين ـ للناس كافة لعلهم يتفكرون فيما أوردناه ويعتبرون به .

قال الله تعالى : « ولو انّ قرآنا سيّرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلّم به الموتى » الرعد : ٣١) .

وقـال : « ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الـذين آمنـوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم » محمد صلى الله عليه وآله : ٣) .

وقال : « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » .

العنكبوت : ٤٣)

٢٢ ـ (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم)

هو الله الذى يستجمع فيه جميع الصفات الكمال والجلال لا الـه الا هو ، فهو جل" وعلا الهكم اله واحد لانه وحده عالم غيب السموات والارض ويعلم بما كان ومايكون وبما يرى ويحس ويخفى ويعلم باعمال عباده ظاهرها وخفيها ويعلم سرهم ونجواهم وما فى الصدور .

وهـو يرحم بعباده عامة فى الحياة الدنيا ، ويرحـم بعباده المؤمنين خاصة فى الاخرة .

قال الله تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله » .

النمل : ٦٥)

وقال : « ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور » .

فاطر : ٣٨)

وقال : « ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون » .

الحجرات : ١٨)

وقال : « ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب » التوبة : ٧٨) وقال : « ان الله كان على كل شيء شهيداً » النساء : ٣٣) .

وقـال : « ورحمتى وسعت كل شيء فسا كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » الاعراف : ١٥٦) .

٢٣ ـ (هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون)

قوله تعالى : « هـو الله الذى لا اله الا هو » فـى معنى قوله تعالى : « انما

إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه » فصلت : ٦) .

وهو الملك المطلق لكل شيء المالك لتدبير أمـر الخلق وانفاذه والحكم بين الناس .

قـال : « قل فمن يملك مـن الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وامـه ومن فـي الارض جميعاً ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء » المائدة : ١٧) .

وقال : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممـن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء » آل عمران : ٢٦) .

وقال : « ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم مـن دون الله من ولى ولا نصير » البقرة : ١٠٧) .

« القدوس » : المنزه عـن كل نقص المبرء من كل عيب ومن شوائب الافات والعاهات الموجبات للعجز والجهل .

فهو تعالى : منزه فى ذاته المتعال عن النقص كله ومقدس فى فعله عن الشر والفساد « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » البقرة : ٣٠) .

« السلام » : الذى سلمت ذاته وصفاته وأفعاله من أى عارض مـن عوارض النقص والعيب . .

« المؤمن » : الطاهر الذى لاتتعلق به شائبة وهو الذى يعطى الامن ويؤمن أوليائه من العذاب ، وهذا على سبيل التلازم حيث انه تعالى لايظلم أحداً ، فلابد من اعطائه جل وعلا الامن للمؤمنين من العذاب .

« المهيمن » : القائم على الوجود المسيطر على كل ذرة فيه والشاهد عليه والرقيب على عباده والحافظ لهم .

« العزيز » : القادر الذى لايمكن عليه القهر وهو المنيع الذى لايرام ولا يمتنع عليه مرام فهو المتفرد بالعزة والسلطان لا يغلبه شيء .

« الجبار » : القوى الذى يخضع لجبروته كـل جبـار ، وهـو الذى ينفذ

إرادته وقضاءه فيما أراد وغلب على الاشياء بعظمته .

« **المتكبر** » : المتعالى الذى لايطاول ، وهو الذى تلبّس بالكبرياء وظهر بها وتفرّد بها .

قال الله تعالى : « وله الكبرياء فى السموات والارض » الجاثية : ٣٧) .

« **سبحان الله** » تنزيهاً لجلالته وعظمته عما يشركون بالله تعالى من الاصنام وغيرها من أنواع الشرك .

قال تعالى : « أمّن خلق السموات والارض ـ إلى ـ ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون » النمل : ٦٠ ـ ٦٣ و ٦٤) .

٢٤ ـ (هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم)

هو الذات المستجمع لجميع صفات الكمال الذى لا اله الا هو .

« **الخالق** » : المقدّر لما يوجده على ما اقتضته الحكمة الالهية .

قال تعالى : « بديع السموات والارض ـ وخلق كل شيء ـ ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه » الانعام : ١٠١ ـ ١٠٢) .

وقال : « الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً » الفرقان : ٢) .

« **البارىء** » : المنشىء المخترع الموجد لما يخلقه من العدم الممتاز بعضه من بعض .

قال تعالى : « أو لا يذكر الانسان انّا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » مريم : ٦٧)

« **المصور** » : مصوّر الصور ومركّبها على هيئات وأشكال مختلفة يمتاز بها بعضها من بعض .

قال تعالى : « هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء » آل‌عمران : ٦) .

وقال : « يا ايها الانسان ما غرّك بربك الكريم الذى خلقك فسوّاك فعدلك

في اىّ صورة ما شاء ركّبك » الانفطار : ٦ ـ ٨) .

« له الاسماء الحسنى » : له الصفات الحسنى التى وصف بها نفسه لايشركه فيها أحد سواه « الله لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى » طه : ٨) .

« ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » الاعراف : ١٨٠) .

« يسبح له ما فى السموات والارض » ينزهه جميع الاشياء فكل شيء يصفه بالتنزيه من نفس السماء ونفس الارض وما فيهما وما بينهما .

قال الله تعالى : « تسبّح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبّح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم » الاسراء : ٤٤) .

وقال : « وله من فى السموات والارض ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبّحون الليل والنهار لايفترون » الانبياء : ١٩ ـ ٢٠) .

« وهو العزيز » ذو انتقام من أعدائه كما فعل باليهود من بنى النضير وأنصارهم الكاذبة من المنافقين وهو الغالب غير مغلوب ، قال تعالى : « ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام » المائدة : ٩٥) .

وقال: «فلاتحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذوانتقام» ابراهيم: ٤٧).

« الحكيم » فى تدبيرخلقه وصرفهم فيما فيه صلاحهم ففعله متقن لامجازفة فيه ، وفى عذاب الكافرين وأجر المؤمنين .

﴿ جملة المعانى ﴾

٥١٢٧ - (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم)

نزّه الله تعالى كل ما فى السموات والارض وما بينهما عما لايليق بساحة قدسه وهو الغالب غير مغلوب والقادر غير عاجز عن الانتقام ممن خالفه وعاد رسوله ﷺ ينتقم على ما تقتضيه الحكمة الالهية .

٥١٢٨ - (هوالذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار)

الله تعالى هوالذى أخرج الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ من أهل الكتاب وهم اليهود من بنى النضير - من ديارهم بقوّة عزته وعظيم سلطانه لاول الحشر حين صالحوا رسول الله ﷺ فلم يلبثوا أن يستسلموا فخرجوا بسهولة ما كنتم تظنون ايها المسلمون أن يخرج هؤلاء اليهود من جزيرة العرب بهذا الذل والهوان وكانوا هم يظنون ان الحصون التى هم فيها تمنع عنهم بأس الله تعالى فأتاهم الله بأسه اذ قذف الرعب فى قلوبهم من حيث لم يحتسبوا فعندئذ كانوا يخربون منازلهم بأيديهم ويخربها المؤمنون فاعتبروا ايّها المؤمنون وذو الابصار السليمة والعقول الراجحة .

٥١٢٩ - (ولو لا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب النار)

ولو لم يقض الله تعالى على بني النضير الجلاء من ديارهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والاسر ، ولهم مع ذلك في الاخرة عذاب النار .

٥١٣٠ - (ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب)

ذلك الجلاء عن الديار وقذف الخوف فى قلوب بنى النضير وعذاب النار بسبب انهم خالفوا الله تعالى ورسوله ﷺ عناداً بعد ما تبيّن لهم الهدى ، ومن يخالف الله تعالى فانه جل وعلا يعاقبه باشد العقاب .

٥١٣١ - (ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين)

ما قطعتموه أيّها المؤمنون من العجوة وما لم تقطعوها أو لم تقلعوها كل ذلك فباذن الله وقضائه تعالى وسيذل هؤلاء اليهود ومن سلك مسلكهم .

٥١٣٢ - (وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير)

والذى أرجعه الله تعالى ورده على رسوله ﷺ من أموال بنى النضير فلم تسيروا مسيرة على الفيء تحتاج إلى ركوب فرس ولا إبل ، ولكن الله تعالى يسلّط رسله على من يشاء من أعدائه ، فان الله تعالى على كل شيء قدير ويحكم ما يريد وينفذه حيثما يشاء .

٥١٣٣ - (ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

الذى أرجعه الله تعالى ورده على رسوله ﷺ من أموال أهل البلاد التى تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بنى النضير ، فمنهما ما يختصّ بالله سبحانه

فيصرفه النبي صلى الله عليه وآله في سبيله، ومنها ما يأخذه الرسول صلى الله عليه وآله لنفسه ومنها لذي القربى ومنها لليتامى من فقرائهم، ومنها للمساكين من ذوي الحاجة والبؤس، ومنها لابن السبيل الذي انقطع عنه ماله لئلا يكون الفيء ما يتداول بين ذوي الثراة منكم وكل ما امركم الرسول صلى الله عليه وآله به فهو أمر الله تعالى فخذوه واعملوا به وكل ما نهاكم الرسول صلى الله عليه وآله عنه فهو منهي عن الله سبحانه فاتركوه واتقوا الله جل وعلا في ترك الاوامر وارتكاب النواهي لان الله شديد العقاب لمن خالف أمره وعصاه.

٥١٣٤ـ (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون)

من مصاديق سبيل الله انفاق الفيء للفقراء الذين هاجروا من مكة إلى المدينة فتركوا الديار والأموال يطلبون فضلا من الله تعالى في الدنيا ومرضاة ربهم في الآخرة وينصرون الله ورسوله بأموالهم وأنفسهم اولئك هم الصادقون في الايمان والعمل.

٥١٣٥ـ (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

والانصار هم الذين سكنوا المدينة وعمّروها بالايمان حقا من قبل أن يهاجر إليهم المهاجرون هم يحبون المهاجرين لهجرتهم من دار الكفر إلى دار الايمان، ومجتمع المسلمين وهم لايجدون في صدورهم طلباً مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره، ويقدّمونهم على أنفسهم وإن كان بالانصار شديد حاجة، ومن يمنع بخل نفسه فاولئك هم الفائزون حقاً.

٥١٣٦ـ (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم)

والتابعون الذين جاؤا من بعد المهاجرين والانصار يقولون : ربنا اغفرلنا ذنوبنا واغفر لاخواننا فى الدين الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل يا ربنا فى قلوبنا حقداً وعداوة للذين آمنوا ربنا انك عظيم الرأفة كثير الرحمة .

٥١٣٧- (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون)

ألم تنظر أيها الرسول صلى الله عليه وآله إلى الذين أظهروا الايمان وأبطنوا الكفر يقولون لاخوانهم اليهود فى الكفر والغواية من بنى النضير : نقسم إن أخرجكم المسلمون من دياركم لنخرجن من ديارنا معكم ولا نطيع فى مفارقتكم أحداً أبداً ، ونقسم إن قاتلكم المسلمون لننصرنكم ولندفعنهم عنكم ، والحال ان الله تعالى يشهد على ان المنافقين لكاذبون فيمقالاتهم . . .

٥١٣٨- (لئن اخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون)

أقسم الله تعالى رداً على المنافقين إن أخرج المؤمنون بنى النضير من ديارهم لا يخرج معهم المنافقون وإن قاتل المسلمون بنى النضير لا ينصرهم المنافقون ، وإن نصر المنافقون هؤلاء اليهود - على فرض - لينهزمون ويختارون الفرار على القرار ثم لا ينصرون الجميع .

٥١٣٩- (لانتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون)

انكم ايها المؤمنون أشد خوفاً ورعباً فى صدور المنافقين ومواليهم من الله تعالى ذلك بأن الفريقين قوم لا يعرفون الله جل وعلا حق معرفته . .

٥١٤٠- (لا يقاتلونكم جميعاً الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون)

لا يقاتلكم معاشر المؤمنين بنو النضير والمنافقون مجتمعين بل هـم كائنين في قرى حصينة أو من خلف حيطان هـم فيما بينهم شديد البطش عداوة شديدة بعضهم لبعض تظن انهم مجتمعون على كلمة واحدة ، وحالكون قلوبهم متفرقة بالمعاداة ذلك بان الفريقين قوم لا يعقلون فيما فيه رشدهم وغيّهم .

٥١٤١ - (كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم)

مثل هؤلاء اليهود من بني النضير وأنصارهم الكاذبة مثل الذين كانوا من قبلهم قريباً وهم بنو قينقاع رهط آخر من يهود المدينة ذاقوا سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب أليم في الاخرة .

٥١٤٢ - (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين)

مثل المنافقين واليهود مثل الشيطان فيما يدعو الانسان إلى الكفر والطغيان اذ قال له اكفر فلما كفر الانسان قال له الشيطان : اني بريء منك لاني اخاف رب العالمين ، قال الله تعالى : « وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم ـ اني كفرت بما أشركتموني من قبل » ابراهيم : ٢٢) .

٥١٤٣ - (فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاؤ الظالمين)

فكان عاقبة الممثل والممثل بهم ان الفريقين في النار حال كونهم خالدين فيها وذلك العذاب والخلود في النار جزاء الذين ظلموا .

٥١٤٤ - (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)

يا ايّها الذين آمنوا خافوا الله تعالى في الواجبات والمحرمات ولينظر كل امرىء ما قدّمه لنفسه ليوم المعاد ، واتقوا الله تعالى فيما يفسدها وفي

محاسبتها لان الله تعالى خبير بما تعملون فلا يشتبه عليه الخير من الشر .

٥١٤٥ - (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون)

ولا تكونوا أيها المؤمنون كالناسين لله تعالى الذين سبق ذكرهم من اليهود والمنافقين ومن سلك مسلكهم ، فأنساهم الله أنفسهم فينسون حق أنفسهم فلا يسعون لها بما ينفعها فأورثهم القسوة وفساد الاستعداد اولئك هم الخارجون عن طريق الاهتداء الذى تقتضيه الفطرة وعن زى العبودية .

٥١٤٦ - (لايستوى اصحاب النار وأصحاب الجنة اصحاب الجنةهم الفائزون)

لا يستوى الناسون لله تعالى هم أصحاب النار ، والذاكرون لله تعالى هم أصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الظافرون بكل مطلوب .

٥١٤٧ - (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت هذا الجبل خاشعاً مع صلابته ورزانته متصدعاً من خشية الله تعالى وتلك الامثال سبق ذكرها فى السورة نضربها للناس لعلهم يتفكرون فيما أوردناه ويعتبرون به .

٥١٤٨ - (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم)

هو الذات المستجمع لجميع صفات الكمال الذى لا اله الا هو يعلم بما كان وما لم يكن وما يكون هو يرحم بعباده عامة فى الحياة الدنيا وبعباده المؤمنين خاصّة فى الاخرة .

٥١٤٩ - (هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون)

هو الله الذى لا اله الا هو الملك المطلق لكل شىء ، المنزه عن كل نقص ، الذى سلم ذاته وصفاته من أى عارض من عوارض العيب ، المعطى الأمن لاوليائه ، القائم على الوجود ، الغالب غير المغلوب ، القوى الذى يخضع لديه كل جبار ، المتعالى الذى ظهر بالكبرياء ، منزه عمّا يشرك به المشركون .

٥١٥٠ - (هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم)

هو الذات المستجمع لجميع صفات الكمال ، المقدّر لما يوجده ، المنشىء لما يخلقه من العدم الممتاز بعضه من بعض ، مصور الصور فى أى صورة ما شاء ، له الصفات الحسنى التى وصف بها نفسه ، ينزهه كل شىء مما فى السماء والارض وهو العزيز ذو انتقام من أعدائه ، يفعل ما يشاء على سبيل الحكمة .



﴿ بحث روائي ﴾

في التوحيد: عن الامام علي بن ابيطالب عليه السلام - فـي حديث سئل عليه السلام عما اشتبه على السائل من الايات - قال في قوله تعالى: « فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا » يعني أرسل عليهم عذاباً.

وفي الكافي: باسناده عن عبد المؤمن الانصاري عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان الله تبارك وتعالى أعطى المؤمن ثلاث خصال: العزّ في الدنيا والاخرة، والفلج في الدنيا والاخرة، والمهابة في صدور الظالمين.

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن اسمعيل الجعفي انه سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً واحل لي المغنم ونصرت بالرعب واعطيت جوامع الكلم واعطيت الشفاعة.

قال الله تعالى: « فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم ».

فألقى الله تعالى في قلوبهم من هيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ما كانوا هم يقدمون في اخراب بيوتهم بأيديهم وخروجهم عن بلادهم محزونين مضطربين فان الرهب: هو الخوف الشديد مع حزن واضطراب.

قال تعالى: « لانتم أشد رهبة في صدورهم من الله » الحشر: ١٣).

وفي الدر المنثور: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فضلت على الانبياء بست: اعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، واحلت لي الغنائم، وجعلت لي الارض

طهوراً ومسجداً ، وارسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون .

وفيه : عن أبىذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى : بعثت إلى الاحمر والاسود ، وجعلت لى الارض مسجداً وطهوراً ، واحلت لى الغنائم ، ولم تحل لاحد كان قبلى ، ونصرت بالرعب ، فيرى العدو وهو منّى مسيرة شهر وقال لى : سل تعطه فاختبات دعوتى شفاعة لامتى وهى نائلة منكم إن شاء الله من لقى الله لا يشرك به شيئاً واحلت لامتى الغنائم .

وفى مصباح الشريعة : قال الصادق عليه السلام : ولا يصح الاعتبار الا لاهل الصفا والبصيرة قال الله تعالى : « فاعتبروا يا اولى الابصار » .

وفى الكافى : باسناده عن أبى خديجة عن أبى عبدالله عليه السلام قال : العجوة ام التمر وهىالتى أنزلها الله عزوجل من الجنة لادم عليه السلام وهو قول الله عزوجل: « ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها » قال : يعنى العجوة .

وفى تفسير القمى : باسناده عن أبى عمرو الزبيرى عن أبى عبد الله عليه السلام فى حديث قال : ان جميع ما بين السماء والارض لله عز وجل ولرسوله ولاتباعهما من المؤمنين من أهلهذه الصفة ، فما كان من الدنيا فىأيدى المشركين والكفار والظلمة والفجار من أهل الخلاف لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمولى عن طاعتهما مما كان فى أيديهم ظلموا فيه المؤمنين من أهل هذه الصفات وغلبوهم عليه مما افاء الله على رسوله فهو حقهم أفاء الله عليهم ورده إليهم وانما معنى الفىء كلما صار إلى المشركين ثم رجع مما كان قد غلب عليه أو فيه فما رجع إلى مكانه من قول أو فعل فقد فاء مثل قول الله عزوجل : « فان فاؤا فان الله غفور رحيم » .

أى رجعوا ثمقال : « وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم » وقال : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » أى ترجع « فان فائت » أى رجعت « فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين » يعنى بقوله « تفيىء » ترجع فدل الدليل على أن الفىء كل راجع إلى مكان قد كان عليه أو فيه ويقال

للشمس اذا زالت قد فائت الشمس حين يفيء الفيء عندرجوع الشمس إلى زوالها وكذلك ما أفاء الله على المؤمنين من الكفار ، فانما هي حقوق المؤمنين رجعت إليهم بعد ظلم الكفار اياهم .

وفي التهذيب : باسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ما أفاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه » الاية قال : الفيء ما كان من أموال لم يكن فيها هراقة دم أو قتل والانفال مثل ذلك وهو بمنزلته .

وفي الكافي : باسناده عن حفص بن البختري عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الانفال ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب أو قوم صالحوا أو قوم اعطوا بايديهم وكل ارض خربة وبطون الاودية فهو لرسول الله وهو للامام من بعده يضعه حيث يشاء .

وفيه : باسناده عن سليم بن قيس قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : نحن والله الذي عنى الله بذي القربى الذين قرنهم الله بنفسه وبنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: « ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » منا خاصة ولم يجعل لنا سهماً في الصدقة اكرم الله نبيه واكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما في أيدي الناس .

وفي المجمع : روى المنهال بن عمر عن علي بن الحسين عليه السلام قلت : قوله : « ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » قال : هم قربانا ومساكيننا وأبناء سبيلنا .

وفي وسائل الشيعة : علي بن الحسين المرتضى في رسالة (المحكم والمتشابه) نقلا من تفسير النعماني باسناده عن علي عليه السلام بعد ما ذكر الخمس وان نصفه للامام ثم قال : ان للقائم بامور المسلمين بعد ذلك الانفال التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عزوجل : « يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول » .

وانما سئلوا الانفال ليأخذوها لانفسهم فاجابهم الله بما تقدم ذكره ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله إن

كنتم مؤمنين » أى ألزموا طاعة الله فـى أن لا تطلبوا ما لا تستحقّـونه ، فما كان لله ولرسوله فهو للامام وله نصيب آخر من الفيء والفيء يقسّم قسمين :

فمنه ما هو خاص للامام وهو قول الله عزوجل فى سورة الحشر : « وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » وهى البلاد التى لا يوجف عليها بخيل ولا ركاب والضرب الاخر ما رجع إليهم مما غصبوا عليه فى الأصل ، قال الله تعـالى : « انى جاعل فى الارض خليفة » فكانت الارض بأسرها لادم ثم هى للمصطفين الذين اصطفاهم الله وعصمهم فكانوا هم الخلفاء فى الارض فلماغصبهم الظلمة على الحق الذى جعله الله ورسوله لهم وحصل ذلك فى أيدى الكفار وصار فى أيديهـم على سبيل الغصب حتى بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وآله فرجع لـه ولاوصيائه فمـا كانوا غصبوا عليه أخذوه منهم بالسيف فصار ذلك مما أفاء الله به ، أى مما أرجعه الله اليهم .

وفى التهذيب : باسناده عن محمـد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قـال : سمعته يقول : الفييء والانفال ما كان من أرض لم يكن فيها هراقة من الدماء وقوم صولحوا وأعطوا بايديهم وما كان من ارض خربة أو بطون أودية فهو كله من الفييء فهذا لله ولرسوله ، فما كان لله فهو لرسوله يضعه حيث شاء وهو للامام بعد الرسول وقوله : « ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب » قال : ألا ترى هو هـذا ، وأمّا قوله : « ما أفاء الله على رسوله مـن أهل القرى » فهذا بمنزلة المغنم كان أبى يقول : ذلك وليس لنا فيه غير سهمين : سهم الرسول وسهم القربى نحن شركاء الناس فيما بقى .

وفى تفسير العياشى : عن داود بن فرقد عن أبى عبد الله عليه السلام قال : لا تقولوا لكل آية هذه رجل وهذه رجل إن من القرآن حلالا ومنه حراماً وفيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم فهكذا هـو كان رسول الله صلى الله عليه وآلـه مفوض فيه إن شاء فعل الشيء وإن شاء تذكـر حتى اذا فرضت فرائضه وخمست أخماسه حق على الناس أن يأخذوا به لان الله قال : « ما آتاكم

الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.

وفي الكافي: باسناده عن أبي اسحق النحوي قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فسمعته يقول: ان الله عزوجل أدب نبيه على محبته فقال: «وانك لعلى خلق عظيم».

ثم فوض إليه فقال عز وجل: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» وقال عز وجل: «من يطع الرسول فقد أطاع الله»، ثم قال: وان نبي الله فوض إلى علي عليه السلام وأئتمنه فسلمتم وجحد الناس فوالله لنحبكم أن تقولوا اذا قلنا وتصمتوا اذا صمتنا ونحن فيما بينكم وبين الله عزوجل ما جعل الله لاحد خيراً في خلاف امرنا.

أقول: رواه الحلي في العدة عن عاصم.

وان أبا اسحق النحوي هو ثعلبة بن ميمون الاسدي الكوفي كان وجهاً من أصحابنا قارياً فقيهاً نحوياً لغوياً راوياً وكان حسن العمل كثير العبادة والزهد روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن موسى عليهما السلام.

وفي الكافي: باسناده عن زراة قال: سمعت أبا جعفر وأباعبدالله عليهما السلام يقولان: ان الله عز وجل فوض إلى نبيه صلى الله عليه وآله امر خلقه لينظر كيف طاعتهم ثم تلا هذه الاية «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا».

أقول: رواه الصفار في بصائر الدرجات عن ابن عبد الجبار، والمراد من تفويضه تعالى أمر خلقه كما يظهر من الروايات الاتية إمضاؤه تعالى ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وآله لهم وافتراض طاعته في ذلك وولايته أمر الناس واما التفويض بمعنى سلبه تعالى ذلك عن نفسه وتقليده صلى الله عليه وآله لذلك فمستحيل.

وفيه: باسناده عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس المعاصر: ان الله عزوجل أدب نبيه فاحسن أدبه فلما أكمل له الادب قال: «وانك لعلى خلق عظيم» ثم فوض إليه أمر الدين والامة ليسوس عباده فقال

عزوجل: «ما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا» وان رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس لايزل ولا يخطىء في شيء مما يسوس به الخلق فتأدّب باداب الله. الحديث.

أقول: قوله عليه السلام: «ليسوس عباده» أي ليدبرهم ويتولى أمرهم.

وفي معاني الاخبار: باسناده عن‌علي بن يقطين عن‌موسى بن جعفر عليه السلام قال: والله أوتينا ما اوتي سليمان وما لم يؤت سليمان وما لم يؤت أحد من العالمين، قال الله عزوجل في قصّة سليمان: «هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب» وقال في قصّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «ما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا».

أقول: أي كما ان الله تعالى فوض إلى سليمان العطاء من المال والمنع منه وأمر الخلق بتسليم ذلك له أعطى النبي الكريم صلى‌الله عليه وآله أفضل من ذلك اذ قال: «ما آتاكم الرسول - من المال والعلم والحكم والامر - فخذوا - به وارضوا - وما نهاكم عنه - من جميع ذلك - فانتهوا» فهذا أعظم من ذاك، وقد صرّح بذلك في كثير من الاخبار.

وفي كنز الفوائد: باسناده عن‌سليم بن‌قيس الهلالي عن‌أمير‌المؤمنين عليه السلام انه‌قال: قوله عزوجل: «وما آتاكم الرسول‌فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فاتقوا الله» وظلم آل محمد «فان الله شديد العقاب» لمن ظلمهم.

وفي الجامع لاحكام القرآن: وروى ان عمر بن الخطاب خطب بالجابية - بلدة بدمشق - فقال: من أراد ان يسئل عن القرآن فليأت ابيّ بن كعب، ومن اراد ان يسئل عن الفرائض، فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد ان يسئل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن اراد ان يسئل عن المال فليأتني.

أقول: ولعمري من كان له انصاف فهو يبكي اذ يرى كيف ارجع عمر بن الخطاب السؤال عن القرآن إلى من لاشأن له في العلم والعمل وهناك ترجمان الوحي والراسخ في العلم علي بن ابيطالب عليه السلام وابن الخطاب يقول بكرّات:

لولا علي لهلك عمر وليس هذا الا ظلماً على آل محمد صلى الله عليه وآله .

وفي بصائر الدرجات : باسناده عن محمد بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى أدب نبيه صلى الله عليه وآله على أدبه ، فلما انتهى به إلى ما أراد قال له : « وانك لعلى خلق عظيم » ففوّض إليه دينه ، فقال : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وان الله عز وجل فرض في القرآن ولم يقسّم للجد شيئاً وان رسول الله صلى الله عليه وآله أطعمه السدس ، فاجاز الله جل ذكره له ذلك وان الله حرّم الخمر بعينها ، وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله كل مسكر فأجاز الله له وذلك قول الله عز وجل : « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » .

أقول: رواه الكليني قدس سره في الكافي عن اسحق بن عمار .

وفي الكافي : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : وضع رسول الله صلى الله عليه وآله دية العين ودية النفس وحرّم النبيذ وكل مسكر ، فقال له رجل : وضع رسول الله صلى الله عليه وآله من غير أن يكون جاء فيه شيء؟ قال : نعم ليعلم من يطيع الرسول ممن يعصيه .

وفيه : باسناده عن محمد بن الحسن الميثمي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : ان الله عزّ وجل أدب رسوله صلى الله عليه وآله حتى قومه على ما أراد ثم فوض إليه ، فقال عزّ ذكره : « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » فما فوض الله إلى رسوله فقد فوضه إلينا .

وفي عيون الاخبار : باسناده عن ياسر الخادم قال : قلت للرضا عليه السلام : ما تقول في التفويض؟ فقال : ان الله تبارك وتعالى فوض إلى نبيه صلى الله عليه وآله أمر دينه ، فقال « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » فأمّا الخلق والرزق فلا .

ثم قال عليه السلام : ان الله عز وجل خالق كل شيء وهو يقول عز وجل : « الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون » .

وفى نهج البلاغة: قال الامام على عليه السلام فى شأن الحكمين وذم أهل الشام: « جفاة طغام، عبيد أقزام جمعوا من كل أوب، وتلقّطوا من كل شوب ممن ينبغى أن يفقّه ويؤدب، ويعلّم ويدرب، ويولى عليه، ويؤخذ على يديه، ليسوا من المهاجرين والانصار، ولا من الذين تبوؤا الدار والايمان، ألا وان القوم اختاروا لانفسهم أقرب القوم مما يحبّون وانكم اخترتم لانفسكم أقرب القوم مما تكرهون ».

وفى الكافى: باسناده عن أبى عبدالله عليه السلام فى حديث ـ قال: الايمان بعضه من بعض وهو دار وكذلك الاسلام دار والكفر دار.

وفى المحاسن: باسناده عن أبى عبيدة عن أبى جعفر عليه السلام فى حديث ـ قال: يا زياد ويحك وهل الدين إلا الحب؟ الا ترى إلى قول الله: « إن كنتم تحبّون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم »؟.

أولا ترى قول الله لمحمد صلى الله عليه وآله: « حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم »؟ وقال: « يحبّون من هاجر إليهم » وقال: الدين هو الحب والحب هو الدين.

وفى الكافى: باسناده عن جميل عن أبى عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن مما خص الله عزوجل به المؤمن أن يعرّفه بر إخوانه وإن قل وليس البر بالكثرة وذلك ان الله عزوجل يقول فى كتابه: « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (ثم قال:) ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ».

ومن عرّفه الله عز وجل بذلك أحبّه الله ومن أحبّه الله تبارك وتعالى وفّاه أجره يوم القيامة بغير حساب ثم قال: يا جميل ارو هذا الحديث لاخوانك، فانه ترغيب فى البر.

وفيه: باسناده عن سماعة قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن الرجل ليس عنده الا قوت يومه أيعطف من عنده قوت يومه على من ليس عنده شىء ويعطف من عنده قوت شهر على من دونه والسنة على نحو ذلك أم ذلك كله الكفاف الذى لايلام عليه؟ فقال: هو أمر أن أفضلكم فيه أحرصكم على الرغبة والاثرة على

نفسه ، فان الله عزوجل يقول : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » والامر الاخر لا يلام على الكفاف واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول.

وفيه : باسناده عن أبي بصير عن أحدهما عليه السلام قال : قلت له : أي الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقل أما سمعت قول الله عزوجل : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ترى ههنا فضلا .

وفي الخصال : باسناده عن جميل بن دراج قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : خياركم سمحائكم وشراركم بخلائكم ، ومن صالح الاعمال البر بالاخوان والسعي في حوائجهم ، وفي ذلك مرغمة الشيطان ، وتزحزح عن النيران ، ودخول الجنان يا جميل أخبر بهذا الحديث غرر أصحابك قال : قلت : جعلت فداك من غرر أصحابي ؟ قال : هم البارون بالاخوان في العسر واليسر ثم قال : يا جميل ان صاحب الكثير يهون عليه ، وقد مدح الله عزوجل صاحب القليل ، فقال : « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » .

وفي تفسير ابن كثير : عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : اياكم والظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح ، فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم .

وفيه : عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفحش فان الله لايحب الفحش واياكم والشح ، فانه اهلك من كان قبلكم امرهم بالظلم ، فظلموا وأمرهم بالفجور ففجروا وامرهم بالقطيعة فقطعوا .

وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لايجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد ابداً ، ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابداً .

وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : شرّ ما في الرجل شحّ هائل وجبن خالع .

الهلع : الجزع الشديد فالشحيح يجزع جزعاً شديداً ويحزن على شيء

يفوته او يخرج من يده والخالع : الذى خلع فؤاده لشدّة خوفه وفزعه .

وفى الدر المنثور : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : برىء من الشّح من ادّى الزكاة وقرى الضيف وادّى فى النائبة .

وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : صلاح اول هذه الامة بالزهد والتقوى وهلاك آخرها بالبخل والفجور .

وفى كنز العمال : (ج٣ ص٣١٠) روى البيهقى فى شعب الايمان باسناده عن غزوان بن ابى حاتم : « قال : بينا ابو ذر عند باب عثمان لم يؤذن له اذ مر به رجل من قريش ، فقال : يا اباذر ما يجلسك ههنا ؟ فقال : يأبى هؤلاء ان يأذنوا لى ، فدخل الرجل ، فقال : يا امير المؤمنين ما بال ابىذر على الباب لايؤذن له ، فامر فاذن له فجاء حتى جلس ناحية القوم . .

فقال عثمان لكعب : يا ابا اسحق ارايت المال اذا ادّى زكاته هل يخشى على صاحبه فيه تبعة ؟ قال : لا ، فقام ابوذر ومعه عصا ، فضرب بها بين اذنى كعب ثم قال : يا ابن اليهودية انت تزعم انه ليس حق فى ماله إذا ادّى الزكاة .

والله تعالى يقول : « ويؤثرون على انفسهم ولوكان بهم خصاصة » الخبر . .

وفى تفسير سراج المنير : قال كسرى لاصحابه : اىشىء اضرّ بابن آدم قالوا : الفقر فقال : الشح اضر من الفقر، لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لم يشبع ابداً .

وفى العلل : باسناده عن ابى بصير قال : قلت لابى جعفر عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعوذ من البخل ؟ فقال : نعم يا أبا محمد فى كل صباح ومساء ونحن نتعوذ بالله من البخل لقول الله : « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » .

وفى المجمع : وفى الحديث : لايجتمع الشح والايمان فى قلب رجل مسلم ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف رجل مسلم .

وفى الفقيه : روى الفضل بن ابى قرة السمندى انه قال : قال لى ابو عبد

الله عليه السلام: اتدرى من الشحيح؟ قلت: هو البخيل فقال الشح اشد من البخل ان البخيل يبخل بما في يده والشحيح يشح بما في ايدى الناس وعلى ما في يده حتى لايرى في ايدى الناس شيئاً الا تمنى ان يكون له بالحل والحرام ولا يقنع بما رزقه الله عزوجل.

وفي تفسير القمي: باسناده عن الفضل بن أبي قرة قال: رأيت أبا عبدالله عليه السلام يطوف من اول الليل إلى الصباح وهو يقول: اللهم قني شح نفسي، فقلت: جعلت فداك ما سمعتك تدعو بغير هذا الدعاء؟ قال: وأي شيء أشد من النفس ان الله يقول: «ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون».

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما محق الاسلام محق الشح شيء ثم قال: ان لهذا الشح دبيباً كدبيب النمل وشعباً كشعب الشرك.

وفي مجالس الشيخ: قدس سره في خطبة خطبها الحسن بن علي عليه السلام عند صلح معاوية - إلى أن قال -: «فأبي كان اولهم اسلاماً وايماناً واولهم إلى الله ورسوله هجرة ولحوقاً وأولهم على وجده ووسعه نفقة قال سبحانه «والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم».

فالناس من جميع الامم يستغفرون له لسبقه اياهم إلى الايمان بنبيه صلى الله عليه وآله وذلك انه لم يسبقه به أحد وقد قال الله تعالى: «والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم» فهو سابق جميع السابقين، فكما ان الله عزوجل فضل السابقين على المتخلفين فضل سابق السابقين على السابقين. الخطبة.

وفي شواهد التنزيل: باسناده عن سلمة بن الاكوع قال: بينما النبي صلى الله عليه وآله بيقيع الفرقد وعلي معه فحضرت الصلاة، فمر به جعفر فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا جعفر صل جناح أخيك فصلى النبي بعلي وجعفر فلما انفتل من صلاته قال: يا جعفر هذا جبرئيل يخبرني عن رب العالمين انه صير لك

جناحين اخضرين مفضضين بالزبرجد والياقوت تغدو وتروح حيث تشاء .

قال علي : فقلت : يا رسول الله هذا لجعفر فمالي ؟ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ياعلي أو ما علمت ان الله عزوجل خلق خلقاً من امتي يستغفرون لك إلى يوم القيامة ؟ قال علي : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : قول الله عزوجل في كتابه المنزل عليّ : « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم » فهل سبقك إلى الايمان أحد يا علي ؟ .

وفيه : باسناده عن ابن عباس قال : فرض الله الاستغفار لعلي في القرآن على كل مسلم قال : وهو قوله : « يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان » وهو السابق .

وفيه : باسناده عن عبد الله بن عباس قال : كنت مع علي بن أبي طالب فمر بقوم يدعون ، فقال : ادعوا لي فانه أمرتم بالدعاء لي قال الله عزوجل : « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان » وأنا أول المؤمنين ايماناً .

وفي الدر المنثور : عن عبيد بن رفاعة الدارمي يبلغ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : كان راهب في بني إسرائيل ، فأخذ الشيطان جارية فخنقها فالقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب ، فاتي بها الراهب فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده .

فأتاه الشيطان فوسوس له وزيّن له ، فلم يزل به حتى وقع عليها ، فلما حملت وسوس له الشيطان ، فقال : الان تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها ، فان أتوك فقل: ماتت فقتلها ودفنها فاتي الشيطان أهلها فوسوس إليهم والقى في قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها فاتاه أهلها فسئلوه فقال : ماتت فاخذوه .

فأتاه الشيطان فقال : أنا الذي القيت في قلوب أهلها ، وأنا الذي أوقعتك في هذافاطعني تنج واسجدلي سجدتين فسجدله سجدتين ، فهوالذي قال الله : « كمثل

الشيطان إذ قال للانسان اكفر» الاية .

وفى الكافي : باسناده عن أبى جميلة عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تصدقوا ولو بصاع من تمر ولو ببعض صاع ، ولو بقبضة ، ولو ببعض قبضة ، ولو بتمرة ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة فان احد كم لاقى الله ، فيقال له : الم افعل بك ؟ الم افعل بك ؟ الم اجعلك سميعاً بصيراً ؟ الم اجعل لك مالا و ولداً ! فيقول : بلى ، فيقول الله تبارك وتعالى : فانظر ما قدمت لنفسك قال : فينظر قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يجد شيئاً يقى به وجهه من النار .

وفى عيون الاخبار : عن الامام على بن موسى الرضا عليه السلام في حديث قال : وانما يجازى من نسيه ونسى لقاء يومه بان ينسيهم انفسهم كما قال الله تعالى : «ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون» .

وقال عزوجل : «فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا» اى نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا .

وفيه : باسناده عن الامام على بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السلام عن على عليه السلام قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله تلا هذه الاية : «لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون» فقال صلى الله عليه وآله اصحاب الجنة من اطاعني وسلّم لعلى بن ابيطالب بعدى واقر بولايته واصحاب النار من سخط الولاية ، ونقض العهد وقاتله بعدى .

أقول : رواه الكراجكى فى كنز الفوائد والمجلسى فى البحار والبحرانى فى البرهان والحويزى فى نور الثقلين وغيرهم من محدثى الشيعة الامامية الاثنى عشرية وفى معناه عن طريق العامة .

وفى الكنز : أنكر الولاية بدل (سخط الولاية) .

وفيه: عن مجروح بن زيد الذهلي وكان في وفد قومه إلى النبي صلى الله عليه وآله فتلاهذه الاية: « لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون » قال: فقلنا: يا رسول الله من أصحاب الجنة ؟ قال: من أطاعني وسلّم لهذا من بعدي قال: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بكف على عليه السلام وهو يومئذ إلى جنبه فرفعها وقال: الا إن عليا مني وأنا منه، فمن حادّه فقد حادني ومن حادني فقد أسخط الله عزوجل ثم قال: ياعلى حربك حربي وسلمك سلمي، وأنت العلم بيني وبين امتّي.

أقول: وفي نور الثقلين (مجدوح بن زيد الذهلي) وفي البرهان (مخدوج بن زيد الدهلي) بدل (مجروح).

وفي البرهان: بالاسناد عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله انها قالت اقرأني رسول الله صلى الله عليه وآله: « لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون » فقلت: يا رسول الله من أصحاب النار ؟ قال: مبغض على وذريته ومنقصوهم، فقلت: يا رسول الله فمن الفائزون منهم ؟ قال: شيعة على عليه السلام.

وفي المجمع: في قوله تعالى: « عالم الغيب والشهادة » عن أبي جعفر عليه السلام قال: الغيب ما لم يكن والشهادة ما قد كان.

أقول: ومن المحتمل أن يكون هذا تفسيراً ببعض المصاديق وقد سبق البحث تفصيلا في معنى اسم الجلالة والاسمين: الرحمن الرحيم في تفسير سورة الفاتحة فراجع.

وفي التوحيد: باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: « لم يزل حياً بلا حياة، وملكاً قادراً قبل أن ينشيء شيئاً، وملكاً جباراً بعد انشائه للكون ».

أقول: قوله عليه السلام: « لم يزل حياً بلا حياة » أي بلا حياة زائدة على الذات وقوله عليه السلام: « لم يزل ملكاً قادراً قبل أن ينشيء شيئاً » إرجاع للملك وهو من صفات الفعل إلى القدرة وهي من صفات الذات ليستقيم تحققه قبل الايجاد.

وفى تفسير القمى: فى قوله تعالى: « القدوس » قال: هو البرىء من شوائب الافات الموجبات للجهل و « السلام المؤمن » قال: يؤمن اوليائه من العذاب و « المهيمن » أى الشاهد.

وفى الكافى: باسناده عن ابن القداح عن أبى عبدالله عليه السلام فى حديث قال: كان على عليه السلام يقول: لا تغضبوا ولا تغضبوا افشوا السلام واطيبوا الكلام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام ثم تلا عليهم قول الله عزوجل: « السلام المؤمن المهيمن ».

وفيه: باسناده عن هشام بن الحكم قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن سبحان الله فقال: « أنفة الله » أى تنزيه الله.

وفيه: باسناده عن هشام الجواليقى قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله « سبحان الله » ما يعنى به؟ قال: تنزيه.

وفى التوحيد: باسناده عن يزيد بن الاصم قال: سئل رجل عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين ما تفسير سبحان الله؟ ان فى هذا الحائط رجلا اذا كان سئل أنبأ واذا سكت ابتدء، فدخل الرجل واذا هو على بن أبيطالب عليه السلام فقال: يا أبا الحسن ما تفسير سبحان الله؟ قال: هو تعظيم جلال الله عزوجل وتنزيهه عما قال فيه كل مشرك، فاذا قالها العبد صلى عليه كل ملك.

وفيه: عن الامام على بن موسى الرضا عليه السلام فى حديث قال: الخالق لا بمعنى حركة وخالق اذ لا مخلوق.

وفى نهج البلاغة: قال الامام على عليه السلام: « والخالق لا بمعنى حركة ونصب ».

وفى الكافى: باسناده عن الفتح بن يزيد الجرجانى عن أبى الحسن عليه السلام فى حديث قال: « والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شىء ».

﴿ بحث فقهي ﴾

قال بعض الفقهاء : ان ّ في قوله تعالى : « ذلك بأنّهم شاقوا الله ورسوله . . . » الاية دليلا على ان تخصيص العلة المنصوصة لايقدح في صحتها ، فليس أينما حصلت هذه المشاقة حصل التخريب . انتهى كلامه .

الفيء : هو المال الذي أعاده الله تعالى وأرجعه وأعطاه النبي الكريم صلى الله عليه وآله من الكفار من غيرجري في تحصيله إلى اتعاب القتال وان المشهور بين الفقهاء الشيعية الامامية الاثنى عشرية :

ان الفيء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعده للقائم مقامه من أئمة أهل البيت عليهم السلام وفي زمن الغيبة للعلماء الجامعين للشرائط وكان الرسول صلى الله عليه وآله يفعل ما يشاء كما هوظاهر الاية الاولى : « وما أفاء الله على رسوله منهم ... » الاية.

وأمّا الاية الثانية : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى . . . » الاية فتدل على أن الفيء يقسّم كالخمس .

ويقسّم الخمس ستة أسهم على الاصح : سهم لله تعالى وسهم للرسول صلى الله عليه وآله وسهم للامام عليه السلام وهذه الثلاثة الان لصاحب الزمان أرواحنا له الفداء ، وثلاثة اخرى للايتام والمساكين وابن السبيل .

ويشترط في الثلاثة الاخيرة الايمان وفي الايتام الفقر وفي أبناء السبيل الحاجة في بلدة التسليم وإن كان غنياً في بلده والاحوط أن لايكون سفره معصية ولايعطى أكثرمن قدرما يوصله إلى بلده ولا يعتبر في المستحقين العدالة والاولى أن لايعطى مرتكبي الكبائر .

وأمّا الفقراء الذين يذكرون في الاية التالية فيعطيهم الرسول صلى الله

عليه وآله ومن قام مقامه على ما يشاء من سهم الله تعالى .

وقال بعض الفقهاء : ان الفيء يسدّس لظاهر الاية ، فالفقراء خارجون منه ويصرف سهم الله تعالى إلى عمارة الكعبة والمساجد ويصرف ما بقي ـ وهي خمسة أسداس الستة ـ في المصارف الخمسة التي يصرف فيها خمس الغنيمة .

وقال بعضهم : الفيء يخمّس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ، فيصرف كل خمس إلى مصارف خمس الغنيمة ويصرف الامام سهم الرسول صلى الله عليه وآله بعده إذا كان الامام حاضراً ويصرفه العلماء الجامعون للشرائط اذا كان الامام غائباً .

وقال بعضهم : يسبّع لدخول الفقراء في الاسهام لظاهر الاية .

وقال بعضهم : ان الفرق بين الفيء والغنيمة والنفل : ان الغنيمة ما نيل من أهل الشرك عنوة والحرب قائمة وحكمها أن تخمس وسائرها بعد الخمس للغانمين خاصة والفيء مانيل منهم بعد ما تضع الحرب أوزارها وتصير الدار دار السلام وحكمه ان يكون لكافة المسلمين ولا يخمس والنفل ما ينفله الغازي اى يعطاه زائداً على سهمه ولا يخمس .

أقول : ولم اجد له دليلا على ذلك .

واستدل بعض فقهاء العامة بقوله تعالى: « ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله » الحشر : ٥) على جواز الاجتهاد ولو بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وعلى ان كل مجتهد مصيب .

قال ابن العربي : وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وآله كان معهم ولا اجتهاد مع حضور رسول الله صلى الله عليه وآله وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وآله فيما لم ينزل عليه أخذاً بعموم الاذاية للكفار ودخولا في الاذن للكل بما يقضي عليهم بالاحتياج والبوار وذلك قوله تعالى : « وليخزي الفاسقين» .

واحتج بعضهم بالاية الكريمة على جواز هدم حصون الكفار وقلع أشجارهم.

أقول : لا تدل الاية على جواز ذلك ولا يجوز ذاك أيضاً ما دام الكفار في

ذمة الاسلام.

واستدل بعضهم بقوله تعالى: «والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان...» الاية على وجوب محبة الصحابة لانه جعل لمن بعدهم حظّاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ومن أبغضهم أو أبغض واحداً منهم او اعتقد فيهم شراً فلا حق له في الفيء.

أقول: حقاً ان الاية الكريمة لاتدل على ذلك اطلاقاً لقيد الاخوة الدينية والايمان ومن غير مراء انه كان في الصحابة منافقون خارجون عن دائرة الايمان حقيقة، فما كان بينهم اخوة دينية إذ كان المنافقون إخواناً للكافرين لقوله تعالى «ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب» الحشر: ١١).

واستدل بعض الفقهاء بقوله تعالى: «لايستوى أصحاب النار واصحاب الجنة» على انّ المسلم لا يقتل بالذمّي، ولا يملك الكافر مال المسلم بالقهر وإلّا استويا.



﴿ بحث مذهبي ﴾

ذهب بعض العامة مستدلا بقوله تعالى: « فاعتبروا يا اولى الابصار » على صحة القياس في الشريعة الاسلامية.

أقول: حقاً ان الاية الكريمة لاتدل عليها، فان الاعتبار لا يكون من القياس في شيء امعنى الاعتبار - وهو: النظر في الامور ليعرف بها شيء آخر من جنسها، والمراد في المقام هو الاستدلال بذلك على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان وعد المؤمنين: ان الله تعالى سيورثهم ديار الكافرين وأموالهم بغير قتال، فجاء الخبر على ما أخبر به، فكانت الاية دالة على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم - مع انه لا سبيل لاهل القياس إلى العلم بالترجيح، ولا يعلم كل من الفريقين علة الاصل للاخر.

حيث ان علة الربا عند أحدهما: الكيل والوزن والجنس وعند الاخر: الطعم والجنس، وفي الدراهم والدنانير لانهما جنس الاثمان، وقال آخرون: أشياء آخر وليس هذا باعتبار إذ لا سبيل إلى المعرفة به.

وان التدبر في القياس وذمّه يقف العاقل عن الاشراب به.

وقد اختلف العلماء قديماً وحديثاً في مشرّعية النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فيما سوى القرآن الكريم:

فمنهم من ذهب اليها مستدلا عليها بقوله تعالى: « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » الحشر: ٧).

بأنّ أمره صلى الله عليه وآله وسلم هو أمر الله تعالى ونهيه صلى الله عليه وآله وسلم هو نهي الله جل وعلا إذ تضمّن الاية الكريمة باطلاقها تشريعاً حاسماً عام الشمول بوجوب اتباع أوامر

الرسول ﷺ ونواهيه وسننه القولية والفعلية مما ورد في شئون وأحكام قرآنية ، وتوضيح ما فيه غموض ، وإتمام ما يحتاج إلى اتمام ، وبيان أمر الولاية بعده صلى الله عليه وآله وتقرير ما سكت القرآن الكريم عن جزئياته وأشكاله وفروعه مثل عدد ركعات الصلوات وكيفياتها وأركانها ونصاب الزكاة على أنواع الأموال ، وبقية أنصبة الارث التي تبقى في حالة وراثة النساء لابائهن * وإخوانهن وطقوس الحج وغيرها من فروع الاحكام . . .

ويؤيد ذلك قوله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » النساء : ٨٠) .



النهى عن الدولة بين الاغنياء

وحل مشكلة المالكية الفردية

قال الله تعالى : « كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم » الحشر : ٧) .

ان الله جل وعلا منع من تضخم الاموال والثراء في يد فئة قليلة من الناس وتداولها بينهم مع كون الاكثر فى حالة من الشظف والحرمان ، وحرّم الربا الذى هو العامل الاول والاساسى لتضخم رؤس الاموال ، ونهى عن الاحتكار وكنز المال ولكن هذا لا يدل على حرمة تكثير الاموال بالتجارات والزراعات والمعاملات المباحة مع اداء الحقوق المالية من الخمس والزكاة والصدقات .

وزعم بعض من لا شأن له في تفسير القرآن : ان الاية الكريمة بصدد توزيع الاموال ، ولو كسبت من طريق التجارات والزراعات والمعاملات بين الناس .

فخلط بين توزيع الفيء على مستحقيه وبين الاموال التى توخذ من الثراة من طريق الخمس والزكاة والصدقة التى توزع بين مستحقيها وبين الاموال التى يكتسبها الثراة من طريق الحلال وزعم ان تحريم الربا والغش والاستغلال والضرر والضرار ، وان النهى عن الاحتكار وما إليها يقرّ الاشتراكية ، وان النهى عن الدولة بين الاغنياء يدل على إلغاء المالكيّة الفردية .

وقد صرح القرآن الكريم بموارد عديدة واعترف بالملكيّة الفردية ويقدر الجهد الفردى الذى بذل فى تحصيلها من وجوه الحلال التى يشرعها ولا يهون من شأن الجهد الفردى او يلغيه ويفرض لكل انسان منهجاً معيناً للتصرف فى الملكية الفردية كما يفرض له منهجاً لتحصيلها وتنميتها وهو منهج متوازن متعادل

فلا يحرم الفرد ثمرة جهده ، ولا يطلق يده فى الاستمتاع به حتى الترف ، ولا فى امساكه حتى التقتير .

ويفرض للجماعة حقوقها فى هذا المال ، ورقابتها على طرق تحصيله ، وطرق تنميته ، وطرق انفاقه والاستمتاع به ، وهو منهج خاص واضح الملامح متميز السمات . . .

كيف لا والقرآن الكريم يقول: « قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى » ص : ٣٥) .

ويقول : « وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوا بالعصبة اولى القوة - ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » القصص : ٧٦ - ٨٢) .

ويقول : « ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه . . . » الاية ص : ٢٣- ٢٤) ويقول : « والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم » البقرة : ٢٤٧) .

ويقول : « له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شىء عليم - ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزّل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير » الشورى : ١٢ - ٢٧) ويقول : « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » النحل : ٧١) .

ويقول : « أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » الزخرف : ٣٢) .

فانظر كيف يعترف بالملكية الفردية ، ويحث على السعى والجهد فى تحصيلها من طريق وجوه الحلال والاستمتاع بها وإنفاق بعضها فى سبيل الله تعالى..

قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله - يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض » البقرة : ١٧٢ - ٢٦٧) .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم ولاتعتدوا

ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً » المائدة : ٨٧ ـ ٨٨) .

فالغاء المالكية الفردية الغاء حكم مجوز مشروع في الاسلام كالغاء حكم الصلاة والحج والصوم . . . وحكم ملغيها كحكم ملغيها .

فأقام الاسلام نظامه الاقتصادى مع إباحة الملكية الفردية ولكن لا على طريق الربا والاحتكار والاستغلال ، وما اليها بل بنظام خاص من لدن حكيم خبير ، نشأ وحده ، وسار وحده ، وبقي وحده نظاماً فريداً متوازن الجوانب متعادل الحقوق والواجبات متناسقاً تناسق الكون كله .

ففرض الزكاة والخمس في الاموال والكنوز توتى مستحقيها ، وحرّم الربا والاحتكار وهما الوسيلتان الرئيستان لجعل المال دولة بين الاغنياء ، وأباح المزارعة والمساقاة والمضاربة ، فنظام الملكية الفردية نظام رأسمالى حقيقى لا الرأسمالى الصورى لامتصاص الدماء وهضم الحقوق والاموال والاستغلال والاستثمار .

وحقاً ان الملكية الفردية نزعة فطرية ـ خلافاً للشيوعيين إذ ظنوا انه لا ملك خاص لاحد وان كل شيء ملك للجميع ويشترك فيه الجميع وان الملكية الفردية وجدت بعد اكتشاف الزراعة واختراع وسائل الانتاج وظهور الحروب بين الناس ـ وإن اختلف أصحاب الدين في تحديد ما هو فطرى وما هو مكتسب في سلوك الانسان ومشاعره وأفكاره ، وفي ان الانسان هل يولد على هذه الفطرة أم تحصل هذه الغريزة بعد الولادة بقليل ؟

بان الطفل اذا تشبث بلعبه بختصه بنفسه ويدفع الغير عنه .

ومما لامراء فيه ان الطفل على غريزته يختص الشيء المتشبث بنفسه حتى قد ترى هذه الغريزة من بعض الحيوان في مداره الضيق ، فانظر إلى الديك والكلب كيف يدفعان الاجنبى عما يختصّان بانفسهما .

وإن كان الشيوعيّون غير خارجين عن هذه الغريزة .

ولعمرى انهم غير معتقدين بما يقولون ، وغرضهم الاصيل استملاك أموال الثراة واستعباد الناس لانفسهم ، وهضمهم ما ملكه هؤلاء الثراة خصوصاً ، والناس

عموماً بكد أيديهم . . .

وانهم ليسوا بصدد اغناء الفقراء ولا بصدد التعديل بين الناس ، بل هم يأخذون الثراء والاراضي والمعادن والمراتع وما اليها ثم يقولون : انها ملّي ولكن ليس لاحد أن يقول : أين نتاجها ؟ ومتى حصيلتها ؟؟؟ .

وهم لاغفال الناس يوسوسونهم بمثل : لو كان لعشرة صبيان ملعبة واحدة أو اقل من العشرة لوجد بينهم نزاع ، وأمّا لو كان لكل واحد منهم ملعبة واحدة ، فيتبدّل النزاع بالمحاباة والمؤاخاة والمواساة للمساواة .

فيقال لهم: هل الملاعب العشرة من اكتساب الجميع ؟ أو لا اكتساب لهم بها أصلا ؟ او كسبها أحدهم ؟ او كسبها بعضهم دون بعض ؟ فعلى الاولين لانزاع لهم فيها ، وانما النزاع في الاخيرين وهذا يدل على ان الملكية الفردية نزعة فطرية .

وهم يوسوسون في صدور الناس وخاصّة العمّال الاجراء : ان الملكية الفردية هي منشأ الظلم والاستبداد يظلم بها الملاك والرعاة على الرعايا . . .

ومن البديهي : ان الظلم والاستبداد ناشئان عن سوء اختيار الانسان على مراتب الظلم ودرجات الاستبداد في الاسر والمجتمعات . . .

وأما قوله تعالى : « كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » العلق : ٦ـ٧) فلا فرق فيه بين الامراء والرعايا اذا انحرفوا عن جادة الانسانية واختاروا اعوجاج الطريق بل ضرر الامراء أكثر من ضرر الرعايا . . .



مسالك ثلاثة :

الرأسمالية والشيوعية والاسلام

هناك مسالك ثلاثة :

الرأسمالية : وهى تقوم على أساس ان الفرد كائن مقدس لايجوز للمجتمع أن يحجر على حريّته ومن ثم تباح هناك الملكية الخاصّة بلا حدود وانقلب أساسها أخيراً بتأثير الخوف من الشيوعية .

الشيوعية : وهى تقوم على أساس ان المجتمع هو الاصل والفرد لاكيان له بمفرده ، وهى تضع الملكية فى يد الدولة ممثلة المجتمع وتحرم منها الافراد.

الاسلام : وهو يرى ان الفرد كائن ذو صفتين فى وقت واحد : صفته كفرد مستقل ، وصفته كعضو فى جماعة ، وانه يستجيب أحياناً لهذه الصفة اوتلك بصورة بارزة ولكنه فى النهاية مشتمل عليهما معاً ، ومستجيب لهما معاً ، وهو لاتفصل بين الفرد والجماعة ، ولا تضعهما فى موضع التقابل كمعسكرين متصارعين يحاول أحدهما أن يغتال الاخر ، وما دام كل فرد فى ذات الوقت فرداً مستقلا ، وعضواً فى جماعة .

فكل ما هو مطلوب من التشريع ان يوازن بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية ، ويوازن بين مصالح كل فرد وغيره من الافراد الذين يتكون منهم المجتمع البشرى دون أن يفنى إحدى النزعتين لحساب الاخرى ودون ان يسحق الفرد لحساب المجتمع ، او يفكك المجتمع لحساب فرد او افراد . . .

ومن ثم ان اقتصاديات الاسلام تمثل هذه النظرة المتوازنة التى تقع بين

الراسمالية والشيوعية وتحقق افضل ما في النظامين دون ان تقع في انحرافاتهما ، فالاسلام أمضى الملكية الفردية التي هي من النزعة الفطرية كسائر النزعات الفطرية لان الاسلام هو دين فطرة لا يبدّل الحقائق بل يسيّرها على مسيرها ومدارها الواقعية ولكن وضع لها حدوداً لايجوز التجاوز عنها ، و وضع للمجتمع حقوقاً من الاملاك الفردية تنظمها الحكومة الاسلامية بالقسط والعدل بين أفراد المجتمع ، وما فيه ارتقاء المجتمع مع دستور الاسلام لذلك وان الاسلام لن يلغي الملكية الفردية ، ولايزيلها بشتى الوسائل لانه يرى واقع الحياة ويقدم في إسعاد الناس والاحياء فرادى وجماعة بخلاف المسلكين - الرأسمالية والشيوعية - ترجع الاغراض إلى افراد مخصوصين فحسب ولكن بالمقالات الخديعة الماكرة . . .

وان الفوارق والاختلاف بين الطبقات من الترف من جانب والحرمان من جانب آخرُ في المسلكين تشهد على الخداع .

وأمّا الاسلام فحرّم الترف والقضاء على الحرمان : « واصحاب الشمال ما أصحاب الشمال - انهم كانوا قبلا ذلك مترفين » الواقعة : ٤١ - ٤٥) .

حرم ذلك قبل أربعة عشر قرناً وقال : ان كل فرد مع استقلاله في المجتمع فهو عضو من أعضائه يجب عليه في تقوية المجتمع بقواه الفردى ، ويحرم عليه في تضعيف المجتمع بأى وسيلة والعكس بالعكس .

وان التدبر يلهم القارىء الخبير المنصف ان الرأسمالية هي الشيوعية في الواقع وانما الجوهر واحد ولكن على مدار وسيع ومن وراء ستار لان الرأسمالية هي الطبقة التي قامت مقام طبقة الاشراف القديمة وهي تملك المال والسلطان والقوّة التي تسير بها دفة الحكم .

وعلى الرغم من مظاهر الحرية التي تتمثل في الانتخابات (الديمقراطية) فان الرأسمالية تعرف طريقها إلى البرلمانات ودواوين الحكومات وتنفذ بوسائلها الملتوية ما تريد تنفيذه تحت مختلف العنوانات .

ففي الواقع ليس فرق بين الطبقة التي تملك المال ، تملك السلطان ، تملك

القوى ، وتملك وسائل التشريع بطريقة مباشرة وبين الطبقة التـي كذلك ولكن تملك وسائل التشريع بغير المباشرة فتشرع لحماية نفسها ولابقاء الشعب خاضعاً لسلطانها ارضاء لشهوات الطبقة الحاكمة كل بكلمات بارقة خديعة ماكرة : المواخاة والمساواة والمواساة والتعاون .

وان للاسلام عناية شديدة إلى الفقراء والمستضعفين وشرّع لهم حقوقاً مالية فى اموال الثراة وحقوقاً اجتماعية فى الامة المسلمة . . . ولم يتركهم سدى .

وان الاسلام كان وما يزال ، وسيبقى ثورة لا يخمد أوارها بوجه الاستعمار والمستعمرين وعملاء الاستعمار ، وصرخـة مدويّة لا تهدأ بوجـه الظلم والفساد والاستبداد ، ونصيراً صادقاً للمستضعفين من عباد الله فى أرضه دون تفريق بسبب الجنس أو الرمس أو اللغة أو اللون . .

ولا يفرّق بين أبيض وأسود ، ولا بين عربى وعجمى الا بالتقوى وهذه هى الدعوة الصريحة الواضحة إلى التحرر من ضغائن الفرقة والتمايز المصطنع بين أهل الارض ، جعلت المفاهيم الاسلامية عالية عالمية .

ونحن نرى فى هذه اللحظة على وجه الارض مسلكين متنافرين ظاهراً وهما يرتضعان من لبن واحـد واقعاً ـ كالكافر والمنافق ـ كل منهما يقوم على اتجاه ، وكلاهما من نسل واحد صهيونى ولّدهما للشقاق والفرقة وتضارب الافكار . . وثم الايادى والجوارح . . . ليتسنى له المجال للسيطرة على العالم هما :

الرأسمالية فى الغرب : وهى قائمة على أساس فردية الانسان ، فتوسع له فى حدود فرديته ، وتترك له حرية التصرف فى كثير من الامور ، حتى يصل إلـى حد ايذاء نفسه وايذاء الاخرين . . فلا تخرج على نشاطه الزائد عـن الحد ، ولا تقفه عند حـدّ معقول ، يطلق لنفسه عنان الشهوات والاهواء ، ويحطم الاخـلاق والتقاليد . . ولا يعترف بحق أحد فى توجيهه وضبط تصرفاته ، ويحوّل أموالـه إلى أداة لاستقلال الاخرين وامتصاص جهدهم ودمائهم ، وتحويلها إلى ترف فاجر ومتاع حسّى غليظ ، ويفسد سياسة الحكم وسياسة المجتمع ، ويفسد تصور الناس

للحياة حقيقة .

ومع ذلك فهو يمارس حريته الشخصية وليس لاحد عليه سلطان .

والشيوعية فى الشرق : وهى قائمة على أساس جماعية الانسان ، فتوسع فى دائرة الجماعة أو حقيقة الدولة وتحجز على نشاط الافراد ، اللهم الا نشاطهم الحسّى الغليظ ، فتتركه لهم مباحاً للتنفس عن الطاقة المكبوتة ! فتمنع اشتراك الناس الفعلى فى سياسة الحكم ، وسياسة المجتمع ، وتفرض عليهم النظم والترتيبات ، بحجّة أنها أعرف منهم بمصالحهم ! فتعين لهم أعمالهم وأماكن إقامتهم كما تعين لهم أفكارهم ومشاعرهم ، وطريقة احساسهم بالامر ولا تترك لهم سبيلا للاختيار ، وتحكمهم بالحديد والنار والحبس ، وتعتبر كل نصيحة للدولة أو القائم عليها خيانة تعاقب بالتطهير ، لانها نزعة فردية آثمة موجهة ضد كيان الجماعة المقدس ، من فرد لاقداسة له فى ذاته ولا كيان .

والفلسفات كذلك تخبطت كثيراً فى هذه الامور . . . ولم يستطع كثير منها أن يخلص إلى حقيقة بديعة بسيطة ، يؤيدها الواقع المشهود ان هذه الفلسفات ، تفرض انه اذا كان الانسان فردى النزعة فالمجتمع إذن مفروض عليه من خارج نفسه ، متحكم فيه بغير ارادته ، محطم لشخصيته ، ومن ثمّ فهو مكروه ، وتفتيته وتفكيكه حلال ! أو . .

ان النزعة الجماعية هى الاصل ، فالطفل يولد ضعيفاً لا حول له ولا قوة ولا كيان ، ولولا وجوده فى الجماعة ، ما استطاع أن ينمو وأن يعيش ، وهو فى حاجة دائمة للجماعة لكى يستمر فى وجوده . .

وإذن فالنزعة الفردية رجس ينبغى أن يقاوم ، ينبغى أن تسحق هذه الرغبة وان تزال . . لماذا ؟ ! ان هذه الفلسفات لا تتنبه إلى الطبيعة المزدوجة فى هذا الكائن البشرى التى تبدو متنازعة متناقضة ، حين ينظر إليها من السطح ، ولكنها مع ذلك مترابطة ، وهى تؤدى مهمتها فى حياة الكائن البشرى بتناقضها ذلك وترابطها ، ويخرج لنا فى النهاية مخلوق متعدد الجوانب موحد الكيان ! ان فى

صميم الفطرة هذين الخطين .. كل منهما حقيقة ، وكل منهما أصيل ، والتناقض يحصل فى باطن النفس كما يحدث الاضطراب فى واقع الحياة حتى تزيد النسبة المقررة لكل واحد ، فيخرج عن مساره ويعتدى على مسار الاخر ، ويشدّه إليه .

أما حين يأخذ كل منهما مداره الصحيح ، فلن يحدث التنافر بين الفرد والجماعة أو يحدث الشقاق .

وأما الاسلام : فبمنهجه الاصيل السماوى المستمد من الوحى الالهى ، يوفق بقدر ما فى طاقة البشر بين النزعتين الاصيلتين المتناقضتين فى الظاهر ، ولا يكبت أياً منهما ولا يزيلها من الوجود .

الانسان الذى لاشخصية له فى ذاته ولاوجود ، لاينشىء الا مجتمعاً مستضعفاً خانعاً ، يصلح لان يحكمه ـ فرد مسلّط دكتاتور ! ثم يتهاوى حين يذهب ذلك الدكتاتور ! الانسان الذى تبرز شخصيته ـ بالانحراف ـ إلى حد الانانية المرذولة أو الطغيان ، لايستطيع أن يعيش فى وفاق مع الجماعة .. ولابد وأن يتشتت المجتمع ، ويؤول إلى البوار ! لابد من الانسان المتوازن فى فرديته والمتوازن فى ميله إلى الجماعة ، والمتوازن فى تعاونه معها .

وحينئذ يصبح المجتمع أشخاصاً حقيقيين ، لا أصفاراً ولا نكرات أشخاصاً لهم وجود واقعى متساندين فى الوقت ذلك « صفاً كأنهم بنيان مرصوص» الصف: ٤).

وذلك هو الذى ما يسعى إليه الاسلام ، وهو يصل إلى ذلك بوسائل شتى .. فأما الفردية الشخصية الاستقلالية الكيان الايجابى القوى فينشئه الاسلام ، بربط القلب البشرى بالله سبحانه ! .

ان الانسان ليتصل بربه .. فرداً ! وان الانسان ليستغرق أحياناً فى العياذ بالله تعالى ، ويستغرق فى الحب إلى حد ينسى كل شىء فى الوجود غيره هو وغير الله ! ويخيّل إليه فى لحظة الاستغراق العميقة .

ان الوجود كله قدشف وراق .. ثم خلا من كل شىء ومن كل أحد إلاقلبه الخافق ، والشعاع النورانى الذى يصل قلبه بالله ! ومن ثم ، فهو لايخضع لغير الحق

الذى أنزله الله تعالى .

ولا يرضى بان يخضع ويصبح سلبياً إزاء ما حوله من قيم أو أشخاص أو قوة مادية لانه يحس وجوده الفردى ، ذلك المشحون بتلك القبسة من الله تعالى مكافئاً لهذه القوى جميعها ، بل مستعلياً عليها فى داخل نفسه ولـو هزمت قوته المادية المحددة فترة من الزمن ! هذه الصلة الفردية الشخصية بالله تعالى ، هى التى تمنح الانسان وجوده المستقل ، فلا ينبهم ، ولا يضيع فى القطيع .

وثمة عنصر آخر يربى هـذه الفردية المستقلة ، ويميّز كل شخص بمفرده فى داخل حسّه : انها المسئولية الفردية عن الاعمال : « ولاتزر وازرة وزر اخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء » فاطر : ١٨) .

« لاتجزى نفس عن نفس شيئا » البقرة : ١٨) .

« كل نفس بما كسبت رهينة » المدثر : ٣٨) .

فهى إذن تبعية فردية : كل انسان مسئول عـن عمله ، لايستطيع أن يلقى حمله على غيره ، ولا هـو يتلقى على كتفه أحمال الاخـرين والشعور الدائم بهذه المسئولية الفردية ، يحدد للانسان في داخل نفسه كياناً متميزاً واضح الحدود ، أعصابه صاحية لكل ما يمسه ولو من بعيد ! ذلك غذاء الفردية فى الاسلام ! ولكنه غذاء عجيب جداً ، يؤدى هو ذاته بث الروح الجماعية فى قلب الانسان ! ان الله الذى يتصل به القلب ، ويقبس منه النورانية والشفافية ، هو الذى يليّن قلب الانسان لاخيه ، فيحبّه ، ويمنحه من نفسه ويفنى فيه !

قال الله تعالى : « والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم » الحشر : ٩) .

منتهى الحب ، منتهى البذل ، ومنتهى الايثار ، والقرآن الكريم يغذى هذه الجماعية بتوجيهاته الدائمة إلى التعاون والتشاور والوفاق فى كثير من الايات منها:

قال تعالى : « تعاونوا على البر والتقوى » المائدة : ٢) .

قال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض » التوبة : ٧١) .

قـال : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »

الفتح : ٢٩) .

وهكذا . . بفضل هذا النظام . . وهذا النهج الاسلامى . . تتحد الجماعة فى الهدف ، وتتحد فى العمل . . فتلتقى قلوبها ، وتتعاون ، وترتبط كلها بالله تعالى فى النهاية ، فلايقوم بينها الشقاق والخصام ، وتلتقى النزعة الفردية والنزعة الجماعية كلتاهما فى نظام !

فالاسلام هو المبدأ الصحيح الذى يستطيع أن يحل المشاكل المعقدة الفلسفية المادية والمعنوية ، ويوفق بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ! ولانجاة لاى انسان يريد النجاة الا بالاسلام ، فهلمّوا إليه .



الحريات في نظام
الرأسمالى والشيوعى والاسلامى

ان أهم صور الحرية التي عني بها النظام الرأسمالى ، هى الحرية الاقتصادية فقد ضمن هذا النظام للفرد الحرية التامة فى جميع مجالات الارباح ، والتوسع المالى ، واعتبر الدولة مسئولة عن حماية هذه الحرية للفرد ، وتهيئة جميع الوسائل التى تؤدى إلى زيادة أرباحه وانتاجه .

ان حرية الفرد فى استحصال الثروة هى الحجر الاساسى التى تبنى عليها الرأسمالية ، وقد ذهب إليها علماء الاقتصاد كآدم سميث ، وما لثوس ، وريكار دو ، وأضرابهم ، ويسمى هذا المذهب ، بالمذهب الفردى لانهم يعتبرون الفرد محور الحركة الاقتصادية الذى تدور عليه جميع أوضاعها وأطوارها .

وقد ثبت سابقاً فساد هذا الراى وسخافته واضراره .. فى المجتمع البشرى .

ومن غير خفىّ على القارى الخبير : ان هذه الحرية التى ضمنها النظام الراسمالى للمواطنين . . . قد عادت بالاضرار الهائلة على المجتمع الانسانى ، فقد تكدست ثروات المجتمع عند فئة قليلة من الراسماليين ، اخذت تتحكم فى مصير العالم ، وتزجه فى الحروب المدمرة من اجل زيادة ارباحها . . .

فقد كان لها ضلع كبير فى إثارة الحرب العالمية الاولى والثانية لان بضائعهم اخذت تتزاحم فى الاسواق العالمية ، فلم يجدوا مجالا لتصريفها إلا باشعال نار الحرب فى العالم .

ان الحرية الاقتصادية التى تبناها النظام الراسمالى ، قد ادت إلى إضطهاد

العمال وارهاقهم ، فقد قامت الشركات الراسمالية باحتكار جهودهم ونصب امكانياتهم وعانت الأغلبية الساحقة منهم امرّ الوان البؤس والشقاء ، فقد الـمّ بها المرض والحرمان ، وسدّت في وجوهها جميع نوافذ الحياة . . .

فلم تظفر بالراحة ولا بالدعة ولا بالعيش الرغيد .

الامر الذى أدّى إلى شيوع الاضرابات العامة فى صفوف العمال فى بريطانيا والـولايات المتحدة وباقى الدول الغربيـة . . . مطالبين بزيادة الأجـور وتحسين حالتهم الاقتصادية .

وأما الحرية فى النظام الشيوعى : فصو درت جميع الحريات فـى ظل النظام الشيوعى ، فلم يعد لها اثر فى ظل النظام الرهيب الذى فرض طاعته بقوة الحديد والنار . .

فالشعب الخاضع للحكم الشيوعى لايتمتّع بأى معنى من معانى الحرية . . قد تسلطت عليه زمرة حاقدة تحصى عليه أنفاسه ، وتحاسبه على كل همسة تتنافى مع التعاليم الشيوعية ، وحسابها القتل والاعتقال والسجون . . .

ان الحريات التى يتغنى بها كل شعب . . من حرية الاديان ، حرية النقد ، حرية الصحافة ، حرية الاجتماع ، وحرية النقل والانتقال . .

لا وجود لها فى ظل هذا النظام الاسود الذى كفر بجميع القيم والكرامات . . وسحق الحريات والمقدسات والانسانية ، وان الاستعباد يسير مـع الحكم الشيوعى جنباً إلـى جنب ، وقد برهنت أعمالهم على وجود نقص مركب وعقدة نفسية . . مصدرها فساد القاعدة التى يستندون إليها ، فالتجأوا إلى الارهاب والعنف والتهديد فى جميع شؤونهم . . .

الثورة الماركسية : تعتبر ان كل أرث فكرى أو اعتقادى أو وجدانى أو قومى لا ينصهر فى بوتقة الدعوة الاشتراكية الجديدة . . يجب تحطيمه أو تطويقه فى خدمة الدعوة الاشتراكية ـ قومية محليّة ـ أو فى عالمية الدعوة الاشتراكية .

فاذا انقاد الدين وأهله فى موكب الدعوة والنظم والايديولوجيات

الاشتراكية كان ذلك خيراً ، وأبقى لاصحاب الدعوة الاشتراكية .

وأمّا إذا رفض الدين وأهله للحكم والبيعة الاشتراكية الثورية فسلطوا عليه كل أنواع التعسف والقهر .

وقد تنكر الشيوعيون لجميع الاديان واعتقدوا انها خرافة ، فقد جاء في المادة الرابعة والعشرين من دستور (استالين) على منع الحرية الدينية منعاً باتاً من البلاد ونصّت القوانين الموضوعة عام ١٩٣٩ م على ما يلي :

١ - ضرورة تسجيل الجمعيات والمنظمات الدينية .

٢ - منع الهيئات الدينية من تشكيل أنفسها في جماعات تعاونية أو جماعية .

٣ - خطر الاجتماعات الدينية ، واجتماعات المصلّين .

٤ - عدم السماح للهيئات الدينية بالاحتفاظ عندها بأي نوع من أنواع الكتب الدينية .

٥ - خطر بناء امكنة جديدة لممارسة الشعائر الدينية .

وصرح لينين عن خطّة الحزب الشيوعي مع الاديان بقوله :

« ان أهداف حزب العمال الديمو قراطي الاشتراكي في روسيا هو أن يحارب بلا هوادة ، كل نزعة دينية فيأفئدة العمال .. ان منهاجنا يتضمن بالتالي ، الدعوة إلى الالحاد » .

ويقول القرآن الكريم فيهم قبل أربعة عشر قرناً : « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك منعلم ان هم الا يظنون » الجاثية : ٢٤) .

وقال ستالين : « نحن ملحدون ، ونحن نؤمن بأن فكرة الله خرافة ، ونحن نؤمن بان الايمان بالدين يعرقل تقدمنا ، ونحن لا نريد أن نجعل الدين مسيطراً علينا » .

فالشيوعية والدين ضدان لا يجتمعان ، وان الحرية والعدالة والنظام

الشيوعى متناقضان لا يتآلفان ، فاذا ولج أحدهما خرج الاخر من النافذة .

فكيف يجوز لمسلم أن ينحاز إلى هذه الدولة الملحدة ؟

ولعمرى ان كلا من الغرب والشرق من الرأسمالى والشيوعى أكثر إلحاداً وظلماً وجوراً من الاخر من غير فرق فى ذلك بين الولايات المتحدة ، وبين الاتحاد السوفياتى على اختلاف الطرق والشباك والغرض واحد وهو استعباد الناس واستعمار الملل واستثمار الممالك وهضم حصيلة كد العمال .

وانظر فيما جاء فى كتاب (لمحات من تاريخ العالم فى ثورة روسيا) وهو كتاب يظهر الولاء لزعماء الحركية الشيوعية : « بعد مرور عام على ثورة نوفمبر ١٩١٧ م واجه الشعب مقارع الشيوعيين ، فاخذوا فى سحب تأييداتهم للحكومة التى حسبوها وطنية ! ولم يكن الشيوعيون مسيطرين على جميع بلاد روسيا ، فهاجت ضدّهم جميع العناصر بثورة مسلحة . . . فأراد الشيوعيون محق هذه الانتقاضة الشعبية التى اطلت على نوافذ النجاح . .

فبدأ البوليس السرى بقيادة (بول فيلكس روز نسكى) دوراً من الارهاب لم تشهد له روسيا مثيلا من قبل ! . . على اثر ذلك قام فى روسيا ما أصبح أطول وأعنف حرب أهليّة فى التاريخ ، قتل فيها ملايين من الرؤس وصفى كثير منهم ـ حسب التعبير الشيوعى ـ انتقاماً لمهاجتهم النظام القائم . .

إقرأ (هذه هى الشيوعيّة : ص٣٤ ـ ٣٥) وتوضح هذه البنود تاريخ الحركة الشيوعية فى روسيا .

هؤلاء لايحدّدون عدد الضحايا بالضبط وإن قالوا بالملايين ، غير ان بعض الكتاب الاخرين يحدّدون الضحايا بهذا العدد : ٨ ملايين ! والضحايا ـ جميعاً ـ كانوا من مجموع الشعب الذين بدؤا بالثورة فاستغلها لينين لاهدافه التى كانت ضد طباعهم . . فثاروا يطالبون بحقوقهم الاولية التى حرموا منها جميعاً فى العهدين عهد القيصرية والشيوعيّة سواء ويلزم علينا أن لا نغفل ان اهدار هذا العدد الضخم

من الضحايا تضخم فى الاجرام من أى الطبقات كانوا . . .

وبعد ما قتل ستالين (تروتسكى) المقترح الاول لفكرة المزارع الجماعية بعد ذلك ، أراد تطبيق ذلك النظام ، فكانت النتيجة المسلخة من كتاب (هذه هى الشيوعية ص ٤٤ ـ ٤٥) وانتزاع اكثرمن خمسة ملايين من الفلاحين من منازلهم ورحلوا إلى معسكرات السخرة فى شمال روسيا ، ومشرق سيبريا .

أمّا من أبدى منهم إعتراضاً ، فكان نصيبه السجن او الرمى بالرصاص ! وبالاضافة إلى ذلك الكولاك ـ هم الفلاحون الذين يملكون من الارض اكثرمما يمتلكه الفلاح العادى ـ مات أكثرمن خمسة ملايين شخص فى القحط الذى أدت إليه هذه السياسية فى عام : ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ .

وقد اعترف ستالين فيما بعد بأن تطبيق نظام المزارع الجماعية كلف الاتحاد السوفياتى من الارواح أكثر مما كلفته الحرب العالمية الثانية .

وكان ذلك دليلا على فساد النظام الشيوعى ، وان الشعب لم يتقبله بسلام وانما فرضت عليه بالحديد والنار .

وما يشاهده كل انسان ذى عقل سليم من النظامين : الرأسمالى والشيوعى يعترف بان كلتا النظامين تخالف الفطرة البشرية التى بنت عليها الشريعة الاسلامية ونظمها .

وان الشريعة الاسلامية هى التى تحفظ حق كل فرد ذكراً كان أم انثى مما كسب وتأمر الغنى باعانة الفقير وتنهى كلا عن تجاوز الاخر .

قال الله تعالى : « ولاتتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شىء عليماً » النساء : ٣٢) .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض » النساء : ٢٩) .

وقال في وصف التجار المؤمنين : « رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار» النور: ٣٧).

وقال فيهم: « وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله » المزمل:٢٠).

وقال : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبّون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم » آل عمران : ٩٢).



﴿ عمر دولة الحق ودولة الباطل ﴾

ومن البديهى فى التاريخ البشرى : ان لكل دولة حقاً كانت أو باطلا حداً محدوداً تنقضي بانقضاء أجلها ، فينبغى لصاحب الدولة الاعتبار جداً .

« فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون » النحل : ٦١) .

وهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزيد إلى سن الوقوف ثم إلى سن الرجوع ، ولهذا يجرى على ألسنة الناس فى المشهور ان عمر الدولة مأة سنة وهذا معناه ، فاعتبره واتخذ منه قانوناً يصحح لك عدد الاباء فى عمود النسب الذى تريده من قبل معرفة السنين الماضية إذا كنت قد استربت فى عددهم ، وكانت السنون الماضية منذ أولهم محصلة لديك فعد لكل مأة من السنين ثلاثة من الاباء .

فان نفدت على هذا القياس مع نفود عددهم فهو صحيح ، وان نقصت عنه بجيل فقد غلط عددهم بزيادة واحد فى عمود النسب ، وان زادت بمثله فقد سقط واحد و كذلك تأخذ عدد السنين من عددهم واذا كان محصلا لديك ، فتأمّله تجده فى الغالب صحيحاً .

« ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً » الطلاق : ٣) .

وان العمر الطبيعى للاشخاص على ما زعم الاطباء والمنجمون مأة وعشرون سنة ، وهى سنو القمر الكبرى عند المنجمين .

ويختلف العمر فى كل جيل بحسب القرانات ، فيزيد عن هذا وينقص منه . فتكون أعمار بعض أهل القرانات مأة تامّة وبعضهم خمسين أو ثمانين أو سبعين على ما تقتضيه أدلة القرانات عند الناظرين فيها .

وأعمار هذه الملّة ما بين الستين إلى السبعين كما فى الحديث .

ولا يزيد على العمر الطبيعي الذى هو مأة وعشرون الا فى الصور النادرة وعلى الاوضاع الغريبة من الفلك كما وقع فى شأن نوح عليه السلام ، وقليل من قوم عاد وثمود .

وأما أعمار الدول أيضاً ، وإن كانت تختلف بحسب القرانات الا أن الدولة فى الغالب لاتعدو أعمار ثلاثة أجيال .

والجيل : هو عمر شخص واحد من العمر الوسط ، فيكون أربعين الذى هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته .

قال الله تعالى : « حتى اذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة » الاحقاف : ١٥)

ولهذا قلنا : ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل .

ويؤيّده ما ذكرناه فى حكمة التيه الذى وقع فى بنى اسرائيل ، وأن المقصود بالاربعين فيه فناء الجيل الاحياء ونشأة جيل آخر لم يعهدوا الذل ولا عرفوه ، فدل على اعتبار الاربعين فى عمر الجيل هو عمر الشخص الواحد .

وانما قلنا : إن عمر الدولة لا يعدو فى الغالب ثلاثة أجيال : لان الجيل الاول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك فى المجد ، فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم ، فحدهم مرهف ، وجانبهم مرهوب ، والناس لهم مغلوبون .

والجيل الثانى : تحول حالهم بالملك والترفّه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب ، ومن الاشتراك فى المجد إلى إنفراد الواحد به ، وكسل الباقين عن السعى فيه ، ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة ، فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء ، وتؤنس منهم المهانة والخضوع .

ويبقى لهم الكثير من ذلك ، بما أدركوا الجيل الاول وباشروا أحوالهم وشاهدوا من إعتزازهم وسعيهم إلى المجد ومراميهم فى المدافعة والحماية ، فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وإن ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الاحوال التى كانت للجيل الاول ، أو على ظن من وجودها فيهم .

وأما الجيل الثالث : فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العزّ والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما تفنّقوه من النعيم وغضارة العيش ، فيصيرون عيالا على الدولة ، ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم ، وتسقط العصبية بالجملة ، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس فى الشارة والزى وركوب الخيل وحسن الثقافة يموّهون بها وهم فى الاكثر أجبن من النسوان على ظهورها .

فاذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته ، فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة ، ويستكثر بالموالى ، ويصطنع من يغنى عن الدولة بعض الغناء ، حتى يتأذّن الله بانقراضها ، فتذهب الدولة بما حملت .

فهذه كما تراه ثلاثة أجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلفها .

ولهذا كان انقراض الحسب فى الجيل الرابع كما مر فى أن المجد والحسب إنّما هو فى أربعة آباء . وقد آتيناك فيه ببرهان طبيعى كاف ظاهر مبنىّ على ما مهدناه قبل من المقدمات فتأمل فلن تعدو وجه الحق ان كنت من أهل الانصاف .

وهذه الاجيال الثلاثة عمرها مأة وعشرون سنة على ما مر ولا تعدو الدول فى الغالب هذا العمر بتقريب قبله أو بعده ، الا أن عرض لها عارض آخر من فقدان المطالب ، فيكون الهرم حاصلا مستولياً لم يخضرها ، ولو قد جاء الطالب لما وجد مدافعاً وقد جاء فى المقام روايات نشير إلى نبذة منها :

فى اصول الكافى: عن أبى خالد الكابلى عن أبى عبد الله عليه السلام انه قال : ان الله عزوجل جعل الدين دولتين : دولة آدم وهى دولة الله ودولة ابليس فاذا أراد الله أن يعبد علانية كانت دولة آدم واذا أراد الله أن يعبد فى السّر كانت دولة إبليس والمذيع لما أراد الله ستره ما رق من الدين .

وفى روضة الكافى : باسناده عن أبى جعفر الكوفى عن رجل عن أبى عبد الله عليه السلام قال : ان الله عز وجل جعل الدين دولتين : دولة لآدم عليه السلام ودولة لابليس فدولة آدم هى دولة الله عزوجل فاذا أراد الله عزوجل أن يعبد علانية

أظهر دولة آدم واذا أراد الله أن يعبد سراً كانت دولة إبليس ، فالمذيع لما أراد الله ستره مارق من الدين .

قوله عليه السلام : « مارق » أي خارج من الدين غير عامل به .

وفيه : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لم تزل دولة الباطل طويلة ودولة الحق قصيرة .

وفي أصول الكافي : باسناده عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ليس لمصاص شيعتنا في دولة الباطل إلا القوت شرّقوا إن شئتم أو غرّبوا لن ترزقوا الا القوت .

وفيه : باسناده عن أبي الصباح الكناني قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل عليه شيخ ، فقال : يا أبا عبدالله أشكو إليك ولدي وعقوقهم وإخواني وجفاهم عند كبر سنّي ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : يا هذا ان للحق دولة وللباطل دولة و كل واحد منهما في دولة صاحبه ذليل وان أدنى ما يصيب المؤمن في دولة الباطل العقوق من ولده والجفاء من إخوانه وما من مؤمن يصيب شيئاً من الرفاهية في دولة الباطل إلا ابتلى قبل موته ، إمّا في بدنه وامّا في ولده وامّا في ماله حتى يخلّصه الله مما اكتسب في دولة الباطل ، ويوفّر له حظّه في دولة الحق فاصبر وابشر .

وفي تفسير العياشي: باسناده عن أبي بكر الحضرمي قال : قال محمد بن سعيد سئل أبا عبدالله عليه السلام فاعرض عليه كلامي وقل له : « انّي اتولا كم وابرأ من عدو كم ، وأقول بالقدر وقولي فيه قولك » قال : فعرضت كلامه على أبي عبد الله عليه السلام فحرّك يده ثم قال : « خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » .

قال : ثم قال : ما أعرفه من موالي أميرالمؤمنين عليه السلام قلت : يزعم ابن عمر ان سلطان هشام ليس من الله ، فقال : ويله ! ما علم ان الله جعل لادم دولة ، ولابليس دولة .

﴿ الدولة وزوالها ﴾

اعلم أن لكل دولة وقتاً منه تبتدىء ، وغاية اليها ترتقي ، وحدٌ إليه تنتهي فـاذا بلغت إلـى أقصى غايتها ، ومدى نهايتها تسارع اليها الانحطاط والنقصان ويظهر في أهلها الشؤم والخذلان ويستأنف في الاخرين من القوة والنشاط والظهور والانبساط ، فيقوى هذا كـل يوم ويزيد عليه ، ويضعف ذاك وينقص عنه إلـى أن يضمحل المتقدم ويزول الاول ، ويستمكن المتأخر ويستقل الثاني ويثبت .

ومثلها مثل الازمان من الليل والنهار والصيف والشتاء فكلّما ذهب أحدهما رجع الاخر وكلّما زاد أحدهما نقص الاخر وكلما تناهى أحدهما في الزيادة ظهرت قوته وكثرت أفعاله في هذا العالم وخفيت قوة ضده وقلّت أفعاله ، وبعبارة اخرى : ان العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزيّد إلى سن الوقـوف ثم إلـى سن الرجوع ولهذا يجري على ألسنة النـاس في المشهور : ان عمر الدولة مأة سنة ولعل إلى هذا المعنى يشير قوله تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر » .

وهكذا حكم دولة الحق ودولة الباطل ، فتارة تكون الدولة والقوة والظهور لاهـل الحق واخرى لاهل الباطل لحكم الهيّة ومصالـح عبادية لا يعقلها إلا العالمون .

قـال الله تعالى : « وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الـذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحبّ الظالمين » آل عمران : ١٤٠) .

فـلا ينبغي الاغترار بدولة ، ولا اليأس من دولة ، فان الراعي والرعيّة في إبتلاء .

قال الله تعالى: «ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون» الانبياء: ٣٥).

وقال: «ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتاكم» الانعام: ١٦٥).

وان كل دولة ينتقل يوماً من امة، إلى امة، ومن قوم إلى قوم، ومن علائم ظهور دولة لقوم، اجتماعهم على رأى واحد، و وحدة كلمتهم وعقدهم بينهم عهداً وميثاقاً فلايتجادلون ولا يتقاعدون عن نصرة بعضهم بعضاً، فيكونون كرجل واحد في جميع امورهم و كنفس واحدة في جميع تدبيرهم فيما يقصدونه، كما ان من علائم زوال دولة قوم اختلافهم في الرأى وتشتت شملهم وتفرّق كلمتهم.

في نهج البلاغة: قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: «صواب الراى بالدول يقبل باقبالها ويدبر بادبارها».

وفي الشرح: قال الصولي: اجتمع بنو برمك عند يحيى بن خالد في آخر دولتهم وهم يومئذ عشرة، فأداروا بينهم الرأى في أمر فلم يصلح لهم. فقال يحيى إنّا لله! ذهبت والله دولتنا، كنا في إقبالنا يبرم الواحد منا عشرة آراء مشكلة في وقت واحد، واليوم نحن عشرة في أمر غير مشكل، ولا يصح لنا فيه الرأى الله نسئل حسن الخاتمة.

وفيه: قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن أبي مسلم صاحب شرطة الحجاج يوماً: لعن الله رجلا أجرك رسنه وخرّب لك آخرته قال: يا أمير المؤمنين، رأيتني والامر عنّي مدبر ولو رأيتني والامر على مقبل لاستكبرت منّي ما استصغرت ولاستعظمت منّي ما استحقرت.

وفي الكافي: باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان الله عز ذكره اذا أراد فناء دولة قوم أمر الفلك فاسرع السير فكانت على مقدار ما يريد.

وفيه: باسناده عن أبي اسحق الجرجاني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ان الله عزوجل جعل لمن جعل له سلطاناً أجلا ومدّة هن (من ظ) ليال وأيام وسنين وشهور فان عدلوا في الناس أمر الله عزوجل صاحب الفلك أن يبطيء بادارته فطالت أيامهم ولياليهم وسنينهم وشهورهم وإن جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله تبارك

وتعالى صاحب الفلك فاسرع بادارته فقصرت لياليهم وايامهم وسنينهم وشهورهم وقد وفا لهم عزوجل بعدد الليالي والشهور.

أقول : ولعل المراد تسبيب أسباب زوال دولتهم على سبيل الاستعارة التمثيلية.

وفيه : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنّا عنده وذكروا سلطان بني امية فقال أبو جعفر عليه السلام : لايخرج على هشام أحد الا قتله ، قال : وذكر ملكه عشرين سنة ، قال : فجزعنا ، فقال : مالكم اذا أراد الله عزوجل أن يهلك سلطان قوم أمر الملك فاسرع بسير الفلك فقدّر على ما يريد؟ قال : فقلنا لزيد عليه السلام هذه المقالة ، فقال : انّي شهدت هشاماً ورسول الله صلى الله عليه وآله يسب عنده فلم ينكر ذلك ولم يغيّره فوالله لو لم يكن الا أنا وابني لخرجت عليه.

وفي نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام : « الاستئثار يوجب الحسد، والحسد يوجب البغضة ، والبغضة توجب الاختلاف ، والاختلاف يوجب الفرقة ، والفرقة توجب الضعف والضعف يوجب الذل ، والذّل يوجب زوال الدولة ، وذهاب النعمة ».



في أطوار الدولة
واستظهار صاحبها على قومه

في المقام بحثان :

أحدهما ـ في انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة ولعل هذه الاطوار طبيعية فان الغلب الذي يكون به الملك انّما هو بالعصبية وبما يتبعها من شدّة البأس وتعوّد الافتراس ، ولا يكون ذلك غالباً الا مع البداوة ، فطور الدولة من اولها بداوة .

ثم اذا حصل الملك تبعه الرفه واتساع الأحوال ، والحضارة انما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والابنية وسائر عوائد المنزل وأحواله فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنّق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضاً ، وتتكثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الترف ، وماتتلّون به من العوائد.

فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة ، لضرورة تبعية الرفه للملك .

وأهل الدول ـ إلا الدولة الحقة ـ يقلّدون في طور الحضارة وأحوالها للدولة السابقة فيشاهدون أحوالهم ويأخذون منهم غالباً ويفسقون بما فسقوا فيأخذهم الله تعالى أخذ عزيز مقتدر قال الله تعالى : « حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجئرون » المؤمنون : ٦٤) .

ولما جاء الترف لصاحب الدولة يتبعها الاستبداد والبغي فتسعى في اهلاك

الحرث والنسل : « أليس لى ملك مصر » الزخرف : ٥١) .

« ان الملوك إذ دخلوا قرية أفسدوها » النمل : ٣٤) .

وان صاحب الدولة انما يتم امره بقومه فهم عصابته وظهراؤه على شأنه ، وبهم يقارع الخوارج على دولته ، ومنهم من يقلد اعمال مملكته و وزارة دولته ، وجباية امواله لانّهم اعوانه على الغلب ، وشركاؤه في الامر ، ومساهموه فى سائر مهماته .

هذا ما دام الطور الاول للدولة كما ذكر فاذا جاء الطور الثانى وظهر الاستبداد عنهم والانفراد بالمجد ، ودافعهم عنه بالراح صاروا فى حقيقة الامر من بعض اعدائه واحتاج فى مدافعتهم عن الامر وصدّهم عن المشاركة إلى اولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ، ويتولاهم دونهم ، فيكونون اقرب إليه من سائرهم ، واخص به قرباً واصطناعاً ، واولى ايثاراً وجاهاً ، لما انهم يستميتون دونه فى مدافعة قومه عن الامر الذى كان لهم ، والرتبة التى ألفوها فى مشاركتهم .

فيستخلصهم صاحب الدولة حينئذ ، ويخصّهم بمزيد التكرمة والايثار ، ويقسم لهم مثل ما للكثير من قومه ويقلدهم جليل الاعمال والولايات من الوزارة والقيادة والجباية وما يختص به لنفسه ، وتكون خالصة له دون قومه من ألقاب المملكة ، لانهم حينئذ أولياؤه الاقربون ونصحاؤه المخلصون .

وذلك حينئذ مؤذن باهتضام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها لفساد العصبية التى كان بناء الغلب عليها ، ومرض قلوب أهل الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة السلطان فيضطغنون عليه ويتربصون به الدوائر ، ويعود وبال ذلك على الدولة ، ولا يطمع فى برئها من هذا الدّاء ، لان ما مضى يتأكد فى الاعقاب إلى أن يذهب رسمها .

وقد شاهدنا الاطوار الثلاثة فى أيّامنا قبل الجمهورية الاسلامية بايران فذهب رسم الدولة اذ صارت لغير من مهّدها وصار العز لغير من اجتلبه من مستشارى

الامريكا والانجليز واليهود ومـن إليهم من متملكى أموال الايرانيين وذخائرهم وممتصّى دمائهم وهاضمى حقوقهم . . .

فاعتبروا يا اولى الابصار .

ولو كان دولة الجمهورية الاسلامية معتبراً فلا بد من أن يقيم هذه الدولة على أسس أربعة :

أولها: ـ الاساس الاسلامى وتحكيم كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ وسيرة أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين .

فان الشيعة الامامية الاثنى عشرية فـى غنى أن يستوردوا من الخارج أو يقلدوا غيرهم ، فلديهم ما يغنيهم من تراثهم ومن عقيدتهم ، ومن طيب أخلاقهم ، ومن كريم محتدهم . فمن كان يريـد أن يكون عبداً ذليلا وتابعاً لغيره ثم ذهاب رسم دولته فله ما أراد .

ثانيها : نشر العدالة بين المواطنين جميعهم والتناصر بهم فى حلّ مشكلات الدولة دون الاجانب وأهل الخيانة والغدر .

ثالثها : اجتلاب الاعتماد ممن تتألف منه الدولـة .

وذلك لان الـدول تتألف مـن عنصرين : مـن جماعـة المعسرين وجماعة الموسرين ، فلا بد أن تعتقد الجماعتان اعتقاداً تاماً أنهما تسلمان ويصان كيانهما بواسطة الحكم القائم .

ويجب أن لا يظلم أحد الفريقين الفريق الاخر فـى أمر من الامور ويجب أن يعتمد الحكم خصوصاً على الفريق الاقوى ويختصّه بذاته ، كى لا يضطر الطاغية ـ إن لـم يتحقق لـه ذلك فى تدبير شئون الدولة ـ أن يحرّر الارقاء أو ينتزع السلاح من أيدى المواطنين لان ذلك الفريق الاقوى عند ما ينضم إلـى قوّة الطاغية المسلحة يتمكن من قمع الثائرين على الحكم .

رابعها : نشـر العلم الصحيح بين أبناء هذه الملة ، للنهوض بهـا للمستوى اللائق بها . . .

﴿ كلمات قصار فى الدولة ﴾

غرر حكم ودرر كلم فى المقام عن الامـام أمـير المؤمنين على عليه السلام نشير إلى نبذة منها :

١ ـ قـال عليه السلام : احـذر الشرير عند اقبال الدولـة لئلايزيلها عنك وعند إدبارها لئلايعين عليك .

٢ ـ قال عليه السلام : ثبات الدول باقامة سنن العدل .

٣ ـ قـال عليه السلام : دولة الكريـم تظهر مناقبه ، دولة اللئيم تكشف مساوئه ومعايبه .

٤ ـ قال عليه السلام : دولة الجاهل كالغريب المتحرك إلى النقلة ، دولة العاقل كالنسيب يحن إلى الوصلة .

٥ ـ قال عليه السلام : دولة العادل من الواجبات ، دولة الجائر من الممكنات .

٦ ـ قال عليه السلام : دولة الاكارم من أفضل المغانم ، دولة اللئام مذلة الكرام ، من أعود الغنائم دولة المكارم .

٧ ـ قال عليه السلام : دول الاشرار محن الاخيار ، دول الفجار مـذلة الابرار ، دول اللئام من نوائب الايام .

٨ ـ قال عليه السلام : دولة الاوغاد مبنية على الجور والفساد .

٩ ـ قال عليه السلام : الدولة ترد خطأ صاحبها صواباً وصواب ضدهٌ خطاء .

١٠ ـ قال عليه السلام : تجاوز مع الدولة تكن لك العاقبة .

١١ ـ قال عليه السلام : صواب الرأى بالدول يذهب بذهابها .

١٢ ـ قال عليه السلام : لكل دولة برهة .

١٣ ـ قال عليه السلام : من لم يحسن فى دولته خذل فى نكبته .

١٤ ـ قال عليه السلام : من امارات الدولة التيقّظ لحراسة الامور .

١٥ ـ قال عليه السلام : من دلائل الدولة قلّة الغفلة .

١٦ ـ قال عليه السلام : مسكين ابن آدم مكتوم الاجل، مكنون الفعل ، محفوظ العمل تؤلمه البقّة ، وتنتنه العرقة ، وتقتله الشرقة ، مجاملة أعداء الله فى دولتهم تقاة من عذاب الله ، وحذر من معارك البلاء فى الدنيا ، مجاهدة الاعداء فى دولتهم ومناضلتهم مع قدرتهم ترك لامر الله وتعرض لبلاء الدنيا .

١٧ ـ قال عليه السلام : الطاعة جنّة الرعية والعدل جنة الدول .

١٨ ـ قال عليه السلام : الدنيا دول فاجمل فى طلبها واصبر حتى تأتيك دولتك .

١٩ ـ قال عليه السلام : العدل قوام الرعية وجمال الولاة .

٢٠ ـ قال عليه السلام : تولّى الاراذل والاحداث الدول دليل انحلالها وإدبارها .

٢١ ـ قال عليه السلام : تجاوز مع القدرة وأحسن مع الدولة تكمل لك السيادة .

٢١ ـ قال عليه السلام : زوال الدول باصطناع السفل .

٢٢ ـ قال عليه السلام : لن تحصن الدول بمثل استعمال العدل فيها .

٢٣ ـ قال عليه السلام : ما حصن الدول بمثل العدل .

٢٤ ـ قال عليه السلام : يستدل على ادبار الدول بأربع : تضييع الاصول ، والتمسك بالفروع ، وتقديم الاراذل ، وتأخير الافاضل .

٢٥ ـ قال عليه السلام : صير الدين حصن دولتك ، والشكر حرز نعمتك ، فكل دولة يحوطها الدين لا تغلب ، وكل نعمة يحرزها الشكر لا تسلب .

٢٦ ـ قال عليه السلام : إمارات الدول انساء الحيل .

٢٧ ـ قال عليه السلام : الدولة كما تقبل تدبر .

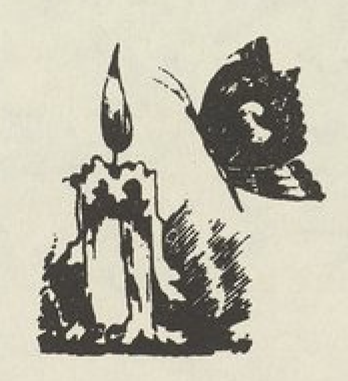
٢٨ ـ قال عليه السلام : الحسد دأب السفل وأعداء الدول .

٢٩ ـ قال عليه السلام : فى العدل الاقتداء بسنة الله وثبات الدول .

٣٠ ـ قال عليه السلام : للحق دولة ، للباطل دولة .

أقول : والرواية غير ما اشتهر : للحق دولة وللباطل جولة .

٣١ ـ قال عليه السلام : من جارت ولايته زالت دولته .



﴿الشح وحقيقته﴾

قال الله تعالى : «ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون» الحشر : ٩) .

ان الشح داء اذا استولى على القلب غراه عن الايمان ، فلا بد لنا من معرفة حقيقة هذا الداء المهلك ، فنجتنب عنه أو نعالجه ، وليس لنا طريق في المعرفة أوضح من طريق الروايات الواردة عن المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وقد مر منها في بحث روائي فراجع ، ونشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ في تفسير القمي باسناده عن الفضل بن أبي قرة قال : رايت أباعبدالله عليه السلام يطوف من أول الليل إلى الصباح ، وهو يقول : اللهم قني شح نفسي ، فقلت : جعلت فداك ما سمعتك تدعو بغير هذا الدعاء ؟ قال : وأي شيء أشد من شح النفس ان الله يقول : «ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون» .

٢ ـ في الخصال باسناده عن الجازي عن أبي عبدالله عن أبيه عليه السلام قال : لا يؤمن رجل فيه الشح والحسد والجبن ، ولا يكون المؤمن جباناً ولا حريصاً ولا شحيحاً .

٣ ـ في معاني الاخبار باسناده عن الحارث الاعور قال : فيما سئل علي عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام أن قال له : ما الشح ؟ قال : أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقت تلفاً .

٤ ـ وفيه باسناده عن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : انما الشحيح من منع حق الله وأنفق في غير حق الله عز وجل .

٥ ـ وفيه باسناده عن الفضيل بن عياض قال : قال أبو عبدالله عليه السلام أتدري من الشحيح ؟ فقلت هو البخيل ، فقال : الشحيح أشد من البخيل ، ان البخيل

يبخل بما في يديه ، وان الشحيح يشح بما في أيدي الناس ، وعلى ما في يديه ، حتى لا يرى في أيدي الناس شيئاً الا تمنّى أن يكون له بالحل والحرام ، ولا يشبع ، ولا يقنع بما رزقه الله تعالى .

٦ ـ في نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام : « الشح أضر على الانسان من الفقر لان الفقير اذا وجد اتسع والشحيح لا يتّسع وان وجد » .

وعن بعض الحكماء : انه قال : ان الفرق بين البخل والشح : ان البخل نفس المنع ، والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع فلما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى : « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » .

وفي الشح كلمات قصار عن الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام :

منها : قال عليه السلام : الشح مسبّة .

منها : قال عليه السلام : الشح يكسب المسبّة .

منها : قال عليه السلام احذروا الشح فانه يكسب المقت ، ويشين المحاسن ، ويشيع العيوب .

منها : قال عليه السلام : اياك والشح فانه جلباب المسكنة ، وزمام يقاد به إلى كل دناءة .

منها : قال عليه السلام : في الشح المسبّة .

منها : قال عليه السلام : ليس لشحيح رفيق .

منها : قال عليه السلام : من أدى زكاة ماله وقي شح نفسه .

الشح وهلاك الامة

وحرمان الجنة

قال الله تعالى : « واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين ـ ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصّمون » يس : ٤٧ ـ ٤٩) .

وقال : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بهاجباهم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » التوبة : ٣٥) .

في الكافي : باسناده عن مسعدة بن صدقة عن جعفر عن آبائه عليهم السلام ان أميرالمؤمنين عليه السلام سمع رجلا يقول : ان الشحيح أغدر من الظالم ، فقال له : كذبت ان الظالم قد يتوب ويستغفر و يرد الظلامة على أهلها ، والشحيح اذا شح منع الزكاة والصدقة وصلة الرحم وقرى (إقراء خ) الضيف والنفقة في سبيل الله وأبواب البر ، وحرام على الجنة أن يدخلها شحيح .

قوله عليه السلام « أغدر » : أدون .

وفي وسائل الشيعة : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إيّاكم والفحش ، فان الله لا يحب الفاحش المتفحّش ، وإياكم والظلم فان الظلم عند الله هو الظلمات يوم القيامة ، وإياكم والشح ، فانّه دعا الذين من قبلكم حتى سفكوا دمائهم ، ودعاهم حتى قطعوا أرحامهم ، ودعاهم حتى انتهكوا واستحلّوا محارمهم .

وفي تحف العقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انما أخاف على امتي ثلاثاً :

شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإماماً ضلالا .

وفى امالى الصدوق : باسناده عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان صلاح أول هذه الامة بالزهد واليقين ، وهلاك آخرها بالشح والامل .

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام « ايّاكم والفحش فان الله لا يحب الفحش وإياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم ، هو الذى سفك دماء الرجال وهو الذى قطّع أرحامها فاجتنبوه » .

وفى الخصال : باسناده عن على بن أبيطالب عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال فى وصيّته له : يا على ثلاث درجات ، وثلاث كفّارات ، وثلاث مهلكات ، وثلاث منجيات :

فامّا الدرجات فاسباغ الوضوء فى السبرات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، والمشى بالليل والنهار إلى الجماعات .

وأما الكفارات فافشاء السلام واطعام الطعام ، والتهجّد بالليل والناس نيام .

وأمّا المهلكات فشح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه .

وأما المنجيات فخوف الله فى السّر والعلانية ، والقصد فى الغنى والفقر ، وكلمة العدل فى الرضا والسخط .

وفى رواية : قال الامام على عليه السلام : « لا سوأة أسوأ من الشح » .

﴿في حقيقة النسيان وحكمته﴾

قال الله تعالى : « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم اولئك هم الفاسقون » الحشر : ١٩) .

النسيان هو ترك الانسان ضبط ما استودع فيه إما لضعف قلبه وذكره أو عن قصد وإهمال حتى ينحذف عن القلب ذكره .

وان النسيان عند الأطباء : هو نقصان أو بطلان لقوة الذكاء .

ولا يخفى ان كل نسيان من الانسان ذمّه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمّد وقصد واغتفال وإهمال فأسبابه بيد الناسي .

وكل نسيان عذر فيه نحو ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « رفع عن امتي الخطاء والنسيان » فهو ما لم يكن سببه من الانسان .

وفي حديث الحسن عليه السلام : وقد سئل عن الرجل ينسى الشيء ثم يذكره قال : « ما من أحد الا على رأس فؤاده حقة مفتوحة الرأس فاذا سمع الشيء وقع فيها فاذا أراد الله أن ينسيها طبق عليها واذا أراد أن يذكرها فتحها » .

وان الاية الكريمة تشير إلى القسم الاول من النسيان وفيها تنبيه على ان الانسان اذا لم يغفل عن نفسه ولم يهملها فعرفها ، يعرف الله تعالى فنسيانه الله تعالى وترك ذكره والاهمال في طاعته هو من نسيانه نفسه واهماله واغتفاله عن معرفته ، وان كان معنى الاية انهم لما تركوا ذكر الله تعالى فجعلهم أن يتركوا أنفسهم فلا يؤدّوا حقّها ، فاذا تركت مالت في كلما فيه هلاكها ، فكانت معيشتها في هذه الحياة الدنيا معيشة ضنكاً وفي الاخرة عذاباً وناراً .

ان الفرق بين الذكر والخطور بالبال : ان الذكر في مقابل السهو ، والخاطر

في مقابل النسيان .

وان الفرق بين السهو والنسيان : ان السهو زوال صورة ذهنية عن قوة مدركة دون الحافظة ، والنسيان زوالها عنهما تماماً ، فعلى هذا ان الذكر حصول الصورة بعد السهو ، والخاطر حصولها بعد النسيان .

وقيل : ان الفرق بين الذكر والخاطر ان الخاطر مرور المعنى على القلب والذكر حصول المعنى في النفس ، وان الذكر يجرى على نقيض النسيان أيضاً لانه يستعمل بعد ما نسيه ، وليس الخاطر كذلك .

ومن غرر حكم الامام على عليه السلام ودرر كلمه انه قال : « النسيان ظلمة وفقد » .

وقال بعض المحققين : من الحكماء : النسيان صفة تعرض على النفس الانساني فهي مستعدة لعروضها ، اذ لو لا النسيان لما طيب عيش بني آدم ولكنه ليس ممدوحاً في جميع الاحوال وبالنسبة إلى جميع متعلقاته بل يحسن النسيان في المصائب والحوادث والنوائب من موت ابن وأب وأخ وذهاب مال وإساءة أخيك إليك وهكذا . . .

ولا يحسن في نسيان الانسان ذكر الله تعالى وطاعته ويوم البعث والحساب والجزاء ولا فيما يجب عليه أن لا يغفل عنه .

فموقع النسيان في الانسان كسائر القوى منه كالفكر والوهم والعقل والحفظ وما إليها إذ بها تكامل الانسان في هذه الحياة الدنيا أفرأيت لو نقص الانسان من هذه الخلال : الحفظ وحده ، كيف كانت تكون حالته ؟ وكم من خلل كان يدخل عليه في اموره ومعاشه وتجاربه ، اذا لم يحفظه ماله وما عليه وما أخذه وما أعطى ، وما رأى وما سمع ، وما قال وما قيل له ، ولم يذكر من أحسن إليه ممن أساء به ، وما نفعه مما ضرّه ، ثم كان لا يهتدى لطريق لو سلكه ما لا يحصى ولا يحفظ علماً ولو درسه عمره ـ ولا ينتفع بتجربة ـ ولا يستطيع أن يعتبر

شيئاً على ما مضى ، بل كان حقيقاً أن ينسلخ من الانسانية أصلا ، فانظر إلى النعمةعلى الانسان في هذه الخلال ، وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع ؟؟؟.

وليست نعمة الحفظ على الانسان أقلّ شأناً ولا أصغر من نعمة النسيان عليه ، اذ لو لا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة ولا انقضت له حسرة ، ولا مات له حقد ، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكّر الافات ، ولارجى غفلة من سلطان ولافترة من حاسده فجعل الله تعالى فى الانسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادّان ، وجعل له في كل منهما ضرباً من المصلحة بل ضروباً منها .



فيما يوجب النسيان

وعلاجه وما يزيد في الحفظ

وردت الروايات الكثيرة في المقام :

منها : في الخصال باسناده عن عبد الحميد عن أبي الحسن الاول عليه السلام قال : تسعة يورثن النسيان : أكل التفاح يعني الحامض، والكزبرة، والجبن، وأكل سؤر الفار، والبول في الماء الواقف وقراءة كتابة القبور، والمشي بين إمرأتين، وإلقاء القملة، والحجامة في النقرة.

أقول: رواه الشيخ في الفقيه والراوندي في الدعوات.

ومنها : في طب النبي صلى الله عليه وآله : عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : عشر خصال يورث النسيان : أكل الجبن، وأكل سؤر الفارة وأكل التفاحة الحامضة والجلجلان ـ هو ثمر الكزبرة ـ والحجامة على النقرة، والمشي بين المرأتين، والنظر إلى المطلوب، وإلقاء القملة، وقراءة كتابة المقبرة.

وقال صلى الله عليه وآله : عليكم باللبان فانه يمسح الحزن على القلب كما يمسح ويذكي العرق عن الجبين، ويشد الظهر، ويزيد العقل، ويذكي الذهن، ويجلو البصر، ويذهب النسيان.

ومنها : في الخصال فيما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال : يا علي ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن السقم : اللبان والسواك وقراءة القرآن.

ومنها : في مكارم الاخلاق عن الصادق عن أبيه عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: ثلاث يذهبن بالبلغم، ويزدن في الحفظ : السواك والصوم، وقراءة القرآن.

وقال الشيخ قدس سره في آداب المتعلّمين : الفصل الحاديعشر فيما يورث الحفظ ، وما يورث النسيان ، وأقوى أسباب الحفظ الجد والمواظبة وتقليل الغذاء وصلاة الليل بالخضوع والخشوع ، وقراءة القرآن من أسباب الحفظ ، قيل : ليس شيء أزيد المحفظ ، من قراءة القرآن لا سيّما آية الكرسى ، وقراءة القرآن نظراً أفضل لقوله ﷺ : أفضل أعمال امتى قراءة القرآن نظراً . وتكثير الصلوات على النبى ﷺ والسواك ، وشرب العسل ، وأكل الكندر مع السكر ، وأكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء كل يوم ، وكل شيء يورث الحفظ ، ويشفى من كثير الامراض والاسقام ، وكل ما يقلل البلغم ، والرطوبات يزيد في الحفظ ، وكلما يزيد فى البلغم يورث النسيان .

وامّا ما يورث النسيان فالمعاصى كثيراً وكثرة الهموم والاحزان فى امور الدنيا وكثرة الاشتغال والعلائق .

وقال : لا ينبغى للعاقل أن يهم لامور الدنيا لانه يضر ولا ينفع ، وهموم الدنيا لا تخلو عن الظلمة فى القلب ، وهموم الاخرة لا تخلو من النور فى القلب وتحصيل العلوم ينفى الهم والحزن ، واكل الكزبرة والتفاح الحامض والنظر إلى المصلوب وقراءة لوح القبور والمرور بين القطار من الجمل ، وإلقاء القمل الحى على الارض والحجامة على نقرة القفا كل ذلك تورث النسيان .

وقالت الاطباء الاقدمون : ان النسيان إمّا من الحرارة واليبوسة وإما من البرودة والرطوبة ، فمن كان نسيانه بالحرارة فليعتد مزاجه بالبرودة ، ومن كان بالبرودة فليعتد مزاجه بالحرارة .

ومعرفة ذلك : ان من كان كثير النسيان فليجلس فى حمام حار ويأخذ فى الحفظ والقراءة فان رأى قد أسرع حفظه فنسيانه من البرودة وان راى قد أبطأ فى الحفظ فنسيانه من الحرارة ، فمن كان نسيانه بالحرارة فليأكل الاغذية الباردة وان كان بالبرودة ، فليأكل الاغذية الحارة .

ويمكن أن يعرف بحفظ القرآن الكريم والروايات صيفاً وشتاء .

وفي مكارم الاخلاق : عن السكوني عن أبى عبدالله عليه السلام قال : اذا أنساك الشيطان شيئاً فضع يدك على جبهتك وقل : اللهم إني أسئلك يا مذكر الخير وفاعله والامر به ، أن تصلّي على محمد وآل محمد ، وتذكرني ما أنسانيه الشيطان .



من نسى الله تعالى فى الدنيا

نسيه فى الاخرة

قـال الله تعالى : « الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيـا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون » .

الاعراف : ٥١)

ان النسيان من الله تعالى يجرى مجرى المخادعة منه للعصاة على سبيل المجاز ، فالمراد بقولـه تعالى : « نسوا لقاء يومهم هذا » : تركوا يوم البعث والحساب والجزاء فيه ، وقوله تعالى : « فاليوم ننساهم » نتركهم من ثواب يوم القيامة .

وان أهم ما ينسى الانسان عن أمر الاخرة هو الاستغراق فى متاع الحياة الدنيا ، والانهماك فى الشهوات يتبعه الكفر بالله تعالى وبرسوله ﷺ ، واتخاد الدين لهواً ولعباً .

فى رواية : عن أبى سعيد قال رسول الله ﷺ : يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقول الله : ألم أجعل لك مالا وولداً وسخّرت لك الانعام والخيل والابل وأذرك ترأس وتربع ؟ قال : فيقول : بلى يا رب قال : هل ظننت انك ملاقى ؟ فيقول : لا فيقول : اليوم أنساك كما نسيتنى .

وفى رواية : قال رسول الله ﷺ : ما من يوم يمر إلا والبارى عزوجل ينادى : عبدى ! ما انصفتنى أذكرك وتنسى ذكرك ، وادعوك إلى عبادتى وتذهب

إلى غيرى ، الحديث . . .

وفي مصباح الشريعة : قال الصادق عليه السلام : أفضل الوصايا وألزمها أن لا تنسى ربك ، وأن تذكره دائماً ، ولا تعصيه ، وتعبده قاعداً وقائماً ، ولا تغتر بنعمته واشكره أبداً ، ولا تخرج من تحت أستار عظمته وجلاله فتضل ، وتقع في ميدان الهلاك ، الحديث . . .

﴿ الفكر وحقيقته ﴾

قال الله تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلّهم يتفكّرون » الحشر : ٢١).

وقد جاء بمواضع كثيرة في القرآن الكريم حث الانسان على التفكر فيما سوى الله تعالى من خلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما فلا بد لنا من البحث فيه :

وقد اختلفت كلمات الحكماء والمفسرين والفلاسفة والمتكلمين واللغويين والمحدثين في حقيقة الفكر ، وفي ان الفكر والعقل والتفكر والنظر والتذكر هل هي شيء واحد ام كل واحد منها شيء غير الاخر .

وما يستفاد من الايات الكريمة والروايات الواردة ان لكل واحد منها حقيقة متمايزة .

ومن الحكماء : من قال : الفكر : حركة ذهن الانسان نحو المبادىء ليصير منها إلى المطالب .

ومنهم : من قال : الفكر تحديق العقل نحو المعقول كما ان النظر البصري تحديق البصر نحو المحسوس وكما ان من حدّق نحو المبصر وحدقته صحيحة ، والموانع مرتفعة لابد ان يبصره كذلك من نظر بعين عقله ، وافكر فكراً صحيحاً ، لا بد ان يدرك الامر الذي فكّر فيه ويناله .

ومنهم : من قال حقيقة التفكر طلب علم غير بديهي من مقدّمات موصلة إليه كما اذا تفكر ان الاخرة باقية ، والدنيا فانية ، فانه يحصل له العلم بان الاخرة خير من الدنيا ، وهو يبعثه على العمل للاخرة فالتفكّر سبب لهذا العلم ،

وهذا العمل حالة نفسانية ، وهو التوجه إلى الاخرة ، وهذه الحالة تقتضى العمل لها ، وقس على هذا ، فالتفكر موجب لتنوّر القلب وخروجه من الغفلة ، وأصل لجميع الخيرات ...

وقال الشيخ الطوسى قدس سره : التفكر سير الباطن من المبادىء إلى المقاصد ، وهو قريب من النظر ، ولا يرتقى احد من النقص إلى الكمال الا بهذا السير ، ومباديه الافاق والانفس بأن يتفكر فيأجزاء العالم وذراته ، وفى الاجرام العلوية من الافلاك والكواكب ، وحركاتها وأوضاعها ومقاديرها واختلافاتها ومقارناتها ومفارقاتها وتأثيراتها ، وتغييراتها ، وفى الاجرام السفلية وترتيبها وتفاعلها وكيفياتها ومركباتها ومعدنياتها وحيواناتها ، وفى أجزاء الانسان وأعضائه من العظام والعضلات والعصبات والعروق ، وغيرها مما لا يحصى كثرة ويستدل بها وبما فيها من المصالح والمنافع والحكم والتغيير على كمال الصانع وعظمته وعلمه وقدرته وعدم ثبات ما سواه .

فالتفكر فيما ذكر ونحوه من حيث الخلق والحكمة والمصالح أثره العلم بوجود الصانع وقدرته وحكمته ، ومن حيث تغيّره وانقلابه وفنائه بعد وجوده أثره الانقطاع منه ، والتوجه بالكلية إلى الخالق الحق .

ومن هذا القبيل التفكر فى أحوال الماضين ، وانقطاع أيديهم عن الدنيا ومتاعها ، ورجوعهم إلى دار الآخرة ، فانه يوجب قطع المحبة عن غير الله تعالى والانقطاع إليه بالتقوى وصالح العمل .

ومن الفلاسفة : من قال : ان الفرق بين التذكّر والتفكّر : ان التذكر طلب معنى قد كان حاضراً للنفس ، والتفكر طلب معرفة الشىء بالقلب ، وإن لم يكن حاضراً للنفس من قبل .

ومنهم : من قال : ان الفكر والتفكر والنظر هو الانتقال من المعلوم الحاضر إلى المجهول فالفكر هو السير من المبادىء المعلومة إلى المقاصد المطلوبة للانسان دنيوياً كان أو اخروياً .

ومن المتكلمين: من قال : الفكر ترتيب امور معلومة للتوصل إلى مجهول تصورى أو تصديقى ، وهو ينافى الحكم على ظواهر الاشياء أو فيها بادى الرأى من غير تمحيص ولا تقدير .

ومن المفسرين: من قال : ان استعمال القرآن الكريم للتفكر والتفكير يدل على انهما فى العقليات **المحضة** أو فى العقليات التى مبادئها حسّيات ، فالانسان يفكر فيما ينبغي أن يقوله في المواقف التى تميز الاقوال ، وفيما ينبغى أن يفعله حيث تنتقد الافعال ، ويفكر فى أقوال الناس وافعالهم ، ويفكر فى الامور الاجتماعية والادبية والدينية والسياسية ، ويفكر أيضاً فى المبصرات كالمسموعات والمعقولات ، واكثر ما استعمله القرآن الكريم فى آيات الله ودلائل وجوده ووحدانيته وحكمته ورحمته ، وأما النظر فاستعمال القرآن يدل على ان النظر العقلى مبدأ من مبادىء الفكر والتفكير كما ان مبدأه هو النظر الحسى فى الغالب ، كقوله تعالى : « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت » ومنه النظر فى عاقبة الامم برؤية آثارها فى كثير من الايات القرآنية والشواهد على ذلك كثيرة جداً . . .

وأما الايات التى جمعت بين التفكر والنظر فجمعت فى الحقيقة بين المبدإ الحسى وهو ملكوت السموات والارض ، والمبدإ الفكرى وهو اقتراب الاجل ، وهما وما إليهما يدلان على بناء الدين الاسلامى على أساسى النظر العقلى والتفكر اللذين يمتاز بهما الافراد والامم بعضها من بعض .

ومنهم: من قال : ان الله تعالى عبّر بالتفكر فى موضوع استبانة كون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بمجنون ، وبالنظر فى جملة الملكوت وجزئياته فى موضوع الايمان بالله تعالى ، وما جاء به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فلا بد من الفرق بين الفكر والنظر .

ومن اللغويين: من قال : الفكر - بالكسر - : عبارة عن التأمل فى المعانى والتدبر فيها ، وفسّر باعمال الخاطر واجابته فى الامور أيضاً .

وقال الراغب : الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم ، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل ، وذلك للانسان دون الحيوان ، ولا يقال الا فيما يمكن أن يحصل له صورة فى القلب ولهذا روى : « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله اذ كان الله منزهاً أن يوصف بصورة » .

قال بعض الادباء: الفكر مقلوب عن الفرك لكن يستعمل الفكر فى المعانى وهو فرك الامور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها .

وأما النظر فقال الراغب في تعريفه : انه تقليب البصر أو البصيرة فى ادراك الشيء ، ورؤيته ، وقد يراد به التأمل والفحص ، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرؤية ، يقال : نظرت فلم تنظر أى لم تتأمل ، وقوله تعالى : « قل انظروا ما ذا فى السموات والارض » أى تأملوا ، وقال : ان استعمال النظر فى البصر أكثر عند العامة ، وفى البصيرة اكثر عند الخاصة .

وفى رواية صحيحة : عن هشام بن الحكم قال : قال لى أبو الحسن موسى ابن جعفر عليه السلام ـ فى حديث طويل ـ : يا هشام ان لكل شيء دليلا ، ودليل العقل التفكر ، ودليل التفكر الصمت .

وقيل: التفكر إعمال الفكر فيما يفيد العلم به قوة الايمان واليقين والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة .

وقال بعض الظرفاء : الفكرة الصحيحة إصطرلاب روحانى .

وقيل لاحد الظرفاء : انك تطيل الفكرة ، فقال : الفكر مخ العقل .

وقال بعضهم : ان معنى الفكر هو إحضار معرفتين فى القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ، ومثاله أن من مال إلى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعرف ان الاخرة أولى بالايثار من العاجلة فله طريقان :

أحدهما ـ أن يسمع من غيره ان الاخرة اولى بالايثار من الدنيا ، فيقلده ويصدّقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله إلى ايثار الاخرة اعتماداً على مجرّد قوله ، وهذا يسمى تقليداً ولا يسمى معرفة .

ثانيهما - أن يعرف أن الابقى اولى بالايثار ، ثم يعرف ان الاخرة أبقى ، فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو أن الاخرة اولى بالايثار ، ولا يمكن تحقق المعرفة بان الاخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين .

فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكراً واعتباراً وتذكراً ونظراً وتأملا وتدبراً .

أما التدبر والتأمل والتفكر : فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة ، وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر : فهي مختلفة المعاني ، وإن كان أصل المسمى واحد .

فكذلك الاعتبار : ينطلق على إحضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما إلى معرفة ثالثة ، وان لم يقع العبور ، ولم يمكن الا الوقوف على المعرفتين ، فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار ، وأما النظر والتفكر فتقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة ، فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظراً ، فكل متفكر فهو متذكر ، وليس كل متذكر متفكراً .

وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ ولا تنمحي عن القلب ، وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة ، فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر .

﴿ في حاجة الانسان الى الفكر والتفكر ﴾

ومن البديهي ان الخلق كله مفطور من غير فرق في ذلك بين انسان وحيوان ونبات وجماد ففي كل فطرة في معرفة خالقه على ما يناسبه ، ولكل خلق حال خاصة جائت له من أصل فطرته ، فالحيوان مفطورة على أعمال بغرائزها التي فطرها الله جل وعلا ، فالطير مفطور على الطيران ، والنحل مفطورة على الهندسة ، وقس عليهما سائر الحيوانات . . .

ولكن الانسان له فطرة أوسع من فطرة غيره ، وله الخيار في اظهار الفطرة حال الاختيار يشير إليه قوله تعالى : « واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » الاعراف : ١٧٢) .

وبعبارة اخرى : ان الفطرة على ضربين :

أحدهما ـ : فطرة تظهر من غير اختيار ، وهي فطرة جامدة لا تحتاج في ظهورها إلى الفكر والتفكر ، وكمال صاحبها ظهورها اطلاقاً .

ثانيهما ـ فطرة تحتاج إلى الفكر والتفكر ، وكمال صاحبها ظهورها بالتفكر اختيارا .

ومن هنا يظهر ان الاولى لا تحتاج إلى ايقاظ وموقظ ، والثانية في حاجة إلى موقظ ، ومن ثم أرسل الله جل وعلا أنبياءه عليهم السلام ليوقظوا الانسان لهذه الفطرة ، فالدين جاء لسوق الفطرة وايقاظها وتحريكها وسوقها إلى ما تقتضيه .

قال الله تعالى في الاولى : « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » طه : ٥٠) .

فلكل حيوان فطرته الخاصة به بحيث كانت تلك الفطرة كافلة بشؤونه العامة

والخاصة ، فللنحل فطرة بني بها بيوته ويملاها بالعسل ويربّي ذريته ، وللعنكبوت نسيجها الخاص بهـا الذي يكون فيه مأواه ، وبه يصطاد الذباب ، وغيرهما مـن الحشرات ، وهكذا للانسان فطرة بها يهتدي لثدي امه ، ويمسكه ويمتصّه ويبكي عند الجوع ، ويضحك عنـد الفرح ، وهكذا تسوقه غريزته وفطرته إلـى قيامه بشئونه وأعماله جميعها ، فيستعمل سمعه وبصره وشمّه وذوقه ولمسه . . . كل ذلك بفطرته بلا معلم يعلمه ولا مرشد يرشده .

من غير فرق في ذلك بين انسان اليوم وانسان أمس وانسان غداً ، وبين هذه الامة والامم السابقة ، وبين أبيض وأسود ، وبين ولد عالم وولد جاهل ، وبين مدني وقروي . . .

فلكل انسان كان معابد وصلوات وتوجهات إلى معبود ، وإن اختلفوا في الاوصاف وفي الكم والـكيف ، فالانسان بما هو هو في أي زمـان يتسابق إلـى الاستغاثة بوجود أسمى وأعلى .

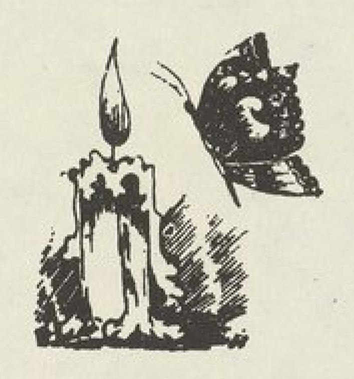
فللانسان فطرتان لا ثالث لهما : فطرة في إنماء الجسم والمحافظة على النسل من غير حاجة إلى قوة الفكر والتفكر ، فلا رجل ولا إمرأة الا دأبهما المحافظة على بقـاء أجسامهما وتربية ذريتهما ولولاهـا لخلت الارض مـن نوع الانسان ، ويشاركه في هذه الفطرة الحيوان كله . . .

وفطرة في انماء الروح واسعادها وفيها الكمال الانساني وهذا هو المايز بين الانسان والحيوان ، وآية ذلك مـا ترى الانسان في حفظ العرض والخوف مـن الشماتة والعار والخزي والذل وما إليه . . . وهـذا مـا لا يمكن الا بقوة الفكر والتفكر لابد مـن ظهورهـا اختياراً ، وذلك يعم الانسان في كـل وقـت ومكان قديماً وحديثاً .

فكما ان الانسان يطلب الرزق بفطرته ، ويحفظ نفسه لفطرته ففيـه فطرة تدعوه إلى أن يحفظ جانب روحه ، وليست هذه في الحيوان .

فان الله تعالى قد هدى كل نوع من أنواع الخليقة إلى سعادته التى هى بغية حياته بفطرته ونوع خلقته ، وجهّز فى وجوده بما يناسب غايته من التجهيز قال الله جل وعلا : « الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى » الاعلى : ٢ ـ ٣) .

فالانسان كسائر الانواع المخلوقة مفطور بفطرة تهديه إلى تتميم نواقصه ورفع حوائجه وتهتف له بما ينفعه وما يضرّه فى حياته المادى ، ولما جعل الله تعالى هذا الانسان خليفته فى الارض جعل كماله فى انسانيته وروحه فاودع فيه قوة الفكر ليتميز بها من غيره ، فالانسان يحتاج فى انسانيته إلى الفكر والتفكر .



﴿الدماغ والفكر﴾

حينما اتفق الباحثون على أن الجهاز العصبى مؤلف من الدماغ والاعصاب والجمجمة والنخاع الشوكى والعصب السمباتوى، وان الدماغ مجلس العقل وهو فى الجسم الانسانى ممتد من الجهة إلى القسم المؤخرى، ونسبوا للمخ قوى الفكر والذاكرة والارادة، وللمخيخ وهو الجزء الخلفى الصفات الحيوانية الدنيا، وان الدماغ مجلس الحس ومنه يتفرع الشعور إلى جميع أجزاء الجسم.

ولكنهم لا يعرفون أى جزء من الدماغ يقبل التأثيرات الخارجية أو ينتسب أشد الانتساب إلى القوى الذهنية غير ان جزءا منه أهم من أجزاء اخرى، وقد نزعت قطع من كلتا المادتين البيضاء والسنجابية بسبب آفات بدون أن يقل التعقل أو تفقد الحياة.

ولما كان فعل وظائف أعضاء الجسم المختلفة يتعلق بالدماغ أو النخاع الشوكى، يجب أن يكون الدماغ سليماً لكى تجيىء الاعمال العصبية على ما ينبغى من الضبط والصحة.

ومما هو واجب لحفظ صحة الدماغ أن يستعمل بالفكر والحركة ثم يريح من الافكار الهامة لان ادمان العمل العقلى يضعفه ويختلف عدد الساعات المسموح بها للعمل العقلى باختلاف الصحة العامة يجب أن يكون الجهاد العقلى الشديد صباحاً، وأن يصرف المساء فيما يشغل البال عن همومه حتى يكون للمخ وقت للرياضة، تجب العناية بأمر النوم، لان فيه الراحة التامة للمخ، وينبغى أن لا

يكون النوم عقب عمل عقلي شاق لئلا يكون النوم مضطرباً مشوشاً .

وان المخ هو الجزء الاكبر حجما من باقي أجزاء الدماغ ، ووزنه ١٢٥٠ غراماً ، وهو موضوع في الجزء المقدم والعلوي من تجويف الجمجمة ، وشكله بيضي مضغوط من أعلى الى أسفل طرفه الدقيق الى الامام والغليظ الى الخلف .

وهو مكون من نصفين متساويين يسميان بالنصفين الكريين للمخ وينضمان أحدهما للاخر بواسطة عدة أجزاء متوسطة ومنفردة وشكل كل نصف كرى منشوري مثلث تتميز له ثلاثة اوجه وطرفان ، فالوجوه أنسي ووحشي وسفلي ، والطرفان مقدم وخلفي .



«القرآن الكريم والتفكر»

ان القرآن الكريم لا يقتصر التفكر فى جانب فحسب ، بل يحث الانسان على التفكر فى خلق السموات والارض وما فيهما عامة تارة ، وفى الامم الماضية ، والنفوس البشرية ، والقصص القرآنية ، والامور الاجتماعية والاخلاقية ، والسياسة المدنية ، والكتب السماوية وفى المسائل الدينية والاحكام الشرعية خاصة تارة اخرى . . .

وهو يقول : « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض » آل عمران : ١٩٠-١٩١) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ويل لمن قرء هذه الاية فمج » أى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها .

ويقول : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعاً منه ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » الجاثية : ١٣) .

ويقول : « اولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون أو لم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين أساؤا السواى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن - ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » الروم : ٨-٢١) .

ويقول : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » الاعراف : ١٧٥ - ١٧٦) .

ويقول : « انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينّت وظن أهلها انهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كان لم تغن بالامس كذلك نفصّل الايات لقوم يتفكرون » يونس : ٢٤) .

ويقول : « هو الذى أنزل من السماء ماءاً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون - ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون » النحل : ١١ - ٦٩) .

ويقول : « قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد » سباء : ٤٦) .

ويقول : « أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين » الاعراف : ١٨٤) .

ويقول : « يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون » البقرة : ٢١٩) .

ويقول : « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا اقول انى ملك ان اتبع الا ما يوحى إلىّ قل هل يستوى الاعمى والبصير افلا تتفكرون » الانعام : ٥٠) .

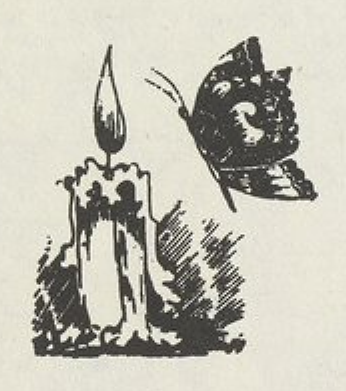
ويقول : « وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى إليهم فاسئلوا أهل الذكر

إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون » النحل : ٤٤) ،

ويقول : « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون » البقرة : ٢٦٦) .

ويقول : « الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى إلى أجل مسمى ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » الزمر : ٤٢) .

وغيرها من الايات القرآنية . . .



﴿ فى فضل التفكر ﴾

وقد وردت روايات كثيرة باسانيد عديدة فى فضل التفكر لا يسعها المقام فنشير إلى نبذة منها ، وهذه ما يكفينا بما فى الدين الاسلامى من حريّة التفكير والتفكر .

١ ـ فى الكافى باسناده عن يحيى بن عمران عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول : التفكر حياة قلب البصير كما يمشى الماشى فى الظلمات بالنور بحسن التخلّص وقلّة التربّص .

٢ ـ وفيه باسناده عن السكونى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : نبّه بالتفكر قلبك ، وجاف عن الليل جنبك ، واتّق الله ربّك .

وفى مجالس المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن اسمعيل عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول : نبّه بالتفكر قلبك ، وجاف عن النوم جنبك واتق الله ربك .

أقول: التنبيه : الايقاظ عن النوم وعن الغفلة وقوله : « جاف عن الليل ـ و ـ عن النوم » كناية عن القيام بالليل للعبادة ، والجفا : البعد ، قال الله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » السجدة : ١٦) .

٣ ـ فى نهج البلاغة : قال الامام أميرالمؤمنين على عليه السلام : العلم وراثة كريمة والاداب حلل مجدّدة ، والفكر مرآة صافية .

٤ ـ وفيه قال عليه السلام : ولا علم كالتفكر .

٥ ـ في الكافي باسناده عن الحسن الصيقل قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عما يروى الناس أن تفكّر ساعة خير من قيام ليلة ، قلت : كيف يتفكر ؟ قال : يمر بالخربة أو بالدار فيقول : أين ساكنوك ؟ وأين بانوك ؟ مالك لا تتكلمين ؟ .

أقول : والمراد « بالخربة » ما خرب ولايسكنه أحد ، والمراد « بالدار » ما لم يحزب لكن مات من بناها وسكنها غيره وقوله عليه السلام : « ما لك لا تتكلمين » بيان لغاية ظهور الحال أى العبرة فيك بيّنة بحيث كان ينبغى أن تتكلم بذلك فلا بد للناظر أن يعتبر .

٦ ـ في البحار : لما توجّه على عليه السلام إلى صفّين إنتهى إلى ساباط ثم إلى مدينة بهرسير ، وإذا رجل من أصحابه يقال لـه : حريز بن سهم من بني ربيعة ينظر إلى آثار كسرى ، وهو يتمثّل بقول ابن يعفر التميمي :

جرت الرياح على مكان ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فقال على عليه السلام : أفلا قلت :« كم تر كوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين » ان هؤ لاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين ، ان هؤلاء لم يشكروا النعمة ، فسلبوا دنياهم بالمعصية ، اياك وكفر النعم لا تحل بكم النقم .

٧ ـ وفي رواية عن طاوس قال : قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام : يا روح الله هـل على الارض اليوم مثلك ؟ فقال : نعم من كان منطقه ذكراً وصمته فكراً ونظره عبرة فانه مثلي .

وقال بعض الظرفاء : من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو ، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهو .

وحكى ان لقمان كان يطيل الجلوس وحده ، فكان يمرّ به مولاه فيقول :

يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك ؟ فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان : ان طول الوحدة أفهم للتفكر ، وطول الفكر دليل على طريق الجنة .

٨ ـ في رواية : ان الله تعالى قال في بعض كتبه : اني لست أقبل كلام كل حكيم ، ولكن أنظر إلى همه وهواه ، فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكراً وكلامه حمداً وإن لم يتكلم .

وغيرها من الروايات الواردة في حث الانسان على التفكر والاعتبار .



﴿ التفكر في العبادة ﴾

في الكافي : باسناده عن معمر بن خلاد قال : سئلت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم انما العبادة التفكر في امر الله عزوجل .

اقول : أي ليست العبادة منحصرة في الصلاة والصوم وانما العبادة الكاملة التفكر في أمر الله تعالى اذ فيه العلم بكيفية العمل وآدابه وشرائطه ، والعبادة بدونه باطلة ، فكثرة الصلاة والصوم من غير العلم بشرائطهما وأحكامهما ليستا عبادة حقيقة .

ومن المحتمل أن يكون المراد : ان كثرة الصلاة والصوم من غير التفكر في معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومعرفة هداة الدين من أئمة أهل البيت عليهم السلام كما يصنعه من لا ولاء له بهم فعبادتهم غير مقبولة قطعاً .

وفي مصباح الشريعة : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فكرة ساعة خير من عبادة سنة ، ولا ينال منزلة التفكر الا من خصّه الله بنور المعرفة والتوحيد .

وفي تفسير العياشي : عن أبي العباس عن أبي عبدالله عليه السلام قال : تفكّر ساعة خير من عبادة سنة « انما يتذكر أولوا الالباب » .

أقول : وذلك لان التفكر من أعمال القلب ، وهو أفضل من أعمال الجوارح كما ان أثره أعظم وأدوم إذ ربما صار تفكر ساعة سبباً للتوبة عن المعاصي ولزوم الطاعة تمام العمر .

وفي الكافي : باسناده عن البزنطي عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته .

أقول: قوله عليه السلام: «ادمان» أي إدامة، والمراد بالتفكر في الله: النظر إلى أفعاله وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه، فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه، وتدل على كمال علمه وحكمته، وعلى نفاذ مشيته وقدرته وإحاطته بالاشياء، وأنه جل وعلا لكمال علمه وحكمته لم يخلق هذا الخلق عبثاً من غير تكليف ومعرفة وثواب وعقاب، فانه لو لم تكن نشأة اخرى باقية غير هذه النشأة الفانية المحفوفة بانواع المكاره والالام لكان خلقها عبثاً كما قال تعالى: «أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم إلينا لاترجعون» المؤمنون: ١١٥).

وهذا تفكر اولي الالباب.

وفي الخصال: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أكثر عبادة أبي ذر رحمة الله عليه التفكر والاعتبار.

وفي رواية: عن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى ام ذر - بعد موت أبي ذر - فسئلها عن عبادة أبي ذر فقالت: كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر.

وفي رواية: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اعطوا أعينكم حظها من العبادة، فقالوا: يا رسول الله وما حظها من العبادة؟ قال: النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه.

وفي معاني الاخبار: في خبر أبي ذر قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه عز وجل، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيما صنع الله عزوجل إليه، وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال.

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه: فيما أوصى الامام علي عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام قال: لا عبادة كالتفكر في صنعة الله عزوجل.

وفي تحف العقول: فيما أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيّه الامام علياً عليه السلام

قال : ولا عبادة كالتفكر .

وفي فقه الرضا : وأروى فكر ساعة خير من عبادة سنة ، فسئلت العالم عليه السلام عن ذلك ، فقال : تمر بالخربة وبالديار القفار فتقول : أين بانيك ؟ أين سكانك ؟ مالك لا تتكلمين ؟ وليس العبادة كثرة الصلاة والصيام ، والعبادة التفكر في أمر الله جل وعلا .

وعن ابن عباس قال : ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب .



في النهي عن التفكر
في ذات الله تعالى

وقد ورد كثير من الروايات في النهي عن التفكر في ذات الله جل وعلا ، فان التفكر في ذات الله تعالى وفي كنه صفاته يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل ، لان الله سبحانه غير متناه اطلاقاً ، وان العقل متناه اطلاقاً ، ومن شرائط الادراك علو المدرك - بكسر الراء - على المدرك بفتحها - قال الله تعالى : « لا تدرك الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » الانعام : ١٠٣) .

فمجارى الفكر والتفكر هى النظر فى أفعاله وعجائب صنعه وبدائع أمره فى خلقه ، فانها تدل على جلاله وعظمته وكبريائه وتقدسه وتعاليه ، وعلى كمال علمه وقدرته وحكمته وعلى نفاذ مشيئته .

قال : « ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا » آل عمران : ١٩١) .

عن ابن عباس قال : ان قوماً تفكروا فى الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فانكم لم تقدروا قدره .

وفى رواية : قال الامام محمد بن على الباقر عليه السلام : اياكم والتفكر فى الله ، ولكن اذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظم خلقه .

وفى رواية : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : من نظر فى الله كيف هو هلك .

وانما التفكر فى القرآن الكريم والروايات الشريفة راجع إلى الخلق لا

إلى الخالق لان الاستدلال بالخلق على الخالق لايوجب المماثلة بل يقع على وجه المخالفة ، اذ نستدل بحدوث هذه المحسوسات التى حولنا على قدم خالقها ، وبكميتها و كيفيتها وشكلها على براءة خالقها عن الكمية والكيفية والشكل ، ونستدل من اختراع تلك الاجرام العظام وابداع صنعها بما تكل الافهام عن ادراك كثير من عجائبها على عظم شأن صانعها و كبرياء سلطانه ، كما أشار إليه بقوله تعالى حكاية عن المتفكرين : « ربنا ما خلقت هذا باطلا » فما خلقت تلك ولا هذه من غير حكمة ولامصلحة . . .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » : من عرف نفسه بالحدوث عرف ربه بالقدم ، من عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب ، من عرف نفسه بالحاجة عرف ربه بالاستغناء ، من عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ، من عرف نفسه بالنقص عرف ربه بالكمال ، ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم . . .

فلن يقدر انسان على التفكر فى ذات الله جل وعلا ، ولا فى كنه صفاته ، فاذا طلب الانسان وراء الفكر فى صفاته أمراً فلينظر فى نعم الله تعالى وأياديه : كيف توالت عليه يترى ؟ وليجدد لكل نعمة منها ذكراً وشكراً وليتامل فى بحار المقادير كيف فاضت على العالمين ؟ .

وقد قيل : الفكرة فى نعم الله من أفضل العبادة .

فلو جاوز النظر عن الافعال إلى النظر فى الذات فقد حاول أمراً إمراً فخاطر بنفسه مجاوزة حدّ الطاقة البشريّة ظلماً وجوراً ، اذ تنبهر العقول دون مبادى اشراقه ، وتنتكص على أعقابها اضطراراً وقهراً .

فلا يطيق مدّ الفكر إلى ذاته جل وعلا كما ان بصر الخفاش لا يطيق إلى نور الشمس من غير لزوم البخل فى الخالق وانما هذا هو الكمال .

وفى رواية : ان النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال : « ما لكم لا تتكلمون » فقالوا : نتفكر فى خلق الله عزوجل قال:

« فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها ، مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله عزوجل لم يعصوا الله طرفة عين ».

قالوا : يا رسول الله فأين الشيطان منهم ؟ قال : « ما يدرون خلق الشيطان أم لا » قالوا : من ولد آدم ؟ قال : « لا يدرون خلق آدم أم لا ».

وان التفكر إما أن يكون في الخالق وإما في الخلق ، والاول إما أن يكون في ذاته وإما في صفاته أو في افعاله ، وأمّا في ذاته فممنوع ، لانه لا يعرف الله تعالى الا الله جل وعلا .

نعم يجوز التفكر في ذاته باعتبار عظمته وجلاله وكبريائه من حيث وجوب الوجود ، ودوام البقاء والازلية ، وامتناع الأمكان والفناء والصمدية التي هي الاستغناء عن الكل واحتياج الكل إليه « انتم الفقراء إلى الله ».

وأما في صفاته تعالى فهو فيها باعتبار كمالها بحيث يحيط علمه بجميع المعلومات ، وقدرته بجميع الاشياء ، وارادته بجميع الكائنات ، وسمعه بجميع المسموعات ، وبصره بجميع المبصرات وما إلى ذلك .

وأما في أفعاله فهو فيها بحسب شمولها وكثرتها ومتانتها ووقوعها على وجه الاتم ، وعلى سبيل الحكمة ، وعلى أساس التدبير ، وعلى طريق المصلحة .

والثاني: إما أن يكون فيما كان من العلويات والسفليات : التكوينيات والتشريعيات أو فيما سيكون من أهوال القيامة وأحوال الاخرة . . وهذا مما يحث عليه القرآن الكريم والروايات الواردة ...

﴿ التفكر فى الخلق ﴾

ان الدين الاسلامى يأمر الانسان بالتفكر فى الخلق : سماويها وأرضيها وينهاه عن التفكّر فى الخالق ، لان التفكر فى الخلق يغنى الانسان عن التفكر فى الخالق لكثرة الشواهد فى الخلق على الخالق ، ولاستحالة ادراك الانسان كنه ذات الله جل وعلا وحقيقة صفاته العليا .

نعم ما قال الشاعر :

اذا المرء كانت له فكرة ففى كل شىء لـه عبرة

فى الدر المنثور : عن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قال : رايت ليلة اسرى بى ، فلما انتهينا إلى السماء السابعة نظرت فوقى ، فاذا أنا برعد وبرق وصواعق ، قال : واتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم ، قلت : من هؤلاء ياجبرئيل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا ، فلما نزلت إلى السماء الدنيا ، فنظرت إلى أسفل منى ، فاذا برهج ودخان وأصوات ، فقلت : ما هذا يا جبرئيل ؟ .

قال : هذه الشياطين يخرجون (يحرجون خ) على أعين بنى آدم أن لا يتفكروا فى ملكوت السماوات والارض ، ولو لا ذلك لرأوا العجائب .

فاذاً لابد لنا من بيان كيفية التفكر فى الخلق لنرى العجائب . . .

ومن البديهى : ان كل ما فى هذا العالم الشاسع ، وفى ذاك الوجود غير الله تعالى فهو من خلقه ، واذا تتفكر فى كل ذرة من ذرات هذا العالم : جوهراً كان أم عرضاً ، نجد فيه عجائب تظهر بها حكمة الله تعالى وعلمه وكماله ، وغرائب تبرز بها جلال الله وعظمته وقدرته . . .

مع أن الانسان ليس فى وسعه أن يحصى الخلق ، وأن يعرف فيه من

الاسرار . . : اذ لو كان البحر مداداً لذلك لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات الله جل وعلا .

ان الخلق فى القرآن الكريم ينقسم على ضربين :

أحدهما ـ ما لا يعرف الانسان أصله وحقيقته فلا يمكن له التفكر فيه .

قال الله تعالى : « يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » .

الاسراء : ٨٥)

وقال : « ويخلق ما لا تعلمون » النحل : ٨) .

وقال : « سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » يس ٣٦) .

وقال : « على أن نبدّل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون » الواقعة : ٦١)

وغيرها من الايات القرآنية . . .

ثانيهما ـ ما يمكن للانسان أن يعرف أصله إجمالا فعليه ان يتفكر فيه فى تفصيله من السموات وكواكبها وشمسها وقمرها وحركاتها ودورانها فى طلوعها وغروبها . . .

ومن الارض وما فيها وعليها من جبالها ومعادنها وبحارها وأنهارها وحيوانها ونباتها وأشجارها . . .

وما بين السماء والارض من الجو والامطار والرعد والبرق والصواعق والرياح العواصف . . .

وكل واحد منها ينقسم إلى أنواع ، وكل نوع إلى أقسام ، وكل قسم إلى أصناف فى الصفات والهيئات والحقائق . . .

وفى كل واحد حكمة بل حكم تدل على صانعها الحكيم الخبير .

ومن الخلق هذا الانسان الذى فيه عجائب دالة على عظمة خالقه وآيات تدل على كمال بارئه « وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

الذاريات : ٢٠ ـ ٢١)

وفيه آيات كما فى الافاق آيات « سنريهم آياتنا فى الآفات وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » فصلت : ٥٣).

آيات من بدء خلقه إلى موته غفل هو عن نفسه وعن خالقها المتعال ، قال تعالى : « أيحسب الانسان أن يترك سدى الم يك نطفة من منّى يمنى ».
القيامة : ٣٦ ـ ٣٧)

وقال : « ومن آياته أن خلقكم من تراب اذا أنتم بشر تنتشرون ».
الروم : ٢٠)

وقال : « أو لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » مريم ٢٧).
وقال : « قتل الانسان ما أكفره من أى شيء خلقه من نطفة خلقه فقدّره ».
عبس : ١٧ ـ ١٩).

وليس تكرير ذكر النطفة القذرة فى القرآن الكريم أن يسمع الانسان لفظها من غير تفكر فى حقيقتها .

فتفكر فى هذه القطرة من هذا الماء المهين ـ لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت واشتدت نتنها ـ كيف استجلب من أعماق العروق وجمع فى صلب الرجل وترائب المرأة ؟ كيف ألقى الله تعالى المودة والالفة والمحبة فى قلوبهم ؟ كيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة إلى الاجتماع ؟ كيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع دون المرأة ؟ وكيف جعلها فى قرار مكين ؟ ؟ . . .

كيف جعل النطفة وهى بيضاء مشرقة علقة حمراء ؟ كيف جعلها مضغة ؟ كيف قسم أجزاء النطفة وهى متساوية متشابهة إلى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ؟ كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق الاعضاء الظاهرة ، فدوّر الرأس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ؟ ؟ . .

كيف مد اليدين والرجلين ؟ كيف رؤسها بالاصابع ، وقسم الاصابع بالانامل ؟ كيف ركب الاعضاء الباطنة والقوى الخفيّة من المعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء . . . ومن قوة الفكر والعقل والادراك والشعور ... ؟

كل واحد على شكل مخصوص ومقدار معين وحد محدود لعمل خاص . .

كيف قسم كل عضو من تلك الاعضاء باقسام اخر ؟ اذ ركب العين على سبع طبقات ، ولكل طبقة وصف مخصوص ، وبيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها أو زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار ؟ وكيف خلق هذا الانسان الجاهل المجهول من النطفة وسقاه بدم الحيض وغذاه حتى نما وربى وكبر .

وحقا انا لو نتفكر فى نصف ما فى آحاد تلك الاعضاء من العجائب والآيات لانقضى فيه الاعمار . . .

ثم تفكر فى العظام وهى أجسام صلبة قوية كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ، وجعلها قواماً للبدن وعماداً له ؟ وكيف قدّر العظام بمقادير مختلفة وأشكال متنوعة ، فمنه صغير وكبير ، ومنه طويل ومستدير ، ومنه مجوّف ومصمت ، ومنه عريض ودقيق .

ثم تفكر فى قدر شكل كل واحد من العظام على وفق الحركة المطلوبة بها حيث كان الانسان محتاجاً إلى الحركة بجملة بدنه ، وببعض أعضائه ، مفتقراً للتردد فى حاجاته ، فلم يجعله عظمه عظماً واحداً بل عظاماً كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسّر بها الحركة ، ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتها من أحد طرفى العظم وألصقه بالعظم الاخر كالرباط له ، ثم خلق فى أحد طرفى العظم زوائد خارجة منـه ، وفى الاخر حفراً غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها ، فصار العبد إن أراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ، ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك .

ثم تفكر فى عظام الرأس كيف خلقها وقدّرها وجمعها وركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور ، فاستوى بها كرة الرأس ومنها الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهى الانياب والاضراس والثنايا . . . فسبحان من أخرج تلك العظام الصلبة من تلك اللثات اللينة .

ثم تفكر فى عظام الرقبة وتقديرها وأجزائها وتركيبها من غير أن يجعلها عظماً واحداً ، وفى سائر عظام البدن ...

وحقاً لو زاد عظم واحد على العظام لاحتاج الانسان إلى قلعه ، كما لو نقص واحد منها لاحتاج إلى جبره ، وفى كل ذلك آيات واضحة على كمال علم صانعها وحكمة بارئها .

ثم تفكّر فى الالات المحركة للعظام فى بدن الانسان وهى خمسمأة وتسع وعشرون عضلة ـ العضلة مركّبة من لحم وعصب ورباط وأغشية ـ على اختلاف المقادير والاشكال حسب إختلاف مواضعها وقدر حاجاتها .

ومنها أربع وعشرون لتحريك حدقة العين وأجفانها ، بحيث لو نقصت واحدة منها إختل أمر العين ، وهكذا لكل عضو عضلات على حد معيّن وقدر مقدّر ، وكل ذلك صنع الله جل وعلا فى قطرة ماء قذرة ، فتفكّر فيها ما كانت أولا ، وما صارت إليه ثانياً .

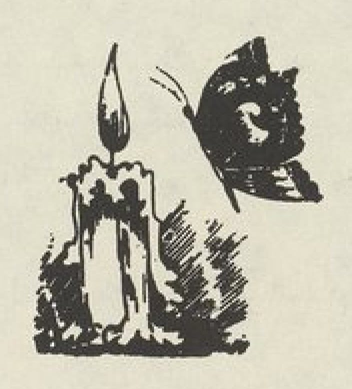
هل يقدر الجن والانس لو إجتمعوا على أن يخلقوا للنطفة سمعاً أو بصراً أو عقلا أو قدرة أو علماً أو روحاً أو يخلقوا فيها عظماً أو عرقاً أو عصباً أو جلداً أو شعراً كلّا ثم كلّا ...

بل لو أرادوا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه .

ومن العجيب ان الانسان إذا رأى صورة إنسان مصوّر على حائط تأنف النقاش فى تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان ، أو رأى خطاً حسناً ، فيستحسنه فيصرف جميع همّه إلى التفكّر فى الخطّاط ، فيعظم تعجّبه من صنعة النقّاش وحذقه وخفّة يده ، ويعظم فى قلبه محلّه ، مع انه يعلم ان تلك الصورة انما تمّت بالصبغ والقلم واليد ، ولا شيء من ذلك من فعل النقّاش ولا

من خلقه بل هو من خلق غيره ، وانما جمع النقّاش بين الصبغ والحائـط على ترتيب مخصوص ، ويعظـم تعجّبه من الخط : فيقول : كيف اقتدر عليه ؟ وما أحذقه ؟ وما أكمل صنعه ؟ وما أحسن قدرته ؟ ولا يزال يستعظمه في نفسه .

ولكنه لا يتفكر في نفسه من قبل كونه نطفة قذرة معدومة إلى أن صـار بشراً سوياً وفيه آلاف وآلاف من الأسرار والحكم ...



﴿ التفكر فى الارض وما فيها وعليها ﴾

ومن الخلق : هذه الارض على اختلافها فى الاشكال والمنافع والاثار وفى كونها سبخة ومالحة ، وفى كونها خاشعة وبساطاً وكفاتاً ومسخرة لهذا الانسان الغافل .

قال الله تعالى : « وفى الارض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون » الرعد : ٤) .

وقال : « اولم يروا انا نسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون » السجدة : ٢٧) .

وقال : « ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت » فصّلت : ٣٩) .

وقال : « والله جعل لكم الارض بساطاً لتسلكوا منها سبلا فجاجاً » نوح : ١٩ _ ٢٠)

وقال : ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء وأمواتاً » المرسلات : ٢٥ _ ٢٦) .

وقال : ألم تر أن الله سخّر لكم ما فى الارض » الحج : ٦٥) .

وما على وجه الارض وما فى بطنها من الجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب ، فتفكر كيف أحكم الله تعالى جوانب الارض بالجبال ؟ وكيف أودع فيها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل والحديد والرصاص والنحاس والجص و و و ؟ ؟ ؟ .

قال تعالى : « والارض بعد ذلك دحيها _ والجبال أرساها » النازعات : ٣٠_٣٢) .

وقال : « الم نجعل الارض مهاداً والجبال أوتاداً » النبأ : ٦-٧) .

وقال : « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الارض كيف سطحت » الغاشية : ١٧-٢٠) .

وقال : « والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكناناً » النحل : ٨١)

وقال : « الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » الفاطر : ٢٧)

ومن البحار العميقة المكتنفة لأقطار الارض التي هي قطع من البحر الأعظم المحيط بجميع الارض على إختلاف انواع مياهها ، وما فيها من أصناف الحيوان اكثر مما في البراري تدهش المتفكر ، وما في أقسام الجواهر من اللؤلؤ والدر والمرجان والعنبر ، ومن كونها ملحاً اجاجاً وعذباً فراتاً ، ومن كونها مسخرة لهذا الانسان الغافل .

قال الله تعالى : « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » النحل : ١٤)

ومن الانهار الجاريّة والعيون المتفجرة السارية على وجه الارض ، قال تعالى : « وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهاراً - ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » الرعد : ٣) .

وقال : « أمّن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً » النمل : ٦١) .

وقال : « الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض - ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب » الزمر : ٢١) .

وقال : « أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون » الشعراء : ١٣٢-١٣٤) .

وقال: « وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون » . النحل : ١٥)

ومن المعادن المختلفة المتنوعة . . . ومن الأشجار والنبات كيف أخرج منها حباً وعنباً وقضبا وزيتوناً ونخلا ورماناً وفواكه كثيرة على اختلاف الاشكال والالوان والطعوم والصفات والخواص والمنافع يفضل بعضها على بعض فى الاكل تسقى بماء واحد .

قال الله تعالى : « الذى جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لايات لاولى النهى » طه : ٥٣ ـ ٥٤) .

فعلينا التفكر فى الارض وفى كونها فراشا ومهاداً وسلك فيها سبلا فجاجاً وكونها ذلولا نمشى فى مناكبها وكونها ميتة فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت عجائب النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات وأنواعها وأشكالها وألوانها وفعالها وطبائعها وصورها وفوائدها ومنافعها . . .

قال الله تعالى : « الذى جعل لكم الارض فراشاً » البقرة ٢٢) .

وقال: « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها » الملك: ١٥).

وقال: «وآية لهم الارض الميتة احييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون »
يس : ٣٣)

وقال : « فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الارض بعد موتها »
الروم : ٥٠)

وقال : « الم تر ان الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة »
الحج : ٦٣)

خلق الله تعالى هذه الارض وتلك النعم البحرية والبرية والجبالية ، والظاهرة والباطنية ... لهذا الانسان الغافل .

قال تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً » البقرة : ٢٩) .

﴿ التفكر فيما بين السماء والارض ﴾

ومن الخلق ما بين السماءِ والارض من الجو والهواءِ والرعد والبرق والسحاب والمطر والصواعق والشهب الثاقب والطيور ... فعلينا التفكر فيها :

التفكر فى الجو ، التفكر فى الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض ، يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ، ولا يرى بالعين شخصه ، لولاه لمات الانسان خاصّة والحيوان عامة ، كالحيوان البحريّة لو لا الماء .

وان جملة الهواءِ مثل البحر الواحد والطيور معلّقة فى جو السماء ومستبقة سباحة فيه بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر فى الماءِ .

قال الله تعالى : « الم يروا إلى الطير مسخّرات فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » النحل : ٧٩) .

وتضطرب جوانب الهواء وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر ، فاذا حرّك الله تعالى الهواء وجعله ريحاً هابة ، فان شاء جعله بشراً بين يدى رحمته إذ قال : « وأرسلنا الرياح لواقح » الحجر : ٢٢) .

وقال : « وهو الذى يرسل الرياح بشرابين يدى رحمته » الاعراف : ٥٧) .

وقال : « فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب » ص : ٣٦) .

فيصل بحركته روح الهواء إلى الحيوانات والنباتات فتستعد للنماء .

« ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته » الروم : ٤٦) .

وإن شاء جعله عذاباً على العصاة من خليقته اذ قال : « فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم » الاسراء : ٦٩) .

وقال : « كمثل ريح فيها صرٌ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته » آل عمران : ١١٧)

وقال : « انّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر » القمر : ١٩ ـ ٢٠) .

وفي ذلك آيات تدل على كمال صانعها العليم الحكيم القادر المتعال لقوم يتفكرون .

قال : « وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون » البقرة ١٦٤) .

فعلى العاقل أن يتفكر في لطف الهواء ، أن يتفكر في شدة الهواء ، وأن يتفكر في قوة الهواء مهما ضغط في الماء ، فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوى ليغمسه في الماءِ ، فيعجز عنه ، والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه .

وأن يتفكر كيف ينقبض الهواء من الماءِ بقوته مع لطافته ؟ وبهذه الحكمة أمسك الله جل وعلا السفن على وجه الماءِ ، و كذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لان الهواء ينقبض عن الغوص في الماء ، فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة ، فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة في الهواءِ اللطيف ، فسبحان من علق المركب الثقيل في الهواءِ اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد .

وعلى العاقل أن يتفكر في عجائب الجو ، وما يظهر فيه من غيوم ورعود وبروق وأمطار وثلوج وشهب ثواقب وصواعق . . . فانها من عجائب ما بين السماءِ والارض لم تخلق عبثاً ولا صدفة كما زعم من لا عقل له إذ لا دين له .

قال الله تعالى : « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين » الدخان : ٣٨) .

وأن يتفكّر في السحاب الكثيف المظلم كيف يجتمع في جوٍّ صاف لا

كدورة فيه ؟ وكيف يخلقه الله جل وعلا اذا شاء ومتى شاء ، وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل ، وممسك له في جو السماء إلى أن يأذن الله تعالى في ارسال الماء ، وتقطيع القشرات : كل قطرة بالقدر الذى أراده الله جل وعلا ، وعلى الشكل الذى شاءه ؟ .

فيرى السحاب يرش الماء على وجه الارض ، ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ، ولا تتصل واحدة باخرى ، بل تنزل كل واحدة في الطريق الذى رسم لها لا تعدل عنه ، فلا يتقدم المتأخر ، ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة .

هل يجتمع الاولون والاخرون من الجن والانس ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً قادرون على أن يخلقوا منها قطرة أو ينحرفوا مسيرها ، أو يقفوا نزولها ، أو يعرفوا عدد ما ينزل من السحاب المسخر بين السماء والارض في بلدة واحدة أو في قرية واحدة ؟ كلا ثم كلا . .

وان كل قطرة من المطر عنيت لكل جزء من الارض ولكل انسان وحيوان فيها من طير ووحش وحشرة ودابة ، ومكتوب على كل قطرة بخط الهي لا يدرك بالبصر الظاهر أنها رزق الدودة الفلانية التي في ناحية الجبل كذا تصل إليها عند عطشها في الوقت المعين .

وأن يتفكر فيها في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف .

فعلى الانسان العاقل أن يتفكر ويتفكر . . .

﴿ التفكر في السماء وما فيها ﴾

ومن الخلق السماء وما فيها من الكواكب والنجوم، فعلينا التفكر فيه، فان الله تعالى اثنى من تفكّر في خلق السموات والارض اذ قال: «ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا» آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١).

وحقاً ان الارض وما فيها بالنسبة إلى سماء كقطرة من البحار بل اصغر «أ انتم أشد خلقاً ام السماء بناها رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحاها» النازعات: ٢٧ ـ ٣٠).

وأنّى نسبة لجميع البحار والارض إلى السماء؟.

فتفكر في الملكوت لترى عجائب العز والجبروت، وليس معنى التفكر فيه أن تنظر إلى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فقط، اذ لو كان هذا هو المراد لما مدح خليله ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى: «وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض» الانعام: ٧٥).

بل انظر إلى السماء، وتفكر في كواكبها ودورانها، وفي طلوعها وغروبها، وفي شمسها وقمرها، وفي مشارقها ومغاربها، وفي دؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور فيها، ومن غير تغير في سيرها وانما تجرى كلها في منازل.

قال الله تعالى: «والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون» يس: ٣٨ ـ ٤٠).

وقال : « هو الذى جعل الشمس ضياءاً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصّل الايات لقوم يعلمون ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لايات لقوم يتقون » يونس : ٥ ـ ٦) .

مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ، ولا ينقص إلى أن يطويها الله تعالى فى السجل للكتاب ، وتفكر فى عدد الكواكب وكثرتها واختلافها فى الصغر والكبر ، وفى الالوان ، فبعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض ، والاخرى إلى اللون الرصاصى ، وتفكر فى أشكالها وان بعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والاسد والانسان . . .

وتفكر فى الشمس وفى حرارتها وأوجها وحضيضها ، وفيما يوجد بذلك الصيف والشتاء والربيع والخريف ، وفيما يوجد بطلوعها وغروبها ليل ونهار .

ثم تفكر فى السماء كيف أمسكها الله تعالى بغير عمد تراها ؟ « ألم تر ان الله سخّر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بامره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه » الحج : ٦٥) .

« ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » فاطر : ٤١) .

« الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » الرعد : ٢) .

كيف جعلها سقفاً محفوظاً ؟ « وجعلنا السماء سقفا محفوظاً » الانبياء : ٣٢) .

كيف جعل فيها بروجاً وزينّها للناظرين ؟ « ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزيّناها للناظرين » الحجر : ١٦) .

« تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً » الفرقان : ٦١) .

« انا زينّا السماء الدنيا بزينة الكواكب » الصافات : ٦) .

« وزينّا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العليم » فصلت : ١٢) .

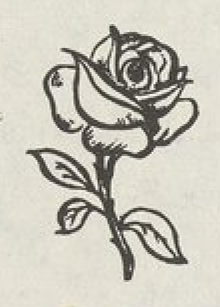
« ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين » .
الملك : ٥)

وكيف جعل السماء والارض كبيت واحد ، وجعل ما فيهما وما بينهما جماعه ؟ .

فتفكر في هذا البيت العظيم وما فيه لتعرف صانعه وكمال علمه وحكمته وتدبيره وقدرته وعظمته ، كما انك تتفكر وتتعجب اذا دخلت بيت غني حيث تراه مزوّقاً بالصبغ ، مموّهاً بالذهب ، فلا ينقطع تعجبك منه ، ولا تزال تذكره ، وتصف حسنه مرة بعد مرة . .

كيف تنظر إلى هذا البيت العظيم وإلى أرضه وسقفه وهوائه وإلى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته البرية والبحرية وبدائع نقوشه . . ؟ فلا تتفكر فيه وفي بانيه ، وبيت الغني جزء صغير حقير من هذا البيت العظيم ، وانت تعيش فيه ليلا ونهاراً غفلة عن صاحبه .

قال الله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين » الروم : ٢٢) .



الحرية الفكرية فى الاسلام

ودفع شبهات

وقد زعم الملحدون والمستغربون ان الحرية الفكرية هى الالحاد وطلاقة العنان فى الشهوات، وان الايمان وصالح العمل يمنعان الانسان من الحرية الفكرية، وقد وقع فى ذلك حوار بين إلهى ومادى تقرأها:

اذ قال المادى للالهى: أنت لست حر الفكر، قال الالهى: لماذا؟ قال المادى: هل تؤمن بوجود إله؟ قال الالهى: نعم قال المادى: هل تصلّى وتصوم؟ قال الالهى: نعم قال المادى: فلست حر الفكر قال الالهى: لماذا؟ قال المادى: لانك تؤمن بخرافة لا وجود لها.

قال الالهى: أنتم الملحدون بما ذا تؤمنون؟ من الذى خلق الكون والحياة؟ قال المادى: الطبيعة، قال الالهى: وما الطبيعة؟ قال: قوة خفيّة ليس لها حدود، ولكن لها مظاهر يمكن أن تدركها الحواس، قال الالهى: ان افهم أن تمنعنى من الايمان بقوة خفية لتعطينى بدلا منها قوة معلوم، ولكن اذا كانت المسئلة قوة خفية بقوة خفية فلماذا تأخذ منى الهى الذى أجد الامن والراحة والسلام فى الايمان به لتعطينى بدلا منه إلهاً آخراً لا يستجيب لى ولا يسمع منى الدعاء.

هل الدعاء إلى اللاشعور حرية الفكر لديكم؟ أفى الالحاد حرية الفكر وليست هى فى الايمان؟، فاذا كان الاسلام لا يبيح الالحاد وطلاقة العنان، فهو إذن لا يبيح حرية الفكر؟ هل الالحاد وطلاقة العنان من ضروريات حرية الفكر

فالملحدون العراة عن الالبسة والعقول هم أحرار الفكر سواء كانوا يعيشون في الغرب ام في الشرق ، فاذا كان كذلك فالحيوانات أحسن منكم في حرية الفكر لانها عراة من الالبسة وعراة عن العقول ولكنها لا تتعدى على نوعها كما يتعدى هؤلاء القرود والببغات على نوعهم . .

وليست حرية الفكر في العقيدة التي يعتقد بها المسلمون من إله واحد وهو الذي خلق الكائنات كلها وحده ، وإليه مرجعها وحده لا شريك له ، ولا معقب لكلماته هو الذي يحيي ويميت ويرزق ما يشاء . . .

هل الحرية في الفكر إحراق العلماء ، وتعذيبهم اذا جادلوا الخرافات والاكاذيب بالفاظ واهية ؟ هل حرية الفكر في الاوهام والخرافات وتحريق من اكتشف حقيقة علمية كما فعله أصحاب الكنيسة ؟ وهل حرية الفكر في ظل شهوة التقليد الاعمى للسادة المستعمرين ؟ هذه هي حرية فكرية عند الملحدين والعصاة وطالقي العنان من أهل الغرب والشرق وأذنابهم الخرصاء ، قال الله تعالى فيهم : « إن يتبعون الا الظن وإن هم الا يخرصون » يونس : ٦٦) .

وأما الاسلام فيرى حرية الفكر في ظل الايمان والعقائد الحقة والعبادات وهو يسعى أن يحرر الفكر من الخرافة ، وأن يحرر الناس من الطغيان ، ولن يدعو الانسان إلى تحريرهم من الفكر وتقييدهم بربقة الشهوات حتى تكون لهم حرية في الشهوات لا الافكار ، بل هذا هو مراد المحلدين لا الاسلام .

انما الاسلام يبيح للانسان حرية في الرأي ، حرية في النظر ، حرية في الفكر ، حرية في العمل ، حرية في الاقوال ، وحرية في جميع شئون حياته ولكن على مداره الانسانية ولا يبيح له حرية في الطغيان والظلم والالحاد والشهوات ...

انما الاسلام يبيح للانسان حرية في احقاق الحق ، ويقول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « ان من أعظم الجهاد عند الله كلمة عدل عند امام جائر » .

وقال الله تعالى : « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه

لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون » المائدة : ٧٨ ـ ٨٠) .

جعل السكوت على المنكر وعدم التناهي عنه علامة من علائم الكفر بالله تستوجب لعنه وسخطه وعقابه ، وقال رسول الله ﷺ : « من راى منكم منكراً فليغيّره » .

هل حرية الفكر في ظل احراق الناس احياءاً ، ونزع أظافرهم ، وسمل عيونهم ، وتقطيع اوصالهم لاكراههم على ترك دينهم واتباع مذهب مسيحي معين ـ والمسيح ابن مريم برىء منه ـ كما فعل محاكم التفتيش بآسبانيا . . .

ثم انظر إلى الحبشة سكانها خليط من المسلمين والمسيحيين ، وأقل الناس تقديراً يقدر المسلمين بـ ٣٥٪ من مجمع السكان بينما يقدرهم آخرون بـ ٦٥٪. فلنأخذ أقل التقديرين ليس في الحبشة مدرسة واحدة حكومية تدرس الدين الاسلامي لتلاميذها المسلمين ، ولا مدرسة واحدة تعلم اللغة العربية .

وأما المدارس التي يفتحها المسلمون على نفقتهم فان الحكومة الجائرة تظل تفرض عليهم من الضرائب والمضايقات ما يؤدي إلى اغلاقها في آخر الامر ، وتيئيس غيرهم من القيام بمحاولة جديدة وإلى عهد قريب ـ الى ما قبل الغزو الايطالي ـ كان المسلم الذي يستدين من مسيحي حبشي ويعجز عن الوفاء بدينه يصبح رقيقاً للحبشي يشترى ويباع ويعذب بمعرفة الدولة ، فهل في ظل هذه الطاغية الباغية حرية الفكر ؟ .

ثم انظر إلى الجماهير الشوروية المستبدة الطاغية ، وسكانها المسلمين أكثر من خمسين مليوناً ، فهل لهم ولغيرهم حرية فكرية في العقيدة والعمل والقول فيها ؟ وهكذا وهكذا . . .

﴿الشيعة وحرية التفكر﴾

ولعمرى ما وجدت ديناً غير الاسلام ولا مذهباً سوى الشيعة الامامية الاثنى عشرية أن تكون فيه حرية التفكر حقا : الحرية فى العقيدة والقول والعمل ، وحقا ان المسلم الشيعى فقط حر ، وهذا دليل واضح وبرهان قاطع على حقانيته فى عقيدته ، وغيرهم مقلدون عمياء ومتبعون حمية جهلاء .

فانظروا كيف يعظم الدين الاسلامى التفكر والتعقل والتدبر . . .

قال الله تعالى : « قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » سباء : ٤٦) .

هذا هو الاسلام فتح باب حرية الفكر على مصراعيه فى العقيدة والقول والعمل مجتمعاً وفرادى أو تعرف اليوم ديناً فى الارض يجيز الانسان كما أجاز له الاسلام .

وهذا الانفتاح الكلى فى الاسلام خلق طبيعى لذاته الاصيلة المطمئنة لانه لا يعرف نفسه ميتافيزيقية من الميتافيزيقيات الهاجسة فى الخيال ، والمتعشعشة فى الخيال ، وانما يعرف نفسه آيدلوجيّة من الايدلوجيات الثابتة فى الوجود ، والفاعلة فى الوجود ، فليس من الايدلوجيات المضطربة والمنفعلة ، ولا وهما يحرص على بقائه بتحاشى الافكار أن تسلط عليه فتفنيه .

ولا هو وثبة فكر بشرى يرتدى طابع الفكر البشرى الذى تغور فيه نقاط الضعف وتبرز فيه نقاط القوة ، وتتراصف فيه البقع السوداء جنباً إلى جنب مع البقع البيضاء تماماً كالبشر نفسه ، حتى يحتاج فى التظاهر بمظهر القوة المطلقة ، إلى إلفات الافكار إلى نقاط القوة البيضاء فيه تمهيداً لتهريب نقاط الضعف السوداء

فيه عن الافكار .

ولاهو دين موسمى تخلت عنه قادته بعد انتهاء موسمه ، واستنفاد أغراضه ، فتاجرت بآثاره المصالح والمطامع ، وتركت فيه آثار الحق متناوحة تتراجف مفلولة من غزوة الباطل ونكسة القيادة ، حتى يكون كالليل مهما أو مات فى جنباته النجوم لاتستطيع انتبلوره نهاراً يربى الكون ويوقظ الحركة فى الاحياء .

وانما الدين الاسلامى والمذهب الشيعى هما شىء واحد لايمكن أن يتحقق أحدهما من غير آخر اذ قال الله تعالى : « يا أيها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » المائدة : ٦٧) .

وانما هما شىء واقع أصيل مطمئن إلى واقعيته وأصالته ، ومؤمن بأنه أوفى وأصلح نظام تشريعى يغطّى كل حاجات البشر .

وهذه الثقة المطمئنة بواقعه تدفعه إلى أن يبسط نفسه بكل بساطة وبكل أبعاده للافكار ، ويدعو الافكار إلى أن تتركز على ما شاءت ، ويتحدّى كل ما يتفاضل معه من دين ومبدأ بما أعنف التحدى .

وكل ما يحلم به أن يعرض فى معارف الفكر - كما هو وبلا رتوش - إلى جانب ما يعرض من أديان ومبادىء كما تعرض البضائع فى معارض المادة .

وكلما يحذر منه أن يبقى مطموراً بأهله وفى أهله ، وأن يقوقع فى أدمغة تضغطه النور كى لا يمتدّ إلى العيون المرهقة من التحملق فى الدياجير بحثاً عن النور ، فهو لا يطلب من حقوقه أكثر من حق العرض ، ولا يحذر من جفوة أحد اكثر من جفوة الحبس فى تلافيف الادمغة أو فى طيّات كتب لاتقل تلافيفها عن تلافيف الادمغة ، لانه واثق من أنه إن تساوى مع غيره فى العرض سبق إليه الطلب ، وإن تخلّف فى العرض لم يلحقه الطلب .

ومن هذه الثقة ينطلق - دائماً - إلى مخاطبة العقول والدعوة إلى العلوم محاولا أن يفتح طريقه بين العقول والعلوم ، دون أن يمارس أىّ ضغط لما ينافسه من الاديان والمبادىء ، فيقول - أبداً - : « يا اولى الالباب » و « أفلا تعقلون »

«أفلا تبصرون» و«او لم يتفكروا في خلق السموات والارض» و«افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها» و«لا اكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي».

إلى آخر ما في القرآن الكريم من نظائر هذه النداءات التي تعبر عن تركيز اهتمامه على الطبقة العاقلة المفكرة - أكثر من سائر الطبقات - لانه يجد في هذه الطبقة أقربائه الذين يستطيع أن يحملهم توجيهه أسرع من غيرهم، ويستطيعون أن يمتدوا بمشاعله أجرأ من غيرهم.

وهذه الظاهرة ان دلت على شيء، فانّما تدل على أصالته المطمئنة لانه لو كان يعرف فيه نقطة ضعف أو لطخة سوداء، لكان يحاول تهريبها من الافكار، بالانتماء في أحضان الطبقات غير العاقلة وغير المفكرة كما فعل بعض رواسب الاديان، أو بالالتجاء إلى تحريم العلم واضطهاد العقلاء كما فعل الكثير من المبادىء.



﴿ في نتاج التفكر وآثاره ﴾

ان الدين الاسلامي يحث الانسان كثيراً على التفكر فيما سوى الله جل وعلا من التكوينيات والتشريعيات باعتبار النتائج والآثار التي تحصل بسبب التفكر، وقد سبق ذكر بعضها خلال البحث، ونشير إلى ما يسعه المقام مما ورد في الاخبار وفي كلمات المفسرين والفقهاء والحكماء والمحدثين، والفلاسفة والمتكلمين...

في الكافي: باسناده عن ربعي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: التفكر يدعو إلى البر والعمل به.

قوله عليه السلام: «التفكر يدعو إلى البر» كأن التفكر الوارد في هذا الخبر شامل لجميع التفكرات الصحيحة التي قد سبق ذكرها، كالتفكر في عظمة الله جل وعلا، فانه يدعو إلى خشيته وطاعته، والتفكر في فناء الدنيا ولذاتها فانه يدعو إلى تركها، والتفكر في عواقب من مضى من الصالحين فيدعو إلى اقتفاء آثارهم، والتفكر في مآل أمر المجرمين وعاقبة الظالمين فيدعو إلى اجتناب أطوارهم، والتفكر في عيوب النفس وآفاتها فيدعو إلى الاقبال على إصلاحها، والتفكر في أسرار العبادة وحكمها وغاياتها فيدعو إلى السعي في تكميلها ورفع النقص عنها، والتفكر في رفعة درجات الآخرة والعاقبة للمتقين فيدعو إلى تحصيلها.

والتفكر في مسائل الشريعة فيدعو إلى العمل بها في مواضعها والتفكر في حسن الاخلاق الحسنة فيدعو إلى تحصيلها، والتفكر في قبح الاخلاق السيئة وسوء آثارها فيدعو إلى تجنبها، والتفكر في نقص أعماله ومعايبها فيدعو إلى السعي في اصلاحها، والتفكر في سيئاته وتبعاتها فيدعو إلى الانتهاء عنها، وتدارك

ما أتى به بالتوبة والندم .

والتفكر في صفات الله جل وعلا وأفعاله من لطفه بعباده ورحمته الواسعة واحسانه إليهم بسوابغ النعماء وبسط الالاء والتكليف دون الطاقة ، والوعد لعمل قليل بثواب جزيل ، وتسخيره لـه ما في السموات والأرض ، ومـا بينهما إلى غير ذلك ، فيدعو إلـى البر والعمل به ، والرغبة في الطاعات والانتهاء عن السيئات ، وبالمقايسة إلى ما ذكرنا يظهر آثار سائر التفكرات . . .

وفي احقاق الحق: عن الامام على بن الحسين عليه السلام قـال : الفكرة مرآة ترى المؤمن سيئاته فيقلع عنها ، وحسناته فيكثر منها فـلا تقع مقرعة التقريع عليه ولا تنظر عين العواقب شزيراً إليه .

وفي نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام في خطبة : « ومن تفكر أبصر » .

وفي مصباح الشريعة : قال الصادق عليه السلام : والفكرة مرآة الحسنات وكفارة السيئات ، وضياء القلوب ، وفسحة الخلق وإصابة في صلاح المعاد ، واطـلاع على العواقب ، واستزادة في العلم ، وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها .

وفي نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام في خطبة : « الفكر مرآت صافية » .

وفي رواية : الفكرة مرآة تراك حسناتك وسيئاتك .

وفي رواية : أبي سعيد الخدري قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اعطوا أعينكم حظها من العبادة ، فقالوا : يا رسول الله ومـا حظها من العبادة ؟ قـال : النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه » .

وفي رواية : ماطالت فكرة امرىء قط الا علم وما علم امرء قط الا عمل .

قـال عبدالله بن المبارك يوماً لسهل بن على إذ رآه ساكتاً متفكراً : أين بلغت ؟ قال : الصراط .

قال بعض الحكماء : لـو تفكر الناس في عظمـة الله ما عصوا الله عز وجل ومنهم من كان يبكي فقيل له : ما يبكيك ؟ قـال : تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب أجلي .

وكان لقمان يطيل الجلوس وحده ، فكان يمر به مولاه فيقول : يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس بك فيقول لقمان : ان طول الوحدة أفهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة .

وعن امرأة كانت تسكن البادية قريباً من مكة أنها قالت : لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها إلى ما قد ادخر لها فى حجب الغيب من خير الاخرة لم يصف لهم فى الدنيا عيش ولم تقر لهم فى الدنيا عين .

ومن المفسرين : من قال : الفكر فى الدنيا حجاب عن الاخرة ، وعقوبة لاهل الولاية ، والفكر فى الاخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب .

ومنهم : من قال : من العبرة يزيد العلم ، ومن الذكر يزيد الحب ، ومن التفكر يزيد الخوف .

ومنهم : من قال : ان أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر ، وبالفكر على الذكر حى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة .

ومن الفقهاء : من قال : استعينوا على الكلام بالصمت ، وعلى الاستنباط بالفكر .

ومنهم : من قال : صحة النظر فى الامور نجاة من الغرور ، والعزم فى الرأى سلامة من التفريط والندم ، والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ، ومشاورة الحكماء ثبات فى النفس ، وقوة فى البصيرة ، ففكر قبل أن تعزم ، وتدبر قبل أن تهجم ، وشاور قبل أن تقدم .

ومنهم : من قال: القلم شجرة ثمرتها الالفاظ ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة .

ومن المتكلمين : من قال : ان التفكر فى آيات الله تعالى التكوينية الافاقية والانفسية وصناعته جل وعلا ينتج المعرفة بالله ، وان التفكر فى عظمة الله وقدرته ينتج الحياة للمتفكر ، وان التفكر فى نعم الله ومننه ينتج المحبة بالله ، وان التفكر فى وعد الله بالثواب والجنة ونعيمها ينتج الرغبة فى طاعة الله ، وان التفكر

فی وعید الله بالعقاب والنار والنقمة ینتج الرهبة من التمرد والعصیان ، وان التفکر فی تفریط العبد فی جنب الله ینتج الحیاء والندامة والتوبة .

فمن تفکر فی السماء والارض وما بینهما ، وفی نفسه من مبدأه ومنتهاه ومعاشه وفی أسرار جسمه وخلایا بدنه . . . یعترف بعجزه وکمال قدرة خالقه .

ومنهم : من قال : ان الفکر ینقل من المکاره إلی المحاب ، ومن الرغبة والحرص إلی الزهد والقناعة .

وحقاً ان الفکر هو مفتاح الانوار الالهیة ، ومبدأ الاستبصار الروحیة ، وهو شبکة العلوم الحقة ، ومصیدة المعارف الاسلامیة السامیة ، وإن اکثر الناس عرفوا فضله ومکانته ولکنهم جهلوا حقیقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطریقه وکیفیته ، ولم یعلموا انهم کیف یتفکرون ؟ وفیما ذا یتفکرون ؟ وما الذی یطلب به ؟ أهو مراد بعینه ؟ أم المراد ثمرته التی تستفاد منه ؟ .

واعلم ان للفکر ثمرتین : ثمرة عامة وهی العلوم والاحوال والاعمال وثمرة خاصة وهی العلم لا غیر ، ولکن العامة ترجع إلی الخاصة لانها بمثابة نقطة تدور علیها الاعداد .

وذلك لانه اذا حصل بالتفکر العلم فی القلب تغیّر حال القلب ، واذا تغیّر حال القلب تغیّر أعمال الجوارح ، فالعمل تابع الحال ، والحال تابع القلب ، والقلب تابع العلم ، والعلم حصیل الفکر ، فالفکر هو المبدأ والمفتاح للخیرات کلها ، ومن ثم تکشف لك فضیلة التفکر ، وانه خیر من الذکر والتذکر ، لان الفکر ذکر وزیادة ، وذکر القلب خیر من عمل الجوارح ، فان شرف العمل بما فیه من الذکر ، فالتفکر أفضل من جملة الاعمال ولذلك ورد : تفکر ساعة خیر من عبادة سنة .

وإن أردت أن تفهم کیفیة تغیّر الحال بالفکر فمثاله : ان الفکر یعرّفنا ان الاخرة أولی بالایثار ، فاذا رسخت هذه المعرفة یقیناً فی قلوبنا تغیرت القلوب

إلى الرغبة فى الاخرة والزهد فى الدنيا .

وهذا ما عنيناه بالحال ، إذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل إليها ، والنفرة عن الاخرة وقلة الرغبة فيها ، وبهذه المعرفة تغيّر حال القلب ، وتبدلت إرادته ورغبته ، ثم أثمر تغيّر الارادة أعمال الجوارح فى اطراح الدنيا والاقبال على أعمال الاخرة .



﴿ غرر حكم ودرر كلم فى الفكر ﴾

وفى المقام كلمات قصار عن الامـام أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام نشير إلى نبذة منها :

١ - قال على عليه السلام : أصل العقل الفكر وثمرته السلامة .

٢ - « « « « : أصل السلامة من الزلل الفكر قبل الفعل ، والروية قبل الكلام .

٣ - « « « « : بالفكر تصلح الروية .

٤ - « « « « : تفكر قبل أن تعزم .

٥ - « « « « : ثمرة الفكر السلامة .

٦ - « « « « : فكّر قبل أن تقدم .

٧ - « « « « : فكر المرء مرآة تريه حسن عمله من قبحه .

٨ - « « « « : فكر ثم تكلّم تسلم من الزلل .

٩ - « « « « : قدّر ثم اقطع وفكر ثم انطق وتبين ثم اعمل .

١٠ - « « « : الرأى بالفكر .

١١ - « « « : الفكر رشد .

١٢ - « « : الفكر ينير اللب .

١٣ - « « « : العلم ينجد الفكر .

١٤ - « « « : الفكر يفيد الحكمة .

١٥ - « « « : الفكر مرآة صافية .

١٦ -قال على عليه‌السلام : الفكر جلاء العقول .

١٧ - « « « : القلب مصحف الفكر.

١٨ - « « « : الفكر عبادة .

١٩ - « « « : فضل فكر وتفهم أنجع من فضل تكرار ودراسة .

٢٠ - « « « : الفكر نزهة المتقين .

٢١ - « « « : التفكر فى آلاء الله نعم العبادة .

٢٢ - « « « : التفكر فى ملكوت السماوات والارض عبادة المخلصين .

٢٣ - « « « : أفضل العبادة الفكر .

٢٤ - « « « : فكر ساعة قصيرة خير من عبادة طويلة .

٢٥ - « « « : فكرك يهديك إلى الرشادة ويحدوك على اصلاح المعاد .

٢٦ - « « « : الفكر يهدى .

٢٧ - « « « : الفكر يهدى إلى الرشاد .

٢٨ - « « « : الفكر يهدى إلى الرشد .

٢٩ - « « « : الفكر أحد الهدايتين .

٣٠ - « « « : فكر العاقل هداية ، وفكر الجاهل غواية .

٣١ - « « « : صيام القلب عن الفكر فى الاثام أفضل من صيام البطن عن الطعام .

٣٢ - « « « : الفكر فى غير الحكمة هوس .

٣٣ - « « « : الصمت بغير تفكر خرس .

٣٤ - « « « : الصمت روضة الفكر .

٣٥ - « « « : الزم الصمت يستنر فكرك .

٣٦ - « « « : انما البصير من سمع ففكر ، ونظر فابصر ، وانتفع بالعبر

٣٧ - « « « : بتكرار الفكر ينجاب الشك .

٣٨ _ قال علي عليه السلام : تفكرك يفيدك الاستبصار ، ويكسبك الاعتبار .

٣٩ _ « « « : دوام الذكر ينير القلب والفكر .

٤٠ _ « « « : رحم الله امرءاً تفكر فاعتبر واعتبر فابصر .

٤١ _ « « « : رأس الاستبصار الفكرة .

٤٢ _ « « « : طول التفكر يحمد العواقب ويستدرك فساد الامور .

٤٣ _ « « « : طول التفكير يصلح عواقب التدبير .

٤٤ _ « « « : طول التفكير يعدل رأى المشير .

٤٥ _ « « « : كل يوم يفيدك عبراً إن أصبحته فكراً .

٤٦ _ « « « : الفكر فى الخير يدعو إلى العمل به بارتياح .

٤٧ _ « « « : الفكر فى العواقب ينجي من المعاطب .

٤٨ _ « « « : الفكر فى العواقب يؤمن من المعاطب .

٤٩ _ « « « : الفكر يوجب الاعتبار ، ويؤمن العثار ، ويثمر الاستظهار .

٥٠ _ « « « : اذا قدمت الفكر فى أفعالك حسنت عواقبك فى كل أمر .

٥١ _ « « « : بالفكر تنجلى غياهب الامور .

٥٢ _ « « « : بتكرار الفكر تسلم العواقب .

٥٣ _ « « « : دع الحدة وتفكر فى الحجة وتحفظ من الخطل تأمن الزلل .

٥٤ _ « « « : دوام الفكر والحذر يؤمن الزلل وينجي من الغير .

٥٥ _ « « « : كفى بالفكر رشداً .

٥٦ _ « « « : الجلية فائدة الفكر .

٥٧ _ « « « : العاقل اذا سكت فكر ، واذا نطق ذكر ، واذا نظر اعتبر .

٥٨ ـ قال علي عليه السلام : اذا رمتم الانتفاع بالعلم فاعملوا به ، واكثروا الفكر في معانيه تعه القلوب .

٥٩ ـ قال عليه السلام : من طال فكره حسن نظره .

٦٠ ـ « « « : من كثرت فكرته حسنت عاقبته .

٦١ ـ « « « : من اعمل فكره أصاب جوابه .

٦٢ ـ « « « : كيف تصفو فكرة من يستديم الشبع .

٦٣ ـ « « « : من قل أكله صفا فكره .

٦٤ ـ « « « : من اقتصر في أكله كثرت صحته ، وصلحت فكرته .

٦٥ ـ « « « : من كان له فكرة فله في كل شيء عبرة .

٦٦ ـ « « « : لا تخل نفسك من فكرة تزيدك حكمة وعبرة تفيدك عصمة .

٦٧ ـ « « « : لا فكر لمن لا اعتبار له .

٦٨ ـ « « « : من كثر فكره في المعاصي دعته إليها .

٦٩ ـ « « « : من كثر فكره في اللذات غلبت عليه .

٧٠ ـ « « « : من تفكر في ذات الله ألحد .

٧١ ـ « « « : من تفكر في ذات الله تزندق .

٧٢ ـ « « « : من تفكر في عظمة الله أبلس .

٧٣ ـ « « « : لم يتناه سبحانه في العقول فيكون في مهب فكرها مكيفا ، ولا في رويّات خواطرها محدداً مصرفاً .

٧٤ ـ قال عليه السلام : لا تستعملوا الرأي فيما لا يدركه البصر ، ولا يتغلغل فيه الفكر .

٧٥ ـ « « « : من تفكر في آلاء الله وفق .

٧٦ ـ « « « : من فكر قبل العمل كثر صوابه .

٧٧ ـ « « « : من أسهر عين فكرته بلغ كنه همته .

٧٨ ـ قال عليه السلام : « من اكثر الفكر فيما يعلم اتقن علمه ، وفهم ما لم يكن يفهم ».

٧٩ ـ « « : « مغرس الكلام القلب ومستودعه الفكر ، ومقويه العقل ، ومبديه اللسان ، وجسمه الحروف ، وروحه المعنى ، وحليته الاعراب ، ونظامة الصواب ».

٨٠ ـ « « : « افكر تفق ».

٨١ ـ « « : « افكر تستبصر ».

٨٢ ـ « « : « لو فكرتم فى قرب الاجل وحضوره ، لامرّ عندكم حلو العيش وسروره ».

٨٣ ـ « « : « من طالت فكرته حسنت بصيرته ».

٨٤ ـ « « : « من فكر فى العواقب أمن المعاطب ».

٨٥ ـ « « : « من فكر أبصر العواقب ».

٨٦ ـ « « : « ما زلّ من أحسن الفكر ».

٨٧ ـ « « : « لا عبادة كالتفكير ».

٨٨ ـ « « : « لا رشد كالفكر ».

٨٩ ـ « « : « لا بصيرة لمن لا فكر له ».

٩٠ ـ « « فى وصف المؤمن : « كثير صمته ، مشغول وقته ، شكور صبور مغمور بفكرته ، ضنين بخلته ».

٩١ ـ « « فى حق من أثنى عليهم : « إن نطقوا صدقوا ، وان صمتوا لم يسبقوا ، ان نظروا اعتبروا ، وان اعرضوا لم يلهوا ، إن تكلموا ذكروا وإن سكتوا تفكروا ».

٩٢ ـ « « : « إن أحببت سلامة نفسك ، وستر معايبك فاقلل كلامك واكثر صمتك يتوفر فكرك ، ويستنر قلبك ، ويسلم الناس من يديك ».

٩٤ ـ قال عليه السلام : « فتفكروا أيّها الناس وتبصّروا ، واعتبروا واتّعظوا وتزوّدوا الآخرة تسعدوا » .

٩٥ ـ « « : « فمتى تفكرون في الارشاد ، وتقدمون الزاد ، ومتى تهتمون بأمن المعاد ».



﴿ اسم الله الاعظم وتأثيره ﴾

فى البحار: عن الامام على عليه السلام قال: اذا أردت أن تدعو الله تعالى باسمه الاعظم فيستجاب لك فاقرأ من أوّل سورة الحديد إلى قوله: « وهو عليم بذات الصدور » وآخر الحشر من قوله: « لو أنزلنا هذا القرآن ـ إلى آخر السورة ».

ثم إرفع يديك وقل: يا من هو هكذا أسئلك بحق هذه الاسماء أن تصلّى على محمد وآل محمد، وسل حاجتك.

وفى مهج الدعوات: عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اسم الله الاعظم فى ست آيات من آخر الحشر.

وفى التوحيد: باسناده عن أبى البخترى عن الصادق عن أبيه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: رأيت الخضر فى المنام قبل بدر بليلة، فقلت له: علمنى شيئاً أنصر به على الاعداء، فقال: قل: يا هو، يا من لا هو الا هو، فلمّا أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لى: يا على علّمت الاسم الاعظم، وكان على لسانى يوم بدر وان أمير المؤمنين عليه السلام قرأ قل هو الله أحد فلما فرغ قال: يا هو يا من لا هو الا هو اغفرلى وانصرنى على القوم الكافرين.

وكان على عليه السلام يقول ذلك يوم صفين وهو يطارد، فقال له عمار بن ياسر: يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات؟ قال: اسم الله الاعظم وعماد التوحيد، الله لا اله الا هو ثم قرأ شهد الله أنه لا اله الا هو، وأواخر الحشر.

ثم نزل فصلّى أربع ركعات قبل الزوال. الخبر.

وفى اصول الكافى: باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال: ان اسم الله

الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وانما كان عند آصف منها حرف واحد ، فتكلّم به فخسف بالارض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الارض كما كانت أسرع من طرفة عين ونحن عندنا من الاسم الاعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وفيه : باسناده عن علي بن محمد النوفلي عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام قال : سمعته يقول : اسم الله الاعظم ثلاثة وسبعون حرفاً كان عند آصف حرف ، فتكلّم به فانخرقت له الارض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيّره إلى سليمان ثم انبسطت الارض في أقلّ من طرفة عين ، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً ، وحرف عندالله مستأثر به في علم الغيب .

وفي بصائر الدرجات : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان الله عزوجل جعل اسمه الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، فاعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً واعطى نوحاً منها خمسة وعشرين حرفاً واعطى منها ابراهيم ثمانية أحرف ، وأعطى موسى منها أربعة أحرف ، وأعطى عيسى منها حرفين ، وكان يحيى بهما الموتى ، ويبرىء بهما الاكمه والابرص ، وأعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم اثنين وسبعين حرفاً ، واحتجب حرفاً لئلا يعلم ما في نفسه ، ويعلم ما في نفس العباد .

وفي غوالي اللئالي : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : ان لله أربعة آلاف اسم : ألف لا يعلمها الا الله ، وألف لا يعلمها إلا الله والملائكة ، وألف لا يعلمها الا الله والملائكة والنبيون ، وأمّا الالف الرابع فالمؤمنون يعلمونه : ثلاث مأة منها في التوراة ، وثلاث مأة في الانجيل ، وثلاث مأة في الزبور ، ومأة في القرآن : تسعة وتسعون ظاهرة ، وواحد منها مكتوم ، من أحصاها دخل الجنة .

وفي مهج الدعوات : بالاسناد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اسم الله الاعظم مقطع في ام الكتاب .

وفيه : باسناده عن أبي‌هاشم الجعفري قال : سمعت أبا محمد عليه‌السلام يقول : بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الاعظم من سواد العين إلى بياضها .

أقول: ان الله تعالى أخفى إسمه الاعظم بين أسمائه كما أخفى ليلة القدر بين ليالي السنة ، وأخفى حجّته بين عباده ، وأخفى ساعة الجمعة بين ساعاتها وغيرها من الخفايا لحكم إلهيّة ومصالح عبادية ...

منها ـ لئلا يترك غير الخفي سدى وغير ذلك من الحكم فتدبّر واغتنم .

ولا يخفى ان الاسماء الحسنى عامة واسمه الاعظم خاصّة ، وان كانت مؤثرة في هذا العالم الشاسع ووسائط وأسباباً لنزول الفيض الالهي من الذات المتعالية في العالم المشهود والمغيب لكنها انّما تؤثر بحقائقها لا بالالفاظ الدالة في لغة كذا عليها ، ولا بمعانيها المفهومة من ألفاظها المقصورة في الاذهان .

ومعنى ذلك ان الله تعالى هو الفاعل الموجد لكل شيء بماله من الصفة الكريمة المناسبة له التي يحويها الاسم المناسب لا تأثير اللفظ أو صورة مفهومة في الذهن أو حقيقة اخرى غير الذات المتعالية الا ان الله جل وعلا وعد إجابة دعوة من دعاه كما في قوله تعالى : « واذا سئلك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان » البقرة : ١٨٦) .

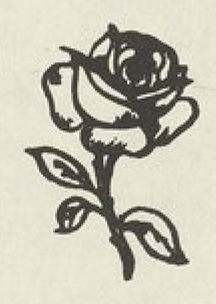
وقوله : « ادعوني أستجب لكم » غافر : ٦٠) .

وهذا يتوقف على دعاء وطلب حقيقي ، وأن يكون الدعاء والطلب منه تعالى لا من غيره ، فمن انقطع من كل سبب واتصل بربه لحاجة من حوائجه ، فقد اتصل بحقيقة الاسم المناسب لحاجته ، فيؤثر الاسم بحقيقته ويستجاب له وذلك حقيقة الدعاء بالاسم ، فعلى حسب حال الاسم الذي انقطع إليه الداعي يكون حال التأثير خصوصاً وعموماً .

ولو كان هذا الاسم هو الاسم الاعظم انقاد لحقيقته كل شيء واستجيب للداعي به دعائه على الاطلاق ، وعلى هذا يجب أن يحمل ما ورد من الروايات

والادعية فى هذا الباب ، دون الاسم اللفظى أو مفهومه .

ومن المحتمل ان يكون معنى تعليمه تعالى نبياً من أنبيائه عليهم السلام أو عبداً من عباده إسماً من أسمائه أو شيئاً من الاسم الاعظم هو أن يفتح له طريق الانقطاع إليه تعالى با-مه ذلك فى دعائه ومسئلته ، فان كان هناك إسم لفظى ، وله معنى مفهوم ، فانما ذلك لاجل ان الالفاظ أو معانيها وسائل وأسباب تحفظ بها الحقائق نوعاً من الحفظ فتأمل جيداً .



﴿ اسماء الله الحسنى فى القرآن الكريم ﴾

قال الله تعالى : « له الاسماء الحسنى » الحشر : ٢٤) .

تكررت هذه الجملة فى مواضع أربعة من القرآن الكريم : ثلاثة منها على طريق الاضمار وهي سور الحشر : ٢٤) والاسراء ١١٠) وطه : ٨) وواحدة اخرى على الاظهار وهي في سورة الاعراف : ١٨٠) .

فى الدر المنثور : أخرج أبو نعيم عن محمد بن جعفر عليه السلام قال : سئلت أبي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن الأسماء التسعة والتسعين التى من أحصاها دخل الجنة ، فقال : هى فى القرآن .

ففى الفاتحة خمسة أسماء :

يا الله ، يا رب ، يا رحمن ، يا رحيم ، يا مالك .

وفى البقرة ثلاثة وثلاثون اسماً :

يا محيط ، يا قدير ، يا عليم ، يا حكيم ، يا على ، يا عظيم ، يا تواب ، يا بصير ، يا ولى ، يا واسع ، يا كافى ، يا رؤف ، يا بديع ، يا شاكر ، يا واحد ، يا سميع ، يا قابض ، يا باسط ، يا حى ، يا قيوم ، يا غنى ، يا حميد ، يا غفور ، يا حليم ، يا إله ، يا قريب ، يا مجيب ، يا عزيز ، يا نصير ، يا قوى ، يا شديد ، يا سريع ، يا خبير .

وفى آل عمران :

يا وهاب ، يا قائم ، يا صادق ، يا باعث ، يا منعم ، يا متفضل .

وفى النساء :

يا رقيب ، يا حسيب ، يا شهيد ، يا مقيت ، يا وكيل ، يا على ، يا كبير .

وفى الانعام :

يا فاطر ، يا قاهر ، يا لطيف ، يا برهان .

وفي الاعراف : يا محيي ، يا مميت .

وفي الانفال : يا نعم المولى ، يا نعم النصير .

وفي هود : يا حفيظ ، يا مجيد ، يا ودود ، يا فعّال لما يريد .

وفي الرعد : يا كبير ، يا متعال .

وفي ابراهيم : يا منان ، يا وارث .

وفي الحجر : يا خلاق .

وفي مريم : يا فرد .

وفي طه : يا غفّار .

وفي المؤمنين : يا كريم .

وفي النور : يا حق ، يا مبين .

وفي الفرقان : يا هادى .

وفي سباء : يا فتاح .

وفي الزمر : يا عالم .

وفي غافر : يا غافر ، يا قابل التوب ، يا ذا الطول ، يا رفيع .

وفي الذاريات : يا رزاق ، يا ذا القوة ، يا متين .

وفي الطور : يا برّ .

وفي القمر : يا مليك ، يا مقتدر .

وفي الرحمن : يا ذا الجلال والاكرام ، يا رب المشرقين ، يا رب المغربين ، يا باقي ، يا مهيمن .

وفي الحديد : يا أوّل ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن .

وفي الحشر : يا ملك ، يا قدّوس ، يا سلام ، يا مؤمن ، يا مهيمن ، يا عزيز ، يا جبّار ، يا متكبّر ، يا خالق ، يا بارىء ، يا مصوّر .

وفي البروج : يا مبدىء يا معيد .

وفي الفجر : يا وتر .

وفي الاخلاص : يا أحد ، يا صمد .

أقول : ينبغي أن نبدأ نظرتنا في كتاب الله تعالى باسماء الله الحسنى ، وموقعها في القرآن الكريم ، اذ ان هذه الاسماء الكريمة مع اشتراكها في النسبة إلى الله تعالى - مع كونها من كلامه ، الذي هو صفة الكلام القرآني كله - فانها تنتسب إلى الله جل وعلا باعتبار آخر ، وهي أنها من صفات الحق سبحانه ، وانها تجليات ذاته المتعال على هذا الوجود .

وان أسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات ، التي هي أفعال دون المبادىء التي تكون انفعالات .

ويلاحظ في الأسماء الحسنى التي وردت في القرآن الكريم أمران :

أحدهما - أن معظمها قد جاء على صيغ المبالغة نحو : غفور ، وغفار ، وشكور وجبّار ، وعليم وعلام ، ورحيم ورحمن ، وبصير وتوّاب . .

وان المبالغة في الاستعمال اللغوي تفيد تعدد وقوع الحدث ، والمبالغة فيه ، والخروج عن الحد المألوف . .

وأفعال الله تعالى واحدة : مغفرته ، ورحمته ، وعلمه ، وسمعه ، وبصره . . . كلها على حال واحدة من الكمال والتمام ، لا تدخل عليها زيادة ولا نقص ! .

فكيف تفهم هذه المبالغة في أسماء الله تعالى ، وهي في مفهومها صفات تنبىء عن أحداث وأفعال ؟

ولنا أن نقول : ان المبالغة وقعت بحسب تعدد المفعولات ، ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة ، فان الفعل الواحد يقع على جماعة متعددين . . . وعلى هذا تقع صفاته تعالى .

ولهذا قال بعض المحققين في « حكيم » : معنى المبالغة فيه تكرار حكمته تعالى بالنسبة إلى الشرائع . .

وقال الزمخشري : ان المبالغة في « التواب » للدلالة على كثرة التائبين أو انه بليغ في قبول التوبة ، فنزّل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه .

وقال بعضهم : إن صفات الله تعالى التى جاءت على صيغ المبالغة ، فكلّها مجاز ، لانها موضوعة للمبالغة ، ولا مبالغة فيها ، لان المبالغة أن تثبت للشيء أكثر مماله ، وصفاته تعالى متناهية فى الكمال لا يمكن المبالغة فيها ، فالمبالغة تكون فى صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك .

فالمبالغة فى أسماء الله تعالى ليست على حقيقتها ، وانها ليست لتكثير الفعل فى ذاته ، وانما لتكثير المواقع التى يقع عليها الفعل ويصيبها .

وثانيهما : أن أكثر مواقع أسماء الله الحسنى فى القرآن الكريم كان فى فواصل الاى . . حيث تختم الاية باسم من أسمائه تعالى . . أو باسمين كريمين . . يتزاوجان ، بلاحرف عطف بينهما . . وهذا أكثر ماجاءت عليه الاسماء الحسنى . .

وعلى هذا فلا بدلنا من النظر فى أسماءِ الله الحسنى فى فواصل الايات ، اذ هى الجامعة لاكثرها . . ننظر إليها مفردة ومتزاوجة معاً . . ونجتزى بهذا عن الدراسة لها فى غير وقوعها فى الفواصل من الايات . . .



﴿ بحث روائي في اسماء الله تعالى ﴾

في اصول الكافي : باسناده عن ابراهيم بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوّت ، وباللفظ غير منطق ، وبالشخص غير مجسّد ، وبالتشبيه غير موصوف ، وباللون غير مصبوغ ، منفي عنه الاقطار ، مبعّد عنه الحدود ، محجوب عنه حس كل متوهّم ، مستتر (مسترخ) غير مستور ، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الاخر ، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها وحجب منها واحداً وهو الاسم المكنون المخزون فهذه الاسماء التي ظهرت .

فالظاهر هو الله تبارك وتعالى ، وسخّر سبحانه لكل اسم من هذه الاسماء أربعة أركان ، فذلك اثنا عشر ركناً ، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين إسماً فعلا منسوباً إليها فهو :

الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدّوس ، الخالق ، البارىء المصوّر ، الحيّ القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، العليم ، الخبير ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العزيز ، الجبار ، المتكبّر ، العلي ، العظيم ، المقتدر ، القادر ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، البارىء ، المنشىء ، البديع ، الرفيع ، الجليل ، الكريم ، الرزاق ، المحيي ، المميت ، الباعث ، الوارث ، فهذه الاسماء وما كان من الاسماء الحسنى حتى تتم ثلاث مأة وستين إسماً .

فهي نسبة لهذه الاسماء الثلاثة وهذه الاسماء الثلاثة أركان وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلاثة وذلك قوله تعالى : « قل الله أو

ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ».

وفيه: باسناده عن معاوية بن عمار عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل: « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » قال: نحن والله الاسماء الحسنى التى لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا.

وذلك لان الاسم كما انه يدل على المسمى ويكون علامة له كذلك ائمة أهل بيت الوحى عليهم السلام أدلاء على الله تعالى يدلّون الناس عليه جل وعلا وهم علامة لمحاسن صفاته وأفعاله وآثاره...

وفى الاحتجاج: عن هشام بن الحكم عن الصادق عليه السلام قال فى حديث: ان لله تسعة وتسعين إسماً، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً، ولكن الله معنى يدل عليه، فهذه الاسماء كلها غيره يا هشام! الخبز إسم للمأكول والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنار اسم للمحروق أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعدائنا، والمتخذين مع الله غيره؟ قلت: نعم قال: فقال: نفعك الله به وثبتك! قال هشام: فوالله ما قهرنى أحد فى علم التوحيد حتى قمت مقامى هذا.

وفى التوحيد: باسناده عن سليمان بن مهران عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين إسماً: مأة إلا واحدة، من أحصاها دخل الجنة، وهى:

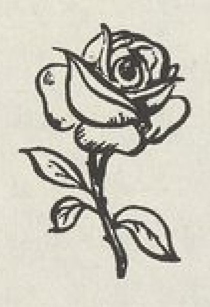
الله، الاله، الواحد، الاحد، الصمد، الاوّل، الاخر، السميع، البصير، القدير، القاهر، العلى، الاعلى، الباقى، البديع، البارىء، الاكرم، الظاهر، الباطن، الحىّ، الحكيم، العليم، الحليم، الحفيظ، الحق، الحسيب، الحميد، الحفىّ، الرب، الرحمن، الرحيم، الذارىء، الرازق، الرقيب، الرؤوف، الرائى، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبّر، السيّد، السبّوح الشهيد، الصادق، الصانع، الطاهر، العدل، العفو، الغفور، الغنى، الغياث، الفاطر، الفرد، الفتّاح، الفالق، القديم، الملك، القدوس، القوى، القريب،

القيّوم ، القابض ، الباسط ، قاضي الحاجات ، المجيد ، المولى ، المنان ، المحيط المبين ، المقيت ، المصوّر ، الكريم ، الكبير ، الكافي ، كاشف الضر ، الوتر ، النور ، الوهّاب ، الناصر ، الواسع ، الودود ، الهادى ، الوفى ، الوكيل ، الوارث ، البر الباعث ، التوّاب ، الجليل ، الجواد ، الخبير ، الخالق ، خير الناصرين ، الديّان ، الشكور ، العظيم ، اللطيف ، الشافي .

وفيه : باسناده عن الهروى عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان لله عز وجل تسعة وتسعين إسماً ، من دعا الله بها استجاب له ، ومن أحصاها دخل الجنة .

أقول : لعل المراد من إحصاءها : هو الاحاطة بها ، والوقوف على معانيها فليس معنى الاحصاء عدّها ، وان كان هو غير بعيد فالجمع أولى .

فالمراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من أحصاها دخل الجنة » الايمان باتصافه تعالى بجميع ما تدل عليه تلك الاسماء بحيث لا يشذ عنها شاذ .



﴿ في توقيفية أسماء الله الحسنى ﴾

وقد اختلفت كلمات الحكماء والمتكلمين والمفسرين والمحدثين في توقيفيّة أسماء الله الحسنى بما ورد في الكتاب والسنة وعدمها واستدل الأوّلون وهم الاكثرون على التوقيفية بقوله تعالى: «ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه» الاعراف: ١٨٠).

حيث ذمّهم بذكر الاسماء لله تعالى وهو جل وعلا بريء منها كاللات والعزى ومناة، فلا يقال له سبحانه: يا سخي، يا عاقل، يا صاح، يا فكور، يا رفيق، يا فقيه، يا فهيم، يا داري...

في أوائل المقالات: قال الشيخ المفيد قدس سره: - - : انه لا يجوز تسمية الباري تعالى الا بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أو سمّاه به حججه من خلفاء نبيه، وكذلك أقول في الصفات، وبهذا تطابقت الاخبار عن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو مذهب جماعة من الامامية.

ولا خلاف في جواز اطلاق الاسماء، والصفات على الله تعالى اذا ورد به اذن الشرع، وعدم جوازه عند المنع، وانما الخلاف فيما لم يرد فيه رخصة ولا منع وكان الله تعالى موصوفاً بمعناه، فقال قائلون بعدم افتقاره هذا إلى التوقيف والاذن إذا كان معناه حاصلا في حقه تعالى ولم يكن اطلاقه موهماً لما يستحيل في حقه جل وعلا.

وقال الاكثرون إلى احتياجه إلى الاذن والتوقيف.

وفصّل بعض بين الاسم والصفة فمنع في الاول وأجاز في الثاني ومذهب

الشيعة الامامية الاثنى عشرية هو ما اختاره الشيخ رحمه الله تعالى لتطابق الاخبار المأثورة عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام وإذ ليس مأخذ الجواز والمنع فى هذا الباب دليلا عقليا واجب الاتباع أو لفظياً لغوياً يتكلم فى صحته وفساده لا يبقى الا الرجوع إلى التوقيف، فيقتصر على موارد الاذن الشرعى كما اختاره الشيخ رضوان الله تعالى عليه.

وخالف المغنية ذلك فقال فى تفسيره (الكاشف ج ٣ ص ٤٢٦ ط بيروت) : « انه ذهب اكثر العلماء إلى ان اسماء الله توقيفية أما نحن ـ أقول : كأنه جاء بضمير الجمع تعظيما لنفسه اذ ليس هذا مذهب الشيعة ـ فنجيز مخاطبة الله ومناجاته بكل ما يدل على التنزيه والتعظيم سواء أورد له ذكر فى القرآن والحديث أم لم يرد ولا نمنع الا عما منع الله عنه عملا بالمبدإ القائل : كل شىء مباح حتى يرد فيه نهى على شرط التعظيم هذا ما تقتضيه الاصول والقواعد العلمية الدينية بالاضافة إلى إجماع الامة قديماً وحديثاً فى كل زمان ومكان على ان لغير العرب ان يعبّروا عن ذات الله وصفاته وأفعاله بلغتهم الخاصة بهم ».

أقول : فى الكلام خلط وادعاء بلا دليل لايخفى على القارىء الخبير المتأمل

وفى المجمع : قال الطبرسى رضوان الله تعالى عليه : الاسماء بالنسبة إلى ذاته المقدسة على أقسام ثلاثة :

الاول : ما يمنع إطلاقه عليه تعالى وهو كل ما يدل على معنى يحيل العقل نسبته إلى ذاته الشريفة كالاسماء الدالة على الامور الجسمانية أو ما اشتمل على النقص والحاجة.

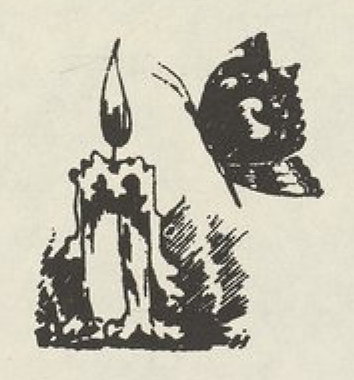
الثانى : ما يجوز عقلا اطلاقه عليه وورد تسميته به، فذلك لا حرج فى تسميته به ويجب امتثال الامر الشرعى فى كيفية اطلاقه بحسب الاحوال والاوقات والتعبدات اما وجوباً أو ندباً.

الثالث : ما يجوز إطلاقه عليه، ولكن لم يرد ذلك فى الكتاب والسنة كالجوهر فان أحد معانيه كون الشىء قائماً بذاته غير مفتقر إلى غيره، وهذا المعنى

ثابت له تعالى لكنه ليس من الادب ، لانه وإن كان جائزاً عقلا لكنه جاز أن لا يناسبه من جهة اخرى لا نعلمها ، إذ العقل لم يطلع على كافة ما يمكن أن يكون معلوماً ، وهذا معنى قول العلماء : أن اسمائه تعالى توقيفية يعنى موقوفة على النص ، انتهى ملخصاً .

وقال بعض من اشترط الاذن فى الأسماء : انه لولا هذا الشرط لجاز تسميته تعالى عارفاً وفقيها وفهيماً ودارياً كما جاز وصفه بانه عالم لان هذه الاسماء مرادفة للعالم فى اللغة وهو لا يصح .

وقال بعض المتوقفين : ان الاسماء قديمة فلا يجوز إطلاقها على الله تعالى إلا بالسمع والتوقيف ، فمن قال بالمواضعة والقياس فالأسماء عنده غير قديمة .



تحقيق في وضع
أسماء الله الحسنى وأغراضها

وقد عدّ من أسماء الذات الالهية الحسنى فى القرآن الكريم والاحاديث الشريفة ...

ومن المسلمين من حدّدها بتسعة وتسعين ، ومنهم من أجاز زيادة هذا العدد ، ولا جدال بين علماء الكلام والمفسرين فى أن هذه الاسماء تحقق أغراضاً متعددة أهمّها .

أحدها - : اثباته تعالى لابعاد شبهة القول بالتعطيل .

ثانيها - : اثبات وحدانيته جلّ وعلا لتقع به البراءة من الشرك .

ثالثها - : اثبات أنه ليس بجوهر أو عرض لمنع التشبيه عنه .

رابعها - : اثبات ان وجود ما سواه من إبداعه واختراعه لمفارقة من يجعل كل ما في الوجود عللا ومعلولات .

خامسها - : إثبات أنه يدبّر ما أبدع ويصرفه لتقع به البراءة من القول بأن العالم يسير بالطبيعة أو بتدبير الافلاك أو الملائكة .

سادسها - : ان أسماء الله الحسنى هى وسيلة بين الله تعالى وبين خلقه يتضرّعون بها إليه ويعبدونه وهى ذكره كما أشير إليه في رواية الاحتجاج الاتية وقال تعالى : « فادعوه بها » الاعراف : ١٨٠) .

وفى البحار : بالاسناد عن اسمعيل بن جابر عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فى حديث طويل - قال :

«وأمّا وضع الأسماء، فانه تبارك وتعالى اختار لنفسه الأسماء الحسنى فسمى نفسه «الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبّر» وغير ذلك، وكل اسم يسمّى به فلعلّة مّا، ولمّا تسمّى بالملك أراد تصحيح معنى الاسم لمقتضى الحكمة، فخلق الخلق وأمرهم ونهاهم ليتحقق حقيقة الاسم، ومعنى الملك والملك له وجوه أربعة: القدرة، والهيبة، والسطوة، والامر والنهى، فامّا القدرة فقوله تعالى: «انما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون» فهذه القدرة التامة التى لا يحتاج صاحبها إلى مباشرة الاشياء بل يخترعها كما يشاء سبحانه، ولا يحتاج إلى التروّى فى خلق الشيء بل إذا أراده صار على ما يريده من تمام الحكمة، واستقام التدبير له بكلمة واحدة وقدرة قاهرة بان بها من خلقه.

ثم جعل الأمر والنهى تمام دعائم الملك ونهايته، وذلك ان الامر والنهى يقتضيان الثواب والعقاب والهيبة والرجاء والخوف، بهما بقاء الخلق وبهما يصح لهم المدح والذم، ويعرف المطيع من العاصى، ولو لم يكن الامر والنهى لم يكن للملك بهاء ولانظام، ولبطل الثواب والعقاب، وكذلك جميع التأويل فيما اختاره سبحانه لنفسه من الاسماء.

ثم اختلف العلماء فى بعض الامور المتعلقة باثبات الاسماء أو صلتها بالمسمّيات والصفات، ويمكن إجمال هذه الاختلافات فى أسئلة ثلاثة وهى:

١ ـ هل تعتبر ألفاظ الاسم والمسمى والتسمية ألفاظاً مترادفة أم انها مختلفة المعنى؟

٢ ـ هل الاسماء والصفات شيء واحد أم لا؟

٣ ـ هل الاسماء توقيفية لا تصح الا بورود السمع، أم أنها تصح بالعرف والمواضعة والمقايسة؟.

أما الاول: فذهبت طائفة من أصحاب الحديث إلى أن الاسماء هى نفس المسمى، أى ان أسمائه تعالى هى هو وعليه احمد بن حنبل وابوذرعة وأبو حاتم من المحدّثين وابن فورك من متكلّمى الاشاعرة على انهم اعتبروا المدلول

المطابقى فاطلقوا القول بان الاسم نفس المسمى للقطع بان مدلول الخالق شىء ماله الخلق لا نفس الخلق ، ومدلول العالم شىء ماله العلم لا نفس العلم .

وقالت طائفة : لا يجوز أن يقال : ان أسماء الله لا هى هو ولا هى غيره .

وقالت طائفة : يجوز أن يقال : ان اسماءه تعالى كالصفات لا هى هو ولا هى غيره .

وقالت طائفة : ان اسماء الله تعالى هى غيره أسوة بصفاته جل وعلا .

وذهب المعتزلة : إلى أنّ الاسم هو التسمية ذاتها وغير المسمى بمعنى ان الاسم معنى آخر غير ذاته تعالى .

وذهبت الاشاعرة : إلى ان الاسم نفس المسمى وغير التسمية أى ان اسم الله هو ذاته .

وذهب جمهور مشايخ الماتريدية : إلى ان الاسم عين التسمية بالنسبة لفهم الانسان لا بالنسبة له تعالى لان اسماءه قديمة به .

وذهب الغزالى : إلى أن الاسم والمسمى والتسمية معان متباينة ووافقه الرازى ومتأخرو الاشاعرة وذلك لانّهم يريدون بالتسمية اللفظ وبالاسم مدلوله كما يريدون بالوصف قول الواصف وبالصفة مدلوله .

واما الشيعة الامامية الاثنى عشرية : فذهبت إلى أن الاسم غير المسمى فان الاسم هو الدال والمسمى هو المدلول والتغاير بين الدال والمدلول غير خفى على ذى مسكة .

وان الاسم والتسمية واحد باعتبار وهو مغاير للمسمّى .

فهناك ثلاثة أشياء : اسم وتسمية ومسمّى :

أمّا الاسم فهو كل لفظ دال على معنى من المعانى بلا قيد زمان .

وأمّا التسمية فهى وضع الاسم للمسمى .

وأمّا المسمى فهو المعنى المدلول عليه بالاسم .

فالاتفاق واقع على المغايرة بين التسمية والمسمى .

في الكافي : باسناده عن هشام بن الحكم قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن أسماء الله عزّ ذكره واشتقاقها ، فقلت : « الله » ممّا هو مشتق ؟ قال : يا هشام « الله » مشتق من إله ، وإله يقتضي مألوهاً ، والاسم غير المسمى ، فمن عبد الاسم دون المعنى ، فقد كفر ولم يعبد شيئاً ، ومن عبد الاسم والمعنى ، فقد أشرك وعبد اثنين ، ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد .

أفهمت يا هشام ؟ قال : فقلت : زدني فقال : ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين إسماً ، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً ، ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الاسماء وكلّها غيره .

يا هشام ! الخبز إسم للمأكول ، والماء إسم للمشروب ، والثوب اسم للملبوس ، والنار اسم للمحرق أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناقل أعدائنا والمتّخذين مع الله عز وجل غيره ؟ قلت : نعم ، قال : فقال : نفعك الله بـه وثبّتك قال هشام : فوالله ما قهرني أحد في علم التوحيد حتى قمت مقامي هذا .

أقول : فالخبر يدل على ان « الله » مشتق ، وبيّن الامام عليه السلام ان الاسم ما يدل على معنى ، والدال غير المدلول بديهة ، فيحكم العقل بينهما بالمغايرة .

ثم استدل الامام عليه السلام على المغايرة بوجهين آخرين :

احدهما ـ : ان لله تعالى أسماء متعددة ، فلو كان الاسم عين المسمّى للزم تعدد الالهة لبداهة مغايرة تلك الأسماء بعضها لبعض .

وقوله عليه السلام : « ولكن الله » أي ذاته تعالى لا هذا الاسم .

ثانيها ـ : ان الخبز اسم لشيء يحكم عليه بانه مأكول ، ومعلوم ان هذا اللفظ غير مأكول ، وكذا البواقي .

وفي التوحيد : باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الله غاية من غيّاه ، فالمغيّى غير الغاية ، توحّد بالربوبية ووصف نفسه بغير محدودية ، فالذاكر الله

غير الله ، والله غير أسماء ، وكل شيء وقع عليه اسم شيء سواه فهو مخلوق ، ألا ترى قوله : العزّة لله ، العظمة لله ، وقال: «ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها» ، وقال: « قل ادعوا الله أو أدعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الاسماء الحسنى » ، فالاسماء مضافة إليه وهو التوحيد الخالص .

أقول : استدل الامام عليه السلام على المغايرة بين الاسم ومسمّاه بما أضيف إليه من الاسماء ، حيث ان الاضافة تدل على المغايرة بينهما ، يقال : المال لزيد ، ولا يقال : زيد لنفسه ، فقوله عليه السلام : « العزة لله » و« العظمة لله » يومىء إلى أن المراد بالاسم هو المفهوم .

وأما الثاني: فسيأتي عن قريب انشاء الله تعالى .

واما الثالث : فقد سبق آنفاً .



﴿أسماء الله الحسنى وحقيقة معناها﴾

في التوحيد: باسناده عن محمد بن سنان قال: سئلت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل كان الله عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: نعم، قلت: يراها ويسمعها؟ قال: ما كان محتاجاً إلى ذلك لانه لم يكن يسئلها ولا يطلب منها، هو نفسه، ونفسه هو، قدرته نافذة، فليس يحتاج إلى أن يسمّى نفسه، ولكنّه اختار لنفسه أسماءاً لغيره يدعوه بها لانه اذا لم يدع باسمه لم يعرف، فأوّل ما اختار لنفسه العلى العظيم لانه أعلى الاسماء كلها، فمعناه الله واسمه العلى العظيم هو أوّل أسمائه لانه عليّ علا كل شيء.

وفى الخصال: باسناده عن أحمد بن سليمان قال: سئل رجل أبا الحسن عليه‌السلام - وهو فى الطواف - فقال له: أخبرني عن الجواد، فقال: ان لكلامك وجهين: فان كنت تسئل عن المخلوق فان الجواد الذى يؤدّى ما افترض الله عزوجل عليه، والبخيل من بخل بما افترض الله عليه، وإن كنت تعني الخالق فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع لانه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له، وان منع منع ما ليس له.

أقول: فالمنع لا ينافى فى جوده تعالى لعدم لزومه عليه أو ما كان العبد مستحقاً للتفضل عليه به، فليس صلاحه فى إعطائه، فجوده تعالى من جهة هذا المنع أيضاً ظاهر لان إعطاء ما يضرّ السائل ليس بجود بل منعه عنه عين جود.

وفى المجمع: قال: الأسماء الحسنى هى أحسن الاسماء لانّها تتضمّن معانى حسنة بعضها يرجع إلى صفات ذاته: كالعالم والقادر والحيّ والاله، وبعضها يرجع إلى صفات فعله: كالخالق والرازق والبارى والمصوّر، وبعضها يفيد

التمجيد والتقديس كالقدوس والغنى والواحد .

وقال بعض الاعلام : ان أسماء الله تعالى كلها ترجع إلى ذات ، وسبع صفات : وذلك لان الاسم :

اما أن يدل : على الذات فقط مثل « الله » .

وأما ان يدل : على الذات مع سلب مثل : « القدوس والسلام والغنى والاحد» ونظائرها ، فان القدوس يدل على ذات سلب عنه كل ما يخطر بالبال ، ويدخل فى الوهم مما لا يليق به ، والسلام يدل على ذات سلب عنه العيوب والافات ، والغنى يدل على ذات سلبت عنه الحاجة ، والاحد يدل على ذات سلب عنه النظير .

واما ان يدل : على الذات مع إضافة مثل : « العلى العظيم والاول والاخر والظاهر والباطن » فان العلو والعظمة والاولية والاخرية ، وهكذا كلها بالاضافة إلى امور اخرى ، فالاول مثلا هو السابق على الموجودات والاخر هو الذى إليه مصير الخلق وهكذا . .

و اما ان يدل: على الذات مع سلب وإضافة نحو : « الملك والعزيز » فان الملك يدل على ذات لا يحتاج إلى شيء ، ويحتاج إليه كل شيء ، والعزيز يدل على ذات غالب غير مغلوب لا نظير له ، وهو مما يصعب نيله والوصول إليه .

واما ان يدل: على صفة نحو : « العليم والقادر والحى والسميع والبصير » .

واما ان يدل: على الصفة مع الاضافة نحو : « الخبير والحكيم والشهيد والمحصى » فان الخبير يدل على العلم مضافاً للامور الباطنة ، والشهيد يدل على العلم مضافاً إلى ما يشاهد ، والحكيم يدل على العلم مضافاً إلى أشرف المعلومات ، والمحصى يدل على العلم من حيث الاحاطة بمعلومات معدودة .

واما ان يدل : على القدرة مع زيادة اضافة نحو : « القهار والمقتدر والمتين» لان الاقتدار تمام القدرة والمتانة شدّتها ، والقهر تأثيرها فى المقدور على سبيل الغلبة .

وأما ان يدل: على الارادة مع إضافة أو مع فعل نحو « الرحمن والرحيم والرؤف والودود » فان الرحمة ترجع إلى الارادة مضافة إلى قضاء حاجة المحتاج الضعيف ، والرأفة شدّة الرحمة وهي مبالغة في الرحمة ، والودود يرجع إلى الارادة مضافاً إلى الاحسان والانعام ، وفعل الرحيم يستدعي محتاجاً ، وفعل الودود لا يستدعي ذلك بل الانعام على سبيل الابتداء ليرجع إلى الارادة مضافاً إلى الاحسان وقضاء حاجة الضعيف .

وأما ان يدل: على صفات الفعل مثل : « الخالق والبارىء والمصور والوهاب والرزّاق والفتاح والقابض والباسط والخافض والرافع والمعزّ والمذل » ونظائرها . . .

وأما ان يدل : على الفعل مع زيادة نحو : « المجيد والكريم واللطيف » فان المجيد يدل على سعة الاكرام مع شرف الذات ، والكريم كذلك ، واللطيف يدل على الرفق في الفعل ، فلا تخرج هذه الاسامي وغيرها عن مجموع الاقسام العشرة .

وفي الميزان قال : « ان الكمالات الوجودية التي هي صفات الوجود كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والوحدة والخلق والملك والغنى والحمد والخبرة ممّا عدّ في الايات . . . أو لم يعدّ صفات قائمة به تعالى على حسب ما يليق بساحة كبريائه وعزّ قدسه لانها صفات وجودية والوجود قائم بـه تعالى ، فهي إما عين ذاته كالعلم والقدرة ، وإمّا صفات خارجة عن ذاته منتزعة عن فعله كالخلق والرزق والرحمة » .

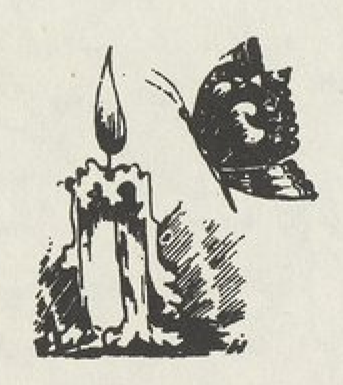
وعن الشيخ الاشعرى : قال : انّ أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام :

أحدها ـ ما هو نفس المسمى مثل : « الله » الدال على الذات المتعال .

ثانيها ـ ما هو غير المسمى نحو : « الخالق والرازق » وما إليهما مما يدل على فعل .

ثالثها - ما لا يقال : انه مسمّى ولا غيره نحو : « العالم والقادر » وما إليهما مما يدل على الصفات .

فزعم : ان مدلول الخالق الخلق ، وهو غير الذات ، ومدلول العالم العلم ، وهو لا عينه ولا غيره .



﴿ في أقسام أسماء الله تعالى ﴾

قال بعض المحققين : ان الاسماء بالنسبة إلى ذاته المقدسة على ثلاثة أقسام :

الاول : ما يمنع اطلاقه على الله تعالى ، وذلك كل اسم يدل على معنى يحيل العقل نسبته إلى ذاته الشريفة ، كالاسماء الدالة على الامور الجسمانية أو ما هو مشتمل على النقص والحاجة .

الثاني : ما يجوز اطلاقه عليه تعالى عقلا وورد في الكتاب المجيد والسنة الشريفة تسميته به ، فذلك لا حرج في تسميته به بل يجب امتثال الامر الشرعي في كيفية اطلاقه بحسب الاحوال والاوقات والتعبدات إمّا وجوباً أو ندباً .

الثالث : ما يجوز اطلاقه عليه ولكن لم يرد ذلك في الكتاب والسنة ، كالجوهر ، فان أحد معانيه كون الشيء قائماً بذاته ، غير مفتقر إلى غيره ، وهذا المعنى ثابت له تعالى ، فيجوز تسميته به ، اذ لا مانع في العقل من ذلك ولكنه ليس من الادب ، لانه ـ وان كان جائزاً عقلا ولم يمنع منه مانع ـ لكنه جاز أن لا يناسبه من جهة اخرى لا تعلمها ، إذا العقل لم يطلع على كافة ما يمكن أن يكون معلوماً ، فان كثيراً من الاشياء لا تعلمها اجمالا ولا تفصيلا ، واذا جاز عدم المناسبة ولا ضرورة داعية إلى التسمية ، فيجب الامتناع من جميع ما لم يرد به نص شرعي من الاسماء .

وهذا معنى قول العلماء : « ان اسماء الله تعالى توقيفية » أي موقوفة على النص والاذن في الاطلاق .

إذا تقرر هذا فاعلم ان اسماءه تعالى إما أن تدل على الذات فقط من غير

اعتبار أمر ، أو مع اعتبار أمر ، وذلك الامر إما إضافة ذهنية فقط أو سلب فقط ، أو إضافة وسلب فالاقسام أربعة :

الاول : ما يدل على الذات فقط وهو لفظ « الله » فانه اسم للذات الموصوفة بجميع الكمالات الربانية المنفردة بالوجود الحقيقي ، فان كل موجود سواه غير مستحق للوجود بذاته ، بل انّما استفاده من الغير ، ويقرب من هذا الاسم لفظ « الحق » اذا اريد به الذات من حيث هي واجبة الوجود ، فان الحق يراد به دائم الثبوت والواجب ثابت دائماً غير قابل المعدم والفناء ، فهو حق بل هو أحق من كل حق .

الثاني : ما يدل على الذات مع إضافة مثل « القادر » فانه بالاضافة إلى مقدور تعلقت به القدرة بالتأثير ، و« العالم » فانه أيضاً اسم للذات باعتبار انكشاف الاشياء لها و « الخالق » فانه اسم للذات باعتبار تقدير الاشياء و « البارىء » فانه اسم للذات باعتبار اختراعها وايجادها و « المصور » باعتبار انه مرتّب صور المخترعات أحسن ترتيب و« الكريم » فانه اسم للذات باعتبار اعطاء السؤلات والعفو عن السيئات .

و « العلى » اسم للذات باعتبار انه فوق سائر الذوات و « العظيم » فانه اسم للذات باعتبار تجاوزها حدّ الادراكات الحسّية والعقلية و « الاول » باعتبار سبقه على الموجودات و« الاخر » باعتبار صيرورة الموجودات إليه و« الظاهر » هو اسم للذات باعتبار دلالة العقل على وجودها دلالة بيّنة و « الباطن » فانه اسم للذات بالاضافة إلى عدم إدراك الحس والوهم ، إلى غير ذلك من الاسماء .

الثالث : ما يدل على الذات باعتبار سلب الغير عنه نحو « الواحد » باعتبار سلب النظير والشريك ، و« الفرد » باعتبار سلب القسمة والبعضية ، و« الغنى » باعتبار سلب الحاجة ، و« القديم » باعتبار سلب العدم ، و« السلام » باعتبار سلب العيوب والنقائص و« القدوس » باعتبار سلب ما يخطر بالبال عنه مما لا يليق بساحة قدسه .

فليس بجسم مصوّر ، ولاجوهر محدود مقدّر ، لا يماثل الاجسام لا بالتقدير ولا في قبول الانقسام .

وانه تعالى مقدس عن التغيّر والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل انه لا يزال فى نعوت جلاله منزهاً عن الزوال ، وفى صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال .

وهو مقدّس عن أن يحويه مكان كما انه مقدس عن ان يحدّه الزمان .

الرابع : باعتبار الاضافة والسلب معاً مثل « الحىّ » فانه المدرك الفعّال الذى لا تلحقه الافات و« الواسع » باعتبار سعة علمه وعدم فوت شىء منه و« العزيز » وهو الذى لا نظر له وهو مما يصعب ادراكه والوصول إليه و« الرحيم » وهو اسم للذات باعتبار شمول رحمته لمن كان أهل التقوى واليقين .

أقول : ان أسماء الله تعالى باعتبار انعقاد القسم واليمين بها على ثلاثة أقسام :

أحدها - ما يختص بالله تعالى كاسم الجلالة « الله » و « الرحمن » و « رب العالمين » فينعقد به اليمين اذا اطلق وإن نوى به غيره .

ثانيها - ما يطلق على الله تعالى وعلى غيره ولكن الغالب إطلاقه عليه تعالى وان يقيد فى حق غيره بضرب من التقييد كالجبار والرب ونحوهما ، فالحلف به يمين ، فان نوى به غير الله تعالى فليس بيمين .

ثالثها - ما يطلق فى حق الله تعالى وفى غيره على حدّ سواء كالحىّ والمؤمن والعالم ونظائرها ، فان نوى به غير الله تعالى أو اطلق فليس بيمين .

وإن نوى الله تعالى ففيه خلاف ، قيل : انه يمين ، وقيل : ليس بيمين .

﴿ فى الفرق بين الاسماء والصفات ﴾

وقد اختلفت كلمات الحكماء والمتكلمين والمفسرين فى الفرق بين الاسماء والصفات وفى الاتحاد بين الصفة وموصوفها اختلافاً كثيراً :

فمنهم : من ميّز بين أسماء الله تعالى وبين كونه على أوصاف معيّنة .

ومنهم : من قال : ان التمييز بين الاسم والصفة لا يقوم على ما يظنّه بعض على أساس الفارق بين الاسم والصفة فى اللغة ، بل على أن هنالك أسماء تعتبر كألقاب محضة لا تفيد فى المسمى به شيئاً ، وانما تقوم مقام الاشارة إليه ، وهذا النوع لا يحسن أن يجرى على الله عقلا الا بقصد التعبّد ، كما ان هنالك أسماء تفيد فى المسمى جنساً أو صفة ، وهى التى تسمّى بالصفات ، ويحسن إطلاقها على الله تعالى .

ثم هناك أسماء تقرب من الاسماء المفيدة فى إبانة نوع أو جملة أو ضرب من الفعل ، كقولنا : مريد وقادر وحيّ وهذه يحسن اطلاقها على الله تعالى أيضاً .

ومنهم : من قال : ان الصفة فى الحقيقة غير الموصوف كما ان الاسم غير المسمى وذلك لان الصفة هى التى تنبىء عن معنى مستفاد يخص الموصوف وما شاركه فيه ، ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون قولا أو كتابة يدل على ما يدل النطق عليه ، وينوب منابه فيه .

فى الكافى : باسناده عن أبى هاشم الجعفرى قال : كنت عند أبى جعفر الثانى عليه السلام فسئله رجل فقال : أخبرنى عن الرب تبارك وتعالى أله أسماء وصفات فى كتابه ؟ وهل أسماءه وصفاته هى هو ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : إن لهذا الكلام وجهين : إن كنت تقول هى هو أنه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك ، وإن كنت

تقول : هذه الأسماء والصفات لم تزل قائمة (قائمة خ) لم تزل محتمل معنيين :

فان قلت : لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها فنعم .

وإن كنت تقول : لم يزل صورها (تصويرها خ) وهجاؤها وتقطيع حروفها ، فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره بل كان الله تعالى ذكره ولا خلق ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره ، وكان الله سبحانه ولا ذكر ، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذى لم يزل ، والأسماء والصفات مخلوقات والمعاني (المعنى) بها هو الله الذى لا يليق به الاختلاف ولا الايتلاف ، وانما يختلف ويأتلف المتجزئ ، ولا يقال : الله مؤتلف ولا الله كثير ، ولا قليل ، ولكنه القديم في ذاته ، لان ما سوى الواحد متجزئ ، والله واحد لا متجزئ ولا متوهم بالقلة والكثرة ، وكل متجزئ أو متوهم بالقلة والكثرة فهو مخلوق دال على خالق له .

فقولك : ان الله قدير خبرت انه لا يعجزه شيء فنفيت بالكلمة العجز ، وجعلت العجز سواه ، وكذلك قولك : عالم انما نفيت بالكلمة الجهل ، وجعلت الجهل سواه ، فاذا أفنى الله الاشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع ، فلا يزال من لم يزل عالماً .

فقال الرجل : فكيف سمينا ربنا سميعاً ؟ فقال : لانه لا يخفى عليه ما يدرك بالاسماع ، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس ، وكذلك سميناه بصيراً لانه لا يخفى عليه ما يدرك بالابصار من لون أو شخص أو غير ذلك ، ولم نصفه ببصر طرفة العين (لحظة العين خ) .

وكذلك سميناه لطيفا لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وما هو أخفى من ذلك وموضع النشؤ منها ، والعقل والشهوة للفساد والحدب على نسلها ، وإقامة بعضها على بعض ، ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوزة والاودية والقفار ، فعلمنا بذلك أن خالقها لطيف بلا كيف إذ الكيفية للمخلوق المكيف .

وكذلك سمينا ربنا قوياً بلا قوة البطش المعروف من الخلق ، ولو كان

قوّته قوّة البطش المعروف من الخلق لوقع التشبيه واحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم وما كان غير قديم كان عاجزاً، فربّنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضدّ ولا ندّ، ولا كيفيّة ولا نهاية ولا تبصار بصر محرّم على القلوب أن تمثله، وعلى الاوهام أن تحدّه، وعلى الضمائر أن تكوّنه جلّ وعز عن أداة خلقه وسمات بريّته، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

أقول: ان المراد من الاسماء: الاسماء الدالة على الذات من غير ملاحظة صفة، والمراد بالصفات ما يدل على الذات متصفاً بصفة.

والحق تعالى ذاته نفس الوجود الصرف بلا ماهية اخرى، فجميع مفهومات الاسماء والصفات خارجة عنه فصدقها وحملها عليه ليس كصدقها الذاتيات على الماهيات - اذ الماهية له كلية - ولا كصدق العرضيات - اذ لا قيام لافرادها بذاته تعالى - ولكن ذاته تعالى بذاته الاحدية البسيطة مما ينتزع منه هذه المفهومات، وتحمل عليه فالمفهومات كثيرة والجميع غيره، فيلزم من عينيّة تلك المفهومات تعدّد الالهة.

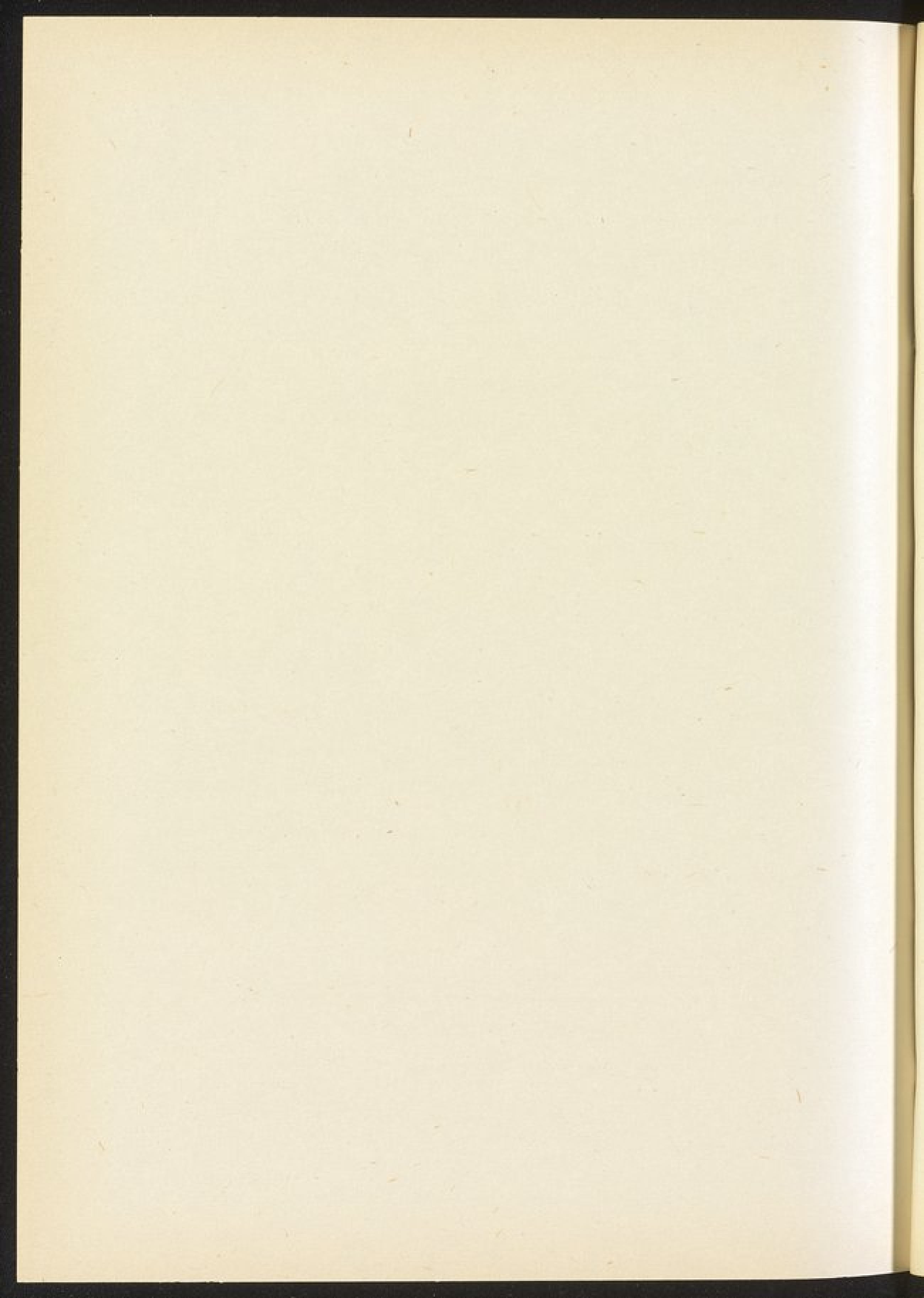
وفي التوحيد: بالاسناد عن محمد بن سنان قال: سئلت الرضا عليه السلام عن الاسم ما هو؟ قال: صفة لموصوف.

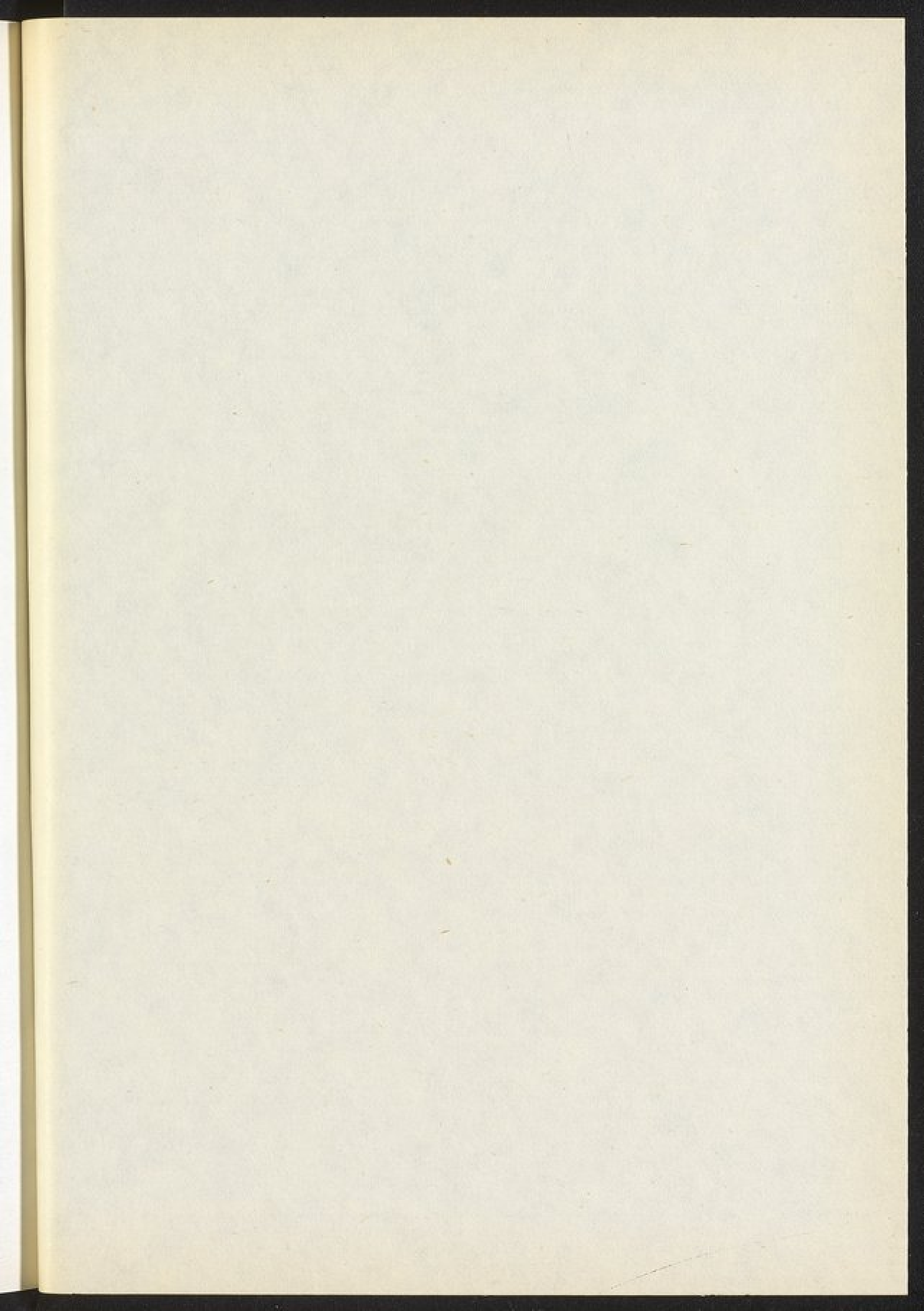
قوله عليه السلام: «صفة» أي سمة وعلامة تدل على ذات فهي غير الذات.

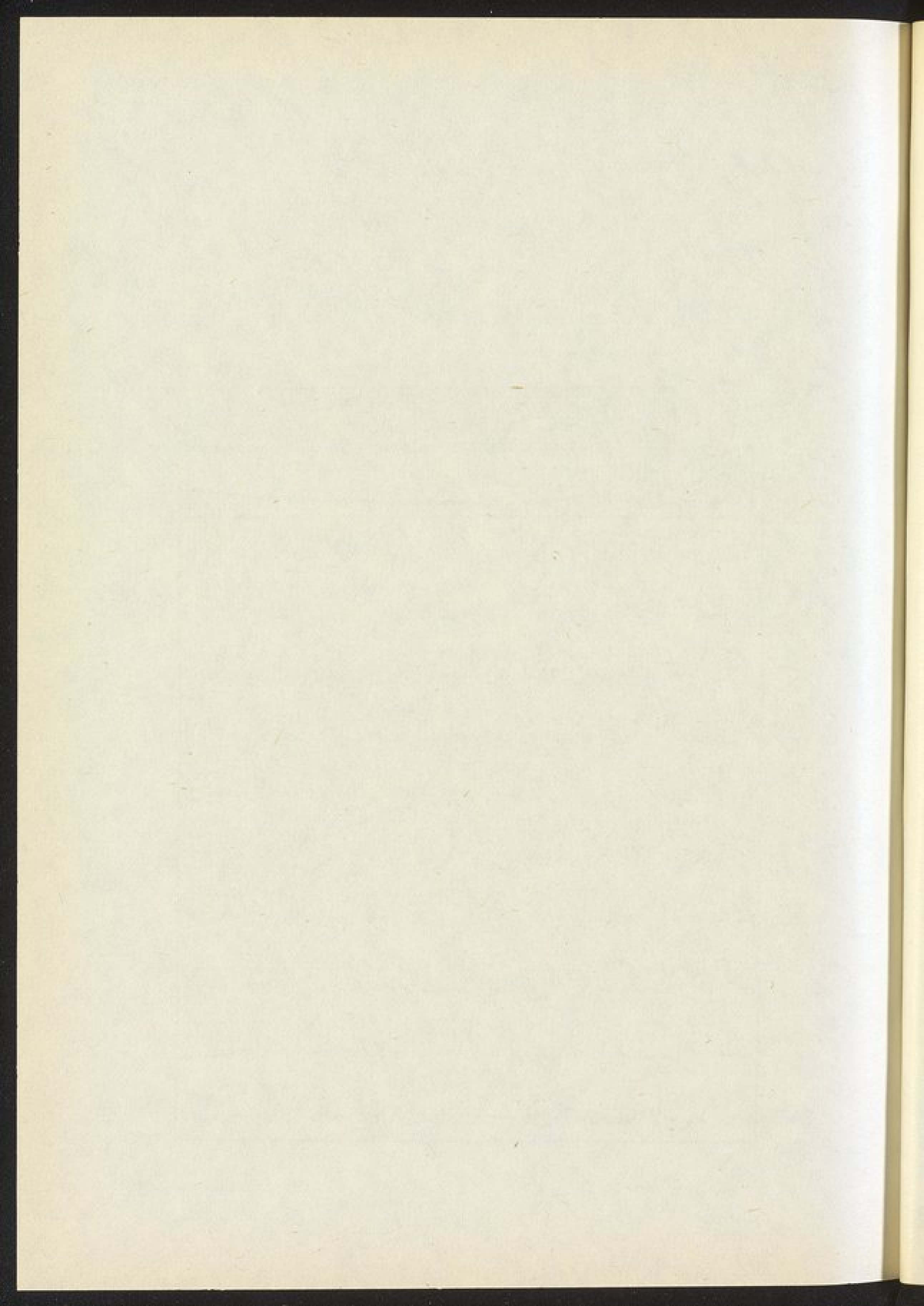
ويحتمل أن يكون المعنى: ان أسماء الله تعالى تدل على صفات تصدق عليه، أو يكون المراد بالاسم هنا ما أشرنا إليه سابقاً أي المفهوم الكلي الذي هو موضوع اللفظ.

تمت سورة الحشر والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وأهل بيته المعصومين







سورة الممتحنة مدنية وآياتها ثلاث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم
من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء
مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء
السبيل ① إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ②
لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ③ قد كانت لكم أسوة
حسنة في إبرٰهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءٰؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا
بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبرٰهيم
لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا و
إليك أنبنا وإليك المصير ④ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك
أنت العزيز الحكيم ⑤ لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن

يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً
وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ
مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ
عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ
تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ
الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ
إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ
وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾
وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ
مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ
يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ
وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق : رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : من قرأ سورة الممتحنة في فرائضه ونوافله ، امتحن الله قلبه للايمان ، ونوّر له بصره ، ولا يصيبه فقر أبداً ، ولا جنون في بدنه ، ولا في ولده .

أقول : رواه الطبرسي في المجمع والبحراني في البرهان والحويزي في نور الثقلين والمجلسي في البحار .

وقد احتوت الرواية لقرّاء السّورة المتدبرين فيها خمس فوائد :

أحدها - تمتحن بها القلوب وتنشرح للاسلام ، وعلى ذلك تدور السورة عامة وتشير إليه خاصّة بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا جاء كم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن . . . الاية » ١٠) والمورد غير مخصّص ، والتعميم غير خفيّ على القارىء الخبير ولذلك سميت بسورة الامتحان والممتحنة .

ثانيها - تنوير بصر قاريها ، وذلك فقد صحّت الروايات وأثبتت التجربة : ان قراءة القرآن الكريم تورث زيادة النور في البصر ، وان من كان منشرح الصدر للاسلام فهو على نور الله تعالى إطلاقاً .

قال الله تعالى : « فمن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه »

الزمر : ٢٢)

ثالثها - خامسها - عدم إصابة الفقر ولا الجنون في نفسه وولده لما في السورة من الحث على الايمان ، ومن النهي عن تولّي أصحاب الكفر والعداء ،

ومن التحريض على الاستغفار .

وبذلك يزيد الرزق والقوة ويدفع العذاب اطلاقاً وليس الجنون خارجاً عن الاطلاق .

قال الله تعالى : « وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمّى ـ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوّة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » هود : ٣ ـ ٥٢) .

وقال : « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين » نوح : ١٠ ـ ١٢) .

وقال : « وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون » الانفال : ٣٣) .

فمساس الرواية بما تحويه السورة ما لا يخفى على القارىء الخبير المتدبر .

وفي المجمع : عن أبيّ إبن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ومن قرأ سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة .

أقول: ان الرواية مردودة سنداً لمكان أبيّ ولم أجد لها مساساً ظاهراً بما تحتويه السورة .

وفي البرهان : روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من قرأ هذه السورة صلت عليه الملائكة واستغفرت له ، واذا مات في يومه أو ليلته مات شهيداً ، وكان المؤمنون شفعاؤه يوم القيامة ، ومن كتبها وشربها ثلاثة أيام متوالية لم يبق له طحال ، وأمن من وجعه وزيادته وتعلق الرياح مدة حياته باذن الله تعالى .

وفيه: وقال الصادق عليه السلام : من بلى بالطحال وعسر عليه يكتبها ويشربها ثلاثة أيام متوالية يزول عنه الطحال باذن الله تعالى .

﴿ الغرض ﴾

غرض السورة نهى المؤمنين عن موالاة أعداء الله تعالى وأعداءهم من الكفار المعتدين المغضوب عليهم ، مهما ربطت بينهم وبين المؤمنين أرحام ، ودعوة المؤمنين إلى تأسيهم بابراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين فى موقفهم من قومهم الكافرين اذ تبرّؤا منهم .

ففيها تحديد لموقف المسلمين من الكفار تحديداً تاماً من ناحية الصلة والمودّة ، ومن ناحية القتال والمسالمة ، ومن ناحية العلاقة الزوجية القائمة بين المسلم وغيره ، وكيفية مبايعة الرسول الاعظم عليه افضل الصلاة والسلام النساء ، وختمت بما بدئت من النهى صراحاً عن موالاة الكفار المعتدين المغضوب عليهم .

وفى ذلك تربية روحية وتنظيم مدنى إجتماعى وسياسى اختارها الله تعالى للامة الاسلامية التى أناط بها تحقيق منهجه الذى أراده للحياة الانسانية فى صورة واقعية عملية كيما يستقرّ فى الارض نظاماً ذا معالم ، وحدود وشخصية مميزة ، وكانت هذه التربية متجهة دائماً إلى انشاء التصور الايمانى الخاص المميز بحقيقته وطبيعته عن التصورات السائدة فى العالم كله يومذاك ، وفى الجزيرة العربية بصفة خاصّة

والهدف : إقامة عالم ربانى خالص محوره الايمان بالله تعالى وحده ، ويشد المؤمنين إلى هذا المحور وحده بعروة واحدة لا انفصام لها ، ويبرّئ نفوسهم من كل عصبية اخرى : عصبية أسرية ، عصبية قوميّة ، عصبية جنسية ، عصبية أرضية ، أو عصبية للعشيرة أو للقرابة ليجعل فى مكانها جميعاً عقدة واحدة هى عقدة الايمان

بالله تعالى ، والوقوف تحت راية الله تعالى في حزب الله جلّ وعلا .

عالم رباني يستمدّ كل مقوّماته من توجيه الله وحكمه ، ويتجه إلى الله تعالى بكل شعوره وعمله ، وتذوب فيه فواصل الجنس والوطن واللغة والنسب ، وسائر ما يميّز انساناً عن انسان عدا عقيدة الايمان .

وهذا هو العالم الرفيع اللائق أن يعيش فيه الانسان الكريم على الله تعالى المتضمن كيانه نفحة من روحه جل وعلا .

وعالج في هذا العالم الرباني كل التعصبات عدا عقدة الايمان ، و كل العقباب من رغائب النفوس وأهواء القلوب من الحرص والشحّ وحب الخير للذات ، ومن الكبرياء الذاتية والالتواءات النفسية ، وغير ذلك من الالوان المتلوّنة من ذوات الصدور ، وأصفى الله تعالى هذه النفوس وشرحها للايمان ، وأخلصها من كل هذه الوشائج ، وجرّدها لدينه وعقيدته ومنهجه ، وأنشأ في النفوس البشرية صورة جديدة وقيماً جديدة وموازين جديدة ، وفكرة جديدة عن الكون والحياة والانسان ، ووظيفة المؤمنين في مجتمعهم ، وينفتح أعينهم على ما يحيط بهم من عداوات ومكر و كيد حتى فصّل بين الزوج والزوجة اللذين لم يكونا على وشيجة الايمان ليتمّ التميز والانفراد والمفاصلة من جميع الوشائج والروابط غير رابطة العقيدة ووشيجة الايمان .

فقال بدوًا وختماً : « يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ـ يا أيّها الذين آمنوا لا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم » ١ ـ ١٣) .

﴿النزول﴾

سورة الممتحنة مدنية نزلت بعد سورة الاحزاب، وقبل سورة النساء على التحقيق، وهى السورة الواحدة والتسعون نزولا، وسورة الستين مصحفاً.

وتشتمل على ثلاث عشرة آية، سبقت عليها ٥٢٤٧ آية نزولا، و ٥١٥٠ آية مصحفاً.

ومشتملة على ٣٤٠ كلمة، وقيل: ٣٤٨ كلمة: وعلى ١٥١٠ حرفاً، وقيل: ١٥٠٠ حرفا على ما فى بعض التفاسير.

ولهذه السورة ثلاثة أسماء:

أحدها - الممتحنة سمّيت بها لموضوع الامتحان فيها.

ثانيها - الامتحان سميت به لما تقدّم.

ثالثها - المودّة سميت بها لبحثها فيها، ونهى المؤمنين عن موالاة الكفار المعتدين المغضوب عليهم.

فى تفسير القمى: فى قوله تعالى: «يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّى وعدوّكم اولياء» الاية قال:

نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة، ولفظ الاية عام، ومعناها خاص، وكان سبب ذلك أن حاطب بن أبى بلتعة قد أسلم، وهاجر إلى المدينة، وكان عياله بمكة، وكانت قريش تخاف أن يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصاروا إلى عيال حاطب، وسئلوهم أن يكتبوا إلى حاطب يسئلوه عن خبر محمد هل يريد أن يغزو مكة؟

فكتبوا إلى حاطب يسئلوه (يسئلونه خ) عن ذلك، فكتب إليهم حاطب: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد ذلك، ودفع الكتاب إلى إمرأة تسمّى صفيّة، فوضعته

فی قرونها وعمرت ، فنزل جبرئیل علی رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره (وأخبره خ) بذلك .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين والزبير بن العوام في طلبها فلحقاها ، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام أين الكتاب ؟ فقالت : ما معي شيء ففتشاها ، فلم يجدا معها شيئاً ، فقال الزبير : ما نرى معها شيئاً ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : والله ما كذبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جبرئيل ، ولا كذب جبرئيل على الله جل ثناؤه ، والله لتظهرن (لی خ) الكتاب أو لاردن رأسك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : تنحيا عني حتى اخرجه ، فاخرجت الكتاب من قرونها ، فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا حاطب ما هذا ؟ فقال حاطب : والله يا رسول الله ما نافقت ولا غيرت ولا بدلت ، واني اشهد أن لا اله إلا الله وانك رسول الله حقاً ولكن أهلي وعيالي كتبوا إلي بحسن صنيع قريش إليهم فأحببت أن اجازي قريشاً بحسن معاشرتهم ، فانزل الله جل ثناؤه على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء - إلى قوله - والله بما تعملون بصير » .

وفي التبيان : « فلما عاداه سلماه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن ينادي بالصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فصعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر وخطب ثم قال : « أما اني كنت سئلت الله أن يعمي اخبارنا عن قريش حتى ندخل مكة بغتة ، وان رجلا منكم كتب إليهم ينذرهم خبرنا وهذا كتابه ، فليقم صاحبه » .

فلم يقم أحد ، فأعاد ثانياً ، فلم يقم أحد ، فأعاد ثلاثاً ثم قال : فليقم وإلا فضحه الوحي ، فقام حاطب وهو يرعد ، وقال : يا رسول الله والله ما نافقت منذ أسلمت ، فقال صلى الله عليه وآله : ما حملك على ذلك ؟ فقال : ان لي بمكة أهلا وليس لي بها عشيرة فأردت ان اتخذ بذلك عندهم يداً إن كانت الدائرة لهم ، فقام عمر بن الخطاب وقال : يا رسول الله مرني بأن أضرب عنقه ، فانه نافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : انه من أهل بدر ولعل الله تعالى اطلع اطلاعة ، فغفر لهم ، فانزل الله تعالى هذه

الاية يخاطب فيها المؤمنين ، وينهاهم أن يتخذوا عدو الله من الكفار وعدو المؤمنين أولياء يوالونهم ويلقون إليهم بالمودة .

وفى أسباب النزول : للواحدى النيشابورى فى قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » الاية قال جماعة من المفسرين : نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة وذلك أن سارة مولاة أبى عمر بن صهيب بن هشام بن عبد مناف أتت رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وآله يتجهز لفتح مكة فقال لها : أمسلمة جئت ؟ قالت : لا ، قال : فما جاء بك ؟ قالت : أنتم الاهل والعشيرة والموالى ، وقد احتجت حاجة شديدة ، فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى ، قال لها :

فأين أنت من شباب أهل مكة ، وكانت مغنية ، قالت : ما طلب منى شىء بعد وقعة بدر ، فحث رسول الله صلى الله عليه وآله بنى عبد المطلب ، فكسوها وحملوها وأعطوها ، فأتاها حاطب بن أبى بلتعة و كتب معها إلى أهل مكة ، وأعطاها عشرة دنانير على أن توصل إلى أهل مكة ، و كتب فى الكتاب :

من حاطب إلى أهل مكة ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريدكم ، فخذوا حذركم ، فخرجت سارة ونزل جبرئيل عليه السلام ، فاخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بما فعل حاطب ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وعماراً والزبير وطلحة والمقداد ابن الاسود وأبا مرثد وكانوا كلهم فرساناً ، وقال لهم : إنطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فان فيها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين ، فخذوه منها ، وخلّوا سبيلها ، فان لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها ، فخرجوا حتى أدركوها فى ذلك المكان ، فقالوا لها :

أين الكتاب ؟ فحلفت بالله ما معها كتاب ، ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً ، فهمّوا بالرجوع ، فقال على عليه السلام : والله ما كذبنا ولا كذبنا وسلّ سيفه وقال : أخرجى الكتاب والا والله لاجزرنك ولاضربن عنقك ، فلمّا رأت الجد أخرجته من ذؤابتها قد خبأته فى شعرها ، فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حاطب فأتاه ، فقال له : هل تعرف

الكتاب ؟ قال : نعم قال : فما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ، ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته ، وكنت غريباً فيهم ، وكان أهلي بين ظهرانيهم ، فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يداً ، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وكتابي لا يغني عنهم شيئاً ، فصدقه رسول الله ﷺ وعذره فنزلت هذه السورة :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوّكم اولياء » .

فقام عمر بن الخطاب فقال : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ؟

أقول : وفي الجمل الاخيرة « لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ما لا يخفى .

على أنه لا يؤاخذ لكونه بدرياً وعموم جواز العمل وإن كان معصية وغفرانها .

وقد حدّ مسطّح بن أثاثة وكان من الافكين وكان من المهاجرين شهد بدراً فحدّه النبي ﷺ كما نطقت به الروايات في تفسير آيات الافك .

وفي المجمع : نزلت في حاطب بن أبي بلتعة ، وذلك ان سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هشام أتت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة بعد بدر بسنتين . . الخبر .

وفي اسباب النزول : للواحدي في قوله عز وجل : « قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه » يقول الله تعالى للمؤمنين : اقد كان لكم في ابراهيم ومن معه من الانبياء والاولياء اقتداء بهم في معاداة ذوى قراباتهم من المشركين ، فلما نزلت هذه الاية عادى المؤمنون أقربائهم المشركين في الله ، وأظهروا لهم العداوة والبراءة ، وعلم الله تعالى شدة وجد المؤمنين بذلك ، فأنزل الله : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة » ثم فعل ذلك بأن

أسلم كثير منهم ، وصاروا لهم أولياء وإخواناً ، وخالطوهم وناكحوهم ، وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وآله ام حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، فلان لهم أبوسفيان وبلغه ذلك ، فقال : ذلك الفحل لا يقرع أنفه .

وفي اسباب النزول : للسيوطي : وأخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر قالت : أتتني أمّي راغبة ، فسئلت النبي صلى الله عليه وآله أ أصلها ؟ قال : نعم ، فأنزل الله فيها : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين » .

وفيه : عن عبدالله بن زبير قال : قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر ، وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية ، فقدمت على بنتها بهدايا ، فأبت أسماء أن تقبل منها أو تدخلها منزلها حتى أرسلت إلى عائشة أن سلي عن هذا رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبرته بأمرها أن تقبل هداياها ، وتدخلها منزلها فأنزل الله : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين » الاية .

وفي الدر المنثور : عن أسماء بنت أبي بكر قالت : أتتني امّي راغبة وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسئلت النبي صلى الله عليه وآله أ أصلها ؟ فأنزل الله : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين » فقال : نعم صلي .

وفي أسباب النزول : للواحدي : عن عبدالله بن الزبير قال : قدمت قتيلة بنت عبد العزى على إبنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا وضباب وسمن وأقط ، فلم تقبل هداياها ولم تدخلها منزلها ، فسئلت لها عائشة النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك ، فقال : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين » الاية فأدخلتها منزلها وقبلت منها هداياها .

وفي المجمع : نزل قوله : « لا ينهاكم الله » الاية في خزاعة وبني مدلج وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله على أن لا يقاتلوه ، ولا يعينوا عليه أحداً عن ابن عباس .

وفيه : قال ابن عباس : صالح رسول الله صلى الله عليه وآله بالحديبية مشركي مكة على

أن من أتاه من أهل مكة ردّه عليهم، ومن أتى أهل مكة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فهو لهم ولم يردّوه عليه، وكتبوا بذلك كتاباً، وختموا عليه، فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنبى صلى الله عليه وآله بالحديبية، فأقبل زوجها مسافر من بنى مخزوم وقال مقاتل: هو صيفى بن الراهب فى طلبها وكان كافراً، فقال: يا محمد اردد عليّ إمرأتى فانك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فنزلت الاية: «يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات» من دار الكفر إلى دار الاسلام «فامتحنوهن».

قال إبن عباس: امتحانهن أن يستحلفن ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا إلتماس دنيا وما خرجت الا حبّاً لله ولرسوله، فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وآله ما خرجت بغضاً لزوجها، ولا عشقاً لرجل منّا، وما خرجت الا رغبة فى الاسلام، فحلفت بالله الذى لا اله الا هو على ذلك، فاعطى رسول الله صلى الله عليه وآله زوجها مهرها، وما أنفق عليها ولم يردها عليها، فتزوجها عمر بن الخطاب فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يرد من جاءه من الرجال، ويحبس من جاءه من النساء إذا امتحنّ، ويعطى أزواجهن مهورهن.

قال: قال الزهرى: ولما نزلت هذه الاية وفيها قوله: «ولا تمسكوا بعصم الكوافر».

طلّق عمر بن الخطاب إمرأتين كانتا له بمكة مشركتين قرنية (قريبة خ) بنت أبى امية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان وهما على شركهما بمكة، والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية ام عبدالله بن عمر، فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما، وكانت عند طلحة بن عبيد الله (عبدالله خ) اروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ففرق بينهما الاسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر، وكان طلحة قد هاجر وهى بمكة عند قومها كافرة ثم تزوّجها فى الاسلام بعد طلحة خالد بن سعيد

بن العاص بن امية ، وكانت ممن فرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من نساء الكفار ، فحبسها وزوّجها خالداً واميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة ففرت منه ، وهو يومئذ كافر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله سهل بن حنيف ، فولدت عبدالله بن سهل .

وفي أسباب النزول : للسيوطي : وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن في قوله : « وإن فاتكم شيء من أزواجكم » الاية قال : نزلت في ام الحكم بنت أبي سفيان إرتدت ، فتزوجها رجل ثقفي ولم ترتد إمرأة من قريش .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « فاتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون » قال : كان سبب ذلك ان عمر بن الخطاب عنده فاطمة بنت ابي اميّة بن المغيرة ، فكرهت الهجرة معه فأقامت مع المشركين فنكحها معاوية بن أبي سفيان ، فأمر الله رسوله أن يعطي عمر مثل صداقها .

وفيه : في قوله تعالى : « يا أيّها النبي إذا جاءك المؤمنات ، الاية » قال : فانها نزلت في يوم فتح مكة ، وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله قعد في المسجد يبايع الرجال إلى صلاة الظهر والعصر ثم قعد لبيعة النساء وأخذ قدحاً من ماء فادخل يده فيه ثم قال للنساء : من أراد أن يبايع فليدخل يده في القدح فاني لا اصافح النساء ثم قرأ عليهن ما أنزل الله من شروط البيعة عليهن فقال : « على أن لا يشركن بالله ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن » .

فقامت ام حكيم بنت الحارث بن عبد المطلب فقالت : يا رسول الله ما هذا المعروف الذي أمرنا الله أن لا يعصينك فيه ، فقال : أن لا تخمشن وجهاً ولا تلطمن خدّاً ، ولا تنتفن شعراً ولا تمزّقن جيباً ولا تسوّدن ثوباً ، ولا تدعون بالويل والثبور ولا تقيمن عند قبر ، فبايعهن رسول الله صلى الله عليه وآله على هذه الشروط .

وفي الكافي : باسناده عن أبان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة بايع الرجال ، ثم جاءه النساء يبايعنه ، فأنزل الله عزوجل :

« يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشر كن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » فقالت هند : أمـا الولد فقد ربّينا صغاراً وقتلناهم كباراً ، وقالت ام حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت عند عكرمة بن أبى جهل : يا رسول الله ما ذلك المعروف الّذى أمرنا الله أن لا نعصيك فيه ؟ فقال :

« لا تلطمن خداً ، ولا تخمشن وجهاً ، ولا تنتفن شعراً ، ولا تشققن جيباً ، ولا تسوّدن ثوباً ، ولا تدعين بويل » فبايعهن رسول الله صلى الله عليه وآلـه على هذا ، فقالت : يـا رسول الله كيف نبايعك ؟ قـال : « اننى لا اصافح النساء » فدعا بقدح من ماء فأدخل يده ثم أخرجها فقال : ادخلن أيديكن فى هذا الماء فهى البيعة .

وفى البرهان : عن موفق بن أحمد فى المناقب فى قوله تعالى : « يا أيها النبى اذا جـاءك المؤمنات يبايعنك » قـال : روى الزبير بن عوام قـال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو النساء إلى البيعة حين نزلت هذه الاية وكانت فاطمة بنت أسد ام أميرالمؤمنين عليه السلام أوّل من بايعت .

وفيه : عن جعفر بن محمد عليه السلام : ان فاطمة بنت أسد أوّل إمرأة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة على قدميها .

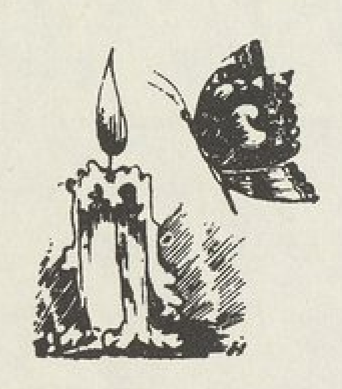
وفيه : عن جعفر بن محمد عليه السلام : ان فاطمة بنت أسد امّ على عليه السلام كانت حادية عشرة يعنى فى السابقة إلى الاسلام وكانت بدرية ولما نزلت هذه الاية : « يا أيّها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك » .

كانت فاطمة أوّل إمرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله ودفنت بالروحا مقابل حمام أبى قطيفة .

فى أسباب النزول : للواحدى فى قولـه تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا لا

تتولوا قوماً غضب الله عليهم » الاية قال : نزلت فى ناس من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المسلمين وتواصلوا بهم ، فيصيبون بذلك من ثمارهم ، فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك .

وفى اسباب النزول : للسيوطى : عن ابن عباس قال : كان عبدالله بن عمر وزيد بن الحارث يوادان رجالا من يهود ، فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم » الاية .



القراءة

« سورة الممتحنة » فى الممتحنة قرائتان : بكسر الحاء على أنها اسم فاعل أى المختبرة ، فاضافة السورة إليها بيانية أى السورة الممتحنة ، وبفتحها على كونها اسم مفعول اضيف إلى المرأة التى نزلت فيها ، والمعنى : سورة المرأة المهاجرة التى نزلت فيها آية الامتحان فامتحنت .

قرأ نافع « أنا أعلم » باثبات الالف فى الفعل ، والباقون بحذفها وصلا وباثباتها وقفاً .

قرأ عاصم « يفصل » بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد ثلاثياً معلوماً ، فالفاعل هو الله تعالى .

وقرأ حمزة بضمّ الياء وفتح الفاء وتشديد الصاد وكسرها من باب التفعيل .

وقرأ ابن عامر بتشديد الصاد وفتحها مجهولا من باب التفعيل .

وقرأ الباقون ثلاثياً مجهولا ، فالظرف « بينكم » على القرائتين الاخيرتين قام مقام الفاعل .

قرأ عاصم « اسوة » بضمّ الهمزة ، والباقون بكسرها .

قرأ أبو عمرو « تمسكوا » بتشديد السين من باب التفعيل ، والباقون من باب الافعال .

قرأ مجاهد « فاعقبتم » والقراءة المشهورة للقرّاء « فعاقبتم » .

قرأ نافع « النبيء إذا » بالهمزة ، فيجتمع على قرائته همزتان : الاولى مضمومة ، والثانية مكسورة ، والباقون « النبيّ » بتشديد الياء على إبدال الهمزة ياء .

﴿ الوقف والوصل ﴾

« من الحق ج » لان ما بعده يحتمل الحال من ضمير « كفروا » والاستيناف و « بالله ربكم ط » لتمام الكلام و « بالمودة ق » لاستيناف ما بعده و« أعلنتم ط » لتمام الكلام ، و « اولادكم ج » لاحتمال تعلق الظرف « يوم » بلن تنفعكم أو بيفصل و « يوم القيامة ج » لما تقدم و « بينكم ط » لتمام الكلام .

«معه ج» لاحتمال أن يكون الظرف «إذ» متعلقاً باذكر محذوفاً أو باسوة و«من دون الله ز» لان ما بعده مستأنف فى النظم وان كان متصلا فى المعنى و «من شى ط» لتمام الجملة .

«ربنا ج» للابتداء بان مع أن التقدير فانك العزيز الحكيم و«اليوم الاخر ط» لتمام الكلام ، واستيناف ما بعده و «الحميد ع» لانتهاء الركوع ، وهو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن فى عامين .

«مودة ط» لتمام الجملة و«قدير ط» لاستيناف ما بعده و«إليهم ط» لما تقدم و«تولوهم ج» للشرط مع العطف و «فامتحنوهن ط» لتمام الكلام و«بايمانهن ج» للاستيناف والفاء و«الى الكفار ط» لتمام الجملة واستيناف ما بعده و«لهن ط» لما تقدم و«ما انفقوا ط» كذلك و«اجورهن ط» و«ما انفقوا ط» و«حكم الله ط» و«بينكم ط» و«ما انفقوا ط» و«لهن الله ط» كل ذلك لتمام الكلام واستيناف ما بعده.

﴿ اللغة ﴾

٢٠ - الود - ١٦٥٣

ودّ الشيء يودّه ودّاً وودّاً - بفتح الواو وضمّها - ومودّة ووِدادة - من باب منع وعلم - : أحبّه وهواه وتمنّى وقوعه .

ويستعمل الود في كل واحد من المعاني على أن التمني يتضمّن معنى الود لان التمني هو تشهّي حصول ما أحبه ، ويقال : ودّ الشيء : تمنّى كونه وأحب وقوعه قال تعالى : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد ايمانكم كفاراً » البقرة ١٠٩)

والاسم : المودة : المحبة والكتاب ، قال الله تعالى : «تلقون إليهم بالمودة » الممتحنة : ١) أي باسباب المحبة من النصيحة ونحوها ، وقيل : أي بالكتب .

وفي المودة التي تقتضي المحبة المجردة كقوله تعالى : «قل لا أسئلكم عليه أجراً الا المودّة في القربى» الشورى : ٢٣) وقولـه : «عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة » الممتحنة : ٧) .

ومن المودّة التي تقتضي معنى التمني كقوله تعالى: « ودّوا لو تكفرون » الممتحنة : ٢) ووصف الفاعل : واد ، والمبالغة منه : ودود ، أي كثير الحب .

والودود : فعول بمعنى فاعل وبمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث يقال : هو ودود وهي ودود .

والودود من أسماء الله الحسنى يراد به انه تعالى يضاعف الاحسان والانعام لاوليائه ، ويغمرهم برضائه .

قال الله تعالى : « واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه ان ربى رحيم ودود » هود : ٩٠) الله ودود أى محبوب فـى قلوب أوليائه أو انه يحب عباده الصالحين بمعنى انه يرضى عنهم .

الود : محبة فـى القلوب قال تعالى : «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً » مريم : ٩٦) وذلك بشارة بسعة الأسلام وبسط سلطانه ومحق المنافقين الذين يضمرون البغض للمؤمنين أو ان ذلك يكون يـوم القيامة اذ يتألف المؤمنون منزوعاً فى صدورهم من غل ، أو فى الحياة الدنيا كذلك .

والود ـ بكسر الواو ـ : الصديق ، وبالفتح : الوتد بلغة تميم وأهل نجد .

«ود» ـ بالفتح ويضم ـ : علم لصنم كان لقوم نوح عليه السلام قال تعالى : « وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً » نوح : ٢٣) .

ثم صار لكلاب وكان بدومة الجندل ، وكان على صورة رجل ومنه سمى عبدود ، وسمّى الصنم وداً إما لمودتهم له أو لاعتقادهم ان بينه وبين البارى مودة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

الوديد: المحب جمعه : أودّة وأوداء ، ويـأتـى الوديد اسم جمع بمعنى المحبّين .

وادّه يوادّه وداداً وموادة : أحبه ومال إليه وألفه .

قال تعالى : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادّون من حادّ الله ورسوله » المجادلة : ٢٢) .

١١ ـ الثقف و الثقيف ـ ٢٤٠

ثقف الشيء يثقفه ثقفا ـ من باب علم ـ : وجده وصادفه وحذقه وظفر به .

ثقف الرجل في الحرب : أدركه ، وثقف الحديث : فهمه بسرعة وحذقه ، ويقال : ثقف العلم أو الصناعة في اوحى مدة أي أسرع أخذه .

قال الله تعالى : « إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء » الممتحنة : ٢) أي يظفروا بكم .

وقال : «واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم » البقرة : ١٩١) أي ظفرتم بهم أو وجدتموهم .

ثقف يثقف ثقفاً وثقافة وثقوفة ـ من باب كرم ـ : صار حاذقاً خفيفاً فهو ثقيف وثقف .

الثقف ـ بفتح الثاء وفتح القاف وضمّها ـ الحاذق الفطن ، يقال : ثقف لقف : خفيف سريع ، وفي حديث الهجرة : « وهو غلام لقن ثقف » أي ذو فطنة وذكاء .

وفي نهج البلاغة قال الامام علي عليه السلام : « أما ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال » قيل : ان المراد من الغلام هو الحجاج بن يوسف من الاحلاف قوم من ثقيف ، والذيال : طويل الذيل يسحبه تبختراً و كني به عن التكبر، وثقيف أبو قبيلة من هوازن وإسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن .

وثقف : حمض ، والثقيف : الحامض ، وخلّ ثقيف : حامض جداً .

ثقف الشيء يثقفه ثقفا ـ من باب منع ـ : غلبه في الحذق وبالرمح : طعنه ، وثقّف الرمح ـ من باب التفعيل ـ : قوّمه وسوّاه وثقّف الولد : علّمه وهذّبه وتثقيف الشيء : تسويته وتقويمه .

الثقاف - بالفتح - كسحاب : الفطنة من النساء ، يقال: امرأة ثقاف وبالكسر: الخصام والجلاد وآلة من خشب تسوّى بها الرماح .

ثاقفه مثاقفة وثقافاً : لاعبه بالسلاح ، ثاقفه فثقفه : غالبه فغلبه في الحذق ، تثاقفا : تغالبا في الحذق وتخاصما .

٣٦ - البسط - ١٢٠

بسط الشيء يبسطه بسطاً وبسطة وبساطاً - من باب نصر - : نشره ووسعه ، وبسط فلاناً : سرّه وجرّأه فانبسط وبسّطه فتبسّط .

البسط : ضدّ القبض ، وبسط اليد : مدّها طلباً لشيء ، ويستعمل للصولة والضرب تارة كقوله تعالى : « ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء » . الممتحنة ٢)

وقوله : «لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لاقتلك » . المائدة : ٢٨)

ويستعمل تارة اخرى في مدّها للبذل والاعطاء كقوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط » الاسراء : ٢٩) .

يقال «يده بسط وبسط» - بضم الباء وسكون السين وضمها - أي مطلقة ومنه : «يد الله بسطان لمسيء النهار حتى يتوب بالليل ولمسيء الليل حتى يتوب بالنهار » أي منبسطتان أو مبسوطتان والمعنى : ان الله جوادبالغفران للمسيء التائب .

قال الله تعالى : « وقالت اليهود يدالله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » المائدة ٦٤) كناية عن الجود وتثنية اليد مبالغة في الرد ، ونفي البخل عنه سبحانه واثبات لغاية الجود ، فان غاية ما يبلغه السخي من ماله أن يعطيه بيديه .

البسط : التوسعة كقوله تعالى : «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض» الشورى : ٢٧) أي وسع .

والبسطة في العلم : التوسع ، وفي الجسم : الطول والكمال ، قال الله تعالى : « وزاده بسطة في العلم والجسم » البقرة : ٢٤٧) والله باسط فانه يوسع الرزق لمن يشاء بجوده ورحمته ويبسط الارواح في الاجساد عند الحياة .

وبسطة العيش : سعته ، وبسط المكان القوم : وسعهم ، ويقال : هذا بساط يبسطك : يسعك ، والبسيط : الارض الواسعة .

البسط : النشر كقوله تعالى : «الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء » الروم : ٤٨) أي ينشره .

وفي الحديث : «ليكن وجهك بسطا » أي منبسطاً منطلقاً .

وفي حديث فاطمة عليها السلام : «يبسطني ما يبسطها» أي يسرّني ما يسرّها لان الانسان اذا سرّ انبسط وجهه واستبشر .

البساط : - بالكسر - : ما يبسط أي يفرش ، قال الله تعالى : «والله جعل لكم الارض بساطاً » نوح : ١٩) وقال : « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » .

الكهف : ١٨)

وفي الحديث : « لا تبسط ذراعيك انبساط الكلب » أي لا تفرشهما على الارض في الصلاة .

والبساط - بالكسر - جمع بسط - بالكسر - أيضاً وهي الناقة التي تركت ولدها لا يمنع منها ، ولا تعطف على غيره .

٣٧ - الاسوة - ٣٧

أسا الجرح يأسوه أسواً وأساً - واوى من باب نصر - : داواه وعالجه ، وأسا الرجل : عزّاه فهو أسيّ وذلك مأسوّ ، وأسا بين القوم : أصلح ، وأسوته به : جعلته له اسوة .

والاسوة : بضم الاول وكسره - كالقدوة بكسر القاف وضمها - : إما مصدر بمعنى الائتساء أى الاقتداء ، أو اسم بمعنى ما يؤتسى به أى يقتدى به .

قال الله تعالى : «قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه - لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوالله واليوم الاخر » الممتحنة : ٤ - ٦) .

وفى الحديث : «لك برسول الله اسوة وبعليّ اسوة » .

والاسوة : ما يتعزّى به الحزين جمعه : إسيً واسيً ، والاسى : الحزن وحقيقته : اتباع الفائت بالغم ، ورجل أسوان : حزين .

والآسى : الطبيب ، جمعه اساة وإساء ، والاساء : الدواء جمعه آسية والمجروح مأسيّ وأسى معاً .

أسّاه - من باب التفعيل - : عالجه وعزّاه وعاونه .

آساه فى ماله مؤاساة - من باب المفاعلة - : جعله اسوته فيه .

وآسيته بنفسى - من باب الافعال - : سوّيته وآس بين الناس فى وجهك : شارك بينهم فى نظرك والتفاتك .

وفى حديث الامام على عليه السلام : «آس بينهم فى اللحظة والنظرة» .

وآسيته فلاناً بمصيبته اذا عزّيته ، وذلك اذا ضربت له الأسا ، وهو أن تقول

له : مالك تحزن وفلان إسوتك أى أصابه ما أصابك فصبر فتأسّ به .

وفى حديث قيلة : «استرجع وقال رب آسنى لما أمضيت وأعنّى على ما أبقيت» أى عزّنى وصبّرنى .

تأسّى : تعزّى وتصبّر وبه اقتدى .

تآسى القوم : عزّى بعضهم بعضاً .

إئتسى مثل تأسّى به : جعله اسوة لنفسه .

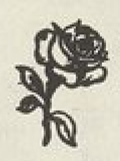
التآساه : التعزية .

فى المفردات : الاسوة والاسوة كالقدوة والقدوة وهى الحالة التى يكون الانسان عليها فى اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً وإن ساراً وإن ضاراً ولهذا قال تعالى : «لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة» فوصفها بالحسنة .

وفى النهاية : الاسوة ـ بكسر الهمزة وضمها ـ : القدوة والمواساة المشاركة والمساهمة فى المعاش والرزق .

وفى المجمع : المال أسوة بين الغرماء أى شركة ومساهمة بين غرماء المفلّس لا ينفرد به أحدهم دون الاخر .

وفى الحديث : «مواساة الاخوان» وهى مشاركتهم ومساهمتهم فى الرزق والمعاش .



٥٦ - البغض والبغضاء - ١٤٠

بغض الشيء - مثلث الغين - يبغضه بغضاً وبغاضة - من أبواب نصر وعلم وكرم - : كرهه وتنفّر عنه فهو بغيض.

البغض: نفار النفس عن الشيء الذى ترغب عنه.

البغض: الكراهة، ضد الحب، فان الحب إنجذاب النفس إلى الشيء الذى ترغب فيه.

والبغضاء والبغاضة: شدّة البغض، والبغيضة: شديد البغض، والبغضة - بكسر الباء - : كذلك.

قال الله تعالى: «وبدابيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده» الممتحنة: ٤).

وفى رواية: قال رسول الله ﷺ: «ان الله تعالى يبغض الفاحش المتفحّش» وفيها: «ان الله ليبغض المؤمن الضعيف» قال الراوى: قلت: «وما المؤمن الضعيف؟ قال: هو الذى يرى المنكر ولا ينكر على فاعله» والمعنى: أن يعامله معاملة المبغض مع من أبغضه، بان يوصل إليه ما يترتب على البغض لا حقيقة البغض، فان ما يوصف به سبحانه يؤخذ باعتبار الغايات لا المبادىء.

باغضه: تعاطا بغضاءه.

وبغّضه الله تعالى إلى الناس تبغيضاً، فأبغضوه أى مقتوه.

تبغّض إليه تنفّرعنه وأظهر كراهته عليه.

تباغض: تكاره.

٢٠ - الرجاء - ٥٤٨

رجاه يرجوه رجواً ورجاءاً ومرجاة ورجاوة ورجاءة - من باب نصر - : توقّعه وأمّل به ، وفيه مسرّة .

والرجاء : ظن يقتضي حصول ما فيه مسرّة ، والرجاء : نقيض اليأس وهمزته منقلبة عن واو بدليل ظهورها في رجاوة ، واسم المفعول : مرجوّ قال الله تعالى : «قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا» هود : ٦٢) .

ويستعمل الرجاء في معنى الخوف لان الراجي يخاف ألا يتحقق أمله .

قال تعالى : «ما لكم لا ترجون لله وقاراً» نوح : ١٣) أي لا تخافون له عظمة ، وذلك لان الرجاء والخوف يتلازمان ، ويقال : «ما اتيتك الا رجاوة الخير» وخافه ، ويقال : لقيت هولا ما رجوته أي ما خفته .

قال الله تعالى : «لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر» الممتحنة : ٦) .

وفي نهج البلاغة : قال الامام عليه السلام : «يدّعي انه يرجو الله كذب والعظيم ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله» ذمّاً على من يرجو الله بلا عمل ، فهو كالداعي للرجاء وكل من رجا عرف رجائه في عمله .

وفي الحديث : «أرجو ما بيني وما بين الله» أي أتوقع .

وفيه : «أعوذ بك من الذنوب التي تقطع الرجاء» وهي فسّرها عليه السلام باليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والثقة بغير الله ، والتكذيب بوعده .

وفي دعاء كميل بن زياد رحمة الله تعالى عليه : أم كيف اسكن في النار ورجائي عفوك - فكيف يبقى في العذاب وهو يرجو ما سلف من حلمك - أم

كيف يرجو فضلك في عتقه منها فتتركه فيها هيهات - ولا تقطع من فضلك رجائي - إرحم من رأس ماله الرجاء» وفي الحديث : «إلا رجاءة أن أكون من أهلها » .

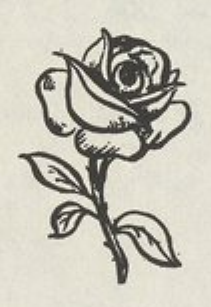
وأرجت الناقة : دنا نتاجها ، وحقيقته جعلت لصاحبها رجاءً في نفسها بقرب نتاجها .

والارجوان : لون أحمر يفرّح تفريح الرجاء .

والرجو : المبالاة ، يقال : ما أرجو أي ما ابالي .

وفي اللسان : قال الفراء : الرجاء في معنى الخوف لايكون الامع الجحد ، تقول : ما رجوتك أي ما خفتك ، ولا تقول : رجوتك في معنى خفتك ، ورجا في موضع الخوف اذا كان معه حرف نفي .

وفي شرح القاموس : الرجاء : هو ترقّب الانتفاع بما تقدّم له سبب ما ، وقيل : تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلا ، وقيل : الرجاء : هو الطمع في ممكن الحصول ، بخلاف التمني ، فانه يكون في الممكن والمستحيل ، ويتعاوضان ولا يتعلقان الا بالمعاني ، وتمنيت زيداً ورجوته بمعنىً .



١٢ ـ المحن والامتحان ـ ١٤١٠

محنه يمحنه محناً ـ من باب منع ـ : جرّبه واختبره .

أصل المحن : الضرب بالسوط ، يقال : محنه عشرين سوطاً : ضربه ، ومن الثوب : لبسه حتى أخلقه ، ومحن فلانا شيئاً : أعطاه ، يقال : ما محنني شيئاً أى ما أعطانى ، ومحن البئر : أخرج ترابها وطينها ، ومحن القول : نظر فيه ودبّره .

والمحن : بالفتح والسكون ـ : النكاح الشديد ، يقال : محنها ومخنها ومسحها اذا نكحها .

والاسم : المحنة : وهى ما يمتحن به الانسان من بليّة وغيرها جمعها : محن ، والمحنة : الخبرة .

إمتحن الذهب أو الفضة : أذابها بالنار حتى تخلّص من الخبث وتصفّى وتنقّى ، ومنه يقال : امتحن فلاناً : اختبره ليعلم حقيقة أمره ، ومنه امتحان الطلبة فى المدارس .

قال الله تعالى : «يا أيّها الذين آمنوا اذا جاء كم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن » الممتحنة : ١٠) .

وفى الحديث : قال رسول الله ﷺ : «القتلى ثلاثة : رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله حتى اذا لقى العدوّ قاتلهم حتى يقتل فذلك الشهيد الممتحن فى جنة الله تحت عرشه » الخبر ..

وامتحان الله تعالى للعبد : تكليفه ما شاء أو انزل ما شاء به من المكروه ليظهر صدق ايمانه بالامتثال أو الصبر .

قال الله تعالى : «اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى» الحجرات : ٣) .

في المفردات: المحن والامتحان نحو الابتلاء.

وفي القاموس وشرحه: المحونة: المحق والبخس، فعولة من المحن والممتحن أيضاً: الموطأ المذلل، ومحن السوط: ليّنه، ومحنت ناقتي: جهدتها بالسير، والمحونة: العار والتباعة على أن العار أشد المحن.

٦٣ - الفوت - ١١٨٢

فاته الشيء يفوته فوتاً وفواتاً - من باب نصر نحو قال -: أعوزه وذهب عنه فلم يدركه، وفات الامر: مضى وقته أو وقت فعله، ومنه: فاتت الصلاة: إذا مضى وقتها.

من الحسيّ، الفوت: الفرجة والخلل بين الشيئين وبين الاصابع، والجمع: أفوات، ومنه بعد الشيء عن الانسان، بحيث يتعذر إدراكه.

وورد منه الماضي، والمصدر، والتفاعل...

قال الله تعالى: «وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار» الممتحنة: ١١).

وقال: «فلا فوت واخذوا من مكان قريب» سباء: ٥١).

وقال: «ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت» الملك: ٢) أي اختلاف واضطراب، فليس فيها ما يخرج عن مقتضى الحكمة.

وتفاوت الشيئان: تباعد ما بينهما، فلم يدرك هذا وذاك.

وتفاوتا في الفضل: تباينا فيه، والتفاوت: الاختلاف في الاوصاف كأنه يفوّت وصف أحدهما الاخر أو وصف كل واحد منهما الاخر كما يقال: بون بيني وبينهم.

وافتات برأيه: استبدّ به، والفويت - مصغّراً -: المنفرد برأيه لا يشاور أحداً، والمفتات: الذي يعمل برأي نفسه ولا يشاور.

وورد ان عائشة زوجت ابنة أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر، وهو غائب

من المنذر بن الزبير ، فلما رجع من غيبته ، قال : أمثلى يفتات عليه فى أمر بناته ؟ أى يفعل فى شأنهن شىء بغير أمره ، نقم عليها نكاحها ابنته دونه .

الفوت : الموت ، وفى الحديث : «اتخوف من الفوت ، قلت : وما الفوت ؟ قال: الموت» والفوت: موت الفوات ، وهو موت الفجأة ، ومنه فى حديث : «مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بحائط مائل فأسرع فقيل : يا رسول الله أسرعت المشى ؟ فقال : أخاف موت الفوات» .

والفوت : الفائت ومنه : «يا جامع كل فوت» أى كل فائت .

وفاتنى فلان بكذا : سبقنى ، ومنه : تفوّت عليه فى ماله : فاته به ، عدّى بعلى لتضمنه معنى الغلبة .

٧٥ ـ البهت والبهتان ـ ١٥٩

بهت الرجل ـ مثلث الهاء ـ يبهت بهتا ـ بسكون الهاء وفتحها ـ من أبواب نصر وعلم و كرم ـ : دهش وتحيّر وتعب غير متعدّ .

وبهت فلاناً يبهته بهتاً ـ من باب منع ـ : قذفه بالباطل وافترى عليه الكذب وأخذه بغتة ، فأدهشه وحيّره بذلك .

قال الله تعالى : «قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر» البقرة : ٢٥٨) أى دهش وتحيّر أمام الحجة فانقطع ، فسكت متحيّراً .

وقال : «بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردّها » الانبياء : ٤٠) أى تدهشهم وتحيّرهم ، وقيل : تفجأهم .

البهت : الانقطاع والحيرة ، رأى شيئاً فبهت ينظر نظر المتعجب .

وبهت الفحل عن الناقة : نحّاه ليحمل عليها فحل أكرم منه .

والاسم البهتان : وهو الباطل الشنيع ، وقد يراد به القول الكذب الشنيع الذى يبهت ويحيّر السامع أو المنسوب إليه .

قال الله تعالى : «ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن»

الممتحنة : ١٢) كناية عن كل فعل شنيع من تناول ما لا يجوز والمشى إلى ما يقبح والقول بما لا ينبغى .

وفى الحديث : « من باهت مؤمنا أو مؤمنة حبسه الله يوم القيامة فى طينة خبال» باهته : استقبله بأمر يقذفه به ، وهو منه برىء لا يعلمه فيبهت منه .

البهات : الذى يقول على الناس ما لم يفعلوا .

فى النهاية : بهتان من البهت ـ بضم الباء ـ : التحيّر والالف والنون زائدتان ، ومنه حديث ابن سلام فى ذكر اليهود : «انهم قوم بهت» هو جمع بهوت من بناء المبالغة فى البهت .

٣٠ ـ الفرية والافتراء ـ ١١٤٩

فرى الشىء يفريه فرياً ـ يائى من باب ضرب ـ : قطعه وشقّه فاسداً كما يفرى السبع صيده أو صالحاً كما يفرى الخرّاز الاديم .

الفرى : قطع الجلد للخرز ، والافساد فيه أكثر .

ويفرى على فلان الكذب : اختلقه ، وفرى المزادة : خلقها وصنعها وفرى الارض : سارها وقطعها .

وفى حديث الرؤيا : «فلم أر عبقرياً يفرى فريّة» أى يعمل عمله ويقطع قطعه ، ومنه حديث حسان : «لافرينّهم فرى الاديم» أى أقطعهم بالهجاء كما يقطع الاديم ، وقد يكنى به عن المبالغة فى القتل ، ومنه حديث غزوة موتة : «فجعل الرّومى يفرى بالمسلمين» أى يبالغ فى النكاية والقتل ، ومنه حديث ابن عباس : «كل ما افرى الاوداج غير مترّد» أى ما شقّها وقطعها حتى يخرج ما فيها من الدم .

وقد ورد من المادة فى معنى الكذب العظيم والشرك والظلم ـ فرياً ـ من الثلاثى ، وورد من الافتعال : المصدر والماضى والمضارع واسم الفاعل واسم

المفعول جمعاً ومفرداً ...

قال الله تعالى : «لقد جئت شيئاً فريا» مريم : ٢٧) أى عظيماً هائلا أو مصنوعاً مختلقاً .

وقال «وحرّموا ما رزقهم الله افتراء على الله ـ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً» الانعام : ١٤٠ ـ ١٤٤) .

وقال : «ولا يأتين ببهتان يفترينه» الممتحنة ١٢) .

وقال : «قالوا انما انت مفتر» النحل : ١٠١) .

وقال : «قالوا ما هذا الا سحر مفترى» القصص : ٣٦) .

وفرى الرجل يفرى فرى ـ من باب علم ـ : تحيّر ودهش غير متعدّ .

الاسم الفرية ـ بالفتح والسكون ـ : المرّة والجبلّة ـ بالكسر والسكون ـ : النوع والكذب والقذف بما لم يقع جمعها : فرى ـ بكسر الفاء ـ والفرية : الكذبة العظيمة التى تتعجب منها وتدهش .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا دين لمن دان بفرية باطل على الله» .

الفرىّ ـ فعيل ـ : الامر المختلق المصنوع أو العظيم .

الافتراء : العظيم من الكذب والقذف أيضاً .

ويقال للمكذوب : المفترى .



١ - اليأس - ١٧١٣

يئس من الشيء ييأس يأساً ويآسة ككرامة - من باب علم - : إنقطع أمله ورجاؤه منه .

اليأس : القنوط ضد الرجاء ، وفي الحديث : «اليأس عما في أيدي الناس عزّ المؤمن» وعليه أنشد الباقر عليه السلام قول حاتم .

إذا ما عرفت اليأس ألفيته الغنى   اذا عرفته النفس والطمع والفقر

والوصف : يائس وذاك ميؤوس منه ، وللمبالغة يئوس .

قال الله تعالى: «قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور» الممتحنة : ١٣) .

وقال : «ولا تيأسوا من روح الله انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون» .
يوسف : ٨٧) .

وقال : « واذا مسّه الشر كان يؤساً » الاسراء : ٨٣) .

يقال : العبد كنود يؤوس .

ويقال : يئس : علم ، وقال بعض اللغويين : ان هذا لغة لبعض العرب وهي لغة النخع ، ويرى الآخرون : ان هذا من تضمين اليأس بمعنى السابق معنى العلم ، فان من يئس من شيء علم انه لا يكون ، وقد جاء هذا المعنى في آية واحدة من الكتاب ، وهي قوله تعالى : « أفلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا» الرعد : ٣١) أي أفلم يعلم الذين آمنوا ، وقيل : ولم يرد أن اليأس موضوع في كلامهم للعلم ، وانما قصد أنّ يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي أن يحصل بعد العلم بانتفاء ذلك ، فاذاً ثبوت يأسهم يقتضي ثبوت

حصول علمهم .

يئست المرأة إياساً : عقمت ، ولا ترى دم الحيض فهى يائس .

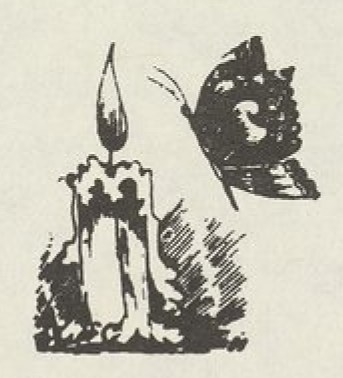
واستيأس من الشيء : يئس منه .

قال الله تعالى : «فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً» يوسف : ٨٠) .

آيسه مؤايسة : أوقعه فى اليأس .

أيأسة إياساً : أوقعه في اليأس ، وأيأس الله المرأة : أعقمها .

في اساس اللغة : قال الزمخشرى : إنّ يئس بمعنى علم مجاز ، فانه يقال : قد يئست انك رجل صدق بمعنى علمت لانّ مع الطمع القلق ، ومع انقطاعه السكون والطمأنينة ، ولذلك قيل : اليأس إحدى الراحتين .



﴿النحو﴾

سورة الممتحنة ـ بكسر الحاء ـ : المختبرة ، فاضافة السورة إليها مجاز و ـ بفتحها ـ فاضافتها إلى النسوة اللاتى نزلت فيهن .

١ ـ (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)

«يا» حرف نداء و«أى» وصلة بين حرف النداء والاسم المحلى باللام ، والهاء تنبيهية و «الذين» موصولة و « آمنوا » فعل ماض لجمع الغيبة من باب الافعال و«لا تتخذوا» فعل مضارع لجمع الخطاب المذكر ، مجزوم بحرف النهى على حذف النون ، متعدّ إلى مفعولين .

وذلك لان «اتخذ» قد يتعدى إلى مفعول واحد كقوله تعالى : «لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه » الانبياء : ١٧) .

وقد يتعدى إلى مفعولين على أن الثانى منهما فى معنى الاوّل ، و«عدوى» والعدو مفرد يطلق على الواحد والكثير والمراد فى الاية هو الكثير بقرينة قوله : «أولياء» ، مفعول به الاول و«عدو كم» عطف عليه و«أولياء» مفعول ثان ، و«تلقون» فعل مضارع لجمع الخطاب المذكر من باب الافعال ، فأصله «تلقيون» فنقلت الضمة على الياء ، فنقلت إلى ما قبلها ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين ، والجملة

في موضع نصب على الحال من الواو في «لا تتخذوا» فالتقدير : لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ملقين .

ويجوز أن تكون الجملة صفة من «اولياء» ولا حاجة إلى الضمير البارز وهو «أنتم» وإن جرى على غير من هو له لان ذاك في الاسماء دون الافعال كما لو قلت مثلا : ملقين انتم ، والباء في «بالمودة» إما زائدة كما في قوله تعالى : «ولا تلقوا بايديكم» البقرة : ١٩٥) أو للسببية ومفعول «تلقون» محذوف ، فالمعنى : تلقون إليهم أخبار رسول الله ﷺ اليهم بسبب المودة بينكم وبينهم .

وقيل : منقطع عما قبله ، فيكون مستأنفاً ، والباء زائدة أى أتلقون إليهم المودة على حذف همزة الاستفهام كقوله تعالى : «تلك نعمة تمنّها عليّ» الشعراء : ٢٢) على تقدير أو تلك نعمة ..

وقيل : مفعول «تلقون» محذوف والباء متعلق بمحذوف آخر أى تلقون إليهم ما تريدون بالمودة التى بينكم وبينهم .

«وقد كفروا» في موضع نصب على الحال من العدو أو من الضمير في «إليهم» و «بما» متعلق بفعل الكفر و«ما» موصولة ، و «جاء» فعل ماض ، صلة الموصول ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «ما» و«كم» في موضع نصب على المفعول به ، و«من الحق» نابت مناب عائد الصلة ، و«من» بيانية .

«يخرجون» فعل مضارع من باب الأفعال ، والفاعل هم الكافرون ، والجملة في موضع نصب على الحال من الواو في «كفروا» و«الرسول» مفعول به و«إياكم» ضمير منصوب منفصل خطاب للمؤمنين ، عطف على «الرسول» .

ويمكن لنا أن نستدل به على جواز انفصال الضمير مع القدرة على الاتصال اذ يمكن أن يقال : «يخرجونكم والرسول» وقيل : ان الجملة مستأنفة ، «أن تؤمنوا» في موضع نصب على المفعول له ، معمول «يخرجون» على تقدير: يخرجون الرسول لما جاءكم من الحق ، ويخرجونكم لايمانكم بالله ، و«ربكم» عطف بيان من «الله» أو صفة منه .

«إن» حرف شرط و«كنتم» من أفعال الناقصة ، فعل شرط ، و«خرجتم» فى موضع نصب على الخبرية لفعل الناقص أى خارجين ، وفى نصب «جهاداً» وجوه :

أحدها - أن يكون مفعولا له و«ابتغاء مرضاتى» عطف عليه .

ثانيها - أن يكون مصدراً فى موضع الحال ، فالتقدير: مجاهدين فى سبيلى ، و«ابتغاء مرضاتى» عطف عليه على الحال الثانية أى مبتغين لمرضاتى .

ثالثها - معمول لمحذوف دل عليه الكلام أى جاهدتم جهاداً .

وجواب الشرط محذوف دلّ عليه «لا تتخذوا» أى إن كنتم خرجتم لاجل الجهاد أو مجاهدين أو جاهدتم جهاداً فى سبيلى فلا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء لانفسكم فلا تتولوهم .

«تسرّون» فعل مضارع لجمع الخطاب من باب الافعال على حذف المفعول أى تسرّون إليهم أنباء النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأخباره بسبب المودة التى تربطكم واياهم ، وتحتمل زيادة الباء ، فالمعنى : تخفون المودة إليهم وتجعلونها سراً بينهم وبينكم ، وعلى التقديرين : ان الجملة فى موضع نصب على الحال من ضمير الخطاب للمؤمنين أى مسرّين اليهم بالمودة .

وقيل : ان الجملة مستأنفة جيئت توكيداً لقوله : «تلقون» بتكرير معناه .

«وأنا أعلم» الواو للحال و«أنا» مبتداء و«أعلم» إسم تفضيل ، ويحتمل أن يكون فعل مضارع للتكلم وحده ، خبر للمبتداء ، و«بما» متعلق بقوله : «أعلم» و«ما» موصولة و«أخفيتم» فعل ماض لجمع الخطاب صلة الموصول على حذف العائد أى أخفيتموه و«ما أعلنتم» عطف على ما قبله .

«ومن» الواو للاستيناف ومدخولها شرطية ، و«يفعله» فعل الشرط ، والضمير المنصوب المتصل راجع إلى الموصول المتقدم «ما» و«منكم» متعلق بقوله : «يفعله» و«فقد ضلّ» الفاء للجزاء ومدخولها للتحقيق ، و«ضلّ» فعل ماض ، فاعله الضمير المستتر فيه ، راجع إلى «من» والجملة جزاء الشرط ، و«سواء» مفعول به ، اضيف إلى «السبيل» من إضافة الصفة إلى الموصوف ، فالمعنى : السبيل السوى .

٢ - (ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون)

«إن» حرف شرط و«يثقفوكم» فعل مضارع مجزوم بحرف الشرط ، وضمير الخطاب في موضع نصب على المفعول بـه ، و«يكونوا» جزاء الشرط و«أعداء» خبر لفعل الناقص ، و«يبسطوا» عطف على جزاء الشرط ، على شريطة عطف التفسير لقوله تعالى : «يكونوا لكم أعداء» و«إليكم» متعلق بفعل البسط ، و«أيديهم» جمع اليد ، مفعول بـه لفعل البسط و«ألسنتهم» جمع قلّة من اللسان ، عطف على ما قبله ، و«بالسوء» متعلق بفعل البسط ، و«ودّوا» عطف على ما تقدم ، فالماضي بمعنى المستقبل على مايقتضيه الشرط والجزاء ، قيل : هذا من باب تقدم الجزاء على الشرط لفظاً ومعنى كقولك لصديقك : احب إن جئتني ، على حصول الحب قبل المجيء .

٣ - (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير)

« لن » حرف تأبيد « **تنفعكم** » فعل مضارع ، انث باعتبار جماعة الفاعل ، وضمير الخطاب في موضع نصب على المفعول به ، و«أرحامكم» الارحام : جمع الرحم ، فاعل الفعل اضيف إلى ضمير الخطاب ، و«أولادكم» عطف على «أرحامكم» و«يوم» ظرف ، وفي متعلقها وجهان : أحدهما - «يفصل» ثانيهما - «تنفع» .

وفاعل «يفصل» ضمير مستتر فيه راجع إلى الله تعالى ، و«بينكم» ظرف متعلق بقوله : «يفصل» .

«والله» الواو للاستيناف و«الله» مبتداء و«بما» متعلق بقوله : «بصير» وهو خبر المبتداء و«ما» موصولة و«تعملون» صلتها على حذف العائد والتقدير: والله بصير بما تعملونه وتحتمل المصدرية أي: بصير بعملكم .

٤ - (قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدابيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير)

«قد» حرف تحقيق ، و«كانت» فعل ناقص و«لكم» متعلق بمحذوف خبر لفعل الناقص ، و«اسوة» اسم لفعل الناقص ، و«حسنة» صفة من «اسوة» و«فى ابراهيم» وجوه :

أحدها - متعلق بمحذوف وهو صفة ثانية من «اسوة» .

ثانيها - متعلق بقوله : «حسنة» تعلق الظرف بالعامل .

ثالثها - أن يكون حالا من الضمير فى «حسنة» .

رابعها - أن يكون خبر «كانت» و«لكم» تبيين ، ولا يجوز أن يتعلق بقوله : «اسوة» لانها قد وصفت .

«والذين معه» الواو للعطف ، ومدخولها فى موضع جرّ عطفا على «ابراهيم» و«معه» متعلق بمحذوف صلة الموصول ، و«اذ» ظرف لخبر «كانت» وقيل : هو خبر لكانت ، و«انا» حرف تأكيد مع إسمها ، و«برآؤا» جمع : برى - نحو شريف وشرفاء - خبر لحرف التأكيد ، والجملة المؤكدة مقولة القول .

«ومما تعبدون» الواو للعطف و«ما» موصولة و«تعبدون» صلتها على حذف العائد أى تعبدونه ، و«من دون الله» بيان للموصول قامت مقام الضمير العائد ، و«كفرنا بكم» بيان من البراءة و«بدا» فعل ماض و«بيننا» متعلق به ، و«العداوة» فاعل «بدا» و«ابداً» منصوب على الظرفية ، و«حتى» لانتهاء الغاية ، والفعل بعدها منصوب بأن مقدرة كقوله تعالى : «وإذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى أبلغ مجمع البحرين» الكهف : ٦٠) وقيل : «حتى» بمعنى «الا» .

«الا قول ابراهيم لابيه» فى الاستثناء وجوه :

أحدها ـ استثناء من قوله : «قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم» أى قد كانت اسوة حسنة ثابتة لكم فى ابراهيم إلا قوله لابيه : لاستغفرن لك .

ثانيها ـ استثناء من مضاف لابراهيم ، فالمعنى : قد كانت لكم اسوة حسنة فى مقالات ابراهيم ومحاوراته لقوله الا قول ابراهيم لابيه : فليس فيه لكم اسوة حسنة ، فيكون على هذا استثناء متصلا ، وأما أن يكون قول ابراهيم مندرجاً فى «اسوة حسنة» فالمعنى : الا اسوة ، فالقول ليس مندرجاً تحته لكنه مندرج تحت مقالات ابراهيم عليه السلام .

ثالثها ـ استثناء من التبرّى والقطيعة التى ذكرت لم تبق جملة إلا كذا .

رابعها ـ استثناء منقطع ، فهو استثناء من غير الجنس ، فالمعنى : لكن قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك ، فلا تتأسّوا به فيه ، فتستغفروا وتفدّوا آباء كم الكفار بالاستغفار ، فالقول : «ربنا عليك توكلنا» وما بعده من تمام قول ابراهيم متصلا بما قبل الاستثناء ، وهو من جملة ما يتأسّى به فيه ، ففصّل بينهما بالاستثناء اعتناءاً بالاستثناء ولقربه من المستثنى منه ، ويجوز أن يكون أمراً من الله تعالى للمؤمنين أى قولوا : ربنا عليك توكلنا فعلمهم بذلك قطع العلائق التى بينهم وبين الكفار .

خامسها ـ استثناء من ضمير «لكم» فالمعنى : ثبتت لكم فى ابراهيم اسوة حسنة الا فى قوله : لاستغفرن لك وليس هذا تولياً منه بل وعده اياه رجاء أن يتوب عن الشرك ويؤمن بالله وحده .

«ربنا» منادىً لحرف النداء المحذوفة ، و«إليك» متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و«المصير» مبتدأ مؤخّر .

٥ ـ (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم)

«ربنا» منادى لحرف النداء المحذوفة ، و«لا تجعلنا» فعل مضارع ، مجزوم بحرف النهى ، و«نا» فى موضع نصب مفعول به الاول ، و«فتنة» مفعول ثان ،

و«اغفر لنا» عطف على الفعل المنهي المتقدم ، وفى «ربنا» الثانى وجهان :

أحدهما ـ صلة من قوله : «واغفر لنا» أى ربنا اغفر لنا ، فتقف على «ربنا» فما بعده مستأنف .

ثانيهما ـ «ربنا» مستأنف .

٦ ـ (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد)

«لقد» اللام للابتداء ، و«لكم» متعلق بمحذوف خبر لكان ، و«اسوة» اسمه ، و«فيهم» متعلق بكان ، ويحتمل أن يكون «فيهم» متعلقا بمحذوف وهو الخبر ، و«لكم» تخصيص وتبيين ، و«لمن كان» بدل من ضمير الخطاب فى «لكم» باعادة الجار ومنع منه بعض النحويين على ان ضمير الخطاب لايبدل منه ، فعلى هذا إما متعلق بحسنة أو يكون نعتاً لها ، ولاتتعلق باسوة لانها وصفت بحسنة ، وان المصدر وما فى معناه اذا وصف لا يعمل ، ويجوز أن يكون فى موضع رفع صفة بعد صفة لاسوة أى اسوة حسنة ثابتة لمن كان .. و«يرجوا» فى موضع نصب خبر لكان .

«ومن يتول» الواو للاستيناف ، و«من» شرطية ، و«يتولّ» فعل مضارع من باب التفعل مجزوم بالشرط ، والفاء ومدخولها جزاء الشرط ، و «هو» مبتداء و «الغنى» خبره ، والجملة خبر لحرف التأكيد ، و «الحميد» خبر بعد خبر لهو ، ويحتمل النعت للغنى على ان المراد به هو الله تعالى .

٧ ـ (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم)

«عسى» من أفعال المقاربة معناه الرجاء ، و «الله» إسمه ، و «أن يجعل» فى موضع نصب خبره ، و «عاديتم» فعل ماض لجمع المذكر المخاطب من باب المفاعلة ، و «من» فى «منهم» تبعيضيّة والجار والمجرور نابت مناب المفعول به أى عاديتم بعضهم ، و «مودّة» مفعول ثان لفعل الجعل ، و «الله» مبتدأ ، و «قدير» خبره ، و «الله» مبتدأ ، و «غفور» خبره و «رحيم» خبر بعد خبر .

٨ - (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من ديا ركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله لا يحب المقسطين)

« لا » حرف نفى ، و « كم » فى موضع نصب مفعول به ، و « لم يقاتلوكم » صلة الموصول ، و « أن تبرّوهم » فعل مضارع لجمع الخطاب المذكر ، والجملة فى موضع جر على البدل من « عن الذين » بدل الاشتمال ، أى عن برّ الذين والاحسان إليهم ، و « تقسطوا إليهم » عطف على ما قبله .

« يحب » فعل مضارع من باب الافعال فى موضع رفع خبراً لحرف التأكيد و « المقسطين » مفعول به .

٩ - (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من ديا ركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)

« إنّما » كلمة حصر ، و « أن تولّوهم » فعل مضارع من باب التفعّل لجمع المخاطب المذكر ، و « هم » فى موضع نصب مفعول به ، والجملة فى موضع جر بدل من « عن الذين » بدل الاشتمال أى عن تولاهم .

«من» شرطية و« يتولّهم » فعل الشّرط ، و «فأولئك الخ » جزائه .

١٠ - (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر وسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم)

« اذا » شرطية ، و « جاء» فعل ماض ، و « كم » فى موضع نصب ،مفعول به و«المؤمنات» فاعل الفعل ، ولم يؤنّث الفعل مع كون الفاعل مؤنثاً حقيقياً للفصل بين الفعل وفاعله بضمير المفعول « كم » وذلك لانه اذا فاصل بينهما بفاصل يجوز فى الفعل وجهان : التأنيث والتذكير والجملة شرطية ، و «مهاجرات» حال من

«المؤمنات» و«فامتحنوهن» الفاء للجزاء ومدخولها فعل أمر لخطاب جمع المذكر من باب الافتعال، و«هن» في موضع نصب، مفعول به والجملة جزائية.

«الله» مبتداء و«أعلم» للتفضيل خبره، قيل: هذا دليل على مجيىء أفعل التفضيل لغير ما ذكر فى النحو من تماميته باحدى الثلاثة: - من - الاضافة - اللام -، و«بايمانهن» متعلق بقوله: «اعلم»، و«فان» الفاء للتفريع و«إن» للشرط و«علمتموهن» الفعل ماض لجمع الغائب المذكر، و«هن» فى موضع نصب، مفعول به الاول و«مؤمنات» مفعول ثان، «فلا ترجعوهن» الفاء للجزاء، والفعل مجزوم بحرف النهى، و«هن» فى موضع نصب، مفعول به والجملة جزاء الشرط.

«لا» حرف نفى للجنس و«هن» اسمها، و«حل» خبرها، قيل: فيه دليل على دخول «لا» للجنس على الضمير والمعرفة، و«لا هم يحلون لهن» عطف على ما قبله.

«و» للاستيناف و«آتوا» فعل امر من باب الافعال و«هم» فى موضع نصب، مفعول به الاول و«ما» موصولة في موضع نصب، مفعول ثان، و«انفقوا» فعل ماض من باب الافعال لجمع الغائب المذكر، صلة الموصول على حذف العائد، من غير محل للصلة اذ لا محل لصلة الموصول.

«و» للاستيناف، «لا» لنفى الجنس، «جناح» اسمها، «عليكم» متعلق بمحذوف خبرها، «أن تنكحوهن» فعل مضارع لجمع المخاطب المذكر على تقدير حرف «فى» و«هن» فى موضع نصب، مفعول به.

قيل: ان الجملة جزاء للشرط الاتى، وقيل خبر لحرف النفى.

«إذا» شرطية و«آتيتموهن» فعل ماض لجمع المخاطب المذكر، و«هن» فى موضع نصب، مفعول به الاول، و«اجورهن» جمع الأجر اضيف إلى ضمير الجمع المؤنث مفعول ثان.

«و» للاستيناف، «لا» حرف نهى، «تمسكوا» مجزوم بحرف النهى من باب الافعال، و«بعصم» جمع العصمة اضيف إلى «الكوافر» وهى جمع الكافرات،

والجار والمجرور متعلق بفعل الامساك ، «و» للعطف ، «سئلوا» فعل امر لجمع المخاطب المذكر عطف على الفعل المنهى من باب عطف الامر على النهى ، و«ما» موصولة فى موضع نصب ، مفعول به ، و «انفقتم» فعل ماض من باب الافعال ، صلة الموصول على حذف العائد أى انفقتموه ، « وليسئلوا » فعل أمر لجمع الغائب المذكر عطف على ما قبله .

« ذلكم » مبتدأ و «حكم الله» خبره ، «و» للاستيناف ، «الله» مبتدأ ، «عليم» خبره ، «حكيم» خبر بعد خبر .

١١ (وان فاتكم شىء من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون)

الواو للاستيناف ، و « إن » حرف شرط ، و « فاتكم » فعل ماض : وضمير الخطاب فى موضع نصب مفعول به ، و « شىء » فاعل الفعل ، « من » تبعيضيّة ، وقيل : انها لابتداء الغاية ، و « فعاقبتم » الفاء للتفريع ومدخولها فعل ماض لجمع المخاطب المذكّر من باب المفاعلة على حذف المفعول به ، و « فآتوا » الفاء للجزاء ، ومدخولها فعل أمر من باب الافعال ، وأصله « أأتيوا » فقلبت الهمزة الثانية ألفاً ، ونقلت ضمّة الياء إلى ما قبلها لثقلها عليها ، ثم حذفت للالتقاء بين الواو والياء ، و « الذين » موصولة فى موضع نصب مفعول به الاول ، و « ذهبت أزواجهم » صلة الموصول ، و « مثل » مفعول ثان اضيف إلى « ما » وهى موصولة و«انفقوا» فعل ماض من باب الافعال صلة الموصول على حذف العائد .

«واتقوا» الواو للاستيناف ، و«اتقوا» فعل أمر من باب الافتعال على قلب الواو تاء وحذف الياء ، و « الله » مفعول به و«الذى» فى موضع نصب صفة من «الله» و «أنتم» مبتدأ ، و«به» متعلق بقوله : «مؤمنون» وهو خبر المبتدأ ، والجملة صلة الموصول ، وضمير «به» عائد الصلة .

١٢ - (يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم)

«إذا» شرطية ، و«يبايعنك» فعل مضارع لجمع غيبة المؤنث ، وضمير الخطاب فى موضع نصب ، مفعول به ، والجملة حال من «المؤمنات» ، وقيل : صفة منها ، وفى موضع «يفترينه» وجهان :

أحدهما ـ النصب على الحال من الضمير فى «يأتين».

ثانيهما ـ الجر على الوصف من «ببهتان» ، و «فبايعهن» الفاء للجزاء ، ومدخولها فعل أمر للمفرد المخاطب المذكر من باب المفاعلة ، وضمير الجمع فى موضع نصب ، مفعول به ، والجملة جزاء الشرط ، و«استغفر» فعل أمر من باب الاستفعال ، و«لهن» متعلق بفعل الاستغفار ، و«الله» مفعول به ، و«رحيم» خبر بعد خبر لحرف التأكيد .

١٣ - (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور)

«لا تتولوا» فعل مضارع من باب التفعل لجمع المخاطب المذكر مجزوم بحرف النهى ، و«قوماً» مفعول به ، و«غضب الله عليهم» فى موضع نصب ، حال من «قوماً» وقيل : صفة ، و«قد يئسوا من الاخرة» فى موضع نصب صفة من «قوماً» وقيل : حال ، و«من أصحاب القبور» فى موضع نصب لانه متعلق بقوله : «يئس» وتقديره : يئسوا من بعث أصحاب القبور ، فحذف المضاف واقيم المضاف إليه مقامه .

وقيل : على تقدير : من ثواب الاخرة .

وقيل : على تقدير : من مجازاة أهل القبور فيكون «كما يئس الكفار»

من الاخرة ، فاضمر « من الاخرة » لجرى ذكره ويكون قولـه : « من أصحاب القبور » متعلقاً بقوله : « الكفّار » دون « يئس » لجرى ذكره .

وقيل : متعلّق بمحذوف وهو حال أى كائنين من أصحاب القبور .

وقيل : تبيين للكفار ، فالتقدير : كما يئس الكفار الذين هم من أصحـاب القبور من الاخرة

و « من » لابتداء الغاية ، وقيل : بيانيّة .

فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم » معطوف على قوله : « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » .



﴿ البيان ﴾

١ - (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما اخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)

« يا أيها الذين آمنوا » نداء لجميع المؤمنين ، الذين كانوا يواجهون مشركي قريش ومن إليهم فى طوال الاعصار ، ممن كانوا يتربّصون بالنبى الكريم صلى الله عليه وآله وبالمؤمنين ويكيدون لهم ويستعدون ضعاف الايمان عليهم ، ويجذبونهم إليهم بالوعد والوعيد ويستمرّون بذلك فى كل وقت ومكان . .

نادى الله تعالى المؤمنين بوصف الايمان الذى ينسبهم إليه ليبصرّهم بحقائق موقفهم ويحذرهم حبائل أعداءهم ، ويشعرهم بأنّهم منه وإليه يعاديهم من يعاديه الله تعالى ، فهم الرجال المنتسبون إلى الله جل وعز ، وهم أحبّاءه وأودّائه ، فلا يجوز لهم أن يحبّوا أعداء الله تعالى الذين هم أعداءهم وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما أشار إلى ذلك بقوله سبحانه :

« وقد كفروا - إلى - أن تؤمنوا بالله ربّكم » فيه تهييج فى قلوب المؤمنين بأن الكفار جعلوا أساس عداوتهم على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وعلى المؤمنين هو الايمان لا غير .

ولذلك أظهروا الخلاف والخصومة واشتعلوا الحرب فهل يجوز بعد ذلك

المودة بهم ؟ أو يمكن أن تجتمع المودة لمن أخرج الرسول ﷺ وعاند الله جل وعلا ، وأخرج المؤمنين من ديارهم ؟

قوله تعالى : « لا تتخذوا عدوّي وعدوكم أولياء » نهى عن موالاة الكفار الأعداء المعتدين المؤذين على الاسلام والمسلمين وعن إتّخاذهم نصراء وأعواناً لأنفسهم ، وعن فعل ما فيه مودّة ومحبة وفائدة لهم ، مع الاشعار إلى علل النهي : منها عداوتهم لله تعالى ، فانهم الذين اتخذوا لله سبحانه شركاء يعبدونها ، ولا يعبدون الله جل وعلا ، ويردّون دعوته ويكذبون رسوله ﷺ وعداوتهم للمؤمنين إذ كانوا يظاهرونهم لايمانهم بالله تعالى ورسوله ﷺ وبما جاءهم .

ففي الجملة كشف للمؤمنين عن وجه هؤلاء الكفار بأنّهم أعداء الله تعالى وأعداء المؤمنين ، فمن كان مؤمناً بالله جل وعلا كان على ولاء لله ولمن آمن به فلا يتفق معه الولاء والمودة لأعداء الله وأعداء المؤمنين إذ « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » الاحزاب : ٤) يحب بأحدهما الله تعالى ويحب بالاخر أعداءه فلا يمكن إتخاذ العدو ولياً ، فان العداوة تنافي المحبة والمودة .

وذكر عداوتهم للمؤمنين مع كفاية ذكر عداوتهم لله تعالى في سوق النهي لتأكيد التحذير وتشديد المنع ، فكأنّه قيل : من كان عدواً لله جل وعلا فهو عدوّ لكم ، فلا تتخذوه ولياً .

فالقول بامكان اجتماع العداوة والمحبة في قلب واحد بأن تكون العداوة بالنسبة إلى أمر ، وتكون المحبة بالنسبة إلى أمر آخر غير وجيه جداً .

فلا دلالة على ذلك بما استدل به من قوله تعالى : «ان من أزواجكم واولادكم عدواً لكم» التغابن : ١٤) وبقول النبي الكريم ﷺ : «اولادنا اكبادنا» فتدبّر جيّداً .

قوله تعالى : «تلقون إليهم بالمودة» هذه استعارة على أحد التأويلين : زيادة الباء وسببيتها ، فيكون المعنى : تلقون إليهم بالمودة ليتمسكوا بها منكم ويستعلوا عليكم كما تقول : ألقيت إلى فلان بالحبل ليتعلق به ، وسواء قلت : ألقيت بالحبل

ام ألقيت الحبل، وكذلك لو قلت: ألقيت إلى فلان بالمودة أو القيت اليه المودة، وكذلك قولك: رميت إليه بما في نفسي وما في نفسي بمعنى واحد.

والقاء المودة عبارة عن ايصالها التام أو اظهارها بالرسائل أو الهدايا أو العواطف من الحب والود وما إليها من الاسباب . . .

« وقد كفروا بما جاءكم من الحق » تقرير لاهم حصيلة العداوة وأماراتها وهذا بناءاً على انّ كفرهم كفر عناد ولجاج ، كقوله تعالى : « كلا انه كان لآياتنا عنيداً ـ ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا إلاّ سحر يؤثر ان هذا الاّ قول البشر» المدثر: ١٦ ـ ٢٥) .

ومن المحتمل أن يكون المقام بصدد بيان ما يوجب العداوة وهو الكفر فتدبّر .

قوله تعالى : «يخرجون الرسول وإياكم» الجملة حالية من فاعل « كفروا» وايثار المضارع لقصدهم بالاستمرار على ذلك ، ولاستحضار الصورة ، ولتهييج المؤمنين على عداوة الكافرين المؤذين وعدم موالاتهم في كل وقت ومكان .. وفي تقديم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على المؤمنين وانفصال ضميرهم عن الفعل مع امكان الاتصال تشريف له صلى الله عليه وآله وسلم .

وتحتمل الجملة استينافاً بيانياً سيقت لبيان حصيلة اخرى من عداوتهم لله تعالى وللمؤمنين ، أو لذكر حصيلة كفرهم ، فكأنه قيل : ما كان لكفرهم الناشىء عن العداوة أمارة قيل : يخرجون الرسول وإياكم .

قوله تعالى : «أن تؤمنوا بالله ربكم» تعليل للاخراج أي يخرجون الرسول صلى الله عليه وآله كراهة دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلى الدين الحق ويخرجونكم لاجل ايمانكم به، وفيه تغليب المخاطب على الغائب لاستمرار الحكم على الجميع في كل وقت كما يدل على ذلك ايثار المضارع ، وفي الالتفات من التكلم إلى الغيبة إشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية .

ففي توصيف «الله» بالربوبية إشارة إلى أنّ هؤلاء الكفار المعتدين

يؤاخذون المؤمنين على أمر حق مفروض ما كان جرماً عليهم ، فان ايمان الانسان بربه المتعال مفروض عليه ، وليس من الجرم في شيء .

قوله تعالى: «إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي» فيه وجهان :

أحدهما ـ تأكيد متعلق بقوله تعالى : «لا تتخذوا» على حذف جزاء الشرط لدلالة المتعلق عليه ، وما بينهما اعتراض ، يراد به الكشف عن وجه أعداء الله تعالى وأعداء المؤمنين ، وما يرمون به النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، من أذى متلاحق .

والمعنى : إن كنتم هاجرتم من أوطانكم لاجل جهاد عدوي ولطلب رضاي ، فلا تتولوا أعدائي وأعدائكم المعتدين المؤذين . .

وفيه تنبيه للمؤمنين بان فعل ما فيه مودة للكفار ، وبخاصة بصورة سرية متناقض مع الاخلاص في الايمان اذا كانوا حقاً مخلصين فيه واذا كانوا حقاً قد هاجروا من وطنهم طلبا لوجه الله جل وعلا وجهاداً في سبيله ، وفيه تهييج أيضاً للمؤمنين على عداوة الكفار وعدم موالاتهم ، وتقييد النهي عن ولائهم واشتراطه بخروجهم للجهاد وطلبهم مرضاته من باب اشتراط الحكم بأمر محقق الوقوع تأكيداً له وايذاناً بالملازمة بين الشرط والحكم كقولك لولدك : إن كنت ولدي فلا تغفل عن هذا ولا تفعل كذا .

ثانيهما ـ تعليق على قوله تعالى : «أن تؤمنوا بالله ربكم» أي إن كان ايمانكم هذا صادقاً ، وكانت هجرتكم خالصة لوجه الله تعالى تريدون بها جهاداً في سبيله ، وابتغاء مرضاته . .

وفيه إلفات للمسلمين إلى هذا الايمان الذي في قلوبهم وإن تمحيصه من شوائب النفاق حتى يكون ايماناً حقاً ، فهذا الايمان الحق من شأنه ألا يقيم بينكم وبين أعداء الله تعالى وأعداء المؤمنين مودة . . أما اذا كان ايمانكم على غير تلك الصفة ، فهو ليس الايمان الذي خرج به النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون

من ديارهم ، وليس هو الايمان الذى يجعل من المشركين عدواً للمؤمنين ، فهل أنتم مؤمنون حقاً ؟ فـان كنتم مؤمنين حقاً ، فلا تتخذوا عدو الله تعالى وعدوكم اولياء .

أقول : ولكل وجه ، ولكن الاوجه هو الاول .

قوله تعالى : «تسرّون إليهم بالمودّة» مستأنف بيانـي وارد على نهج العتاب والتوبيخ ، كأنهم لما استشعروا العتاب مما تقدم من استماع النهى السابق سئلوا : ما صدر عنّا حتى عوتبنا ؟ فقيل : تطلعونهم سراً على مودتكم لهم .

وفيه تحذير على المؤمنين أن يودّوا أعداء الله تعالى وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأعداءهم ، أبعد هذا تسرّون إليهم بالمودة ؟ أتبادلونهم المودة فى ستر وخفاء .

وقيل : ان الجملة بدل من «تلقون» بدل الكل من الكل لو اريد بالالقاء : الالقاء خفية أو بدل البعض لو اريد لاعمّ لان منه السرّ والجهر .

وقيل : ان الاول تنبيه على ذم مودة الاعداء سرّاً وجهراً ، والثانى تأكيد على ذلك سراً فقط لان الخاص متأخّر عن العام .

قوله تعالى : «وأنا أعلم بمـا أخفيتم وما أعلنتم» إنذار بأنّ الله تعالى يعلم ما يخفون ومـا يعلنون ، والغرض : انه لا فائدة فى الاسرار فان علام الغيوب لا يخفى عليه شيء .

قوله تعالى : «ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل» انذار ووعيد بان من يوادّ الكفار منهم يكون قد ضلّ عن سبيل الحق ، وانحرف عن واجب الاخلاص ، وهو داخل فى زمرة الاعداء .

٢ - (ان يثقفوكم يكونوا لكم أعدآء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون)

«إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء» تذكير للمؤمنين بشدّ حقد الكفار عليهم : إذ لو لقوهم وظفروا بهم لعاملوهم معاملة الاعداء الالدّاء ، ولبسطوا إليهم أيديهم وألسنتهم بالشرّ والاذى ، وانهم ليودّون أن يكفروا بعد ايمانهم .

وتقرير لعاقبة المودة بان الكفار المعتدين المؤذين بصدد تحريق اصول الاسلام والمسلمين بكل ما قدروا بأى وسيلة وسبيل إلى أن يكفر المؤمنون، وانما غرض الاصيل للكفار كفر المؤمنين بعد ايمانهم كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: «ودّوا لو تكفرون» فيترك المؤمن كنز الايمان ويشترى فلاس الكفر والافلاس به، فان الكفر افلاس لا يغنيه رأس مال أحد، كما قال تعالى: «لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم» لان العروة التى تربط بين المؤمن وأولاده وأرحامه - التى قطعت بالكفر اذ يفصل بين المرء وأخيه يوم القيامة - هى عروة الايمان.

وفى قوله تعالى: «يكونوا لكم أعداء» إشارة إلى أن هذه المودة - التى بين بعض المؤمنين والكفار - هى التى تخفى هذه العداوة التى فى صدور الكفار للمؤمنين، فاذا أمكنت الفرصة الكفار المؤذين من المؤمنين ظهرت هذه العداوة الكامنة .. وإشعار بأن الاسرار بالمودة لا ينفع المؤمنين للكفار فى جلب محبتهم ورفع عداوتهم شيئاً، وان الكفار على رغم من إلقاء المودة إليهم إن يدركوهم ويظفروا بهم يكونوا لهم أعداء من دون أن يتغيّر ما فى قلوبهم من العداوة والبغضاء.

قوله تعالى: «ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء» بسط الايدى بالسوء كناية عن القتل والسبى، وسائر أنحاء التعذيب، وبسط الالسن بالسوء كناية عن السب والشتم.

وفى تلخيص البيان: للسيد الرضى رضوان الله تعالى عليه قال: وهذه استعارة لان بسط الالسن على الحقيقة لا يتأتى كما يتأتى بسط الايدى، وانما المراد اظهار الكلام السيىء فيهم بعد ذم الالسن عنهم، فيكون الكلام كالشيء الذى بسط بعد انطوائه، وأظهر بعد إخفائه، وقد يجوز أيضاً أن يكون تعالى انما حمل بسط الالسن على بسط الايدى ليتوافق الكلام، ويتزاوج النظام لان الايدى والالسن مشتركة فى المعنى المشار إليه فللايدى: الافعال، وللالسن: الاقوال وتلك ضررها بالايقاع، وهذه ضررها بالسماع.

قوله تعالى: «ودّوا لو تكفرون» فى ايثار الماضى ايذان بتحقق ودادهم قبل أن يثقفوهم ، ودلالة على أن رغبة الكفار فى كفر المؤمنين هى رغبة قديمة ، رغبة لا تنقطع بالهجرة ، ولا بالمودة التى تجرى بينهم وبين هؤلاء المؤمنين ، بل هى قائمة فى صدور الكفار لا تموت أبداً الا بعودة المؤمنين كفاراً وتنبيه على ان ودادهم كفرهم أسبق شىء عندهم لعلمهم بان الدين أعزّ على المؤمنين من الارواح والاموال ، من الامور المادية والمعنوية ، ومن الدين والدنيا ، وأهمّ شىء عند العدو أن يقصد أعزّ شىء عند صاحبه .

وفى الاية تهييج للمؤمنين على عداوة الكفار ، وعدم موالاتهم لما فيها من امور تمنع من موالاتهم ... وإشارة إلى خطاء رأيهم بوجه آخر وهو انهم ان يظفروا بهم أخلصوا العداوة ويقصدونهم بكل سوء باللسان والسنان .

٣ - (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير)

تقرير لخطأ رأيهم بوجه آخر أيضاً وهو ان المودة ما لم تكن فى الله تعالى لا تنفع يوم القيامة أبداً لانفصام عروتها فى الحياة الدنيا ، فكيف الاخرة ؟ فلن تكون أيّة فائدة ونفع للارحام والاولاد يومئذ ، وان الله جل وعزّ سوف يفصل بينهم وبينما كانوا يزعمون أن ينفعهم فيها لما بين الكفر والايمان وبين أصحابهما من التضاد والخلاف .

«يفصل بينكم» مستأنف سيق لبيان كيفية عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ .

«والله بما تعملون بصير» وعيد وإنذار على من يفعل ذلك .

٤ - (قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شىء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير)

ضرب مثل للمؤمنين ـ على طريق الخطاب لهم ـ بموقف ابراهيم والذين اتبعوه ، فعلى المؤمنين الاقتداء في البغض بابراهيم عليه السلام والذين آمنوا به ، وفي وصف الاسوة ـ التي غلب عليها أن تكون في الامور الحسنة ـ بالحسنة تأكيد لتلك الصفة الغالبة عليها ، فان المرء قد يتأسّى بما هو غير حسن ، وهو في ظنه انه حسن ، وفي هذا التأسّي توجيه المؤمنين إلى ما ينبغي أن يكون عليه ايمانهم ، وانما هذا الايمان هو الذي يخلي قلب المؤمن من كل مشاعر الود والمحبة لمن حادّ الله تعالى وكفر به .

قوله تعالى : «اذ قالوا لقومهم انا برءؤا منكم ومما تعبدون من دون الله» تقرير لاعلانهم جهراً ومواجهة براءتهم من قومهم ، وما كانوا يعبدونه من دون الله ، وبيان لما لابد للمؤمنين من الاقتداء فيه بهم .

قوله تعالى: «كفرنا بكم ـ إلى ـ حتى تؤمنوا بالله وحده» بيان لمعنى البراءة بآثرها إذ فسّروا براءتهم منهم بامور ثلاثة : مخالفتهم لشركهم عملا ، والعداوة والبغضاء بينهم قلباً ، واستمرار ذلك ما داموا على شركهم إلاّ أن يؤمنوا بالله تعالى وحده ، فعالنوهم العداوة والبغضاء إلى الابد ما داموا كفاراً ، مقررين ايمانهم بالله تعالى وحده ، واسلام النفس إليه واعتمادهم عليه ، معترفين بأنه هو مرجعهم .

والمراد بالكفر بهم الكفر بشركهم لقوله تعالى : «حتى تؤمنوا بالله وحده» فالكفر بشركهم مخالفتهم فيه عملا كما ان العداوة والبغضاء بينونة ومخالفة قلباً .

وفي الجملة تقرير لسبب العداوة وليس هو الا الكفر بالله تعالى فاذا آمنوا تنقلب العداوة موالاة ، والمناوأة ، مصافاة ، والمقت محبة .

قوله تعالى : «الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك» استثناء منقطع من «اسوة حسنة» فكأنه قال: حق عليكم أن تأسوا بأقواله الاهذا القول الذي هو الاستغفار لقوله تعالى : «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين» التوبة : ١١٣)

اذ تبيّن لكم انهم عدو الله وعدو كم واما استغفاره عليه السلام فقد كان وعده اياه رجاء أن يتوب عن الشرك ويؤمن بالله وحده ، من غير تبيّن له انه عدو الله ، صميم على عداوته ، ثابت فى شركه ، فلما تبيّن له ويئس من ايمانه تبرّأ منه فاستغفاره خارج من الاسوة من أول الامر .

قوله تعالى : «وما املك لك من الله من شىء» تتمة من قول ابراهيم عليه السلام وليس بداخل فى حكم الاستثناء لانه قول حق ، فاورده اتماماً لقصة ابراهيم عليه السلام مع أبيه ، وانما هو بيان لحقيقة الامر من أن سؤاله المغفرة وطلبها من الله جل وعلا ليس من نوع الطلب الذى يملك فيه الطالب من المطلوب منه ما يطلبه ، فهو سؤال يدعو إليه فقر العبودية وذلّها قبالغنى الربوبية وعزّها ، فلله تعالى أن يقبل بوجهه الكريم ، فيستجيب ويرحم وله أن يعرض ، ويمسك الرحمة فانه لا يملك أحد منه تعالى شيئاً وهو مالك الملك .

قال الله تعالى : «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده» فاطر : ٢) .

وقال : «قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير» .

آل عمران : ٢٦)

وقال : «فمن يملك من الله شيئاً» المائدة : ١٧) .

ففى الجملة نوع اعتراف بالعجز استدرا كا لما يستشعر من قوله تعالى : «لاستغفرن لك» من شائبة اثبات القدرة لنفسه نظير قول شعيب عليه السلام : «وما توفيقى الاّ بالله» استدرا كاً لما يشعر به قوله تعالى حكاية عنه لقومه : «ان اريد الاّ الاصلاح ما استطعت» هود : ٨٨) من اثبات القوة والاستطاعة لنفسه بالاصالة والاستقلال .

قوله تعالى : «ربّنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير» تتمة من قول إبراهيم عليه السلام ومن معه ، وفيه مزيد توجيه لهم ، فالاستثناء وتتمته كلامان

معترضان خاصّان بمقولة إبراهيم عليه السلام لأبيه ، ولما أظهر من العجز لم يشاركه فيهما من كان معه .

وفي الجمل الثلاث تقرير لاعتمادهم على ربّهم ، وطلبهم منه المعونة ، وإعترافهم بأنّه جل وعلا هو مرجعهم إثر ما تبرؤا من قومهم ذاك التبرّي العنيف ليحفظهم من تبعاته ويغفر لهم فلا يخيّبهم في إيمانهم .

فالجمل حكاية عن إبراهيم عليه السلام وأتباعه وفيها تعليم لهذه الامة المسلمة فعليهم أن يقولوا ذلك ويدعوا الله إليه فيفوّضوا أمورهم إليه تعالى ويطلبوا منه المعونة ويرجعوا إليه بالتوبة والانابة .

وفي تقديم الجار والمجرور فيها قصر التوكّل ، والانابة والمصير على الله تعالى .

٥ - (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم)

مقولة من قول إبراهيم عليه السلام والذين معه ، ملتمسين من الله تعالى أن لا يجعلهم موضع فتنة للكفار المعتدين وأذاهم ، وأن يغفر لهم هفواتهم وذنوبهم ، وأن يعيذهم من تبعة تبرّيهم من الكفار .

وتكرير النداء للمبالغة في التضرّع والجؤار : ولاثارة الرحمة الالهيّة والافاضة الربّانية إليهم .

وان الجملة الأخيرة في موضع تعليل وقصر ، سواء قلنا بكونها مستأنفة بيانية ، وكون ضمير الخطاب المنفصل للفصل أم بكونها متصلة والضمير لتأكيد المتصل .

وفيها إشارة إلى قدرة الله تعالى وعزته التي يعزّ بها المؤمنين ، ويحميهم من أذى الكافرين حتى لا يفتنوا في دينهم .. وان عزّة الله تعالى عزة قائمة على الحكمة ، فيحفظ المؤمنين من كيد أعدائه ، ويعلم بأيّ طريق يحفظ .

٦ - (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد)

توكيد للدعوة التى دعى إليها المؤمنون ليتأسّوا بابراهيم والذين معه، بعد أن تبين لهم موقف ابراهيم عليه السلام ومن معه من أقوامهم، فقد دعى المؤمنون أوّلا إلى التأسّى بابراهيم ومن معه قبل أن يعرفوا الوجه الذى يتأسّون به منهم، فلما تبيّن لهم هذا الوجه، وهو موقفهم المجانب لقومهم، المتبرىء منهم ومن كفرهم حسن أن يدعى المؤمنون بعد هذا دعوة مجدّدة إلى ما دعوا إليه اولا، حيث عرفوا موضع الاسوة فى ابراهيم ومن معه.. ولهذا جائت الدعوة الثانية مؤكدة بمؤكدين: اللام وقد: «لقد» على حين مجيىء دعوة الاولى مؤكدة بمؤكد واحد: «قد».

وتكرير «اسوة حسنة» للمبالغة فى الحث على الائتساء بهم، ولذلك صدرت بالقسم، والمراد من الجملة الخبرية هنا وهناك الطلب أى تأسّوا أيّها المؤمنون بابراهيم عليه السلام والذين معه، فوقفوا من قومكم موقفهم من أقوامهم.. وللاشعار بانهم كما يتأسّى بهم فى تبريهم من الكفار كذلك يتأسى بهم فى دعائهم وابتهالهم.

فى قوله تعالى: «لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر» إشارة إلى أن هذه الاسوة ليست لكل من قال: آمنت، وانما هى لمن آمن بالله تعالى حقا، ويرجو ثوابه يوم الاخرة، وأما الذين ينحرفون عنه فهم وشأنهم.

وان الجملة بدل من «لكم» وفائدته الايذان بان من يؤمن بالله تعالى، وأخلص لا يترك الاقتداء بهم، وان تركه من مخايل عدم الايمان بالله جل وعلا وباليوم الاخر كما ينبىء عنه قوله سبحانه: «ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد».

وفى هذا تهييج إلى الايمان بالله تعالى واليوم الاخر والعض عليهما بالنواجد وبيان انهما ملاك الامر كله يوم العرض والحساب.

والمراد برجاء الله تعالى رجاء ثوابه بالايمان به، والمراد برجاء اليوم

الاخر رجاء ما وعد الله تعالى وأعدّ للمؤمنين من ثواب الجميل فهو كناية عن الايمان.

وقوله تعالى: «ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد» نوع وعيد على المنحرفين، وتطميع للمؤمنين فيما تمنّوا من عداوة أقاربهم بالمودة وفيه استغناء من الله تعالى عن إمتثالهم لأمره جل وعلا بتبرّيهم من الكفار وانهم هم المنتفعون بذلك، والله تعالى غنىّ فى ذاته عنهم وعن طاعتهم، حميد فيما يأمرهم وينهاهم إذ ليس فى ذلك إلا صلاح حالهم وسعادة حياتهم..

وفى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وفى الاظهار موضع الاضمار فى قوله تعالى: «فان الله» وإيثار ضمير الفصل وتعريف الخبر ما لا يخفى على القارىء المتأمّل الخبير فتدبّر.

٧ - (عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم)

عزاء للمؤمنين عن هذه القطيعة التى وقعت بينهم وبين ذوى قراباتهم وأصدقائهم من الكافرين المعتدين، وتأميل لهم على وجه الخطاب إليهم، واقامتهم على قطيعة مؤقتة مع أهليهم، وعلى جفاء يرتقب له يوم ينتهى فيه، ووعد لهم بأن يجعل الله تعالى بينهم وبين من عادوهم مودّة بعد العداء، وتواصلا بعد الجفاء والقطيعة، لما رأى منهم من التصلّب فى الدين والتشدد لله جل وعلا فى معاداتهم وأبنائهم وسائر أقربائهم، ومقاطعتهم إيّاهم بالكلّية تطييباً لقلوبهم، ولقد أنجز وعده الكريم حين أتاح لهم الفتح فأسلم قومهم فضمم بينهم من التحاب والتصافى.

قوله تعالى: «والله قدير» هذا تعليل لما سبق من تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل أسباب المودّة.

وقوله تعالى: «والله غفور رحيم» وعد وحثّ للمشركين: فيغفر لمن أسلم منهم، لأن الاسلام يجبّ ما قبله ويرحمهم.

وقيل: غفور لما فرط من المسلمين فى موالاتهم من قبل، ولما بقى فى

قلوبهم من ميل الرحم .

٨ - (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين)

توضيح للنهى الوارد فى أول السورة ، وتنبيه تقريرى وتنظيمى للمناسبات بين المسلمين وغيرهم بأن الله تعالى لا ينهى المؤمنين عن البر والاقساط وحسن التعامل مع الكفار الذين لم يقاتلوهم ولم يعتدوا على حريتهم ولم يؤذوهم بسبب دينهم ولم يضطروهم إلى الجلاء عن وطنهم من الكفار ، فان الله تعالى يحب المقسطين الذين يعاملون غيرهم بالعدل والقسط إذا لم يصدر منهم مثل ذلك ، ففيه فرض لوجود طبقة بين مشركى مكة وكفار الكتابيين يمكن تسميتها بالمسالمين.

وقوله تعالى : « ان الله يحب المقسطين » تعليل لقوله تعالى : « لا ينهاكم الله » ففيه اباحة صلة الذين لم يقاتلوهم من الكفّار .

٩ - (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)

توضيح وتقرير آخر للنهى فى أول السورة لتثبيت الحكم وتأكيده فى موضعه ، وعدم إجرائه فى غير موضوعه كما تشعر عليه كلمة القصر « انما » .

وقوله تعالى : « ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون » تأكيد للنهى عن تولّيهم ، ووعيد شديد على موالاتهم .

وقيل : قصر إفراد ، أى المتولّون لمشركى مكّة ، ومن ظاهرهم على المسلمين هم الظالمون المتمردون عن النهى دون مطلق المتولّون للكفار .

١٠ - (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن واتوهم ماانفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر وسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم)

في الاية أربعة عشر خطاب كلها موجّه إلى المؤمنين ، والمراد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذى كان يتولى امتحانهن دون المؤمنين وقد اريد به سائر المؤمنين عند غيبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن حضورهم ، وان الاية بصدد تشريع أحكام : أمراً ونهياً واباحة ، ففيها بيان امور :

أحدها - الأمر بامتحان من يأتين إليهم مؤمنات مهاجرات واختبار صحة دعواهن الايمان والتوثّق منها .

ثانيها - النهي عن إعادتهن إلى الكفر اذا ثبتت صحة دعواهن ، لانهن يكن قد أصبحن محرمات على الكفار ، وأصبح الكفار محرمين عليهن .

ثالثها - الامر بالتعويض على أزواجهن الكفار ما انفقوه عليهن .

رابعها - الاباحة لهم أن يتزوّجوا باللاتي يأتين مؤمنات مهاجرات اذا اتوهن اجورهن ، وفي وصفهن بالايمان قبل ايمانهن وامتحانهن دلالة على كونهن مصممات على الايمان وان الله تعالى يعلم بذلك ولتظاهرهن به .

خامسها - نهيهم عن الاستمرار في التمسك بانكحة زوجاتهم اللائي بقين على كفرهن وتخلفن عنهم مع تقرير حق الازواج بمطالبة ذويهن الكفار بما أنفقوا عليهن ، وحق الازواج الكفار بالمطالبة بما أنفقوه على زوجاتهم اللاتي أسلمن وهاجرن .

وفي هذا من غاية العدل ونهاية الانصاف ما لا يخفى على القارىء الخبير فتأمل جيداً .

سادسها - التنبيه إلى أن هذه الاحكام هي أحكام الله تعالى التي يجب السير في نطاقها وهو جل وعلا يعلم بمقتضيات الامور الذي يقرر ما فيه الحكمة والصواب، وفيه من التاكيد من جانب والوعيد من جانب آخر ما لا يخفى.

قوله تعالى: «الله أعلم بايمانهن» جملة معترضة جيئت للتنبيه بأن هذا الامتحان الذي يمتحن به المؤمنون المؤمنات المهاجرات إليهن إمتحان لا يكشف إلا عن ظاهر الحال منهن، وأما ما في قلوبهن فعلمه عند الله تعالى، فشواهد الحال تكفي في هذا الامتحان.

قوله تعالى: «فان علمتموهن مؤمنات» في تسميته علماً إيذان بأنّه جار مجرى العلم في وجوب العمل به.

قوله تعالى: «لا هنّ حل لهم ولا هم يحلّون لهن» في موضع تعليل على طريق الاستيناف البياني للنهي عن إرجاعهن إلى الكفار، وهذا كناية عن إنقطاع علقة الزوجية بمجرد الايمان تترتب عليهن وعليهم الحرمة، فلا وجه للقول: بأن هذا ليس من توجيه الحرمة إليهن وإليهم من شيء.

وأما التكرير فامّا لتأكيد الحرمة أو لأن الاول بيان لزوال النكاح الاول والثاني بيان لامتناع النكاح الجديد ما دام المانع موجوداً.

وقيل: في التكرار إشارة إلى أنه لا أثر لاعتقاد المشرك انها ما زالت في عصمته، وقيل: من باب «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن».

قوله تعالى: «إذا آتيتموهن اجورهن» شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذاناً بأن ما اعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر.

قوله تعالى: «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» إستعارة والمراد بها لاتقيموا على نكاح المشركات وخلاط الكافرات، فكنّى تعالى عن العلق التي بين النساء والازواج بالعصم، وهي ههنا بمعني الحبال، لانّها تصل بعضهم ببعض، وتربط بعضهم إلى بعض، وانّما سمّيت الحبال عصماً لانّها تعصم المتعلّق بها، والمستمسك بقوّتها.

والعصم : جمع عصمة وهي ما يعتصم به ، وهي كناية عن رباط الزوجية الذي يربط كلاً من الزوجين بصاحبه ويعتصم به .

والكوافر : جمع الكافرات التي هي جمع الكافرة : جيئت بانتهاء الجموع ، إمّا لكثرتهن ، وإمّا للاستخفاف بهنّ ، وعزلهن عن مجتمع العقلاء بكفرهن .

١١ ـ (وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فأتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون)

ان الاية بصدد أمر المؤمنين في إعطاء صداق زوجات المؤمنين اللائي يلحقن بالكفار وإيتاءِ ما أنفق الكفار زوجاتهم اللاتي يلحقن بالمؤمنين .

وفيها لفت النظر خاصة إلى جعل الحقوق متبادلة بين المسلمين والكفار في مطالبة الازواج المسلمين تعويضاً عن نساءهم اللاتى تخلفن عنهم أو التحقن بذويهم ، ولو كنّ كوافر أصلا أو إرتداداً فهي مطالبة الازواج الكفار تعويضاً عن نساءهم اللاتى أسلمن والتحقن بالمسلمين .

ففي ذلك تسوية متقابلة عادلة انما تكون في ظروف عهدية وسلمية مستمرة ومحترمة من طرفيها ، وفي ذلك أمارة من أمارات رحابة افق وصدر الشريعة الاسلامية في المناسبات بين المسلمين وغيرهم ، وتلقين جليل مستمر المدى في كل موقف مماثل أيضاً .

وان الاية تنطوى صورة رائعة للمرأة ودورها في الدعوة الاسلامية وما بثّه الاسلام فيها من قوّة وإخلاص وجرأة وإقدام وتضحية .

قوله تعالى : «ذهبت أزواجهم» في التعبير عن فرقة المشركات لازواجهن المؤمنين بالذهاب إشارة إلى أنّ هؤلاءِ الزوجات انما هن شيء قد ضلّ ، وذهب في متاهات الحياة ، فلا تأسى عليه نفس ، ولا يحزن له قلب .

قوله تعالى : «واتقوا الله الذى» دعوة للمؤمنين إلى سيرة التقوى ورعاية العدل ولو مع الكفرة ، وفي توصيفه تعالى بالموصول والصلة تعليل للحكم بان

من مقتضى الايمان بالله جل وعلا تقواه ، فيجب أن يقوم الحكم عند المؤمن فى ظل من تقوى الله سبحانه حتى لا يقع فيه جور أو انحراف عن ميزان العدل .

قوله تعالى : «انتم به مؤمنون» إلفات للمؤمنين إلى انهم فى مقام لابد من إقامتهم الامور على ميزان الايمان ، وهو المايز بينهم وبين المشركين ، فهم لهذا مطالبون بان يحضروا ايمانهم ، هذا كل تصرّف يكون بينهم وبين المشركين من أخذ وإعطاء . .

١٢ - (يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم)

ان الاية الكريمة فى حد ذاتها مظهر جليل من مظاهر عناية القرآن الكريم بالمرأة المسلمة ، وتقرير شخصيتها وأهليتها للتكليف والخطاب والتعامل ، وفى هذا ما فيه من روعة وجلال .

وان الاية بصدد بيان أحكام بيعة النساء المؤمنات للنبى الكريم ﷺ وقد شرطت عليهن أموراً - يقوم عليها ايمانهن سواء بايعن الرسول ﷺ بيعة حضور أو غيبة بمعنى ان هذه البيعة هى بيعة الاسلام للنساء ، ويفترض عليهن من فرائض..

أحدها - أن لا يشركن بالله سبحانه شيئاً .

ثانيها - أن لا يسرقن سواء كان من أموال الزوج أم من مال غيره .

ثالثها - أن لا يزنين .

رابعها - أن لا يقتلن أولادهن ، فى أوان الحمل بالاسقاط أو بعد وضع الحمل بالاهلاك .

خامسها - أن لا ينسبن كذباً لأزواجهن ولداً ليس منهم نتيجة للزنا والفاحشة . .

سادسها - أن لا يعصين الرسول ﷺ فيما يأمر به من أمر معروف متعارف

انّه خير وصالح ونافع فليبايعهن الرسول ﷺ وليستغفر لهن الله تعالى المتّصف بالغفران والرحمة .

قوله تعالى : « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » كناية عن الزنا ، لأن الرجل يكون فى تلك الحال بين يدى المرأة ورجليها .

ومنه فى الحديث : « اذا قعد الرجل بين شعبها الاربع » .

وفى تصوير المولود من غير أبيه بانه بهتان تنفير من هذا المولود ، وإثارة لمشاعر الخوف منه والكراهية له .

قوله تعالى : « ولا يعصينك فى معروف » تلقين جليل بالنسبة لظروف نزول الاية ، وبالنسبة لواجب المسلمين نحو أولياء امورهم ، وواجب هؤلاء نحو المسلمين حيث قرن النهى عن عصيان النبى ﷺ بتعبير « فى معروف » للايذان بأنه ليس من حق ولىّ الامر أن يأمر بمعصية ، وأن ينتظر من الناس طاعة مطلقة بدون قيد وبأن الطاعة الواجبة عليهم هى فيما هو متعارف عليه أومعروف بأنه خير وصلاح ومفيد ، ولا اثم فيه ، ولا منكر ولا عدوان ـ ولو كان النبى ﷺ ـ وهذا من باب التعليم على هذا المبدإ الدستورى القرآنى ، لان النبى الكريم ﷺ معصوم عن الامر بمعصية أو بما ليس فيه صلاح وخير وفائدة . .

فلايجب على أحد من طاعة الاولياء فى المعاصى ...

ونسبت المعصية إلى النبى الكريم ﷺ دون الله سبحانه مع انها تنتهى إليه جل وعلا لان المراد أن لايتخلفن بالمعصية عن السنة التى يستنها النبى ﷺ وينفذها فى المجتمع الاسلامى ، فيكون ما سنه هو المعروف عند المسلمين وفى المجتمع الاسلامى .

ان تسئل : ومن البديهى ان النبى الكريم ﷺ لا يأمر الا بالمعروف فما فائدة قيد « فى معروف » ولم يقتصر بقوله تعالى : « ولا يعصينك » ؟

تجيب : انفائدته سرعة تبادر الافهام إلى قبح المعصية منهن لو وقعتمن

غيرتوقف الفهم على المقدمة التى أوردتها من السؤال .

قوله تعالى: « و استغفر لهن الله » تطييب لقلوبهن ، وتحذير عن الاختلال فيما فرض عليهن ، وفيه دلالة على ان الكافر يعاقب على ترك الفروع ، وان الاسلام يسقط الاثم عنه .

قوله تعالى: « ان الله غفور رحيم » بيان لمقتضى المغفرة وتقوية للرجاء .

١٣ - (يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور)

نهى للمؤمنين عن موالاة اليهود المعتدين المؤذين ، وتقرير لشقائهم الخالد وهلاكهم المؤبّد ، إذ يئسوا من رضاء الله تعالى عنهم لعتوّهم وطغيانهم فى الحياة الدنيا ، ومن ثوابه فى الاخرة لكفرهم وعنادهم - ليحذر المؤمنون عن مؤادتهم والاختلاط بهم .

و فى تنكير « قوماً » إشارة إلى إزدراء هؤلاء القوم وهوانهم ، وانّهم حيثما كانوا هم فى صغار وذلة وهوان إذ غضب الله تعالى عليهم .

وفى قوله تعالى: « قد يئسوا من الاخرة » الخ إشارة إلى موقف اليهود من الحياة الاخرة ، ومعتقداتهم و حد ايمانهم بها ، و انهم فى شك منها ، و فى يأس من لقائهم ، ولهذا يستنفدون كل جهدهم فى العمل لما يبنى حياتهم الدنيوية دون أن تكون منهم لفتة إلى ما وراء الحياة الدنيا .

و هذا هو المعتقد الغالب على اليهود فيما يتصل بالبعث و جزاء الاخرة ، و هذا هو سبب تكذيبهم بما جاء النبى الكريم ﷺ و عنادهم ، فانتهى إلى أن غضب الله تعالى عليهم .

﴿ الاعجاز ﴾

و قد ثبت ان القرآن الكريم ليس معجزة من جانب الاسلوب والنظم فقط أو من ناحية المعنى و النطاق فحسب ، كما ان إعجازه ليس مقصوراً في مجموعه، أو في سورة أو في سور ...

و انما كل آية من آيها ، و كل حديث من أحاديثه معجزة نطاقاً ومعنى و اسلوباً و نظماً ، و ما يخبر انه سيقع ...

و هذه هي ـ الممتحنة ـ سورة من سوره نلفت النظر فيها إلى آيتين من آيها من غير قصر إعجازها فيهما :

احداهما : قوله تعالى : «عسى الله أن يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم مودّة والله قدير والله غفور رحيم » : ٧) .

وذلك لان الله جل وعلا أخبر على طريق الرجاء بجعل المودة بين المؤمنين و بين بعض كفار مكة بتوفيقهم للاسلام ، فتنقلب المعاداة مودة ، فوقع ذلك كما أخبره لما فتح الله تعالى لهم مكة .

نعم :

و لقد تحقق ما توقعته الاية الكريمة و أمّلت المسلمين به ، فدخل معظم قريش ثم معظم العرب في دين الله جل و علا في حياة النبي الكريم ﷺ وانقلب ما كان من عداء بينهم و بين المسلمين إلى مودّة وإخاء فكان ذلك من معجزات القرآن الباهرة .

وقد أخبرت ان كثيراً منهم سيدخل في دين الله تعالى ويجاهد مع المجاهدين في سبيل الله جل وعلا . فيومئذ يلتقي الاهل جمعياً على الاخوة في الله سبحانه

كما التقوا من قبل على الاخوة في القرابة والنسب ، وان هذه القطيعة التي وقعت بينهم وبين ذوي قراباتهم و أصدقائهم قطيعة موقتة يرتقب لها يوم تنتهي فيه وتبلغ مداها .

و ان كلمة « عسى » التي تدل على الرجاء هو منظور فيه إلى المؤمنين و ما ينبغي أن يساق إلى قلوبهم من مشاعر الرجاء و الامل حيث يقيمهم هذا الشعور من أهلهم المشركين في مقام بين اليأس و الرجاء في أن تجمعهم يوماً جامعة تؤلف بينهم . .

و بهذا الشعور يقتصد المبالغون في العداوة لاهليهم كما يقتصد المترافون في قطع حبال الود معهم .

وفي قوله تعالى : « والله قدير » بشارة على تحقق ما أخبرته و أرجأته ، وتأميل للمؤمنين على أن يفتح الله قلوب هؤلاء المشركين للايمان فانه جل وعلا قادر على أن يجعل من العداوة القائمة بين المؤمنين و هؤلاء المشركين رحمة ومودة .

وفي قوله تعالى : « والله غفور رحيم » بشارة اخرى بأن أبواب مغفرة الله تعالى ورحمته مفتحة سيدخلها المشركون ، فعندئذ يغفر الله سبحانه لهم ما كان منهم من أذى النبي الكريم ﷺ و المؤمنين ، فرحمته تعالى تنالهم فيلحقهم بركب المؤمنين الذين سبقوهم إلى الايمان .

نعم :

ان الاية الكريمة جعلت الابواب مفتوحة أمام غير المسلمين وبخاصة للاعداء منهم للمسالمة والموادة ، والتوبة والانابة والارعواء عن الغلو ، والمواقف المنبثقة من الغرض والمآرب والمكابرة والاستكبار ، أو الجهل كما ان هذا هو دأب الدعوة القرآنية المخالفين إلى الله تعالى وإلى حقيته وحقيقته .

وفيها تلقين من شأنه أن يجعل افق المسلمين واسعاً و صدورهم رحباً ، ويحملهم على النظر في الامور من أكثر من ناحية ، ويبث فيها أمل السلام

والخير والاستبشار ، و يجتث منهم العداء و الحقد الشديدين ، وفي هذا مافيهمن روعة و جلال .

فلاينبغي أن ينظر المسلمون إلى الكفار الذين يوادون المسلمين اطلاقاً، ويكفون عنهم ألسنتهم وأيديهم من غير المسلمين ، فلايعتبرون أعداء وإلى الكفار الذين هم أعداء الله تعالى وأعداء المؤمنين ويبسطون إلى المسلمين أيديهم وألسنتهم بالسوء ويودّونهم لهم الكفر بنظر واحد .

فان الكفار هناك على طائفتين : المعتدين المؤذين ، والمسالمين الواقفين موقف الحياد والمسالمة أو المودة بدون ميثاق مكتوب فانهم موضع البر والاحسان بهم ويرجى ايمانهم .

ثانيتهما : قولـه تعالى : «يا أيّها الذين آمنوا لا تتولّوا قومـاً غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور» : ١٣) .

وذلك لان الاية الكريمة تشير إلى موقف اليهود من الحياة الأخرة ، وتخبر انهم في شك منها وفي يأس من لقائها ، وانهم على عقيدة بأن لا بعث بعد الموت وان الناس انما يوفون جزاءهم في هذه الحياة الدنيا . .

ومن ثمّ هم يستنفدون جهدهم كله في العمل لما يبنى عليه حياتهم الدنيوية من غير أن يكون لهم لفتة إلى ما وراء هذه الحياة . .

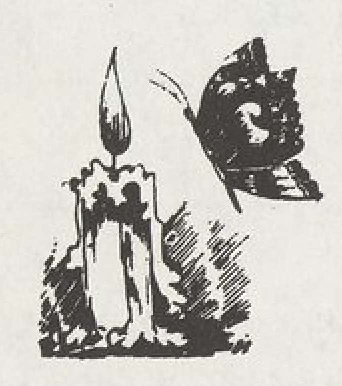
وهذا هو المعتقد الغالب على اليهود فيما يتصل بالبعث والحساب والجزاء ، وإن كانت شريعتهم التى جاءهم بهـا موسى عليه السلام تدعوهم إلى الايمان بالبعث والجزاء ، وإلى العمل لها ، ولكنهم يتأولون نصوص الشريعة ، ويلوونها مع أهواءهم حتى كانت الحياة الاخرة عندهم أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة .

ويشير إلى ذلك قوله تعالى : «واذا قيل ان وعد الله حق والسّاعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظناً ما نحن بمستيقنين» الجاثية : ٣٢) .

وبهذا نشأ مذهب الماديين الذى اخترعته اليهود ومن إليهم من سلالة القردة .

وفى قولهتعالى : «قد يئسوا من الاخرة» إشارة إلى ما عند اليهود من علم الاخرة ، وبما يكون فيها من حساب وجزاء ، وانه علم نظرى ميئوس من وقوع المعلوم منه وتحققه .

وهذا من معجزات القرآن الباهرة فى تصوير هذا المفهوم الذى يقوم عند اليهود للبعث والحساب والجزاء وللحياة الاخرة . . انه انتظار لغائب لا يرجى له إياب ، فوقع اليأس من لقائه . . فتدبر واغتنم .



﴿التكرار﴾

عشر سور بدئت بحرف النداء : خمس منها خطاب للنبي الكريم ﷺ وهي :

١ ـ سورة الاحزاب) ، ٢ ـ سورة الطلاق) ،٣ ـ سورة التحريم) ، ٤ ـ سورة المزمل) ، ٥ ـ سورة المدثر) . وثلاث منها خطاب للمؤمنين وهي :

١ ـ سورة المائدة) ، ٢ ـ سورة الحجرات) ، ٣ ـ سورة الممتحنة) .

وثنتان اخريان موجهتان إلى عامة الناس وهما ـ سورتا النساء والحج .

ونشير في المقام إلى صيغ إحدى عشرة لغة ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ جائت في هذه السورة وفي غيرها من السورة القرآنية :

١ ـ جائت كلمة (الودّ) على صيغها في القرآن الكريم نحو : ٢٩ مرّة :

٢ ـ « « (الثقف) « « « « : ست مرات :

١ ـ الممتحنة : ٢) ، ٢ ـ الاحزاب : ٦١) ، ٣ ـ الانفال : ٥٧) ، ٤ ـ النساء : ٩١) ، ٥ ـ آل عمران : ١١٢) ، ٦ ـ البقرة :١٩١) .

٣ ـ « « (البسط) « « « « : ٢٥ مرّة :

٤ ـ « « (الاسوة) « « « « ثلاث مرات :

١ ـ ٢ ـ الممتحنة : ٤ ـ ٦) ٣ ـ الاحزاب : ٢١) .

٥ ـ « « (البغض) « « « « : خمس مرات :

١ ـ ٣ ـ المائدة : ١٤ ـ ٦٤ ـ ٩١) ، ٤ ـ الممتحنة : ٤) ، ٥ ـ آل عمران : ١١٨) .

٦ ـ « « (الرجاء) » « « « : ٢٨ مرة :

٧ ـ « « (المحن) « « « « : مرتين :

١ ـ الممتحنة : ١٠) ، ٢ـ الحجرات : ٣)

٨ ـ « « (الفوت) « « « « : خمس مرات :

١ ـ الملك : ٣) ، ٢ـ الممتحنة: ١١) ، ٣ ـ الحديد: ٢٣) ، ٤ ـ سبأ : ٥١) .

٥ ـ آل عمران : ١٥٣) .

٩ ـ « « (البهت والبهتان) « « « : ثمان مرات :

١ ـ٣ ـ النساء : ٢٠ ـ ١١٢ ـ ١٥٦) ٤ ـ الممتحنة : ١٢) ٥ ـ النور : ١٦) .

٦ ـ البقرة : ٢٥٨) ، ٧ ـ الانبياء : ٤٠) ، ٨ ـ الحجر : ٧١) .

١٠ ـ « « (الفرية والافتراء) « « « « : ستين مرة :

١١ ـ « « (اليأس) « « « « : ١٣ مرة :

وأما تكرير قوله تعالى : «قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه» بقوله جل وعلا : «لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة» باضافة لام التوطئة وتذكير الفعل ، وتنزيل الضمير موضع الاظهار وتقديمه عليه فبوجوه أهمها أربعة :

أحدها ـ توكيد للدعوة التى دعى إليها المؤمنون ، سبق ذكره اجمالا فى البحث البيانى فراجع .

ثانيها ـ نزل الثانى بعد الاول بمدة ، وما اكثر المكررات فى القرآن الكريم إلا على هذا الوجه .

ثالثها ـ اعيد ذكر الاسوة ، لان الثانى منعقد بغير ما انعقد به الاول ، فان الثانى فيه بأن الاسوة فيهم كان لرجاء ثواب الله تعالى وحسن المنقلب ، والاول فيه بيان ان الاسوة فى المعاداة للكفار .

رابعها ـ كرر لبيان انهم كما يتأسّون بابراهيم والذين اتبعوه فى تبريهم من الكفار كذلك يتأسون بهم فى دعائهم و ابتهالهم مع المبالغة فى الحث على

الاقتساء بهم في كلا الامرين ..

و قيل : انث الفعل الاول مع الحائل ، و ذكر الثاني لكثرة الحائل ، وانما كرر لانه الاول في القول ، والثاني في الفعل .

وقيل : الاول في ابراهيم عليه السلام والثاني في محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي تكرار قوله تعالى : « تلقون إليهم بالمودة - و - تسرون إليهم بالمودة » لعل الاول في مودة اعداء الله جهراً ، والثاني في مودتهم سراً ونفاقاً للمؤمنين .



﴿ التناسب ﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولا .

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة و ما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

اما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة الاحزاب فتناسبها لها بامور :

منها : لما نهى الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في سورة الاحزاب عن إطاعة الكافرين والمنافقين ، وأمره باتباع وحيه فقط والاتكال عليه وحده في قوله جل وعلا : « يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ـ واتبع ما يوحى إليك من ربك ـ ودع أذاهم و توكل على الله » : ١ ـ ٤٨).

وأشار فيها إلى انه ما جعل لرجل من قلبين في جوفه يحب بأحدهما الله تعالى فيطيعه ، ويحب بالاخر عدوه فيتبعه ، وجّه الخطاب في هذه السورة إلى المؤمنين فنهاهم عن اتخاذهم عدو الله تعالى وعدوهم اولياء لهم ، فلا يجتمع الحبّان المتضادان في قلب واحد ، ولا يتمكن المرء على الطاعتين الخلافين ..

ومنها : لما حثّ الله جل وعلا في سورة الاحزاب المؤمنين على اقتدائهم بنبيهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ضرب في هذه السورة مثلا لهم بموقف ابراهيم والذين اتبعوه فليس هذا ببدع فيهم ، فعليهم الاقتداء في البغض بابراهيم عليه السلام والذين آمنوا به في قوله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » الاحزاب : ٢٠) وقوله جل وعلا : « قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه » الممتحنة ٤) .

ومنها: لما أشار في سورة الاحزاب إلى آداب نساء النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ووظائفهن في الاسر، وتجاه التكاليف، ووظائف المؤمنين والمؤمنات في العبادات والاعمال في المجتمع البشري، أشار في هذه السورة إلى وظائف المؤمنات يلحقن بالمؤمنين والمؤمنات مهاجرات.

ومنها: لما بيّن تعالى تبعة الايذاء بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله والمؤمنين والمؤمنات باللعن والعذاب، نهى المؤمنين عن تولي هؤلاء المعتدين المؤذين الذين غضب الله تعالى عليهم، وغير ذلك من المناسبات، تركناها للاختصار، فليدبّرها القارىء الخبير.

وأما الثانية: فمناسبة هذه لما قبلها مصحفاً فوجوه:

أحدها - ان الله تعالى لما بيّن في السورة السابقة موالاة المنافقين للكافرين، ومآلها بالشوم والبلاء والفراق، وجاء فيها حديثاً كشف عن وجوه المنافقين ما جعلوا بينهم وبين الذين كفروا من أهل الكتاب مودة قائمة على العداوة والشقاق والكيد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين إلى أن انتهت هذه المودة شوماً وفراقا وبلاء على كلا الفريقين: المنافقين ومواليهم، جاء في سورة الممتحنة بهذا التحذير للمؤمنين أن يتخذوا هذا الاتجاه المهلك الذين اتخذه المنافقون ممن كانوا في المؤمنين، فتمثل هذه السورة تلك الصورة التي جلت بالمنافقين وأحلافهم من اليهود في السورة السابقة ليحذر المؤمنين من تلك الهاوية التي يهوى اليها كل من يأخذ هذا الطريق الضال، فيجعل بينه وبين أعداء الله تعالى ورسوله الفة ومودة، فيتردّى في الهاوية التي تردّى فيها المنافقون، فنهى الله تعالى المؤمنين عن اتخاذ الكفار اولياءلهم وعن الاختلاط بهم، واوجب معاداتهم لئلا يشبهوا المنافقين ولا يلقوا في التهلكة.

ثانيها - ان الله تعالى لما أشار في السابقة إلى شقاق الكفار الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أشار في هذه السورة إلى تحريم موالاتهم.

ثالثها - ان الله تعالى لما ذكر في السابقة المعاهدين من أهل الكتاب ذكر

في هذه السورة المعاهدين من المشركين .

رابعها - لما اشير في السابقة إلى ما يتعلق بالمؤمنين المهاجرين وموقف الانصار منهم ، اشير في هذه السورة إلى ما يتعلق بالمؤمنات المهاجرات وموقف المؤمنين منهن .

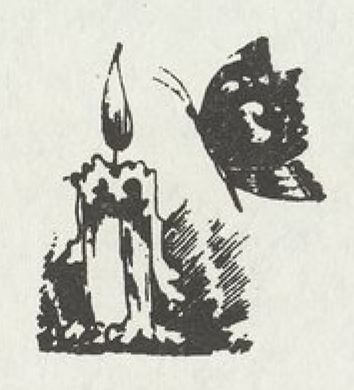
وأما الثالثة : فان الله تعالى لما نهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار اولياء لهم بقوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى .. » الخ أشار إلى علة النهى بقوله : « ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء .. » الخ ثم أشار إلى أن ما جعلوه سبباً للموادة لا ينفعهم يوم القيامة بقوله : « لن تنفعكم أرحامكم .. » الخ .

ان الله تعالى لما نهى المؤمنين عن موالاة الكفار دعاهم في الانتهاء عما نهوا عنه إلى اقتدائهم بابراهيم والذين معه تنبيهاً على انهم ليسوا ببدع في ذلك بقوله : « قدكانت لكم اسوة حسنة .. » الخ وفي الدعاء والابتهال إلى الله جل وعلا بقوله حكاية عنهم : « ربنا لا تجعلنا فتنة .. » الخ ، ثم أشار إلى انه لايقتدى بهم الا من كان يرجوا ثواب الله تعالى بقوله : « لقدكان لكم فيهم .. » الخ ثم وعدهم بحصول المودة بينهم وبين بعض الكفار بسبب الايمان بقوله : « عسى الله أن يجعل بينكم .. » الخ .

ان الله تعالى لما نهى المؤمنين عن مخالطة الكفار وموالاتهم ، بيّن انهم ليسوا كلهم في شرع سواء بل انهم على فريقين بقوله تعالى : « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم - انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم .. » الخ فينبغي البر والاحسان على الاولين ، ولابد من العداوة والبغضاء على الاخرين .

ان الله جل وعلا لما بيّن أحكام فريقي الكافرين : المعتدين المؤذين ، وغيرهم أخذ ببيان أحكام من يظهر الايمان ووظائف المؤمنين في ذلك ثم أشار إلى مبايعة المؤمنات اللاتي هاجرن وما يتعلق بها من الشروط والاحكام ،فختمت السورة بما بدأت اجمالا وتفصيلا ، فتدبّر واغتنم .

ولما كانت اليهود تفتن المؤمنين فى دينهم ، وتستميل قلوبهم بالممازجة لهم والاختلاط بهم نهى الله تعالى عن ملاطفتهم ومداخلهم واتخاذهم شعاراً من دون المؤمنين وبطانة دون أهل الدين ، فيوجب ذلك أن يعاملوا بالمغالظة والمخاشنة دون الملاطفة والملاينة .



«الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه»

فى أحكام القرآن للجصّاص، والجامع لاحكام القرآن للقرطبى، والدر المنثور للسيوطى عن قتادة فى قوله تعالى: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ..» الاية قال: نسختها: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم».

التوبة: ٥)

أقول: لو قلنا بالنسخ فى المقام لكان القول بنسخ الاية التالية للاية المتقدمة اولى من نسخ آية التوبة للاية التى نحن فيها، ولا نقول بذلك.

وذلك لانّ ما يظهر من السياق ان الكفار على فريقين: الفرقة المعتدية المؤذية وهم أهل الحرب الذين كانوا يقاتلون المؤمنين فى الدين، ويخرجونهم من ديارهم، ويظاهرون على إخراجهم، وهم الذين نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاتهم بل لابد للمؤمنين من العداوة والبغضاء عليهم وقتالهم تشير إلى ذلك آية التوبة والله تعالى يصرّح بذلك فى قوله: «انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين. .» الاية.

وفرقة غير معتدية ينبغى أن يبرّ إليهم المؤمنون اذ قال تعالى: «لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين . .» الاية، ففيها رخصة من الله تعالى فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم، وان آية النهى تنهى عن صلة الذين عادوا المؤمنين وقاتلوهم، فلامنافاة بينهما لتعدد الموضوعين .. فتدبر واغتنم جداً.

وقيل: ان آية الممتحنة لا تشمل باطلاقها الا أهل الذمة والمعاهدة، فلا تشمل لاهل الحرب وان آية التوبة، انما تشمل أهل الحرب من المشركين دون أهل المعاهدة، فكيف تنسخ ما لا يزاحمها فى الدلالة.

في الكافي : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى : «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» فقال : هذه منسوخة بقوله : «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» .

أقول : ومن المحتمل أن يكون المراد بنسخ آية الامساك بالعصم لآية حلّية محصنات أهل الكتاب اختصاص آية الممتحنة بالنكاح الدائم ، وتخصص آية المائدة بالنسبة إلى النكاح الدائم بها ، واختصاص ما تدل عليه من الحلية بالنكاح المنقطع ، فليس المراد به النسخ المصطلح كيف ؟ وآية الممتحنة سابقة نزولا على آية المائدة ، ولاوجه لنسخ السابق للاحق على أن آية المائدة سيقت للامتنان، وما هذا شأنه يأبى النسخ .

وفي المجمع : في قوله تعالى : «والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب» وروى أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام انه منسوخ بقوله : «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن» وبقوله : «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» :

أقول : ان قوله تعالى : «ولاتنكحوا المشركات» وقوله : «ولاتمسكوا بعصم الكوافر» يشمل ان المشركات من الوثنيين والكافرات المعتدية المؤذية وقوله تعالى : «والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب» يفيد حلية نكاح أهل الكتاب غير المعتدية ، فلا تدافع بين الايات حتى تنسخ إحداهما الاخرى .

وفي التبيان : قال الشيخ قدس سره : «وعندنا ان الاية غير منسوخة وفيها دلالة على المنع من تزويج (تزوج خ) المسلم اليهودية والنصرانية لانهما كافرتان والاية على عمومها في المنع من التمسك بعصم الكوافر ولا نخصّها الا بدليل» .

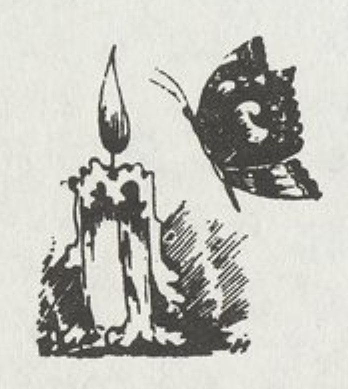
وفي الكافي : باسناده عن الحسن بن جهم قال : قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام : يا أبا محمد ما تقول في رجل يتزوّج نصرانية على مسلمة ؟ قلت : جعلت فداك وما قولي بين يديك ؟ قال : لتقولنّ فان ذلك يعلم به قولي قلت : لا يجوز تزويج النصرانية على مسلمة ولا غير مسلمة قال : ولم ؟ قلت : لقول الله

عزوجل : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » البقرة : ٢٢١) .

قال : فما تقول في هـذه الاية : « والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من من قبلكم » المائدة : ٥) ؟

قلت : فقوله: «ولاتنكحوا المشركات » نسخت هذه الاية ، فتبسّم ثم سكت.

أقول : وما ذكرناه في ذيل رواية الكافي المتقدمة مايفيد المقام فراجع.



﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

١ ـ (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) .

قوله تعالى : « لاتتخذوا عدوى وعدوكم » فى العدو أقوال : ١ ـ قيل: هـم مشركو مكة .

٢ ـ قيل : هم كفار من أهل الكتاب .

٣ ـ قيل : هم عامة الكفار من مشركى مكة وغيرهم .

أقول: ان السياق والنزول يؤيدان الاول ، وأما النهى عن اتخاذ الكفار المعتدين المؤذين من المشركين وأهل الكتاب أولياء ، فيستفاد من غير هذه الاية .

وفى قوله تعالى: « تلقون إليهم بالمودة » أقوال :

١ ـ عن الزجاج : أى تلقون إليهم أخبار النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسره بالمودة التى بينكم وبين مشركى مكة ليحموا بذلك مـن بقى من أرحامهم واولادهم بمكة بعد خروجهم أنفسهم منها بالمهاجرة إلى المدينة .

٢ ـ قيل أى تلقون إليهم بسبب المـودة التى كانت بينكم ، فيؤثر فيكم كفرهم ، فتكفرون بعد أيام .

٣ ـ قيل : أى تفضون إليهم المودة بالمكاتبة وتبذلون لهم النصيحة ، فالباء زائدة .

٤ - قيل : أي تلقون إليهم مودتكم اياهم .

أقول : وعلى الاول اكثر المحققين ويؤيده ماورد في النزول .

وفي قوله تعالى : « يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم » أقوال :

١ - قيل : « ان تؤمنوا بالله ربكم » تعليل للنهي عن اتخاذ العدو ولياً ، والمعنى : انهم عدوكم لاجل ايمانكم بالله ، فلا تتخذوهم اولياء لكم .

٢ - قيل : تعليل لاخراج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واخراج المؤمنين من مكة ، فالمعنى انهم كانوا يخرجون الرسول صلى الله عليه وآله لدعوة الناس إلى الدين الحق ويخرجون اياكم لايمانكم بالله ربكم .

٣ - قيل : تعليل للعداوة والاخراج معاً .

أقول: والثاني هو الظاهر .

وفي قوله تعالى : «ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي» **أقوال :**

١ - قيل : في الكلام تقديم وتأخير ، فالتقدير : لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي ، وطالبين رضاي .

٢ - قيل : في الكلام حذف ، والمعنى : إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تلقوا إليهم بالمودة .

٣ - قيل : جزاء الشرط محذوف يدل عليه السياق ، والمعنى : إن كنتم خرجتم جهاداً وهاجرتم في سبيلي ولطلب رضاي ، فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء .

اقول: والاخير هو الانسب بلطافة الكلام .

وفي قوله تعالى : «تسرّون إليهم بالمودة» **أقوال :**

١ - قيل : أي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء لكم حتى تسرّون إليهم بالنصيحة .

٢ - قيل : أي انتم تسرّون إليهم بالمودة ، فالجملة مستأنفة بيانية .

٣ ـ قيل : أى تعلمونهم فى السّر ان بينكم وبينهم مودة .

٤ ـ قيل : أى تعلمونهم باحوال الرسول ﷺ وأخباره فى السّر بسبب المودة التى بينكم وبينهم ، فعل من يظن انه يخفى على الله تعالى ما يفعله .

اقول: والاخير هو الانسب بظاهر السياق ، ويؤيده النزول وقريب منه الثاني فتدبّر.

وفى قوله تعالى : «وأنا أعلم بما اخفيتم وما أعلنتم» أقوال :

١ ـ قيل : أى وأنا أعلم منكم أيّها المؤمنون بما أضمرتم وما اظهرتم من المودة لهؤلاء المشركين ، فالباء زائدة ، فيقال : علمت كذا وعلمت بكذا .

٢ ـ قيل : أى وأنا أعلم من كل أحد بما تخفونه وما تعلنونه ، فحذف: من كل أحد .

٣ ـ عن ابن عباس : أى وأنا أعلم بما أخفيتموه فى صدوركم ، وماأظهرتموه بألسنتكم من الاقرار والتوحيد .

٤ ـ قيل : أى أنا أعلم منكم بما أخفى بعضكم من بعض ، وما أعلنه بعضكم لبعض .

اقول: والاول هو الظاهر .

٣ ـ (لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير)

فى قوله تعالى : «يفصل بينكم» أقوال :

١ ـ قيل : أى يفرق الله بينكم يوم القيامة بما فيه من الهول الموجب لفرار كل منكم من الاخر، حسبما نطق به قوله تعالى : «يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه» عبس : ٣٧) .

٢ ـ قيل : أى يقضى الله تعالى بينكم يوم القيامة ، فالفصل بمعنى القضاء كقوله تعالى : « ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » السجدة : ٢٠) .

٣ ـ قيل : أي يميّز الله تعالى بعضكم يومئذ من بعض ، فيدخل أهل الايمان والطاعة الجنة ، واهل الكفر والمعصية النّار ، ولايرى القريب المؤمن في الجنة قريبه الكافر في النار .

٤ ـ قيل : أي يفصل الله يوم القيامة بينكم بتقطّع الاسباب الدنيوية كقوله تعالى : « فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ » المؤمنون : ١٠١) .

وذلك ان القرابة وهي انتهاء إنسانين أو أكثر إلى رحم واحدة انّماتوثر آثارها من الرحمة والمودة والالفة والمعاونة والمعاضدة والعصبية والخدمة ، وغير ذلك من الاثار في ظرف الحياة الاجتماعية التي تسوق الانسان إليه حاجته إليها بالطبع بحسب الاراء ، والعقائد الاعتبارية التي أوجدها فيه فهمه الاجتماعي ولا خبر عن هذه الاراء في الخارج عن ظرف الحياة الاجتماعية . واذا برزت الحقائق وارتفع الحجاب وانكشف الغطاء يوم القيامة ضلت عن الانسان هذه الاراء والمزاعم ، وانقطعت روابط الاستقلال بين الاسباب ومسبباتها كقوله تعالى: «لقد تقطّع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون» الانعام : ٩٤) وقوله تعالى : « ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب» البقرة : ١٦٦) .

فيومئذ تتقطع رابطة الاسباب ولاينتفع ذوقرابة من قرابته شيئاً . فلاينبغي للانسان ان يخون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله بموالاة أعداء الدين لاجل أرحامه وأولاده ، فليسوا يغنونه عن الله يومئذ .

اقول: والاول هو ظاهر السياق ، والقول بان المقام لا يدل على كفر الارحام والاولاد غير ظاهر بل الظاهر من الاسوة الحسنة في ابراهيم والذين معه خلافه مع عدم الفصل بين المؤمنين يوم القيامة .

٤ - (قدكانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير) .

فى قوله تعالى : « قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم » قولان :

أحدهما - قيل : أى قدكانت لكم فى ترك موالاة الكفار ، وترك الركون إلى جنايتهم اقتداء حسن فى ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

ثانيهما - قيل : أى قد كانت لكم فى البراءة من المشركين وماكانوا يعبدونه من دون الله واظهار العداوة لهم ماداموا كافرين قدوة حسنة فى ابراهيم عليه السلام .

اقول: والثانى هوظاهر السياق من قوله : « اذ قالوا لقومهم - الى -حتى تؤمنوا بالله وحده » ولكن التلازم بين القولين غيرخفى على القارىء المتدبر .

وفى قوله تعالى : « والذين معه » أقوال :

١- عن ابن زيد : همالانبياء واتباعهم من المؤمنين الذين جاؤا بعدابراهيم، وسمّوا هؤلاء مع ابراهيم عليه السلام كانوا جميعاً على ملته كما كان معظم الانبياء من ذريته .

٢ - قيل : هم الذين آمنوا بابراهيم عليه السلام كلهم .

٣ - قيل : هم الذين كانوا معه غير زوجته هاجر ولوط لانهما ما كانامعه، وان كانا مؤمنين به عليه السلام .

اقول: وعلى الثانى جمهورالمفسرين ، فالمراد بالمعية : المعية فىالعقيدة وهى الايمان لا المعية فى المكان والتحيز فيه ، مضافاً على كون القضية بعد قصة لوط والزواج بهاجر يحتاج إلى دليل وبرهان .

وفى قوله تعالى: « كفرنا بكم » أقوال :

١ ـ قيل : اى كفرنا بدينكم .

٢ ـ قيل : كفرنا بمعبودكم .

٣ ـ قيل : كفرنا بكم وبمعبوداتكم ، فلانعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم .

٤ ـ قيل : أى كفرنا بأفعالكم وكذبناها وانكرنا أن تكونوا على حق .

اقول: والثالث هو الظاهر من غير تناف بينه وبين غيره من الاقوال . .

وفى قوله تعالى: « الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك » أقوال :

١ ـ قيل : أى إلا اسوة لكم فى هذا الوجه لا فى الوجه الاخر لانه كان لعلمه ليست فى نازلتكم .

٢ ـ قيل : كان ابراهيم عليه السلام قال : أنا استغفر لك ، وما فى طاقتى الا الاستغفار .

٣ ـ عن قتادة ومجاهد وابن زياد : أى فلا تتأسوا به فى الاستغفار ، فتستغفروا للمشركين ، فانه كان عن موعدة ، منه له .

٤ ـ قيل أى ان ابراهيم هجر قومه ، وباعدهم الا فى الاستغفار لابيه .

٥ ـ عن الحسن والجبائى : كان آذر ينافق ابراهيم عليه السلام ويراه انه مسلم ويعده اظهار الاسلام ، فيستغفره .

٦ ـ قيل : أى انهم انما القوا إليهم القول بالتبرى الا قول ابراهيم لابيه: لاستغفرن لك فلم يكن تبريا ولا توليا ، بل وعداً وعده أباه رجاء أن يؤمن بالله تعالى ، فالمؤمنون يقطعون أى رابطة تربطهم بالقوم وتصل بينهم الا ما قال ابراهيم لابيه : « لاستغفرن لك » الخ .

اقول: وعلى الثالث اكثر المفسرين ، وقريب منه الاخير .

وفى قوله تعالى: « ربنا عليك توكلنا » أقوال :

١ ـ قيل : هذا تعليم للمؤمنين من أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقولوا ذلك .

٢ ـ قيل : هذا مقول من أتباع ابراهيم عليه السلام .

٣ ـ قيل : هذا من تمام القول المنقول عن ابراهيم عليه السلام .

٤ ـ قيل : هذا مقول من ابراهيم صلى الله عليه ومن معه المندوب إلى التأسي بهم فيه ، وهو دعاء منهم لربهم ، وابتهال إليه اثرما تبرؤا من قومهم ذلك التبرى العنيف ليحفظهم من تبعاته ويغفرلهم ، فلا يخيبهم فى ايمانهم ، وقد افتتحوا دعاءهم بتقدمة يذكرون فيها حالهم فيما هم فيه من التبرّى من أعداء الله تعالى .

اقول: والاخير هو الانسب بظاهر السياق .

٥ ـ (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم)

فى النداء قولان :

أحدهما ـ تعليم لهذه الامة المسلمة أن يطلبوا من الله تعالى الحماية لهم من أن يفتنوا فى دينهم بما يرميهم به الذين كفروا من مكاره ، وما يسوقون إليهم من أذى .

ثانيهما ـ مقول من ابراهيم عليه السلام والذين آمنوا به ، وهو دعاء يتجهون به إلى الله تعالى ألا يجعلهم فتنة للذين كفروا بمعنى الايغرى بهم الذين كفروا ، فتشتد عداوتهم لله جل وعلا ، وتغلظ فتنهم وضلالهم بسبب العناد الذى يحملهم على الا ينظروا إلى ما فى أيدى المؤمنين من هدى وايمان ..

وبهذا يشتد غضب الله تعالى عليهم ، وتنزل نقمته بهم ، وكأن المؤمنين بهذا هم الذين ساقوهم إلى هذا الكفر الغليظ ، وهذا من شأنه أن يدخل فى شعور المؤمنين بانهم بايمانهم قد حملوا الكافرين على أخذ طريق غير طريق المؤمنين .

أقول: والثانى هو المؤيد بالرواية الاتية فانتظر .

فى قوله : « تجعلنا فتنة للذين كفروا » أقوال :

١ ـ عن قتادة : أى لا تظهر عدوّنا علينا ، فيظنوا انهم على حق فيفتتنوا بذلك .

٢ ـ عن ابن عباس : أى لا تسلطهم علينا ، فيفتتنونا عن دينك فلانطيقه .

ان الفتنة ما يمتحن به والمراد بجعلهم فتنة للذين كفروا تسليط الكفار عليهم ليمتحنهم ، فيخرجوا ما فى وسعهم من الفساد ، فيؤذونهم بأنواع الاذى أن آمنوا بالله تعالى ورفضوا آلهتهم ، وتبرؤا منهم ومما تعبدون .

٣ ـ عن مجاهد : أى لا تعذبنا بأيديهم بسبب تبرّينا منهم ، ولا تعذبنا ببلاء من عندك ، فيقولوا : لو كان هؤلاء على حق لما أصابهم هذا البلاء .

٤ ـ قيل : أى ألطف لنا حتى نصبر على أذاهم ولا نتبعهم ، فنصير فتنة لهم.

٥ ـ قيل : أى أعصمنا من موالاة الكفار ، فانا اذا واليناهم ظنوا انّا صوّبناهم .

٦ ـ قيل : أى لا تخذ لنا اذا حاربناهم ، فلو خذلتنا لقالوا : لو كان هؤ لاء على الحق لما خذلوا .

٧ ـ قيل : ان الجملة تضمن الوجهين :

أحدهما ـ أن لا يكون المؤمنون فتنة للكافرين .

ثانيهما ـ أن لا يكون الكافرون فتنة للمؤمنين .

اقول: وعلى الثانى أكثر المحققين .

٧ ـ (عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم)

فى المودة قولان :

أحدهما ـ عن ابن عباس : كانت المودة بعد الفتح تزويج النبى ﷺ ام حبيبة بنت أبى سفيان .

ثانيهما ـ عن ابن زيد ومقاتل : هذا بان يسلم الكفار ، وقد أسلم قوم منهم بعد فتح مكة وخالطهم المسلمون.

أقول: وعلى الثانى اكثر المفسرين .

٨ ـ (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين)

في قوله تعالى: «الذين لم يقاتلوكم ..» الخ اقوال :

١ ـ عن مجاهد وقتادة : هم من أهل مكة الذين آمنوا ولم يهاجروا ، فأذن الله تعالى للمؤمنين هاجروا أن يبروهم باحسان إليهم .

٢ ـ قيل : هم النساء والصبيان لانهم ممن لايقاتل ، فأذن الله تعالى في برّهم .

٣ ـ عن أبي صالح والفراء : هم خزاعة صالحوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أن لا يقاتلوه ، ولا يعينوا عليه أحداً ، فأمر الله تعالى ببرّهم والوفاء لهم إلى أجلهم .

٤ ـ قيل : هم من غير أهل مكة الذين آمنوا ولم يهاجروا إلى المدينة .

٥ ـ عن أبي صالح أيضاً والكلبي : هم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف .

٦ ـ قيل : هم أهل الكفر والشرك من أهل مكة وغيرهم ، ولكنهم لا يصدون الناس عن سبيل الله تعالى .

٧ ـ عن الحسن : هم مخصوصة في حلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن بينه وبينه عهد لم ينقضه .

٨ ـ قيل : هم مشركو مكة فقط الذين كانوا متصفين بما ذكر .

٩ ـ عن ابن الزبير : هي عامة لكل من كان بهذه الصفة .

اقول: والثامن هو الظاهر ، والتعميم هو اللب .

١٠ ـ (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم)

في قوله تعالى : «فامتحنوهن» أقوال :

١ ـ عن ابن عباس وقتادة وعكرمة : امتحن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بانهن حلفن له صلى الله عليه وآله وسلم بالله تعالى : انهن ما خرجن بغضاً لزوجهن ، ولا رغبة من أرض إلى أرض ، ولا التماساً من متاع الدنيا ، ولا عشقاً لرجل من المؤمنين ، بل حباً

لله جلّ وعلا ولرسوله ﷺ فاذا حلفن بالله الذى لا الـه الاّ هو على ذلك كله ، اعطى النبى ﷺ أزواجهن مهورهن ، وما انفقوا عليهن ، ولم يردّهن .

وعن مجاهد انه قال فى «فامتحنوهن» : سلوهن ما جاء بهن ، فانكان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخطة أو غيره ، ولم يؤمنّ فارجعو هن إلى أزواجهن.

وعن ابن زيد انه قال : كانت المرأة المشتركة اذا غضبت على زوجها ، وكان بينه وبينها كلام قالت : والله لاهاجرن إلى محمد ﷺ وأصحابه ،فقال الله عزوجل : « اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن » إن كان الغضب أتى بها فردّوها ، وإن كان الاسلام أتى بها فلا تردّوها .

٢ ـ قيل : المحنة هى حلفهن انهن ماخرجن حباً لمتاع الدنيا .

٣ ـ عن ابن عباس أيضاً : المحنة أن يشهدن : أن لا اله الاالله وان محمداً رسول الله ﷺ .

٤ـ قيل: المحنة : أن يحلفن أن لاهاجرن للنفاق ، والدسيسة بين المسلمين وإفشائهن أخبارهم للمشركين .

٥ ـ قيل : المحنة : أن يحلفن ماخرجن حباً لرجل من المسلمين .

٦ ـ عن بكير بن الاشج ، المحنة : أن يحلفن ماخرجن الاّ حباً لله تعالى ولرسوله ﷺ والايمان بالله تعالى ورسوله ﷺ ومارغبن الاّ فـى الـدين الاسلامى .

٧ ـ عـن عائشة : المحنة هـى قوله تعالى : « يـا أيّها النبى اذا جاءك المؤمناك يبايعنك .. » الخ .

٨ ـ قيل : كانت محنة رسول الله ﷺ اياهن اذا قدمن مهاجرات .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » أقوال :

١ ـ عن ابن زيد : أى هن مسلمات لحقن بدار الحرب مرتدات ، فلايكون بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية لانقطاعها بارتدادهن .

عن ابن عباس : لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة:

١ - ام الحكيم بنت أبي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري .

٢ - قريبة (قرنية خ) بنت امية بن المغيرة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر بها أبت وارتدت ثم تزوّجها معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة ، فلما ولي عمر قال أبوسفيان لمعاوية : طلق قريبة لئلايرى عمر سلبه في بيتك ، فأبى معاوية من ذلك .

٣ - بروع بنت عقبة ، وكانت تحت شماس بن عثمان .

٤ - عزة بنت عبدالعزيز بن نضلة تزوّجها عمرو بن عبد ود .

٥ - هند بنت ابي جهل بن هشام ، وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل.

٦ - ام كلثوم بنت عمرو الخزاعية ، وكانت تحت عمر بن الخطاب وهي ام عبد الله بن عمر، فتزوجها أبو جهم بن حذافة .

فكلهن ارتدن ورجعن عن الاسلام ، فاعطى رسول الله ﷺ أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة .

وفي المقام روايات مختلفة متشتة :

٢ - عن قتادة هن مشركات أبين أن يسلمن ، فامر الله تعالى المسلمين أن يخلوا سبيلهن ، والمعنى : ولا تمسكوا بعقود نكاح الكوافر .

٣ - أقول : والتعميم هو المستفاد من ظاهر السياق التالي ، فيشتمل للاتي بقين على الكفر والشرك ، واللائي لحقن بالكافرين والمشركين بعد أن أسلمن.

١١ - (وان فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فأتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون)

في « شيء » أقوال :

١ - قيل : الشيء : المهر ، فالمعنى : وان فاتكم شيء من أزواجكم مما دفعتم إلى الكفار من مهور النساء .

٢ - قيل : الشيء نفس المرأة فالمعنى : وان انفلت منكم احدى نساءكم إلى الكفار ، فارتدت .

٣ ـ قيل : الشيء مبهم يشمل الامرين .

أقول: ان الرواية الاتية تؤيد الثانى ، فانتظر .

وفى « إلى الكفار » أقوال :

١ـ عن مجاهد وقتادة : هم الذين لم يكن بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد .

٢ ـ عن الزهرى : هم كفار قريش الذين كانوا أهل هدنة .

٣ ـ قيل : هم الذين بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله عهد .

٤ ـ قيل : هم الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين .

أقول: وعلى الاخير أكثر المحققين .

وفى قوله تعالى : « فعاقبتم » أقوال :

١ ـ عن مجاهد وقتادة ومسروق وابراهيم والزجاج : أى فاصبتم مغنماً من قريش وغيرهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم ، فالذى ذهبت زوجته من المهر كان يعطى من الغنيمة اذا ظفرتم فكانت العاقبة لكم .

٢ ـ قيل : العقبة : النوبة ، شبّه أداء كل طائفة من المسلمين والكافرين المهر إلى صاحبتها بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره .

٣ ـ عن مؤرج : اى فخلفتم من بعدهم وصار الامر إليكم .

٤ ـ عن على بن عيسى : أى عاقبتم بمصير أزواج الكفار إليهم إما من جهة سبى أو مجيئهن مؤمنات .

٥ ـ عن الزهرى : أى إن فات أحداً منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون لها مثل الذى يأخذون منكم ، فعوّضوه من فيء إن اصبتموه .

٦ ـ عن ابن زيد : قال : خرجت امرأة من أهل الاسلام إلى المشركين ، ولم يخرج غيرها ، قال : فأتت امرأة من المشركين ، فقال القوم : هذه عقبتكم قد أتتكم ، فقال الله تعالى : « وان فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم » : امسكتم الذى جاءكم منهم من أجل الذى لكم عندهم « فاتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما انفقوا » .

ثم أخبرهم الله تعالى انه : لاجناح عليهم اذافعلوا الذى فعلوه أن ينكحوهن اذا استبرى رحمها قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله الذى ذهبت إمرأته إلى الكفار ، فقال لهذه التي أتت من عند المشركين : هذا زوج التي ذهبت أزوجكه ، فقالت : يا رسول الله عذراً لله زوجة هذا أن تفر منه لا والله مالى به حاجة .

أقول: ان الاول والثانى والخامس والسادس متقاربة ، مؤيدة بالرواية الاتية فانتظر .

وفى قوله تعالى : « فاتوا الذين ذهبت أزواجهم » أقوال :

١ ـ عن ابن عباس وجبائى : أى فاتوا أيها المؤمنون الذين ذهبت نساءهم مثل ما انفقوا من المهور عليهن من الغنيمة ، وكذلك من ذهبت زوجته إلى من بينكم وبينه عهد ، فنكث فى اعطاء المصر ، فالذى ذهبت زوجته يعطى المهر من الغنيمة ، ولا ينقص شيئاً من حقه بل يعطى كملا ، وقال ابن عباس ومجاهد: إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعطى من الغنيمة مثل ما انفق .

٢ ـ عن قتادة : أى إن فاتكم أحد من أزواجكم إلى الكفار الذين بينكم وبينهم عهد فغنمتم ، فاعطوا زوجها صداقها الذى كان ساق إليها من الغنيمة ثم نسخ هذا الحكم فى سورة البراءة ، فنبذ إلى كل ذى عهد عهده .

٣ ـ عن الزهرى انه قال : أقر المؤمنون بحكم الله تعالى وأدّوا ما امروا به من نفقات المشركين التى انفقوا على نساءهم ، وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله تعالى فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين ، فقال الله للمؤمنين : وان فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت أزواجهم الخ ..

فلو انها ذهبت بعد هذه الاية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين ردّ المؤمنون إلى زوجها النفقة التى انفق عليها من العقب الذى بايديهم الذى امروا أن يردّوه على المشركين من نفقاتهم التى انفقوا على أزواجهم اللاتى آمنّ

هاجرن ثم ردّوا إلى المشركين فضلا، إن كان بقى لهم، والعقب: ما كان بايدى المؤمنين من صداق نساء الكفار حيث آمنّ وهاجرن.

٤ - قيل: أى فاعطوا ايها المؤمنون الذين ذهبت أزواجهم منكم إلى الكفار مثل ما انفقوا عليهن من الصداق، فامروا أن يعطوهم من صداق من لحق بهم من نساء المشركين.

أقول: والاخير هو المؤيد بالرواية الاتية.

١٢ - (يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم)

فى «ولا ياتين ببهتان يفترينه» اقوال:

١ - عن ابن بحر: أى ولا يأتين بسحر يسحرن.

٢ - قيل: أى لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم، قيل: كانت الحرّة اذا تولد لها جارية، فتجعل مكانها غلاماً.

٣ - عن الضحاك: أى لا يعضن رجلا ولا امرأة.

٤ - قيل: أى لا يقذفن المحصنين ولا المحصنات.

٥ - قيل: أى لا يأتين بكذب وتهمة، ولا يمشين بالسعاية مختلقة من تلقاء أنفسهن.

أقول: وعلى الثانى أكثر المفسرين.

وفى قوله تعالى: «بين ايديهن وأرجلهن» أقوال:

١ - عن ابن عباس: أى لا يلحقن برجالهن ولداً من غيرهم. وذلك بان يحملن من الزنا ثم يضعنه وينسبنه إلى أزواجهن كذباً على أن الام اذا وضعت سقط الولد بين يديها ورجليها.

٢ - أى لا يقدمن على شيء مما تفعله الايدى والارجل فيه كذب وافتراء.

٣ ـ قيل : «بين ايديهن» أى السنتهن بالنميمة ، و«ارجلهن» أى فروجهن .

٤ ـ قيل : «بين أيديهن» من قبلة أو جسة و«ارجلهن» : الجماع .

٥ ـ قيل : أى ينسبن لازواجهن اولا نتيجة للزنا والفاحشة على ان بطنهن الذى تحملن فيه ولد الزنا بين أيديهن وفروجهن التى تلدنه بين أرجلهن .

أقول: والاول هو الاوجه ثم الاخير .

وفى قوله تعالى: «ولا يعصينك فى معروف» أقوال :

١ ـ عن سعيد بن المسيب وابن عباس وزيد بن أسلم ومحمد بن السائب : المعروف: النياحة ، وتمزيق الثياب ، وجزّ الشعر ، وشق الجيوب ، وخمش الوجوه والدعاء بالويل .

٢ ـ قيل : المعروف : ما عرف حسنه من قبل الشرع .

٣ ـ عن الكلبى : المعروف كل ما أمر الله تعالى به ومانها عنه .

٤ ـ قيل : ان المعصية فى معروف هى ترك المعروف كترك الصلاة والصوم والزكاة والحج وما إليها من الواجبات .

٥ ـ عن بكر بن عبدالله المزنى : لا يعصينك فى كل امر فيه رشدهن .

٦ ـ قيل : المعروف : كل برّ واحسان إلى الناس وتقوى .

٧ ـ عن ابن عباس ايضاً وقتادة وابى صالح : لا ينحن ، ولا تخلو امراة منهن الا بذى محرم ، ولا يحدثن رجلا أجنبياً .

٨ ـ قيل : المعصية فى المعروف هى فعل المنكر ، كتبرجهن تبرج الجاهلية الاولى .

٩ ـ عن ميمون بن مهران : المعروف ههنا : الطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل : وقد بايع النبى صلى الله عليه وآله نحو : ٤٥٧ امرأة ولم يصافح امرأة منهن قط وممن بايعه هند فلما سمعت هذه الجملة : «ولا يأتين ببهتان يفترينه» الخ قالت : ان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق .

أقول: والاول هو المؤيد بالروايات الاتية فانتظر من غير تناف

بينه وبين سائر الاقوال الاخر ، فذكرها من قبيل ذكر بعض مصاديق العام لافادة النكرة في سياق النفي عموماً فتدبر .

١٣ - (ياايها الذين آمنوا لاتتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور)

في مغضوب عليهم أقوال :

١ - قيل : هم جميع طوائف الكفار من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم من الفرق الباطلة والمسالك الفاسدة .

٢ - قيل : هم اليهود خاصة وذلك لان ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود باخبار المؤمنين ويواصلونهم ، فيصيبون بذلك من ثمارهم ، فنهوا عن ذلك.

٣ - قيل : هم المنافقون خاصّة ، غضب الله تعالى عليهم لنفاقهم وكفر باطنهم وترابطهم بأهل الكفر والشرك .

٤ - عن الحسن والكلبي : هم اليهود والنصارى ، فانهم يئسوا من ثواب الاخرة وكرامتها كما يئس الكفار الذين قد ماتوا فهم في القبور من الجنة حين رأوا مقعدهم في النار .

٥ - قيل : ان الله تعالى ختم السورة بما بدأها من ترك موالاة الكفار وهي خطاب لحاطب بن أبي بلتعة وغيره .

وعن ابن عباس قال : « يا ايها الذين آمنوا لاتتولوا » أي لا توالوهم ولا تناصوهم رجع تعالى بطولـه فضله على حاطب بن أبي بلتعة يريد ان كفار قريش قد يئسوا من خير الاخرة كما يئس الكفار المقبورون من حظ يكون لهم في الاخرة من رحمة الله تعالى .

أقول: وعلى الاول جمهور المفسرين .

وفي قوله تعالى : « قد يئسوا من الاخرة » أقوال :

١ - عن ابن زيد : اليأس هنا : الحرمان أي قد حرموا من ثواب الاخرة لكفرهم وعنادهم وعصيانهم لانهم يعتقدون انّ ما يفعلونه ويعتقدونه انه باطل لا

ينفعهم فى الاخرة ، فلا يؤمنون بالاخرة ولا يرجون ثوابها .

٢ ـ عن مجاهد : أى قطع رجاؤهم من ثواب الاخرة لعلمهم بمخالفتهم دين الحق .

٣ ـ عن ابن مسعود : أى انهم تركوا العمل للاخرة وآثروا الدنيا .

٤ ـ عن القاسم بن أبى بزة «قد يئسوا» قال : من مات من الكفار يئس من الخير .

٥ ـ عن مجاهد أيضاً وسعيد بن جبير : ان اليهود كذّبوا محمداً صلى الله عليه وآله وهم يعرفون صدقه ، وانه رسول الله صلى الله عليه وآله قد يئسوا من ان يكون لهم فى الاخرة حظّ وخير كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا فى القبور من أن يكون لهم فى الاخرة حظ لانهم قد أيقنوا بعذاب الله .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين وهو الانسب بظاهر السياق .

وفى قوله تعالى : « كما يئس الكفار من أصحاب القبور » أقوال :

١ ـ قيل : أى كيأسهم من يأس موتاهم لاعتقادهم عدم البعث .

٢ ـ عن مجاهد : هم الكفار من أصحاب القبور الذين يئسوا من الاخرة وهم ماتوا ودفنوا فى الارض على كون الكفر بمعنى الستر على العموم ، أوموتى الكافرين فقط كقوله تعالى : «ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » البقرة : ١٦١) .

٣ ـ قيل : أى كما يئس الكفار الذين قدماتوا منهم من خير الاخرة لانهم قدوقفوا على الحقيقة ، وعلموا انه لانصيب لهم فى الاخرة وهم مشركو مكة على كون اللام للعهد .

٤ ـ عن الحسن : أى كما يئس كفار العرب من أن يحيى أهل القبور أبداً.

٥ ـ قيل : أى حالكونهم بعض أصحاب القبور لان أصحاب القبور بعضهم مؤمنون وبعضهم كافرون .

٦ ـ عن مجاهد أيضاً : أى كما يئس الكفار الذين فى القبور أن يرجعوا إلى الدنيا .

٧ ـ قيل : أى كما يئس **الكفار** اذا ماتوا وعاينوا ثوابهم وعقابهم واطلعوا عليهما .

٨ ـ عن ابن عرفة : وهم الذين قالوا : « وما يهلكنا الا الدهر » .

٩ ـ قيل : أى من مات الكفار ، فقد يئس الاحياء منهم أن يرجعوا إليهم موتاهم ، أو يبعثهم الله تعالى .

١٠ ـ عن الحسن وقتادة والضحاك : أى كما يئس الاحياء من الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين .



﴿التفسير والتأويل﴾

١ - (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل).

يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى - لانهم اتخذوا الاصنام آلهة لهم، وجعلوها شركاء لى، وكانوا يعبدونها، وانهم كانوا يردّون دعوتى، ويكذبون بماجاءهم رسولى صلى الله عليه وآله وسلم ولا تتخذوا عدوكم - لايمانكم بالله تعالى وتفديتكم أنفسكم فى سبيل الله جل وعلا وانفاقكم أموالكم لاعلاء كلمة الحق وابطال الشرك، وتحطيم أركان الباطل وقصور الاستبداد - أولياء أصدقاء، أخصاء، أنصاراً، وأعواناً لكم.

ان السياق وان كان بصدد نهى المؤمنين عن اتخاذ المشركين اولياء لهم، ولكن الله تعالى نهاهم فى كثير من الايات القرآنية عن اتخاذهم الكافرين المعتدين المؤذين من المشركين وأهل الكتاب اولياء لانفسهم، وإن كانوا من اباءهم واخوانهم ان استحبوا الكفر على الايمان.

قال الله تعالى: « فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله - يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً » النساء: ٨٩ - ١٤٤).

وقال: « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم

اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين ـ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين » المائدة ٥١ ـ ٥٧) .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون »

التوبة : ٢٣) .

نهيتكم عن هذا الاتخاذ لانكم بالمودة تلقون إليهم أخبار النبى الكريم صلى الله عليه وآله وأسراره ليحموا بذلك من بقى من أرحامكم وأولادكم بمكة بعد خروجكم منها بالمهاجرة إلى المدينة .

وحال كونهم كافرين بماجاءكم الرسول صلى الله عليه وآله من دين الحق مريدين لاطفاء نورالله تعالى .

قال الله تعالى : « يريدون ليطفؤا نورالله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » الصف : ٨ ـ ٩) .

وقوله تعالى : « يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم » حال كون المشركين مخرجين النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل الاضطرار لدعوته الناس إلى دين الحق ، وتحرير الانسانية والمجتمع البشرى من العبودية للاصنام والاحجار ، ومن الانحطاط إلى عبادة الله تعالى وإلى الرقى والكمال ، ومخرجين اياكم أيّها المؤمنون على سبيل الاجبار من مكة والمهاجرة إلى المدينة لايمانكم بالله تعالى ربكم. قال الله تعالى: « وهمّوا باخراج الرسول وهم بدؤكم اوّل مرّة »

التوبة : ١٣

وقال : « الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الاّ أن يقولوا ربنا الله »

الحج : ٤٠) .

نظير قوله تعالى حكاية عن سحرة فرعون : « وما تنقم منا الاّ أن آمنا بآيات ربنا لما جائتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين » الاعراف : ١٢٦) .

وفي أصحاب الاخدود : « وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد »
البروج : ٨) .

وقوله تعالى : « ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي »
أي إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي ومهاجرين لطلب رضاي ، فلا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء لكم .

قال الله : «للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون » الحشر : ٨) .

وقوله تعالى : «تسرون إليهم بالمودة...» تطلعونهم اخبار النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم
في السر بسبب المودة التي بينكم وبينهم ، والحال اني أعلم منكم أيها المسلمون
بما أخفيتموه مما تسرون ، فأي طائل لكم في الاسرار ، وأعلم منكم بما أظهرتموه
من المودة .

فالاخفاء والاعلان والاظهار والابطان عند الله تعالى سواء لاحاطته بما
ظهر وما بطن .

قال الله تعالى : «أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون» .
البقرة : ٧٧) .

وقال : «ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب» .
التوبة : ٧٨) .

وقال : «سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل
وسارب بالنهار» الرعد : ١٠) .

وقوله تعالى : «ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل» : ومن يفعل
هذا الاسرار والاتخاذ ، وإلقاء المودة إليهم منكم أيها المسلمون بعد هذا البيان
وذاك الرشاد ، فقد أخطأ طريق الهدى ، وانحرف عن جادة الرشاد .

نظير قوله تعالى : «ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون» المنافقون : ٩) .
وقوله : «ومن يفعل ذلك يلق اثاماً » الفرقان : ٦٨) .

وقال جل وعلا: «لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء» آل عمران: ٢٨).

وقال: «ومن يتبدّل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل» البقرة: ١٠٨).

٢ - (ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون)

إن يصادفوكم ويظفروا بكم ويتمكّنوا منكم هؤلاء الكفار الذين تسرّون إليهم أخبار النبي صلى الله عليه وآله بسبب المودة التي بينكم وبينهم يكونوا لكم أعداءً فانهم عندئذ يظهرون ما في قلوبهم من العداوة فيعادونكم فلا ينفعكم ما تلقون إليهم، ويبسطوا إليكم أيديهم ويمدّونها بما يقدرون عليه من الضرب والاذى والقتل، ويبسطوا إليكم ألسنتهم بالسوء من الشتم والسب، فيذكرونكم بكل ما تكرهونه، وهم لا يكتفون بذلك فانهم تمنّوا مع ذلك كله أن تكفروا بالله تعالى كما هم كفروا وتجحدوا بآيات الله جل وعلا كما جحدوها، فترجعون إلى دينهم، فتكونوا مثلهم في الكفر، وهذا قصدهم، فلا توادّوهم لان عاقبة مودّة الكافر ومآل صحبة الطاغي هي الكفر والطغيان.

قال الله تعالى: «ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء» النساء: ٨٩).

وقال: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات إن كنتم تعقلون» آل عمران: ١١٨).

٣ - (لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير)

لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم - الذين عصوا الله تعالى وبقوا على الشرك والطغيان ولم يتركوهما ولم يهاجروا معكم، وهم الذين توالون المشركين لاجلهم ليحموا عنهم، ويصونوهم، فجعلتموهم سبباً في القاء المودة إليهم وإفشاء كم

لهم أسرار النبي الكريم صلى الله عليه وآله - يوم القيامة ، فان الله تعالى يفصل يومئذ بينكم وبين هؤلاء الارحام والاولاد اذا كنتم مؤمنين ، وكانوا هم كفاراً فيميز بعضكم عن بعض فلا أنساب يومئذ بينكم ، ولا بعضكم عن بعض يتساءلون تساءل رباط ، ومودة ، فيدخل أهل الايمان والطاعة الجنة ، ويلقى أهل الكفر والعصيان فـي النار .

وأمّا النسب بين المؤمنين فثابت ، وان الخلّة بينهم باقية وهم بعضهم عـن بعض يتساءلون .

قـال الله تعالـى : «ان الذيـن آمنوا والذين هـادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة » الحج : ١٧) .

وقـال : «والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم - وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» الطور : ٢١ - ٢٥) .

وقال : « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين » الزخرف : ٦٧) .

وقال : « كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون» المدثر : ٣٨ - ٤٠) .

قـوله تعالـى : والله بماتعملون بصير » فلايخفى عليه شيء من أعمالكم فيجازيكم عليها ، إن خيراً فخيراً وان شرا فشراً .

قال الله تعالى : « يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية » الحاقة ١٨) .

وقال : « وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » البقرة:٢٨٤)

وقال : « يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء - اليوم تجزى كل نفس بما كسبت » غافر : ١٦ - ١٧) .

٤ - (قدكانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهـيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليـك انبنا واليك المصير)

قد كانت لكم ايها المؤمنون - فى البراءة من المشركين والكفار ومما كانوا يعبدون من دون الله ، واظهار العداوة لهم ماداموا كافرين - اقتداء حسن فى ابراهيم عليه السلام والذين آمنوا به إذ قال ابراهيم وأتباعه لقومهم من أهل الشرك والكفر : انا برءؤا منكم لكفركم ، ومما تعبدونه من دون الله من الاصنام ، تبرأنا منكم ومما تعبدونه ، فلا نعتنى بشأنكم ولا بشأن آلهتكم ، وما أنتم عندنا على شيء .

وقد كان ابراهيم عليه السلام يبرء من مشركى قومه ، ومما كانوا يعبدونه دون الله .

قال الله تعالى : « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون » الانعام : ٧٨) .

وقال : « واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين » الزخرف : ٢٦ - ٢٧) .

وقد برئ الله ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مشركى مكة ومما كانوا يعبدونه قال الله تعالى : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين وان الله مخزى الكافرين - الله برىء من المشركين ورسوله » التوبة : ١-٣) .

وقال : « قل إنما هو إله واحد واننى برئ مما تشركون » الانعام : ١٩) .

وقال : « وانذر عشيرتك الاقربين - فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون » الشعراء : ٢١٤ - ٢١٦) .

وقوله تعالى : « وبدابيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده » وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً ، فلا يكون بيننا وبينكم موالاة فى الدين ، ومخالطة فى المجتمع ، وممازجة فى الاسر ، فانكم على الكفر والشرك ، ونحن على الايمان والاخلاص ، فانقطعت الاخوة والمودة بذلك لامتناع اجتماع الموالاة بين المؤمن المخلص والكافر المشرك ، وامتناع المخالطة بين المطيع المصلح ، والطاغى المفسد - كامتناع اجتماع النور والظلمة ، اجتماع الحق

والباطل، السعادة والشقاء، اجتماع الليل والنهار، وإمتناع إجتماع الضلالة والهدى ... - حتى تؤمنوا بالله تعالى وحده.

نعم:

قد كانت لكم أيها المسلمون قدوة حسنة في قافلة كان ابراهيم عليه السلام قائدها وهي قافلة الايمان اسوة لكم فيه في العقيدة، وفي السيرة وفي التجارب التي عاناها في سيره تحت راية الله تعالى، فتقولون كما قال هو واتباعه من البراءة من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم واظهار البغض والعداوة عليهم ماداموا على الكفر والطغيان، وأنتم على عقيدة الايمان وتحت راية الاسلام، وصفوف المسلمين الا أن يؤمنوا هؤلاء الكفار. ودخلوا على الايمان، وضمّوا بصفوف المسلمين، وخرجوا من صف حزب الشيطان، كما قال: «حتى تؤمنوا بالله وحده».

فلا بد للمسلمين في كل وقت ومكان من العداوة والبغضاء على الكافرين وخاصة اليهود المعتدين المؤذين لان الله تعالى عدوهم، وهم عدو الله تعالى ورسوله والمؤمنين.

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايالونكم خبالا ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قدبينّا لكم الايات إن كنتم تعقلون» آل عمران: ١١٨).

وقال: «من كان عدواً لله و ملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين» البقرة: ٩٨).

وقال: «ان الكافرين كانوا لكم عدواً مبينا» النساء: ١٠١).

وقال: «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا» المائدة: ٨٢)

وقوله تعالى «الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك» فلا تقتدوا أيها المؤمنون بابراهيم عليه السلام في هذا الاستغفار، اذ استغفر لابيه على موعده وعده

اياه رجاء أن يؤمن بالله لا تولياً ، فوعده ابراهيم بالاستغفار .

إذ قال : « سأستغفر لك ربى انه كان بى حفياً» مريم : ٤٧) .

فلما تبين لابراهيم عليه السلام ان أباه عدوالله تعالى تبرأ منه .

قال الله تعالى : « وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه » التوبة : ١١٤) .

وما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يستغفر لكافر ، فلا ينبغى لمومن أن يستغفر لكافر ، فان الله تعالى لايغفر كافراً فالاستغفار له عبث لايفعله مؤمن .

قال الله تعالى : « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم » التوبة : ١١٣) .

وقال : « سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم » المنافقون : ٦)

وقال : « ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم » النساء : ١٦٨) .

وقوله تعالى: « وماأملك لك من الله من شيء » ثم قال ابراهيم عليه السلام لابيه: والحال انى لا املك لك من الله تعالى من شيء إذا أراد عقابك فلا أتمكن دفع ذلك عنك ، كيف وقد قال الله تعالى : « فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعاً » المائدة : ١٧) .

قوله تعالى : «ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا وإليك المصير» .

قال ابراهيم عليه السلام واتباعه : ربنا عليك توكلنا ، واعتمدنا عليك ، وهم عنوا بذلك انا كنا فى موقف من الحياة تتمكن فيه أنفسنا وتدبر فيه امورنا ، أما انفسنا و « اليك انبنا » فرجعنا بها اليك ثم قالوا : و « إليك المصير » عنوابه ان مصير كل شيء من فاعل او فعل إليك ، فقد جرينا فى توكلنا عليك وإنابتنا إليك مجرى ما عليه حقيقة الامر من مصير كل شيء إليك حيث هاجرنا بأنفسنا إليك وتركنا تدبير امور نالك.

قال الله تعالى: «إن الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون» يوسف : ٦٧)

٥ - (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفرلنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم)

قال ابراهيم عليه السلام والذين اتبعوه : ربنا لا تسلط علينا هؤلاء المشركين الكفار ، فيفتنونا عن دينك ، ويصدونا عن سواء السبيل ، ويؤذونا بأنواع الأذى بسبب ايماننا بك ، ورفضنا آلهتهم وتبرينا منهم ، ومما كانوا يعبدونه من دون الله .

نظير قوله تعالى : «وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين» يونس : ٨٤ - ٨٦) .

وقال ابراهيم عليه السلام والذين آمنوا به : اغفر لنا ربنا ما فرط منا فانك أنت الغالب الذى لا يذل من التجأ إليك ، ولا يخيب رجاء من توكل عليك ، وانت الحكيم الذى لا تفعل الا ما فيه حكمة بالغة .

٦ - (لقدكان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد)

لقد كان لكم أيها المؤمنون فى ابراهيم عليه السلام والذين معه قدوة حسنة - فى التبرى من الكفار ، وإن كانوا أقرب الاقرباء ، ومما كانوا يعبدون من دون الله تعالى ، وفى الدعاء والابتهال إلى الله جلّ وعلا - لمن كان يرجو منكم حسن العاقبة - من رضوان الله تعالى وجميل الثواب وجزيل الجزاء ، والنجاة من فزع يوم الاكبر ومن عذاب النار - بالايمان وصالح العمل .

ومن يعرض عن هذه القدوة وذاك الاقتداء بابراهيم عليه السلام والذين معه ، فخرج عن سواء السبيل فقد أخطأ حظ نفسه ، وذهب عما يعود نفعه إليه من غير ضرّ على الله سبحانه ، فانه جل وعلا غنى عن امتثالكم لامره بتبريكم من أعداء الله ، وعن دعائكم وابتهالكم ، وانما انتم منتفعون بذلك ، فالله تعالى غنى فى ذاته عن عباده وعن طاعتهم ، فلا يتعبدهم لحاجته اليهم ، حميد فى صفاته فيما يأمرهم

وينهاهم ، اذ ليس فى ذلك إلا صلاح حالهم وسعادة حياتهم .

قال الله تعالى : «إن تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضاه لكم» الزمر : ٧) .

وقال : «ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعاً فان الله لغنى حميد» . ابراهيم : ٨) .

وقال : «ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين» . العنكبوت : ٦)

٧ - (عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم)

عسى الله جل وعلا أن يجعل بينكم أيها المؤمنون وبين الذين عاديتم من الكفار عدو الله وعدوكم الذين امرتم بمعاداتهم مودة بتوفيق الله تعالى لهم بالايمان ، فيوافقوكم فى الدين .

والله جلّ وعلا قدير على أن يقلب المعاداة مودة كما وقع ذلك لما فتح الله تعالى مكة .

فعلى المؤمنين أن يرجوا الله تعالى أن يبدل معاداة الكفار مودة بقدرته ، محبة بعد بغضة ، ألفة بعد فرقة ، مودة بعد نفرة ، وصداقة بعد عداوة ، فانه جل وعلا قدير على ما يشاء من الجمع بين الاشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة ، فيؤلف بين القلوب بعد الجفاء والقطيعة والقساوة ، فتصبح مجتمعة متفقة كما قال الله تعالى ممتناً على المؤمنين : «واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا» آل عمران : ١٠٣) .

وقال : «هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم» الانفال : ٦٣) .

وقال رسول الله ﷺ : «ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فالفكم الله بى» .

وفي الحديث : « أحبب حبيبك هوناً ما، فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما » .

ونعم ما قال الشاعر :

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لاتلاقيا

والله غفور لمن كان كافراً وعدواً اذا آمن ، رحيم يرحم من تاب وأسلم .

٨ - (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين)

لاينهاكم الله تعالى عن البر والاحسان وحسن التعامل على أساس القسط والعدل إلى الكفار الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ، ولم يعاونوا على إخراجكم ، فان الله جل وعلا يحب أهل القسط والعدل .

٩ - (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)

انما ينهاكم الله تعالى أيها المؤمنون عن أن تولوا الكفار المعتدين المؤذين الذين قاتلوكم في الدين وصدّوكم عن سبيل الله وأخرجوكم من دياركم ، وهم عتاة الكفرة ، وعاونوا على إخراجكم وهم عامة الكفرة الذين يعاضدون رؤسائهم على إطفاء نور الله وابقاء الباطل ، ومن يتخذهم اولياء وانصاراً وأعواناً ، ويودّهم فاولئك هم الظالمون إذ وضعوا مودتهم وولايتهم في غير موضعها ، وخالفوا أمر الله جل وعلا وتمرّدوا عن نهيه .

فلا بد من قتالهم والشدّة والغلظة عليهم كما انهم قاتلوا المؤمنين وأخرجوهم من ديارهم بشدة وغلظة .

قال الله تعالى : « ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرّة قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين - يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم-

يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين » التوبة : ١٣ - ٧٣ - ١٢٣) .

و قال : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » الفتح : ٢٩)

١٠ - (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولاجناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر وسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم)

« يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات » حالكونهن « مهاجرات » من دار الكفر والشرك إلى دار الاسلام « فامتحنوهن » : فاختبروهن صحة دعواهن الايمان بالشهادة ، والحلف بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الايمان .

«الله أعلم» منكم « بايمانهن » لانه جل وعلا هو المطلع على ما في قلوبهن ، وذلك لان الايمان محله القلب ، ولايعلم أحد ما فيه إلا خالقه .

«فان علمتموهن» بالامتحان انهن «مؤمنات فلا ترجعوهن» : فلا تردّوا هؤلاء المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن الكفار ، اذ لسن هؤلاء المؤمنات المهاجرات حلا لهؤلاء الكفار ، ولا الكفار يحلون للمؤمنات ...

«وآتوا» : اعطوا أيها المؤمنون أزواج هؤلاء المؤمنات مثل «ما أنفقوا» إليهن من المهور «ولا جناح» : ولا حرج ولا إثم «عليكم» أيها المسلمون «أن تنكحوهن» هؤلاء المؤمنات المهاجرات «اذا اتيتموهن» : إعطيتموهن «اجورهن» : مهورهن .

ان الله تعالى أباح نكاحهن بشرط المهر بعد ما فرّق بينهن وبين أزواجهن الكفار بالايمان .

« فلا تمسكوا » بعقود الكوافر سواء بقين على الكفر من الكتابية ، وعلى الشرك من المشركة بالاعراض عن الاسلام أم لحقن بالكافرين والمشركين بالارتداد حيث ان الكفر يقطع العلقة الزوجية كما ان الاسلام كذلك ، فلا يجتمع بين كافر ومؤمن .

قال الله تعالى : ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن - ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا - اولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون » البقرة : ٢٢١) .

« واسئلوا » أيها المؤمنون الكافرين المشركين مهور نساءكم اللاتى ارتدن ، ولحقن بهم التى انفقتموها إليهن «وليسئلوا» كم الكافرون والمشركون مهور نساءهم اللاتى هاجرن إليكم التى أنفقوها إليهن .

« ذلكم » أيها المؤمنون حكم الله تعالى « يحكم بينكم » فلاتعتدوه ، فان الله جل وعلا عليم بجميع الاشياء وحكيم فيما يفعل ويأمره به .

١١ - (وان فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فأتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون)

وان انفلت وذهب منكم أيها المؤمنون احدى أزواجكم إلى الكفار فلحقت بهم مرتدة فعاقبتم بمصير أزواج الكفار إليكم ، إما بمجيئهن مؤمنات ، وإما بسبب السبى ، فاعطوا أيها المؤمنون الذين ذهبت أزواجهم من الكفار مثل ما أنفقوه من المهور كما عليهم ان يردوا عليكم مثل ما أنفقتم لمن ذهب من أزواجكم « واتقوا الله » خافوا الله جل وعلا الذى انتم به مصدقون فلا تتجاوزوا عن حدود الله تعالى .

١٢ - (يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم)

وجه مبايعة النساء : هو أخذ العهد عليهن بما يصلح شأنهن في الدين للانفس والازواج ، وكان ذلك فى صدر الاسلام لئلا ينفتق بهن فتق لما صيغ من الاحكام والعهد هو : « على أن لا يشركن بالله شيئاً » من أنحاء الشرك من عبادة الاصنام والاوثان والارباب ، مخلصات له جل وعلا الدين . ويخلين قلوبهن من كل معبود سواه ، « ولا يسرقن » شيئاً من أموال أزواجهن وغيرهم ، « ولا يزنين » فانهن سبيل وحيد فى حفظ عفّة البيت ، وطهارة مواليد الانسال وانما الزنا هى التى تفسدها وبفسادها يفسد المجتمع البشرى .

« ولا يقتلن اولادهن » بوجه من الوجوه بالاسقاط والوأد والاهلاك وغيرها كما كنّ يفعلنّ ذلك فى الجاهلية ، « ولا ياتين ببهتان يفترينه » ولا يلحقن كذباً وبهتاناً بازواجهن غير أولادهم ، « بين أيديهن وأرجلهن » وذلك لان بطونهنّ التى تحملن فيها الولد بين أيديهن ، وحين وضعنه من الفروج التى يلدن منها بين ارجلهن او لان الولد اذا وضعنه سقط بين أيديهن وأرجلهن .

« ولا يعصينك فى معروف » مما أمرتهنّ به من الفرائض وما نهيتهن عنه من المعاصى ، « فبايعهن » بهذه الشروط . . . « واستغفر لهن الله » أن يغفر لهن ذنوبهن ويستر عليهن فيما فعلن فى حال الكفر .

« ان الله غفور » يغفر لمن تاب « رحيم » لمن آمن وعمل صالحاً .

١٣ - (يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور)

« يا أيها الذين آمنوا لاتتولوا قوماً » من اليهود المعتدين المؤذين ،ومن يجرى مجراهم من الفرق الضالة والمسالك الفاسدة « غضب الله عليهم » بكفرهم وعنادهم وطغيانهم وعصيانهم ، فلا تتخذوهم اولياء لكم ايها المؤمنون ، اذ « قد يئسوا من » نعم « الاخرة » وثوابها وكرامتها حيث انقطع رجاءهم بكفرهم وتكذيبهم رسول الله ﷺ على علم منهم انه نبى الله ﷺ « كما يئس الكفار من أصحاب القبور » الذين مضوا من قبلهم ، فهلكوا وصاروا من أصحاب القبور اذ كانوا هم منكرى البعث والحساب والجزاء فانقطع رجاؤهم وانقلب باليأس لان

الرجاء ينقطع بالكفر ، وينقلب يأسا بالعصيان كما تسئلنا العصاة كثيراً ما هل لنانجاة في الاخرة على سبيل قطع الرجاء وطريق الياس .

قال الله تعالى : « لايتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء » آل عمران : ٢٨) .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم الكفار اولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين »

المائدة : ٥٧)

وقال : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » العنكبوت : ٤١) .

وقال : « الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جمعياً » النساء : ١٣٩) .

وقال في اليهود : «قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عندالله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبدالطاغوت اولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل » المائدة : ٦٠) .

وقال : « ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون »

آل عمران : ١١٢)

وقال فيمن جرى مجرى اليهود الاذلاء : ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وسائت مصيراً » الفتح : ٦).

وقال في المأيوسين : « والذين كفروا بايات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب أليم » العنكبوت : ٢٣) .

وقال: «ولاتايئسوا من روح الله انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون»

يوسف : ٨٧)

﴿جملة المعانى﴾

٥١٥١ - (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)

« يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوّكم اولياء » إذ أشركوا بى وكفروا باياتى ، وكذّبوا رسولى ، وعادوكم بسبب ايمانكم بالله تعالى وكتابه ورسوله ﷺ ، فلاتتخذوهم اولياء لكم اذ بالموالاة تخبرونهم أسرار النبى الكريم صلى الله عليه وآله وحالكونهم كافرين برسول الله ﷺ وما جاء بهم من دين الحق وخارجين الرسول ﷺ واياكم لايمانكم بالله تعالى ربكم ، فلا تولوهم «ان كنتم خرجتم جهاداً» مجاهدين فى سبيلى ومهاجرين لطلب رضاى فلا تواد‌ّوهم حتى تطلعوهم أخبار الرسول ﷺ سراً بسبب المودة ، والحال انى أعلم منكم أيها المؤمنون بما اخفيتموه ، وبما اظهرتموه لهم بالمودة ، فمن يفعل ما نهيته عنه فقد انحرف عن طريق الهدى .

٥١٥٢ - (ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون)

إن يظفروا بكم وتمكّنوا منكم يكونوا لكم أعداء ، ويمدّوا إليكم أيديهم بما يقدرون عليه من الضرب والأذى والقتل وينشروا إليكم ألسنتهم بالسوء من

الشتم والسبّ، وتمنّوا أن تكفروا بما آمنتم به.

٥١٥٣ - (لن تنفعكم أرحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير)

لن تنفعكم أرحامكم ولا اولادكم - الذين بقوا على الكفر - يوم القيامة يفصل الله تعالى بينكم وبينهم يومئذ، والله بصير بما تعملون في الحياة الدنيا.

٥١٥٤ - (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذقالوا لقومهم انا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تومنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير)

قد كانت لكم أيها المؤمنون - في البراءة من أعداء الله جل وعلا - قدوة حسنة في ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام والذين آمنوا به إذ قال ابراهيم وأتباعه لقومهم من أهل الشرك والكفر: انا برآؤا منكم لكفركم، ومما تعبدونه من الاصنام والاوثان، تبرّأنا منكم ومنها، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده، فاقتدوا بهم «الاّ قول ابراهيم لابيه» اذ قال له: «لاستغفرن لك» فلا تقتدوا به عليه السلام في ذلك فلا تستغفروا لكافر ولا لمشرك وإن كان قريباً منكم.

ثم قال ابراهيم عليه السلام لابيه: وحالكوني لا أملك لك من الله من شيء اذا أراد عقابك، فلا أتمكن دفع ذلك عنك.

ثم قال ابراهيم عليه السلام وأتباعه: «ربنا عليك توكلنا»: اعتمدنا عليك «وإليك أنبنا»: رجعنا «واليك المصير»: مصير كل شيء.

٥١٥٥ - (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفرلنا ربنا انك انت العزيز الحكيم)

قال ابراهيم عليه السلام واتباعه : ربنا لا تسلّط علينا هؤلاء المشركين فيفتتنونا عن دينك ويصدونا عـن طريق الهدى ويؤذونا بأنواع الاذى بسبب ايماننا بك ، «واغفر لنا ربنا» ما فرط منا «انك انت العزيز» الغالب الـذى لا يغلب «الحكيم» الذى لا تفعل الا ما فيه حكمة بالغة .

٥١٥٦ـ (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد)

«لقد كان لكم» أيها المؤمنون «فيهم» فى ابراهيم عليه السلام والذين اتبعوه «اسوة حسنة» إقتداء حسن ـ فى التبرى من الكفار وان كانوا من قرباكم ومما يعبدون من دون الله ـ لمن كان يرجو منكم حسن العاقبة وثواب الأخرة ، ومن يعرض عن ذلك «فان الله هو الغنى» بذاته عن الحاجة إلى أعمالكم «الحميد» فى صفاته فيما يأمركم به وينهاكم عنه .

٥١٥٧ـ (عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم)

« عسى الله » تعالى « أن يجعل بينكم » أيها المؤمنون « وبين الذين عاديتم منهم » من الكفار « مودة » بتوفيقه جل وعلا لهم بالايمان « والله قدير » على أن يقلب المعاداة مـودة « والله غفور » لمـن تاب و « رحيم » لمن آمن وعمل عملا صالحاً .

٥١٥٨ـ (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين)

« لا ينهاكم الله » جل وعلا عن الاحسان وحسن التعامل على أساس العدل إلى الكفار الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ولم يعاونوا أحداً على إخراجكم « ان الله يحب » أهل القسط والعدل .

٥١٥٩ - (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم و ظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون)

« انما ينهاكم الله » أيها المؤمنون عن أن تولوا الكفار المعتدين الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وعاونوا على إخراجكم ، ومن يتخذهم أولياء « فاولئك هم الظالمون » اذ وضعوا موالاتهم في غير موضعها .

٥١٦٠ - (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم)

« يا ايّها الذين آمنوا اذاجاكم المؤمنات » حالكونهن « مهاجرات » من دارالكفر إلى دار الاسلام « فامتحنوهن » فاختبروهن صحة دعواهن الايمان «الله أعلم » منكم «بايمانهن» لانه تعالى هوالمطلع على مافي قلوبهن «فان علمتموهن» بالامتحان انهن « مؤمنات فلا ترجعوهن » فلا تردّوا المؤمنات إلى أزواجهن الكفار «لاهن حل لهم» : لسن هؤلاء المؤمنات حلا لهؤلاء الكفار ولاالكفار يحلون لهن « وآتوهم » اعطوا الكفار مثل« ما أنفقوا » إليهن من المهور « ولاجناح » : حرج « عليكم » أيها المسلمون «أن تنكحوهن» هؤلاء المؤمنات المهاجرات « اذا آتيتموهن » أعطيتموهن « اجورهن » : مهورهن .

« ولا تمسكوا بعصم الكوافر» بعقود الكوافر التي عقدت حال الكفر وبقين عليه «واسئلوا » الكافرين مثل « ما انفقتم » : انفقتموها إليهن « وليسئلوا » هؤلاء الكافرون مثل «ما انفقوا» مهور نساءهم «ذلكم» أيها المؤمنون « حكم الله يحكم بينكم » فلا تعتدوه « والله عليم » بجميع الاشياء « حكيم » فيما يفعل .

٥١٦١ - (وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذى انتم مؤمنون)

وإن ذهب منكم إحدى أزواجكم الكفار مرتدة ، فعاقبتم بمصير أزواج الكفار إليكم فاعطوهم « مثل ما انفقوا » من المهور « واتقوا الله » خافوا الله « الذى انتم به مؤمنون » .

٥١٦٢ - (يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم)

« يا أيها النبى اذا جاءك المومنات » مهاجرات أوهن وغيرهن « يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا » من أنحاء الشرك « ولا يسرقن » شيئا من أموال أزواجهن وغيرهم « ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن » بوجه من الوجوه « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » ولا يلحقن بأزواجهن غير اولادهم كذباً وافتراء « ولا يعصينك فى معروف » مما أمرتهن به من الفرائض ، وما نهيتهن عنه من المعاصى « فبايعهن » بهذه الشروط .

« واستغفر لهن الله » أن يغفر لهن ذنوبهن ويستر عليهن فيما فعلن فى حال الكفر « ان الله غفور » يغفر لمن تاب « رحيم » لمن آمن .

٥١٦٣ - (يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور)

« يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً » رأسهم اليهود المعتدية « غضب الله عليهم » بكفرهم وشيطنتهم « قد يئسوا من » نعم « الاخرة » وثوابها « كما يئس الكفار من اصحاب القبور » اذ انقطع رجاءهم منها من قبلهم بالكفر والعصيان .

﴿ بحث روائي ﴾

في التوحيد: باسناده عن الاصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل : إن كنت لا تطيع خالقك فلا تأكل رزقه ، وإن كنت واليت عدوه فاخرج من ملكه ، وإن كنت غير قانع بقضاه (برضاه خ) وقدره فاطلب رباً سواه.

وفي الكافي: باسناده عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله جل وعز ، فهو ممن كمل ايمانه .

وفيه: باسناده عن سعيد الاعرج عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أوثق عرى الايمان أن يحب في الله ، ويبغض في الله ، ويعطي في الله ، ويمنع في الله جل وعز.

وفي تفسير القمي : باسناده عن إسحق بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كل من لم يحب على الدين ، ولم يبغض على الدين فلا دين له .

وفي التوحيد : باسناده عن الامام علي عليه السلام في حديث ـ وقد ذكر قوله تعالى : « يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا » قال : والكفر في هذه الاية : البراءة يقول : فيبرأ بعضكم من بعض ونظيرها في هذه ، سورة ابراهيم عليه السلام قول الشيطان : « اني كفرت بما أشركتموني من قبل » وقول ابراهيم خليل الرحمن : « كفرنا بكم » يعني تبرأنا منكم.

وفي الكافي: باسناده عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبدالله عليه السلام قال قلت له : أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عزوجل ، قال : الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه ـ إلى أن قال : والوجه الخامس من الكفر كفر البراءة وذلك قول الله عزوجل يحكي قول ابراهيم : « كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم

العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده » يعنى تبرأنامنكم .

وفى تفسير القمي: عن أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام قوله : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم » فان الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بالبراءة من قولهم ماداموا كفاراً فقال : « لقد كان لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا برءآء مماتعبدون من دون الله ـ إلى قوله ـ والله قدير والله غفور رحيم » الاية قطع الله عز وجل ولاية المؤمنين منهم ، وأظهر لهم العداوة ، فقال : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة » فلما أسلم اهل مكة خالطهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وناكحوهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ام حبيب (حبيبة خ) بنت أبى سفيان بن حرب.

وفى الكافي: باسناده عن اسمعيل بن عباد مرفوعاً عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ما كان من ولد آدم مؤمن الا ّ فقيراً ولا كافر إلا ّ الاغنياء ، حتى جاء ابراهيم عليه السلام فقال : « ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا » فصيّر الله فى هؤلاء أموالا وحاجة ، وفى هؤلاء أموالا وحاجة .

وفى تفسير القمي : فى قوله تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات .. الخ »

قال: قال : إذا لحقت امرأة من المشركين بالمسلمين تمتحن بان تحلف بالله انه لم يحملها على اللحوق بالمسلمين بغض لزوجها الكافر ولاحبّ لاحد من المسلمين وانما حملها على ذلك الاسلام فاذا حلفت على ذلك قبل اسلامها ثم قال الله عزوجل: « فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن ّ حل لهم ولا هم يحلون لهن ّ وآتوهم ماانفقوا » يعنى تردالمسلمة على زوجها الكافر صداقها . ثم يتزوجها المسلم ، وهذا هو قوله : « ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن » .

وفى أسباب النزول للواحدى باسناده عن الزهرى قال : دخلت على عروة بن الزبير وهو يكتب كتاباً إلى إبن هند صاحب الوليد بن عبدالملك يسئله

عن قوله : « يا أيّها الذين آمنوا اذا جاء كم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن » قال : « كتب إليه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صالح قريشاً يوم الحديبية على أن عليهم من جاء بغير إذن وليه ، فلمّا هاجرن النساء أبى الله تعالى أن يرددهن إلى المشركين اذا هن امتحنّ ، فعرفوا أنهنّ إنّما جئن رغبة فى الاسلام برد أصدقائهن إليهم إذا احتبسن عنهم إذا هم ردوا على المسلمين أصدقة من حبسوا من نساءهم قال : وذلك حكم لله يحكم بينكم ، فامسك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النساء ورد الرجال .

وفى الكافى: باسناده عن الفضيل بن يسار قال : قلت لابى عبد الله عليه السلام ان لامرأتى اختاً عازمة على ديننا ، وليس على ديننا بالبصيرة الاّ قليل ، فان زوجها ممن لايرى رأيها ، قال : لا ولا نعمة ، ان الله عزوجل يقول : « ولا ترجعوهن إلى الكفار لاهنّ حل لهم ولاهن يحلون لهنّ » .

وفيه: باسناده عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال : لا ينبغى نكاح أهل الكتاب ، قلت : جعلت فداك وأين تحريمه ؟ قال : قوله : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » .

أقول: ان ظاهر الرواية مبنى على عموم الامساك بالعصم للنكاح الدائم إحداثاً وإبقاءاً ، وأمّا النكاح المنقطع فلا نطاق لها عليه ، سواء قلنا بجوازه ام لا .

وفى تفسير القمى: عن أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله : «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» يقول : من كانت عنده امرأة كافرة يعنى على غير ملة الاسلام ، وهو على ملة الاسلام ، فليعرض عليها الاسلام ، فان قبلت فهى امرأته والاّ فهى برية ، فنهى الله أن يمسك بعصمتها .

وفى مصباح الشريعة: فى خطبة الغدير فيها : «وتقرّبوا إلى الله بتوحيده وطاعة من أمركم أن تطيعوه «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» .

وفى تفسير القمى: فى قوله تعالى : «واسئلوا ما أنفقتم» قال : يعنى اذا لحقت امرأة من المسلمين بالكفار ، فعلى الكافر أن يرد على المسلم صداقها ،

فـان لم يفعل الكافر وغنم المسلون غنيمة ، أخـذ منها قبل القسمة صداق المرأة اللاحقة بالكفار ، وقال فـي قوله : «وان فاتكم شيء من أزواجكم إلـى الكفار فعاقبتم» يقول : يعني يلحقن بالكفار مـن أهل عقدكم فاسئلوهم صداقها ، وإن لحقوا بكم من نساءهم شيء فاعطوهم صداقها« ذلكم حكم الله يحكم بينكم» وأما قوله : «وان فاتكم شيء من أزواجكم» يقول : يلحقن بالكفار الذين لاعهد بينكم وبينهم فأصبتم غنيمة «فاتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون» .

وفي علل الشرائع : باسناده عن يونس عن أصحابه ، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قال : قلت : رجل لحقت امرأته بالكفار ، وقد قال الله عز وجل في كتابه : «وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا» ما معنى العقوبة ههنا ؟ قـال : إنّ الذى ذهبت إمرأته ، فعاقب على امرأة اخرى غيرها يعني تزوّجها ، فاذا هو تزوّج امرأة اخرى غيرها ، فعلى الامام أن يعطيه مهر امرأته الذاهبة ، فسئلته فكيف صار المؤمنون يردّون على زوجها المهر بغير فعل منهم في ذهابها ، وعلى المؤمنين أن يردّوا على زوجها ما أنفق عليها ممـا يصيب المؤمنون ؟ قال : يردّ الامام عليه أصابوا مـن الكفار أولم يصيبوا لانّ على الامام أن يجبر حاجته من تحت يده ، وإن حضرت القسمة فله أن يسدّ كل نايبة تنوبه قبـل القسمة ، وإن بقي بعد ذلك شيء قسمه بينهم وإن لم يبق لهم شيء فلا شيء لهم .

وفي الكافي : باسناده عن أبان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة بايع الرجال ثم جاء النساء يبايعنه ، فانزل الله عز وجل : «يا أيّها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فـي معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم» فقالت هند : أمّا الولد فقد ربينا صغاراً وقتلتهم كباراً وقالت ام حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت عند عكرمة

بن أبي جهل : يا رسول الله ما ذلك المعروف الذى أمرنا الله أن لا نعصينك فيه ؟ قال : لا تلطمن خداً ولا تخمشن وجهاً ولا تنتفن شعراً ولا تشققن جيباً ، ولا تسودن ثوباً ، ولا تدعين بويل ، فبايعهن رسول الله صلى الله عليه وآله على هذا ، فقالت : يا رسول الله كيف نبايعك ؟ قال : إننى لا اصافح النساء ، فدعا بقدح من ماء فادخل يده ثم أخرجها ، فقال : ادخلن أيديكن فى هذا الماء فهى البيعة .

وفيه : باسناده عن رجل عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل : «ولا يعصينك فى معروف» قال : المعروف أن لا يشققن جيباً ولا يلطمن خداً ولا يدعون ويلا ولا يتخلفن عند قبر ولا يسودن ثوباً ولا ينشرن شعراً .

وفيه : باسناده عن عمرو بن أبى المقدام قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : تدرون ماقوله : «ولا يعصينك فى معروف» ؟ قال : قلت : لا قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة : اذا أنامت فلا تخمشى علىّ وجهاً ولا ترخى علىّ شعراً ، ولا تنادى بالويل ، ولا تقيمى على نايحة قال : ثم قال : هذا المعروف الذى أمر الله عزوجل .

وفى تفسير القمى : باسناده عن على بن عبدالله بن سنان قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله : «ولا يعصينك فى معروف» قال : هو ما افترض الله عليهن من الصلاة والزكاة وما امرهن به من خير .

وفى الكافى : باسناده عن المفضل بن عمر قال : قلت لابى عبدالله عليه السلام : كيف ماسح رسول الله صلى الله عليه وآله النساء حين بايعهن ؟ قال : دعا بمركنه الذى كان يتوضى فيها ، فصب فيها ماء ثم غمس يده اليمنى ، فكلّما بايع واحدةمنهن ، قال: اغمسى يدك ، فتغمس كما غمس رسول الله صلى الله عليه وآله يده ، فكان هذا مماسحته اياهن .

أقول : قوله عليه السلام : «بمركنه» المركن : الاجانة التى يغسل فيها الثياب .

وفيه : باسناده عن سعدان بن مسلم قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : أتدرى

كيف بايع رسول الله صلى الله عليه وآله النساء ؟ قلت : الله أعلم وابن رسوله ، قال : جمعهن ثم دعا بتور برام وصب فيه ماء نضوحاً ثم غمس يده فيه ثم قال : اسمعن يا هؤلاء ابايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ، ولا تزنين، ولا تقتلن اولادكن ، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ، ولا تعصين بعولتكن فى معروف اقررتن ؟ قلن : نعم ، فاخرج يده من التور ثم قال لهن : اغمسن أيديكن ، ففعلن ، فكانت يد رسول الله الطاهرة أطيب من أن يمس بها كف انثى ليست له بمحرم .

قوله عليه السلام : «بتور» التور : اناء يشرب فيه «برام» : موضع .

أقول: وما ورد فى الروايات من تفسير المعروف فمن قبيل الاشارة إلى بعض المصاديق .

وفى كنز العرفان للفاضل المقداد قدس سره : روى انه صلى الله عليه وآله وسلم بايعهن على الصفا وكان عمر أسفل منه وهند بنت عتبة متنقبة متنكرة مع النساء خوفاً من أن يعرفها رسول الله فقال : « ابايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً » فقالت هند : انك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال ، وذلك انه بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط .

فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « ولاتسرقن » فقالت هند : ان أبا سفيان رجل ممسك وانى أصبت من ماله هنات فلا أدرى أيحل لى أم لا ؟ فقال ابوسفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهولك حلال ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفها فقال لها : وانك لهندبنت عتبة ، فقالت : نعم فاعف عماسلف يانبى الله عفى الله عنك،فقال: « ولا تزنين » فقالت هند أو تزنى الحرة فتبسّم عمر بن الخطاب لما جرى بينه وبينها فى الجاهلية .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ولا تقتلن اولادكن » فقالت هند : ربّيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً فانتم وهم أعلم ، وكان ابنها حنظلة ابن أبى سفيان قتله على بن أبيطالب عليه السلام يوم بدر ، فضحك عمر حتى استلقى على قفاه ، وتبسّم النبى صلى الله عليه وآله وسلم

ولما قال : « ولا تأتين ببهتان تفترينه » قالت هند : والله ان البهتان قبيح ، وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ، ولما قال : « ولا تعصيني في معروف » قالت هند : ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا ان نعصيك في شيء .

وفي تفسير روح البيان : في قوله تعالى : «ولا يقتلن اولادهن» ان هارون الرشيد زوّج اخته من جعفر بشرط أن لايقرب منها فلم يصبر عنها فظهر حملها فدفنهما هارون حين غضباً عليهما .

وفي تفسير البرهان : بالاسناد عن أبي الجارود زياد بن المنذر عن من سمع عليا عليه السلام يقول : العجب كل العجب بين جمادى ورجب ، فقام رجل ، فقال يا أمير المؤمنين ما هذا العجب الذي لا تزال تتعجب منه ؟ فقال : ثكلتك امك ، وأي العجب أعجب من أموات يضربون كل عدوالله ولرسوله ولاهل بيته ، وذلك تأويل هذه الاية : « يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور » .

فاذا اشتد القتل قلتم : مات وهلك ، وأي وادسلك و ذلك تأويل هذه الاية : « ثم رددنالكم الكرة عليهم وأمددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيراً » .

وفي الاختصاص: في خطبة لمولانا الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام تسمّى بالمحزون ـ إلى أن قال ـ : إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد امتحن الله قلبه للايمان لايعي حديثنا الا حصون حصينة أو صدور أمينة ، أو أحلام رزينة ياعجبا كل العجب بين جمادى ورجب .

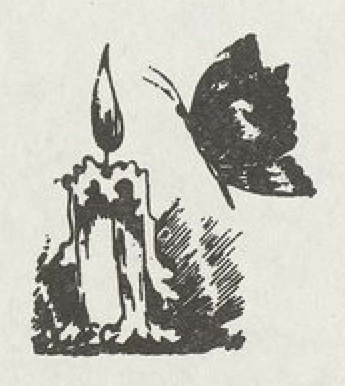
فقال رجل من شرطة الخميس : ما هذا العجب يا أمير المؤمنين ؟ قال وما لي لا أعجب وسبق القضاء فيكم ، وما تفقهون الحديث ، ألا صوتات بينهن موتات ، حصد نبات ونشر أموات ، واعجبا كل العجب بين جمادى ورجب .

قال أيضاً رجل : يا أمير المؤمنين ما هذا العجب الذي لاتزال تعجب منه قال : ثكلت الاخر امه وأي عجب يكون أعجب منه أموات يضربون هام الاحياء

قال : أنى يكون ذلك يا أمير المؤمنين ؟

قال : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ، كأنى أنظر قد تخللوا سكك الكوفة وقد شهروا سيوفهم على مناكبهم ، يضربون كل عدو لله ولرسوله وللمؤمنين وذلك قول الله تعالى : «ياايها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور» .

اقول : وقد كان يقول بعض أصدقائى : ان الروايتين الاخيرتين تنطبقان على تولي حزب البعث زمام السلطة بالعراق خذلهم الله تعالى فيما بين جمادى ورجب فى آخر ساعة من الليلة الاخيرة لشهر جمادى الثانية وقد صاروا فى ايامنا هذه مصيبة بل مصيبات عظيمة على الاسلام والمسلمين جداً .



﴿ بحث فقهي ﴾

واختلف كلمات الفقهاء : ان من كثر تطلّعه على عورات المسلمين، وينبه عليهم، ويعرّف عدوّهم باخبارهم أهو كافر أم لا اذا كان غرضه أمراً دنيوياً، وكان اعتقاده على ذلك سليماً كما فعل حاطب بن أبي بلتعة اذ قصد بعمله اتخاذ اليد، ولم ينو الردة عن الدين ؟

فذهب إلى كل فريق :

ثم اختلف الذين قالوا بعدم الكفر هل يقتل بذلك حدّاً أم لا ؟ فمنهم من قال : اذاكان ذلك عادته قتل لكونه جاسوساً والجاسوس يقتل لاضراره بالمسلمين وسعيه في الارض بالفساد .

ومنهم من قال : اذا كان الجاسوس حربياً يقتل ، وأمّا المسلم والذمّي يعاقبان إلاّ اذا تظاهرا على الاسلام فيقتلان .

أقول: ان المسلم لا يصير كافراً بالتجسّس فعلى الحاكم الشرعي ان يلاحظ عمله وسعيه كماً وكيفاً ، فاذا ثبت تظاهره ، على الاسلام بالجساسة فيقتل لكونه مفسداً في الارض ومحارباً على الله ورسوله ﷺ الاّ اذا تاب قبل أن يقدر عليه.

وفي قوله تعالى: « يا أيّها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن .. » الاية : ١) أحكام :

أحدها ـ اذا قدمت امرأة مهاجرة من دار الكفر الى دار السلام ، وادّعت الايمان يجب أن تختبر لقوله تعالى : « فامتحنوهن » فاذا علم ايمانها فلا يجوز إرجاعها الى دار الكفر لقوله : « فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار» .

ثانيها ـ ان الكافرة اذا آمنت تحرم على الكافر كما ان الكافر اذا آمن

تحرم عليه الكافرة لقولـه تعالـى: «لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن» فيقع فسخ النكاح من غير حاجة إلى طلاق بمجرد الاسلام.

ولكن اختلفت كلمات الفقهاء في عدة الكافرة التى هاجرت إلـى المؤمنين مسلمة ولها زوج كافر في دار الكفر ألها عدّة أم لا ؟.

فمنهم من قال: لهـا عدة الطلاق، فـان أسلم الزوج قبـل انقضاء العدّة فالزوج أحق بها فهى إمرأته.

ومنهم من قال: لا عدة لها فلا تحل له الا بنكاح جديد لقوله تعالى: «ولا جناح عليكم ان تنكحوهن» حيث أباح نكاحها من غير ذكر عـدة الا أن تكون حاملا مع جواز نكاح الخامسة اذا ارتدت إحدى الازواج الاربع أو بقيت في دار الكفر، ويدل عليه قوله تعالى: «ولا تمسكوا بعصم الكوافر».

ومنهم من قال: إن كان قبل الدخول وقـع الفسخ في الحال، وإن كان بعده توقف استقراره على انقضاء العدة فلو أسلم الزوج فـى العدة فهو أحق بها، هذا في غير الكتابيين أمّا هما فان كان الاسلام من الزوج فهو على نكاحه، وإن كان مـن الزوجة فكما تقـدم والتكرار للتاكيد أو الاول للفرقة والثانى لتحريم الاستيناف.

قيل: في قوله تعالى: «لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن» دلالة على ان المؤمنة لا تحل لكافـر، وإن اسلام المرأة يوجب فرقتها مـن زوجها لا مجرد هجرتها لان العلة لعدم الحل هي الاسلام لا اختلاف الدار على ما زعم بعض العامة فملاك انقطاع العلقة الزوجية هو إختلاف العقيدتين لا اختلاف الدارين.

ثالثها: يجب على المسلم ردّ المهر الـذى اعطى المؤمنة المهاجرة اذا زوّجها، وذلك اذا قدمت امرأة من الكفار مهاجرة فآمنت ولها زوج، فجاء في طلبها يجب على الحاكم الشرعى أن يدفع إليه ما سلّمه إليها من مهر خاصّة من بيت المال دون ما أنفقه عليها من مأكل وغيره لقوله تعالى: «آتوهم ما انفقوا».

رابعها: يجوز نكاح المؤمنات المهاجرات لوقوع الفسخ فـى نكاحهن،

ويجب على الزوج المسلم المهر غير ما أخذه الازواج الكافرون من المهور من بيت المال ، فما اتى من بيت المال لا يكفى عن مهر آخر ، لنكاح مستأنف لقوله تعالى : «ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن».

خامسها - لايجوز نكاح الكافرة للمسلم مطلقا منقطعاً ودائماً ، حربية كانت أم كتابية لقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر ».

فى التبيان : قال الشيخ قدس سره فى قوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر» دلالة على انه لا يجوز العقد على الكافرة سواء كانت ذمية أو حربية أو عابدة وثن ، وعلى كل حال لانه عام فى جميع ذلك ، وليس لاحد أن يخص الاية بعابدة الوثن لنزولها بسببهم لان المعتبر بعموم اللفظ لا بالسبب .

سادسها : إن ذهبت إمرأة من المؤمنين مرتدة إلى الكفار فليطلبوا المهر الذى اعطوها اياه كما ان الكفار يطلبون من المؤمنين اذ جاءتهم امرأة منهم لقوله تعالى : «واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما أنفقوا» .

فى الكافى : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال : إن أهل الكتاب وجميع من له ذمّة اذا أسلم أحد الزوجين فهما على نكاحهما وليس له أن يخرجها من دار الاسلام إلى غيرها ولا يبيت معها ولكنه يأتيها بالنهار ، فأمّا المشركون مثل مشركى العرب وغيرهم فهم على نكاحهم إلى انقضاء العدة فان أسلمت المرأة ثم أسلم الرجل قبل انقضاء عدتها فهى إمراته ، وإن لم يسلم الاّ بعد انقضاء العدة فقد بانت منه ، ولا سبيل له عليها وكذلك جميع من لا ذمّة له ، ولا ينبغى للمسلم أن يتزوّج يهودية ولا نصرانية وهو يجد مسلمة حرّة أم أمة .

قال الله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ولامة مؤمنة خيرمن مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم اولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة » البقرة :٢٢١)

﴿ بحث مذهبى ﴾

اختلفت كلمات العلماء فى انّ المعاصى الكبيرة هل تخرج أصحابها من دائرة الايمان أم لا ؟

فذهب إلى كل فريق :

واستدل طائفة على عدم الخروج بما فعل حاطب بن أبى بلتعة من الكبيرة الموبقة التى جائت قصتها فى هذه السورة ، فقالوا : انه لم يقل أحد انه خرج من الايمان بما فعل .

وذهب طائفة إلى أن أصحاب الكبائر مؤمنون بالله تعالى ورسوله واليوم الاخر ، فاسقون بما معهم من كبائر الاثام ، فلا يطلـق عـليهم اسم الايمان ، ولا اسم الفسق بل هم يقيدون فى تسميتهم بكل واحد منهما ، فيمتنع من الوصف لهم بهما اطلاقاً .

وذهب الاخرون إلى خروج أصحاب الكبائر من الايمان مستدلين على ذلك بقوله تعالى : « ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل » السورة : ١) .

اقول: وعليه المحققون من الشيعة الامامية الاثنى عشرية وتؤيده الايات القرآنية والروايات الكثيرة عن طريق ائمة أهل بيت الوحى عليهم السلام :

قال الله تعالى : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فـى قلوبكم ـ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون »

الحجرات : ١٤ـ ١٥)

وقال : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم

آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاًلهم درجات عندربهم ومغفرة ورزق كريم »
(الانفال : ٢ ـ ٤)

وقال : « قد أفلح المؤمنون ـ إلى قوله ـ اولئك هم الوارثون »
(المؤمنون : ١ ـ ١٠)

وغيرها من الآيات الكريمة في وصف المؤمنين حقاً .

وأما الروايات الشريفة فمنها :

ما في الكافي: باسناده عن عبدالرحيم القصير قال : كتبت مع عبدالملك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام أسئله عن الايمان ما هو؟ فكتب إليّ مع عبدالملك بن أعين ؟ سئلت رحمك الله ،عن الايمان ، والايمان : هو الاقرار باللسان وعقد في القلب و عمل بالاركان والايمان بعضه من بعض وهو دار و كذلك الاسلام دار والكفر دار فقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، فالاسلام قبل الايمان وهو يشارك الايمان فاذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي او صغيرة من صغائر المعاصي التي نهى الله عزوجل عنها كان خارجاً من الايمان ساقطاً عنه إسم الايمان ، وثابتاً عليه إسم الاسلام فان تاب واستغفر عاد إلى دار الايمان ولا يخرجه إلى الكفر الا الجحود والاستحلال أن يقول للحلال : هذا حرام وللحرام : هذا حلال ودان بذلك فعندها يكون خارجاً من الاسلام والايمان داخلا في الكفر وكان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه وصار إلى النار .

وفيه : باسناده عن نعمان الرازي قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول :من زنا خرج من الايمان ، ومن شرب الخمر خرج من الايمان ، ومن افطر يوماً من شهر رمضان متعمداً خرج من الايمان .

وفيه : باسناده عن محمد بن حكيم قال : قلت لابي الحسن عليه السلام : الكبائر

تخرج من الايمان ؟ فقال : نعم ومادون الكبائر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يزنى الزانى وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن .

وغيرها من الروايات الواردة لايسعها المقام .

وقد اختلفت الكلمات فى استحالة إجتماع الايمان بالله تعالى والمودّة لعدوّه جل وعلا فى قلب واحد وامكانه .

فذهبت طائفة إلى الامكان من غير دليل يفيد الظن فضلا عن العلم والقطع .

وذهب الاخرون إلى الاستحالة مستدلين على ذلك بقوله تعالى : « وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده » إذ فى كلمتى «أبداً» و « حتى » دلالة على استحالة اجتماع الايمان بالله تعالى والمودة لاهل الكفر والضلال .

ويدل عليها قوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه »
الاحزاب : ٤)

وقوله : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »
الفتح : ٢٩)

وقوله : « لا تجد قوماً يومنون بالله واليوم الاخر يوادّون من حاد الله ورسوله » المجادلة : ٢٢) .

ويستدل على أنّ الكافر يعاقب على ترك الفروع بقوله تعالى : « واستغفر لهن الله » السورة : ٤) .

وان الاسلام يسقط الا ثم عنه .

ويستدل على وجوب التولى والتبرآء بقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء ـ قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انابرءؤا منكم ومما تعبدون ـ حتى تؤمنوا بالله وحده ـ يا أيها الذين آمنوا لاتتولوا قوماً غضب الله عليهم » الممتحنة : ١ ـ ٤ ـ ١٣)

﴿ لا يتخذ المؤمن كافراً ولياً له ﴾

قال الله ، تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء » الممتحنة : ١)

الاولياء : جمع الولى من الولاية وهى فى الاصل : ملك تدبير أمر الشيء ، فولى الصغير هو الذى يملك تدبير اموره وأمر أمواله ، فالمال له ، وتدبير أمره لوليه ، ثم كثر استعماله فى مورد الحب لكونه يستلزم غالباً تصرف كل من المتحابين فى امور الاخر لافضائه إلى التقرب والتأثر عن إرادة المحبوب وسائر شئونه الروحية ، فلايخلو الحب عن التصرف المحبوب فى امور المحب فى حياته .

فاتخاذ الكافرين اولياء هو الامتزاج الروحى بهم بحيث يؤدّى إلى مطاوعتهم والتأثر منهم فى العقيدة والاخلاق ، وسائر شئون الحياة وتصرفهم فى ذلك ، والاتصال بهم والانفصال عن المؤمنين لاستحالة اجتماع صفتى الكفر والايمان ، واستحالة اجتماع الحب لله تعالى ولعدوه فى قلب واحد .

فمن يوالى الكافر فليس من ولاية الله تعالى فى شيء يقع عليه اسم الولاية، فانه منسلخ عن ولاية الله تعالى لتنافى موالاة الولى وموالاه عدوّه .

قال الله تعالى : « ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل » الممتحنة : ١) .

وهذا تحذير يكون فى صورة شاملة خالدة ما تزال نرى مصداقها فى كل وقت من زمن النبى الكريم صلى الله عليه وآله إلى اليوم ، وفى كل أرض صورة رسمها القرآن المجيد ، فغفل عنها المسلمون ، فأصابهم من غفلتهم كيد

عدوهم ، وما يزال يصيبهم الشر والاذى والهوان لـهذه الموادة من غير تصور عاقبة السوء تصيبهم من قريب ، لان الاعداء لا يريدون للمسلمين الا الاضطراب والخبال والكيد ، والمسلمون فـي غفلة عن تنبيه ربهم من التحذير عنهم مـع ظهور جاسوسيتهم علينا وخيانتهم في ديننا ودنيانا .

ولكنا لانفيق مع انكشاف مكيدتهم مرة بعد اخرى فلا نعتبر ، بل نفتح لهم قـلوبنا حتى نقعد لارضائهم عن شعائرنا ، ومـن هنا يحل على المسلمين جزاء المخالفين عن أمر الله تعالى ، فنذل ونضعف فيسر أعدائنا .

ولعمري لولم نتق كيد الكافرين ، ولم ندفع عنا أذاهم فلانجاة لنا من الشر الذي تكنه صدورهم ، وان التاريخ أعدل شاهد بأن ما استمسك المسلمون بحبل الله تعالى وحده الا وقاهم الله جل وعلا من كيد أعدائهم ونصرهم عليهم ، وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الباطل هي السفلى ، وبان ما تولى المسلمون الكافرين وما اتخذوا منهم بطانة واصدقاء ومستشارين الا جاءهم الذل والهوان ، ومكن لاعداءهم فيهم ، وأذل رقابهم فأذاق وبال أمرهم.

فلا بد لكل مسلم ان يعلم أن سنة الله لا تتبدل ، فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها .

فكل ما يحيط بنا من الحوادث في تلك الايام ... يدعو إلى التأمل الزائد في مصير الممالك الاسلامية وعدوان الصهيونية بتوأميها الاشتراكية الشرقية والرأسمالية الغربية ، وقد اهملت هذه الممالك الاسلامية النظرة في أمر تنظيم مرافقها الحيوية، فتباعدت عن تعاليم الـدين الاسلامي الحنيف القاضية بتوحيد الجهود ، لمناوأة الخطط الهجومية الموجهة رأساً إلى صميم هذه الممالك ، وحقاً ما نشهده اليوم من التنازع بين الدول الكبرى يكون أكبر حافز على وجوب تأليف (الجبهة الاسلامية) او (الوحدة الاسلامية) مـن غير مودة لمن يستميل إليهم بالحيل والخداع ...

﴿المودة وحقيقتها﴾

قال الله تعالى : «يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدو كم اولياء تلقون إليهم بالمودة ـ ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل» الممتحنة : ١) .

لا بد لنا في المقام من البحث في المودة وحقيقتها وما تجوز وما لا تجوز :
ان المودة هي الصلة والوصلة والربط القلبي التي تحصل بامور :

منها : المودة الحاصلة بالنسب يشير إليها قوله تعالى : «تسرّون إليهم بالمودة ـ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولاد كم» الممتحنة : ١ ـ ٣) .

ومنها : المودة الحاصلة بوحدة العقيدة والسلوك حقا كانت أم باطلة يشير إليها قوله تعالى : «وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ـ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة» الممتحنة : ٤ ـ ٧) .

وقوله : «ودّوا لو تكفرون» الممتحنة : ٢) .

وقوله : «ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء» النساء : ٨٩) .

وبالدين الحق والايمان يحصل بين المؤمنين اخوة دينية وتدوم وغيرها تنفصم عروتها من قريب جداً .

قال الله تعالى : «انما المؤمنون اخوة» الحجرات : ١٠) .

وقال : «الاخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين» الزخرف : ٦٧)

وقال : «وقال انما اتخذتم من دون الله اوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً» العنكبوت : ٢٥) .

ومنها : المودة الحاصلة بالزواج يعيش بها الزوجان عيشاً هنيئاً كقوله تعالى : «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم

مودة ورحمة» الروم : ٢١) .

ومنها : المودة الحاصلة بأعراض الدنيا كقوله تعالى : «ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم يكن بينكم وبينه مودّة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزاً عظيماً» النساء : ٧٣) .

في نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام في خطبة ـ : «والمودة قرابة مستفادة»

وفيه : في خطبة اخرى ـ قال عليه السلام : «مودّة الاباء قرابة بين الابناء ، والقرابة أحوج إلى المودة من المودة إلى القرابة» .

أقول : ان القربى محتاجة إلى المودة ، والمودة مستغنية عن القربى ولا خير في القرابة دون مودة .

وقد قال القائل لما قيل له : أيّما أحب إليك ؟ أخوك أم صديقك ؟ فقال : انما أحب أخي اذا كان صديقاً .

وفي تحف العقول : قال الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام : «اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك» .

وفي الكافي : باسناده عن حماد بن عثمان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : انظر قلبك فاذا انكر صاحبك فان أحد كما قد أحْدث .

أقول : ولعل المراد : انه اعلم أن صاحبك أيضاً يبغضك وسبب البغض إما شيء من قبلك أو توهم فاسد من جانبه .

وفيه : باسناده عن صالح بن الحكم قال : سمعت رجلا يسئل أبا عبدالله عليه السلام فقال : الرجل يقول : اودّك فكيف اعلم انه يودّني ؟ فقال : إمتحن قلبك فان كنت تودّه فانه يودّك .

وفيه : باسناده عن الحسن بن الجهم قال : قلت لابي الحسن عليه السلام : لا تنسني من الدعاء قال : او تعلم اني انساك ؟ قال : فتفكّرت في نفسي ، وقلت : هو يدعو لشيعته وانا من شيعته ، قلت : لا ، لا تنساني ، قال : و كيف علمت ذلك ؟ قلت : إني من شيعتك وانك لتدعو لهم ، فقال : هل علمت بشيء غير هذا ؟ قال :

قلت : لا ، قال : اذا اردت ان تعلم مالك عندى فانظر إلى ما لى عندك .

اقول : وهذا يدل على غاية شأن الرجل وكمال تقربه عند الرضا عليه السلام .

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : «اذا شككت فى مودّة انسان فاسئل قلبك عنه» .

وفيه : قال عليه السلام : «زهدك فى راغب فيك نقصان حظّ ، ورغبتك فى زاهد فيك ذل نفس» .

اى نقصان حظ لك ، وذلك لانه ليس من حق من رغب فيك ان تزهد فيه لان الاحسان لا يكافأ بالاساءة ، وللقصد حرمة ، وللامل ذمام ، ومن طلب مودّتك فقد قصدك ، وامّلك فلا يجوز رفضه وإطّراحه ، والزهد فيه ، واذا زهدت فيه ، فذلك لنقصان حظك لا لنقصان حظّه ، فاما رغبتك فى زاهد فيك فمذلة ، لانك تطرح نفسك لمن لايعبأ بك وهذا ذل وصغار .

وقال العباس بن الاحنف فى نسيبه وكان جيّد النسيب :

ما زلت أزهد فى مودّة راغب حتى ابتليت برغبة فى زاهد

هذا هو الداء الذى ضاقت به حيل الطبيب وطال يأس العائد

أى ما زلت عزيزاً حتى أذلّنى الحب .

وفيه : فى خطبة ـ قال عليه السلام : « صدر العاقل صندوق سرّه ، والبشاشة حبالة المودّة » .

يقال : انّ البشر يدلّ على السخاء من ممدوحك ، وعلى الودّ من صديقك دلالة النور على الثمر ، ودلالة النور على القمر .

ويقال : ثلاث تبين لك الودّ فى صدر أخيك : تلقاه ببشرك ، وتبدؤه بالسلام ، وتوسّع له فى المجلس .

وفى الكافى: باسناده عن السكونى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاث يصفين ودّ المرء لاخيه المسلم : يلقاه بالبشر اذا لقاه ، ويوسّع له فى المجلس اذاجلس إليه ، ويدعوه بأحب الاسماء إليه .

﴿ بحث روائي في موادة المؤمنين ﴾

ان الروايات الواردة في المقام كثيرة نشير إلى نبذة منها :

١ - في تحف العقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ودّ المؤمن المؤمن في الله من أعظم شعب الايمان ، ومن أحب في الله ، وأبغض في الله ، وأعطى في الله ، ومنع في الله ، فهو من الاصفياء » .

٢ - وفيه : قال الامام علي بن الحسين عليهما السلام : « نظر المؤمن في وجه أخيه المودة للمودة والمحبة له عبادة » .

٣ - وفيه قال الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام : « ألا أنبئكم بشيء اذا فعلتموه يبعد السلطان والشيطان منكم ؟ فقال أبو حمزة : بلى ، أخبرنا به حتى نفعله ، فقال عليه السلام : عليكم بالصدقة فبكروا بها ، فانها تسود وجه ابليس وتكسر شرة السلطان الظالم عنكم في يومكم ذلك ، وعليكم بالحب في الله والتودد والموازرة على العمل الصالح ، فانه يقطع دابرهما - يعني السلطان والشيطان - وألحوا في الاستغفار فانه ممحاة للذنوب » .

٤ - في الكافي : باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله . التودّد إلى الناس نصف العقل .

٥ - وفيه : باسناده عن سليمان بن زياد التميمي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال الحسن بن علي عليهما السلام : القريب من قربته المودّة وإن بعد نسبه ، والبعيد من بعدته المودة وإن قرب نسبه ، ولا شيء أقرب إلى شيء من يد إلى جسد وإن اليد تغل فتقطع ، وتقطع فتحسم .

اقول: قوله عليه السلام : «تغل» الغلول : الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة ،

وكل من خان فى شىء خفية ، فقد غل وسمى غلولا لان الايدى فيها مغلولة مجعول فيها غل .

وقوله عليه السلام : «فتحسم» حسمه : قطع الدم عنه بالكى ، ومنه الحديث : انه اتى بسارق فقال : اقطعوه ثم احسموه اى اقطعوا يده ثم اكووها لينقطع الدم منها .

ولعل المراد بالتشبيه مجرد التنبيه على انه لا اعتماد على قرب القريب فانه قد يبعد او من حيث ان يد السارق عدوه ، خائنة لصاحبها ، فمع غاية القرب تقطع ويحسم موضعها لئلا يعود او يحفظ الدم لمودته بالحسم او المعنى ان الانسان عدو يده ، فيصير سبباً لقطعه .

فالقرب الجسمانى لا وثوق به ولا بقاء له ، وانما الباقى النافع هو القرب الروحانى لا يحصل الا بالايمان ودين الحق .

ألاترى إلى قرب اليد الصورى من الجسد كيف يتبدل بالبعد الصورى الذى لايرجى عوده إلى القرب لا كتواءِ محلها المانع لها من المعاودة ، وذلك بسبب خيانتها التى هى البعد المعنوى .

٦ ـ فى الخصال : عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قال أميرالمؤمنين عليه السلام فى وصيته لابنه محمد بن الحنفية : ألزم نفسك التودد ، وصبر على مؤنات الناس نفسك . الحديث ..

٧ ـ فى عيون الاخبار باسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : التودد نصف الدين ، واستنزلوا الرزق بالصدقة .

٨ ـ فى نهج البلاغة : قال الامام عليه السلام : « التودد نصف العقل » .

٩ـ فى احقاق الحق : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : «مودة يوم صلة ، ومودة سنة رحم ماسة ، من قطعها قطعه الله عزوجل » .

١٠ ـ من غرر حكم الامام على عليه السلام : « الوفاء كرم ، المودة رحم »

وعنه عليه السلام : « العلم زين الحسب ، المودة أقرب نسب » .

١١ - فى تفسير العياشى : عن عمار بن سويد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وآله لاميرالمؤمنين عليه السلام فى آخر صلاته رافعاً بها صوته يسمع الناس يقول : اللهم هب لعلىّ المودة فى صدور المؤمنين ، والهيبة والعظمة فى صدور المنافقين ، فانزل الله : « ان الذين آمنوا - إلى قوله - ودّا » قال : ولاية أمير المؤمنين هى الودّ الذى قال الله : « وتنذربه قوماً لداً » .

١٢ - فى تحف العقول : قال الامام محمد بن على الباقر عليه السلام : الايمان حبّ وبغض .

ومن حكم (هرمس العظيم) انه قال : « مودة الاخوان لا تكون لرجاء منفعة ، أو لدفع مضرّة ، ولكن لصلاح فيه ، وطباع له » .

وقال : الاخاء الدائم الذى لا يقطعه شيء اثنان : أحدهما - : محبة المرء نفسه فى امر معاده وتهذيبه اياها فى العلم الصحيح والعمل الصالح ، والاخر : مودته لاخيه فى دين الحق : فان ذلك مصاحب أخاه فى الدنيا بجسده ، وفى الاخرة بروحه .

١٣ - وفى التحف : قال محمد بن على عليه السلام : « من استفاد أخاً فى الله على ايمان بالله ووفاءاً باخائه طلباً لمرضات الله ، فقد استفاد شعاعاً من نور الله ، وأماناً من عذاب الله ، وحجة يفلج بها يوم القيامة ، وعزاً باقياً ، وذكراً نامياً لان المؤمن من الله عزوجل لا موصول ولا مفصول ، قيل له عليه السلام : ما معنى لامفصول ولا موصول ؟

قال : لا موصول به انه هو ولا مفصول منه انه من غيره .

١٤ - فى كنز الفوائد قال الامام على عليه السلام : « ابذل لصديقك كل المودة ولا تبذل له كل الطمأنينة ، وأعطه كل المواساة ، ولا تفض إليه بكل الاسرار ، توفّى الحكمة حقها ، والصديق واجبه » .

١٥ - وفيه : قال عليه السلام : لا يكون أخوك أقوى منك على مودته ، والبشاشة مخّ المودة .

١٦ ـ وفيه : قال رسول الله : اذا آخى أحدكم رجلا فليسئله عن اسمه واسم أبيه وقبيلته ومنزله ، فانه من واجب الحق وصافى الاخاء والاّ فهى مودّة حمقاء .

١٧ ـ وفى أمالى الصدوق رضوان الله عليه قال الامام جعفر بن محمد عليه السلام لبعض أصحابه : لا تطلع صديقك من سرّك الاّ على مالو اطلع عليه عدوّك لم يضرّك ، فان الصديق قد يكون عدوّك يوماً ما .

١٨ ـ وفى أمالى الطوسى قدس سره باسناده عن الصادق عن أبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل.

١٩ ـ فى البحار : باسناده عن عبدالمؤمن الانصارى قال : سئل عن الرضا عليه السلام ما حق المؤمن على المؤمن ؟ فقال : ان من حق المؤمن على المؤمن المودة له فى صدره والمواساة له فى ماله ، والنصرة له على من ظلمه .



﴿ كلمات قصار في المودة ﴾

غرر حكم ودرر كلم عن الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على عليه السلام نشير إلى نبذة منها :

١ ـ قال الامام على عليه السلام : الاخوان فى الله تعالى تدوم مودتهم لدوام سببها .

٢ ـ « « « « : الاخوان فى الدنيا تنقطع موداتهم لسرعة انقطاع أسبابها .

٣ ـ « « « « : المودة تعاطف القلوب وائتلاف الارواح .

٤ ـ « « « « : الحاسد يظهر ودّه فى أقواله ، ويخفى بغضه فى أفعاله ، فله اسم الصديق وصفة العدو .

٥ ـ « « « « : اياك ومودة الاحمق فانه يضرّك من حيث يرى انه ينفعك ، ويسوؤك وهو يرى انه يسرّك .

٦ ـ « « « « : أقرب القرب مودات القلوب .

٧ ـ « « « « : أفضل الناس منّة من بدأ بالمودة .

٨ ـ « « « « : أصدق الاخوان مودة أفضلهم لاخوانه فى السراء مساواة وفى الضراء مؤاساة .

٩ ـ « « « « : أشرف الشيم رعاية الود .

١٠ ـ « « « « : اذا وثقت بمودة أخيك فلا تبال متى لقيته ولقيك .

١١ ـ « « « « : بالتودد تكون المحبة .

١٢ ـ « « « « : بحسن العشرة تدوم المودة بالرفق تتم المروّة .

١٣ ـ « « « « : بالتودد تأكد المحبة .

١٤ ـ « « « « : حسن العشرة تستديم المودة .

١٥ ـ « « « « : حسد الصديق من سقم المودة

١٦ ـ « « « « : خير الاختيار موادة الاخيار .

١٧ ـ « « « « : خير الاخوان من كانت فى الله مودته .

١٨ ـ « « « « : خلوص الود والوفاء بالوعد من حسن العبد .

١٩ ـ « « « « : اخلص لو دودك تحفظ الاخوة وتحرز المودة .

٢٠ ـ « « « « : سلوا القلب عن المودات، فانها شواهد لا تقبل الرشا .

٢١ ـ « « « « : المعروف حسب ، والمودة نسب .

٢٢ ـ « « « « : المودة لله أقرب نسب .

٢٣ ـ « « « « : المودة أحد القرابتين .

٢٤ ـ « « « « : المودة فى الله آكد الشيئين .

٢٥ ـ « « « « : المودة فى الله آكد من وشيج الرحم .

٢٦ ـ « « « « : أحسن المرؤة حفظ الود .

٢٧ ـ « « « « : أحق الناس أن يؤنس به الودود المألوف .

٢٨ ـ « « « « : أسرع المودات إنقطاعاً مودات الاشرار .

٢٩ ـ « « « « : صحة الود من كرم العهد .

٣٠ ـ « « « « : على الانصاف ترسخ المودة .

٣١ ـ « « « « : الودود ونقض العهود . أى إيّاك

٣٢ ـ « « « « : قلما تدوم مودّة الملوك والخوان .

٣٣ ـ « « « « : فلما تنجح حيلة العجول أو تدوم مودة الملول .

٣٤ ـ « « « « : من أبان لك عن عيبك فهو ودودك .

٣٥ ـ « « « « : من استقصى على صديقه انقطعت مودته .

٣٦ ـ « « « « « : من تتبع خفيات العيوب حرمه الله مودات القلوب .

٣٧ ـ « « « « « : من اتخذ أخاً بعد حسن الاختبار دامت صحبته وتأكدت مودته .

٣٨ ـ « « « « « : ما أخلص المودة من لم ينصح .

٣٩ ـ « « « « « : مودة الاباء نسب بين الابناء ، مودة ذوى الدين بطيئة الانقطاع دائمة الثبات والبقاء .

٤٠ ـ « « « « « : مودة الاحمق كشجرة النار يأكل بعضها بعض ، مودة أبناء الدنيا تزول لادنى عارض يعرض مودة الحمقى تزول كما يزول السراب وتقشع كما يقشع الضباب .

٤١ ـ « « « « « : لا ترغبن فى مودة من لم تكشفه .

٤٢ ـ « « « « « : لا تعتمد على مودة من لا يوفى بعهده .

٤٣ ـ « « « « « : لا تصحب المائق ، فيزين لك فعله ويودانك مثله .

٤٤ ـ « « « « « : لا مودة لحقود .

٤٥ ـ « « « « « : لا يحول الصديق الصدوق عن المودة ، وإن جفا ولا ينتقل الودود الوفى عن حفاظه وإن اقصى .

٤٦ ـ « « « « « : لا تدوم على عدم الانصاف المودة .

٤٧ ـ « « « « « : العتاب حياة المودة .

٤٨ ـ « « « « « : البشاشة حبالة المودة .

٤٩ ـ « « « « « : التودد إلى الناس رأس العقل .

٥٠ ـ « « « « « : إخوان الدين أبقى مودة .

٥١ ـ « « « « « : المودة أقرب رحم .

٥٢ ـ « « « « « : الصديق أفضل عداوة وأبقى مودة .

٥٣ ـ « « « « « : اياك ان تحرج صديقك احراجاً تخرجه عن

مودتك واستبق له من انسك موضعاً يثق بالرجوع إليه .

٥٤ـ « « « « « : اياك ان توحش مـوادك وحشة تفضى بـه إلى اختياره البعد عنك وايثار الفرقة .

٥٥ـ « « « « « : اول العقل التودد .

٥٦ـ « « « « « : اول المروءة طلاقة الوجه وآخرهـا التودد إلى الناس .

٥٧ـ « « « « « : ان استنمت إلى ودودك ، فاحرز معه امرك ، واستبق له من سرك ما لعلك ان تندم عليه وقتاما ان لم تودع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهة سمت بك الاهواء إلى كثير من الضرر .

٥٨ـ « « « « « : تحل باليأس فيما فى ايدى الناس تسلم من غوائلهم وتحرز المودة منهم .

٥٩ـ « « « « « : راس العقل التودد إلى الناس .

٦٠ـ « « « « « : رب متودد متصنّع .

٦١ـ « « « « « : واستعملت المودة باللسان ، وتشاحنوا بالقلوب .

٦٢ـ « « « « « : كل مودة مبنية على غير ذات الله ضلال ، والاعتماد عليها محال .

٦٣ـ « « « « « : من خلصت مودته احتملت دالته .

٦٤ـ « « « « « : من لم يكن مودته فـى الله فاحذره ، فان مودته لئيمة وصحبته مشومة .

٦٥ـ « « « « « : مـن حسنت نيته كثرت مثوبته ، وطابت عيشته ووجبت مودته .

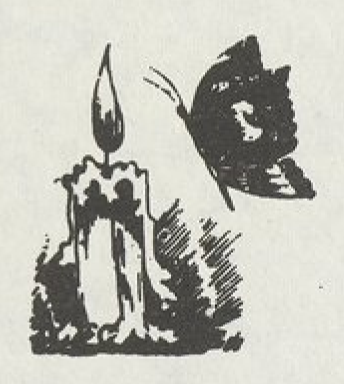
٦٦ـ « « « « « : مودة العوام تنقطع كانقطاع السحاب ، وتنقشع كما ينقشع السراب .

٦٧ ـ « « « « : وادّوا من توادّونه فى الله ، وابغضوا من تبغضونه فى الله سبحانه .

٦٨ ـ « « « « : ولا تمنحن ودّك من لا وفاء له .

٦٩ ـ « « « « : لا تطمعن فى مودة الملوك فانهم يوحشونك آنس ما تكون بهم ، ويقطعونك اقرب ما تكون إليهم .

٧٠ ـ « « « « : لا شفيق كالودود الناصح .



﴿ موادة الكفار وتنمية الذئاب ﴾

ان الله تعالى نهى المؤمنين عن موادة الكافرين وموالاتهم بمواضع عديدة من كتابه الكريم، حتى منع التواد بين الاب والابن، وبين الاخوة ما دام بعضهم على الكفر والاخرون على الايمان إذ قال: «يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم اولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون» التوبة: ٢٣).

وذلك لعلل اهمها تأثير العقيدة الباطلة وفساد العمل من الكافر على المؤمن لكيد الكافر وخداعه وصدق المؤمن ولتهيىء الانسان في إنجذابه إلى الشر والفساد، وإلى الكفر والباطل، وإلى الضلالة والطغيان .... أكثر من انجذابه إلى الخير والصلاح، وإلى الايمان والحق، والى الهدى والطاعة ..

وحين تاثر المسلم يستولي عليه الكافر، فاذاً يذهب بدينه ودنياه معاً من غير فرق في ذلك بين فرد وفرد ولا بين اسرة واسرة، ولا في بين جماعة وجماعة، او بين مملكة ومملكة ...

ولقد راينا في ايامنا كيف تأثر الامراء والوزراء والرعايا بموادة الكفار، فاستولوا عليهم، فذهبوا بمعادتهم وزخارفهم، وهم في غفلة ونوم ارنب، فاضطربت عقيدتهم، وكانوا يتلونون بألوان ويتشكلون باشكال تقليداً عمياء من اعداءهم يزعمون انها السعادة، وانها العزة، وانها الانسانية، وانها الحرية، وانها الرقي، وماكانت الا الهمجية والبهيمية ...

وان الكفر والايمان شيئان متضادان لا يجتمعان أبداً: كالنور والظلمة ،

النار والماء ، الطهارة والنجاسة ، الحق والباطل ، الليل والنهار ، وكالسواد والبياض . . فاذا كان بين الوصفين تضاد فكيف أصحابهما ؟ وحقاً ان موالاة الكفار وموادتهم تنمية ذئاب ، فاذا تنمو تصيد الاغنام ، وتأكل الاصحاب .

ولقد ظهرت آثار تلك الموادة والموالاة من الكفار على فرقهم فى بلاد المسلمين إذ فسدت دنياهم وآخرتهم حتى فى بلاد اديان قديمة كالهند وقد جاء فى جرائد مصرية يوم ٢ فبراير سنة (١٩٣٢) م ملخصاً : « ان الكتلة الوطنية هناك قائمة بحركة العصيان المدنى أى انهم لايريدون يشتروا شيئاً من تجار الانجيلز ، والانجليز يذيقون الهند العذاب الشديد ، ولكن هؤلاء لايبالون بما يصيبهم حفظاً لحريتهم وحباً لبلادهم .

وقدزاد الانجيلز عليهم الظلم ، فامروا بالاخذ بمجرد الشبهة بدون تحقيق إلى أن قال : وهذا السلاح الاقتصادى الوحيد هو الذى يشجع الكثيرين على الاعتقاد ان أشد الحكومات ارهاباً وسطوة لابد وأن تحنى رأسها فى النهاية امام الحركة الوطنية الهندية حتى ان الذين يعتقدون بان مذهب غاندى خشن قديم، ويرجع إلى عدة أجيال ازاء التقدم العصرى أصبحوا الان من ساخطين من أساليب الحكومة المصرية » .

فلا يمكن الجمع بين مودّة أحد ومحبة عدوّه :

نعم ما قال الشاعر :

تودّ عدوّى ثم تزعم اننى صديقك ان الرأى عنك لعازب

قال الله تعالى : « لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء » آل عمران : ٢٨) .

فى البحار : بالاسناد عن محمد بن على الباقر عليه السلام فى حديث ـ قال لقمان لابنه : « وكماليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ، من يقترب من الزفت يعلق به بعضه كذلك ليس من يشارك الفاجر يتعلّم من طرقه » .

﴿ في استحالة المودتين في قلب واحد ﴾

ومن المستحيل أن تجتمع حب الله تعالى ومودة عدوه في قلب واحد، وذلك لان القلب هو معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الانساني وهو منبع القوى بأسرها، ومدبر البدن باذن الله جل وعلا، وذلك يمنع التعدد، قال الله تعالى: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» الاحزاب: ٤).

فكما يمتنع المديران في دار واحد والمدبران في قرية واحدة لتدبير الاسرة والقرية، ويمتنع سلطانان في مملكة واحدة وإلهان في العالم، فكذلك تحتاج الاعضاء الانساني والبدن إلى مدبر يحكم عليها، وهو واحد بالضرورة فلكل انسان قلب واحد لابد له من منهج واحد يسير عليه، ولا بدله من تصور كلي واحد للحياة وللوجود يستمدّ منه ولا بدله من ميزان واحد يزن به القيم ويقوّم به الاحداث والاشياء، والا تمزّق وتفرق ونافق والتوى ولم يستقم على اتجاه.

فلا يملك الانسان أن يستمد آدابه وأخلاقه من معين ويستمد شرائعه وقوانينه من معين آخر، ويستمد أوضاعه الاجتماعية أو الاقتصادية من معين ثالث، ويستمد فنونه وتصوراته من معين رابع من غير رجوع الكل إلى الواحد المعيّن.

فهذا الخليط لا يكوّن للانسان قلباً انما يكون مزقاً وأسلاء ليس لها قوام، وصاحب العقيدة لا يملك أن تكون له عقيدة حقاً ثم يتجرد من مقتضياتها، وقيمها الخاصة في موقف واحد من مواقف حياته كلها صغيراً كان هذا الموقف أم كبيراً.

فلا يملك أن يقول كلمة أو يتحرك حركة أو ينوى نية أو يتصور تصوراً غير محكوم في هذا كله بعقيدته إن كانت هذه العقيدة حقيقة واقعة في كيانه لان

الله تعالى لم يجعل لـه سوى قلب واحد يخضع لناموس واحد ويستمد من تصور واحد ويزن بميزان واحـد ، فلا يملك صاحب العقيدة أن يقول عـن فعل فعله : فعلت كذا بصفتي الشخصية ، وفعلت كذا بصفتي الاسلامية كما يقول رجال السياسة الشيطانية أو رجال الشركات أو رجال الجمعيات الاجتماعية أو العلمية ، وما إليها في هذه الايام انه شخص واحد له قلب واحد تعمره عقيدة واحدة ، وله تصور واحد للحياة وميزان واحد للقيم وتصوره المستمد مـن عقيدته متلبس بكل مـا يصدر عنه في كل حالة من حالاته على السواء .

وبهذا القلب الواحد يعيش فرداً ، ويعيش في الأسرة ، ويعيش في الجماعة ، ويعيش فـي الدولة ، ويعيش فـي العالم ، ويعيش سراً ، ويعيش علانية ، ويعيش عاملا وصاحب عمـل ، ويعيش حاكما ، ويعيش محكوماً ، ويعيش فـي السرّاء والضرّاء .. فلا تتبدل موازينه ، ولا تتبدل قيمه ، ولا تتبدل تصوراته : «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» .

وهنا منهج واحـد ، وطريق واحد ، ووحي واحـد ، واتجاه واحد ، وهـو الاستسلام لله وحده والايمان به وحده ، فالقلب الواحد لا يعبد إلهين ، ولا يؤمن بمعبودين ، ولا يستسلم لخالقين ، لا يخدم سيديـن ، ولا ينهج نهجين ، ولا يتجه اتجاهين .

في تفسير القمي : عن الامام باقر العلوم محمد بن علي عليهما السلام في قوله تعالى : «ما جعل الله لرجل مـن قلبين فـي جوفه» قـال : لا يجتمع حبّنا وحب عدوّنا في جوف انسان ان الله لـم يجعل لرجل قلبين فـي جوفه ، فيحب بهـذا ويبغض بهذا فاما محبتنا ، فيخلص المحب لنا كما يخلص الذهب بالنار ولا كدر فيه ، فمن أراد أن يعلم حبّنا فليمتحن قلبه ، فان شارك في حبنا حب عدوّنا فليس منا ولسنا منه والله عدوهم وجبرئيل وميكائيل والله عدو للكافرين .

وما يفعل شيئاً من هذا الا أن يتمزّق ويتفرّق ، ويتحول إلى أسلاء وركام قال الله تعالى : «ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل» الممتحنة : ١) .

أفيمكن الاسلام والكفر في قلب واحد كما في المنافق اذ قال الله تعالى فيه: «مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا »

النساء : ١٤٣)

أو يمكن الايمان وارتكاب المعاصي كما في الفاسق ؟ وقد قال الامام جعفر بن محمد عليه السلام : « لايزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن » أو يمكن الجمع بين الصدق والكذب ؟

قال رجل لامير المؤمنين علي عليه السلام : اني احبك واحب معاوية فقال له الامام : أنت أعور فاما أن تعمى ، واما أن تشفى من العور .

وفيه أوضح بيان باستحالة الحبين : حب الحق وحب الباطل ، حب الايمان وحب الكفر ، حب الكافرين الذين اولياؤهم الطاغوت وحب المؤمنين الذين الله تعالى وليّهم .

قال الله تعالى : « الله ولي الذين آمنوا يخرجونهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات » البقرة:٢٥٧).

وقال : « وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين » الجاثية : ١٩)

فالمؤمن المتصلب في الدين - لا المنافق همج الرعاع - لايوالي أقاربه اذا كانوا محادّين الله ورسوله فكيف بغيرهم قال الله تعالى: «لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » المجادلة : ٢٢) .

وانظر كيف قتل الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وقد كانوا هم من عشيرتهم وقرابتهم .

ان المؤمنين حقاهم الذين قال الله تعالى فيهم : « رحماء بينهم » بين إخوانهم في الدين ، فأساس الرأفة والرحمة هو الاخوة في الدين التي لاتنقطع عروتها قط لا الاخوة في النسب التي تنفصم . .

وان المؤمنين حقاً هم « أشداء على الكفار » وانما أساس الشدة هو الكفر.

وان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الاخر ـ الذى يحشر فيه المرء مع من أحب ـ أن يهجر الكافر وإن كان أباه أوابنه اوأخاه أوعشيرته فضلا عن غيرهم ..

هذه ضابطة ثابتة يقف عليها المؤمنون ، أو الميزان الدقيق للايمان فى النفوس تفصل بين حزب الله تعالى وحزب الشيطان .

هذا انحياز نهائى للصف المتميز والتجرد من كل عائق وكل جانب ، وإرتباط بالعروة الواحدة بالحبل الواحد ، وانفصال عنها بالكفر ، فلن يجمع انسان فى قلب واحد ودّين : ودّاً لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم و ودّاً لاعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله .

وذلك إما ايمان بالله تعالى وإما لا ايمان به ، والضدان لايجتمعان .

ان الله تعالى قطع روابط الدم عند حدّ الايمان فقال : « ولو كانوا آبائهم او أبناءهم او اخوانهم او عشيرتهم » اذ روابط الدم والقرابة هذه تنقطع عند حدّ الايمان ، انها يمكن أن ترعى اذا لم تكن هناك محادة وخصومة ، ولم تقف طائفة تحت لواء الله جل وعلا وطائفة اخرى تحت لواء الشيطان .

والصحبة بالمعروف للوالدين المشركين مامور بها حين لايكون هناك حزب بين حزب الله تعالى وحزب الشيطان ، وأمّا اذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والعناد فقد تقطعت تلك الاواصر التى لاترتبط بالعروة الواحدة ، وبالحبل الواحد.

ومن غير ريبة ان هذه العروة الوحيدة بالمودة تنفصل وتنقطع ، فمن أحب أحدا امتنع أن يوالى عدوه ، واذا حصل فى القلب مودة عدو محبه ، فلم تحصل فيه مودة محبه واقعاً ، والاّ لما احب عدّوه .

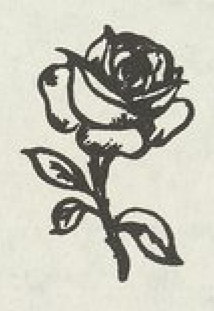
وفى تفسير العياشى : عن عجلان بن صالح قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لا تمضى الايام والليالى حتى ينادى مناد من السماء ياأهل الحق اعتزلوا يا أهل الباطل اعتزلوا ، فيعزل هؤلاء من هؤلاء ويعزل هؤلاء من هؤلاء قال : قلت أصلحك الله يخالط هؤلاء هؤلاء بعد ذلك النداء قال : كلا انه يقول فى الكتاب :

« ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » .

وفي الدر المنثور : عن ابن عباس قال : يقول للكفار ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه من الكفر حتى يميز الخبيث من الطيب ، فيميز أهل السعادة من أهل الشقاوة .

وفي قرب الاسناد : عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تبدءوا أهل الكتاب بالسلام وإن سلّموا عليكم ، فقولوا عليكم ولا تصافحوهم ولا تكنّوهم الاّ أن تضطرّوا إلى ذلك .

أقول: قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ولا تكنوهم » أي لا تنادوهم بالكنية .



﴿ التولي والتبراء ﴾

وقد استدل على وجوب التولي والتبرّاء بقوله تعالى: « قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا برءؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تومنوا بالله وحده» الممتحنة : ٤) .

ان التولّي والتبرّاء من فروع الدين الاسلامي يجب على كل مسلم الاعتقاد بهما والعمل بمقتضاهما ـ وأما الولاية التي هي من اصول الدين فالبحث في محله ـ أما التولي فهو محبة الذين يحبهم الله تعالى وهم يحبونه ومن غيرخفي ان معيار هذه المحبة في جانبين هم أهل بيت الوحي عليهم السلام وهم الذين يحبون الله تعالى ، والله جل وعلا يحبهم ، فيجب علينا معاشر المسلمين أن نحبهم لمحبة الله سبحانه بهم ، ونقتدي بهم في جميع الشؤون الدينية والدنيوية .

قال الله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ـ قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لايحب الكافرين » آل عمران : ٣١ ـ ٣٢) .

وقال : « قل لا اسئلكم عليه أجراً الا المودة في القربى » الشورى : ٢٣).

وقال : « من يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » المائدة : ٥٦) .

وأمّا التبرّاء فهو التنفر والانزجار عن كل من لايحبه الله تعالى إما لكفرهم بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم واليوم الاخر ، وإمّا لعداوتهم باولياء الله جل وعلا وظلمهم باهل البيت عليهم السلام أو لفسقهم ونفاقهم وتوليهم بعدوالله وعدوّ المؤمنين ويشير إلى ذلك جمل من آية الممتحنة فتدبّر.

وقال الله تعالى. « قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ـ ولا أنا عابد ما عبدتم ـ لكم دينكم ولى دين » الكافرون : ١ ـ ٦) .

وقال: « ياايها الذين امنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدى القوم الظالمين » المائدة : ٥١).

وقال : « لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء » آل عمران : ٢٨) .

وقال تعالى : « فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه » التوبة : ١١٤) .

وقال : « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وأعد لهم عذاباً مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبيناً » الاحزاب : ٥٧ ـ ٥٨) .

فى الكافى : باسناده عن عمرو بن مدرك الطائى عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لاصحابه : أىّ عرى الايمان أوثق ؟

فقالوا : الله ورسوله أعلم ، وقال بعضهم : الصلاة ، وقال بعضهم : الزكاة ، وقال بعضهم : الصيام ، وقال بعضهم : الحج والعمرة ، وقال بعضهم : الجهاد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لكل ما قلتم فضل وليس بـه ـ أى ليس بالاوثق ـ ولكن أوثق عرى الايمان الحبّ فى الله ، والبغض فى الله ، وتوالى أولياء الله والتبرّى من أعداء الله.

وفى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمد بن عمارة عن أبيه عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على عن آبائه الصادقين عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان الله تبارك وتعالى جعل لاخى على بن أبى طالب فضائل لايحصى عددها غيره فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو وافى القيمة بذنوب الثقلين ، ومن كتب فضيلة من فضائل على بن أبيطالب عليه السلام لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقى لتلك الكتابة رسم ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التى اكتسبها بالاستماع ، ومن نظر إلى كتابة فى فضائله غفر الله له الذنوب التى اكتسبها بالنظر ثم قال رسول

الله صلى الله عليه وآله: النظر إلى علي بن أبيطالب عليه السلام عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل ايمان عبد الا بولايته والبرائة من أعدائه، وصلّى الله على نبينا محمد وآله أجمعين

وفي البحار: بالاسناد عن ابن فضال عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال: من والى أعداء الله فقد عادى أولياء الله، ومن عادى أولياء الله فقد عادى الله، وحق على الله أن يدخله في نارجهنم.

وفيه: بالاسناد عن الوشاء عن الرضا عليه السلام قال: إنّ ممن يتخذ مودتنا أهل البيت لمن هو أشد فتنة على شيعتنا من الدجال، فقلت: يا بن رسول الله بماذا؟ قال: بموالاة أعدائنا ومعاداة أوليائنا، إنه إذا كان كذلك اختلط الحق بالباطل واشتبه الامر، فلم يعرف مؤمن من منافق.

وفي الكافي: عن أبي الجارود قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله هل تعرف مودّتي لكم، وانقطاعي إليكم وموالاتي إياكم؟ قال: فقال: نعم قال: فقلت: فاني أسئلك مسئلة تجيبني فيها فاني مكفوف البصر، قليل المشي، ولا أستطيع زيارتكم كل حين قال: هات حاجتك، قلت: أخبرني بدينك الذي تدين الله عزوجل به أنت وأهل بيتك لأدين الله عزوجل به قال: إن كنت أقصرت الخطبة، فقد أعظمت المسئلة والله لاعطينك ديني ودين آبائي الذي ندين الله عزوجل به شهادة: أن لا اله الا الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله والاقرار بما جاء به من عند الله والولاية لولينا، والبراءة من عدوّنا، والتسليم لامرنا، وانتظار قائمنا، والاجتهاد والورع.

أقول: قوله: «الخطبة» بضم الخاء أي ما يتقدم من الكلام المناسب قبل اظهار المطلوب.

وفيه: باسناده عن أبي صالح قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: أوقفني على حدود الايمان: فقال: شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله والاقرار بما جاء به من عند الله وصلواة الخمس وأداء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت وولاية ولينا وعداوة عدوّنا، والدخول مع الصادقين.

وفي الاحتجاج : عن الاصبغ بن نباتة عن الامام مولى الموحدين أمـير المؤمنين علي عليه السلام في حديث - إلى أن قال - يا أمير المؤمنين فما علامة المؤمن في ذلك الزمان ؟

قال : ينظر إلى ولـي الله فيتولاه ، وإلـى عدو الله فيتبرأ منه وإن كان حميما قريباً .



﴿ الايمان بالله والبغض على الاعداء ﴾

قال الله تعالى : « وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده » الممتحنة : ٤).

ان المحبة فى الله تعالى والبغض فى الله جل وعلا أصل من اصول الايمان ، وان موادّة المؤمنين ومخالطتهم وموالاة بعضهم لبعض من الايمان ، كما ان العداوة والبغضاء وتبرّى المؤمنين من الكافرين ، فمن الايمان يشير إلى ذلك قوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » الفتح : ٢٩)

فى الكافى: باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول: انّ المتحابين فى الله يوم القيامة على منابر من نور ، قد أضاء نور وجوههم ، ونور أجسادهم ، ونور منابرهم كل شىء حتى يعرفوا به ، فيقال : هؤلاء المتحابون فى الله .

وفيه: باسناده عن سلام ابن المستنير عن أبى جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ودّ المؤمن للمؤمن فى الله من أعظم شعب الايمان ، ألا ومن أحب فى الله ، وأبغض فى الله ، وأعطى فى الله ، ومنع فى الله فهو من أصفياء الله .

وفيه: باسناده عن أبى عبيدة الحذّاء عن أبى عبد الله عليه السلام قال : من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله فهو ممن كمل ايمانه .

وفيه: باسناده عن فضيل بن يسار قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن الحب والبغض ، أمن الايمان هو ؟ فقال : وهل الايمان الاّ الحب والبغض ؟ ثم تلا هذه الاية : « حبّب إليكم الايمان وزيّنه فى قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق

«العصيان اولئك هم الراشدون».

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن العلاء بن الفضيل عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: من أحب كافراً فقد أبغض الله، ومن أبغض كافراً، فقد أحب الله، ثم قال عليه السلام: صديق عدو الله عدو الله.

وفي ثواب الاعمال: باسناده عن سعيد الاعرج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أوثق عرى الايمان أن يحب في الله، ويبغض في الله، ويعطي في الله، ويمنع في الله.

وفيه: باسناده عن صالح بن سهل الهمداني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أحبنا، وأبغض عدوّنا في الله من غير تره وترها اياه الله لشيء من أمر الدنيا ثم مات على ذلك، وعليه من الذنوب مثل زبد البحر غفرها الله له.

وفي الكافي: باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: اذا جمع الله عزوجل الاولين والاخرين قام مناد، فنادى يسمع الناس فيقول: أين المتحابون في الله؟ قال: فيقوم عنق من الناس، فيقال لهم: إذهبوا إلى الجنة بغير حساب، قال: فتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة بغير حساب، فيقولون: فأي ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابّون في الله، قال: فيقولون: وأيّ شيء كانت أعمالكم؟ قالوا: كنا نحب في الله، ونبغض في الله، قال: فيقولون: نعم أجر العاملين.

وفيه: عن داود بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاث من علامات المؤمن: علمه بالله، ومن يحب، ومن يبغض.

قوله عليه السلام: «علمه بالله» أي يعرفه بذاته وصفاته على قدر وسعه وطاقته.

وقوله عليه السلام: «ومن يحب ومن يبغض» أي من يحبه الله، ومن يبغضه الله.

وفيه: باسناده عن اسحق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل من لم يحب على الدين، ولم يبغض على الدين، فلا دين له.

وفيه: باسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا أردت أن

تعلم ان فيك خيراً فانظر إلى قلبك ، فان كان يحب اهل طاعة الله ، ويبغض اهل معصيته ، ففيك خيراً والله يحبك ، وإن كان يبغض اهل طاعة الله ، ويحب اهل معصيته فليس فيك خيراً والله يبغضك ، والمرء مع من احب .

وفي أمالي الطوسي قدس سره باسناده عن جابر بن يزيد عن ابي جعفر عليه السلام قال : لما اختضر امير المؤمنين عليه السلام جمع بنيه حسناً وحسيناً وابن الحنفية ، والاصاغر من ولده ، فوصّاهم وكان في آخر وصيته : يا بني عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم ، وإن فقد تم بكوا عليكم ، يا بني انّ القلوب جنود مجندة تتلاحظ بالمودة ، وتتناجى بها ، و كذلك هي في البغض ، فاذا احببتم الرجل من غير خير سبق منه إليكم فارجوه ، واذا ابغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه .

وفي رواية : قال الامام علي عليه السلام : « ان الدين كشجرة اصلها اليقين بالله وثمرها الموالاة في الله ، والمعاداة في الله سبحانه » .



﴿الحذر والاعداء﴾

قال الله تعالى: «ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون» الممتحنة: ٢).

تحذير للمؤمنين من موادة أعداءهم الذين لا شفقة لهم بهم اذا ظفروا بهم، وانما هم عندئذ يفسدون الحرث والنسل، فلا بد من الحذر من جميع طوائف الأعداء.

في الخصال: عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: خمس من خمسة محال: النصيحة من الحاسد محال، والشفقة من العدو محال، والحرمة من الفاسق محال، والوفاء من المرأة محال، والهيبة من الفقير محال.

وفي نهج البلاغة: قال الامام مولى الموحدين أميرالمؤمنين علي عليه السلام في خطبة ـ: «ومن لم يبالك فهو عدوّك، لاخير في معين مهين».

وفي كنز الفوائد: قال الامام علي عليه السلام: الناس إخوان فمن كانت اخوته في غير ذات الله فهي عداوة، وذلك قوله عزوجل: «الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين».

وفي البحار: قال الرضا عليه السلام: اصحب السلطان بالحذر، والصديق بالتواضع، والعدو بالتحرّز والعامّة بالبشر.

وفي أمالي الطوسي: قدس سره باسناده عن زيد بن علي عليه السلام: قال اذا سئل من احق الناس أن يحذر؟: ثلاثة: العدو الفاجر، والصديق الغادر، والسلطان الجائر.

وفى الاختصاص : قال الصادق عليه السلام : كان أبى يقول : قم بالحق ولا تعرّض لمانابك ، واعتزل عما لا يعنيك ، وتجنّب عدوك ، واحذر صديقك من الاقوام الا الامين : الامين الذى خشى الله ، ولا تصحب الفاجر، ولا تطلعه على سرّك .

وفيه : قال عليه السلام صديق عدو على عليه السلام عدو على عليه السلام .

وفى نهج البلاغة : قال الامام أميرالمؤمنين على عليه السلام فى خطبة ـ : «لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادى صديقك» .

وقال شاعر :

اذا صافى صديقك من تعادى فقد عاداك ، وانقطع الكلام

وقال آخر :

صديق صديقى داخل فى صداقتى وخصم صديقى ليس لى بصديق

وقال ثالث :

تود عدوّى ثم تزعم أننى صديقك ان الرأى عنك لعازب

وفيه : قال الامام على عليه السلام : «أصدقائك ثلاثة وأعداؤك ثلاثة فاصدقاؤك : صديقك ، وصديق صديقك ، وعدو عدوّك ، وأعداؤك : عدوّك ، وعدو صديقك ، وصديق عدوك .

أقول : وذلك لان صديقك جار مجرى نفسك ، فاحكم عليه بما تحكم به على نفسك ، وعدوّك ضدك ، فاحكم عليه بما تحكم بـه على الضد ، فكما أن من عاداك عدو لك ، وكذلك من عادى صديقك عدو لك ، وكذلك من صادق صديقك فكأنما صادق نفسك ، فكان صديقاً لك أيضاً ، وأما عدو عدوك فضد ضدك ، وضد ضدك ملائم لك لانك ضد لذلك الضد ، فقد اشتركتما فى ضدية ذلك الشخص ، فكنتما متناسبين ، وأما من صادق عدوك فقد ماثل ضدك، فكان ضداً لك أيضاً .

وفى أمالى الصدوق : رضوان الله تعالى عليه : قال لقمان لابنه : يا بنى اتخذ ألف صديق وألف قليل ، ولا تتخذ عدواً واحداً والواحد كثير فقال أميرالمؤمنين عليه السلام :

تكثر من الاخوان ما استطعت انهم عماد إذا ما استنجدوا وظهور
وليس كثيراً ألف خل وصاحب وان عدواً واحداً لكثير

وفي نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام : « أربع القليل منهن كثير : النار والعداوة والمرض والفقر » .

وفيه : قال عليه السلام : كن للعدو المكاتم اشد حذراً منك للعدو المبارز .

وفيه : قال عليه السلام : اهون الاعداء كيداً أظهرهم لعداوته .

وفي رواية : قال الامام علي عليه السلام : احذروا عدواً نفذ في الصدور خفياً ونفث في الاذان نجياً .

وفيها : قال عليه السلام : احذروا عدو الله ابليس أن يعديكم بدائه او يستفزكم بخيله ورجله ، فقد فوّق لكم سهم الوعيد ورماكم من مكان قريب .

وفيها: قال عليه السلام : احذروا اهل النفاق ، فانهم الضالون المضلون، والزالون المزلون قلوبهم دوية وصفاحهم نقية .

وفيها : قال عليه السلام : اياك ومعاشرة الاشرار ، فانهم كالنار مباشرتها تحرق.

وفيها : قال عليه السلام : اياك وصحبة من الهاك وأغراك فانه يخذلك ويوبقك .

وفيها : قال عليه السلام : اياك أن تحب أعداء الله ، او تصفي ودّك لغير اولياء الله ، فانه من أحب قوماً حشر معهم .

وفيها : قال عليه السلام : انما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق ، فأما أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ، ودليلهم سمت الهدى ، وأمّا أعداء الله فدعاؤهم إليها الضلال ودليلهم العمى .

وفيها : قال عليه السلام : زايلوا أعداء الله و واصلوا اولياء الله .

وفيها : قال عليه السلام : غاية الايمان الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والتباذل في الله ، والتواصل في الله سبحانه .

وفيها : قال عليه السلام : من ودّ السخيف أعرب عن سخفه .

وفيها : قال عليه السلام : كن من عدوّك على أشد الحذر .

الكفر واللعنة

على من تولى بعدو الله

قال الله تعالى : « ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل » الممتحنة : ١).

وقال : « ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء » النساء : ٨٩) .

في قرب الاسناد : عن إبن علوان عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال : وجد في غمد سيف رسول الله صلى الله عليه وآله صحيفة مختومة ، ففتحوها فوجدوا فيها : أن أعتى الناس : القاتل غير قاتله ، والضارب غيرضاربه ، ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه صرفاً ولا عدلا ، ومن تولّى إلى غير مواليه ، فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وآله وفيما أوحى الله تعالى إلى نبي من الانبياء ...

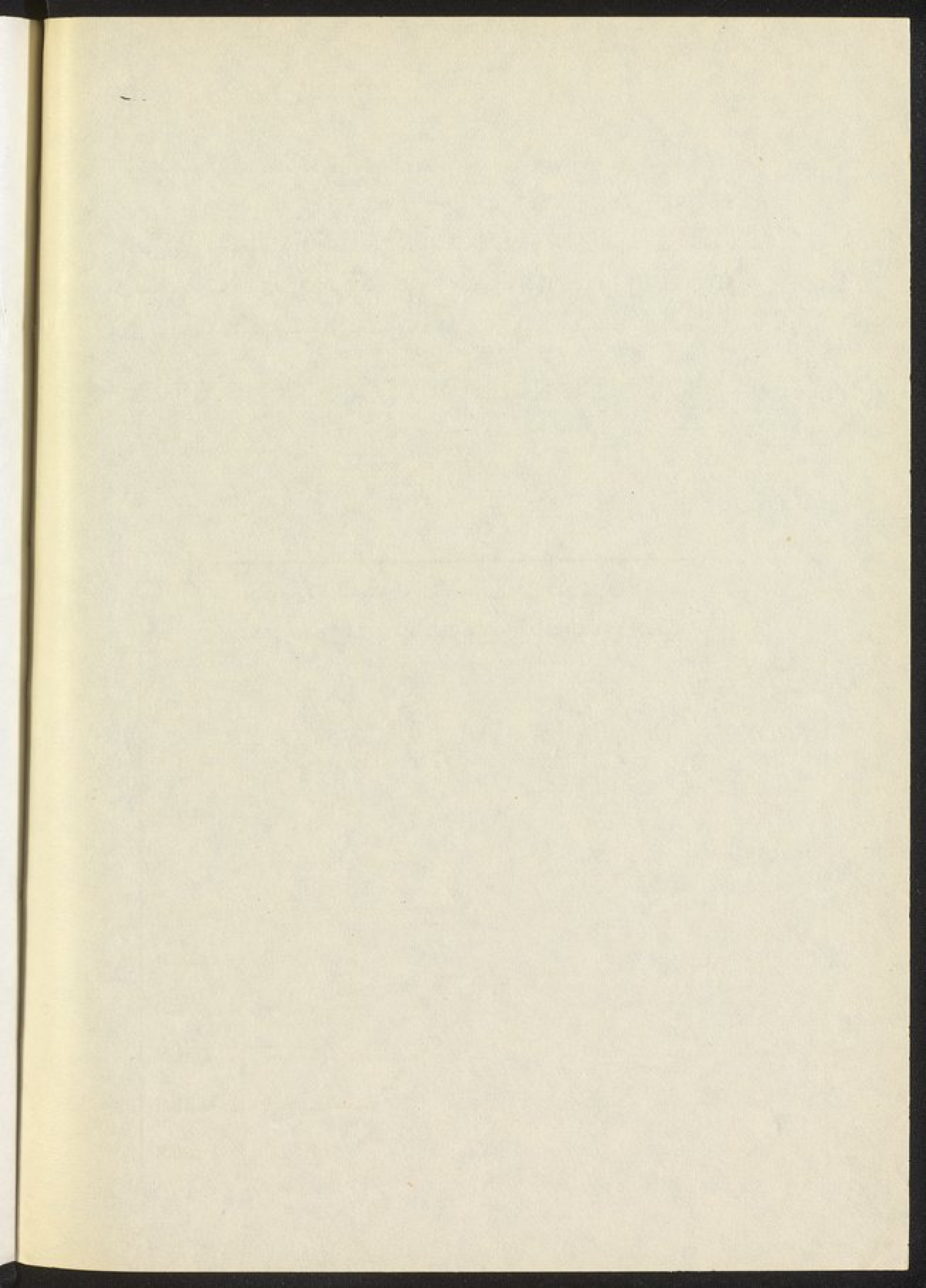
قل للمؤمنين : لايلبسوا لباس أعدائي ، ولا يطعموا مطاعم أعدائي ، ولا يسلكوا مسالك أعدائي ، ولا يشاكلوا بما شاكل أعدائي ، فيكونوا أعدائي ، كما هم أعدائي .

وفي البرهان : عن محمد بن عاصم قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : يا محمد بن عاصم بلغني انك تجالس الواقفية ؟ قلت : نعم جعلت فداك اجالسهم ، وأنا مخالف لهم قال : لاتجالسهم قال الله تعالى : « وقد نزل عليكم في الكتاب ان إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذاً مثلهم » يعني بالايات : الاوصياء والذين كفروا يعني الواقفية .

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن مسعدة بن صدقة

عن جعفر بن محمد عـن آبائه عليهم السلام ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : من راى يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو أحداً على غير ملة الاسلام ، فقال : الحمد لله الذى فضلنى عليك بالاسلام ديناً ، وبالقرآن كتاباً ، وبمحمد نبينا ، وبعلى إماماً ، وبالمؤمنين إخواناً ، وبالكعبة قبلة لم يجمع بينه وبينه فى النار أبداً .

تمت سورة الممتحنة والحمد لله فى الاولى والاخرة
وعلى رسول الله وآله الطاهرين آلاف الثناء والتحية



فهرس ما جاء في تفسير سورة الحشر

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :



الفصل الثاني :

في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة الحشر وفيها خمس بصائر :

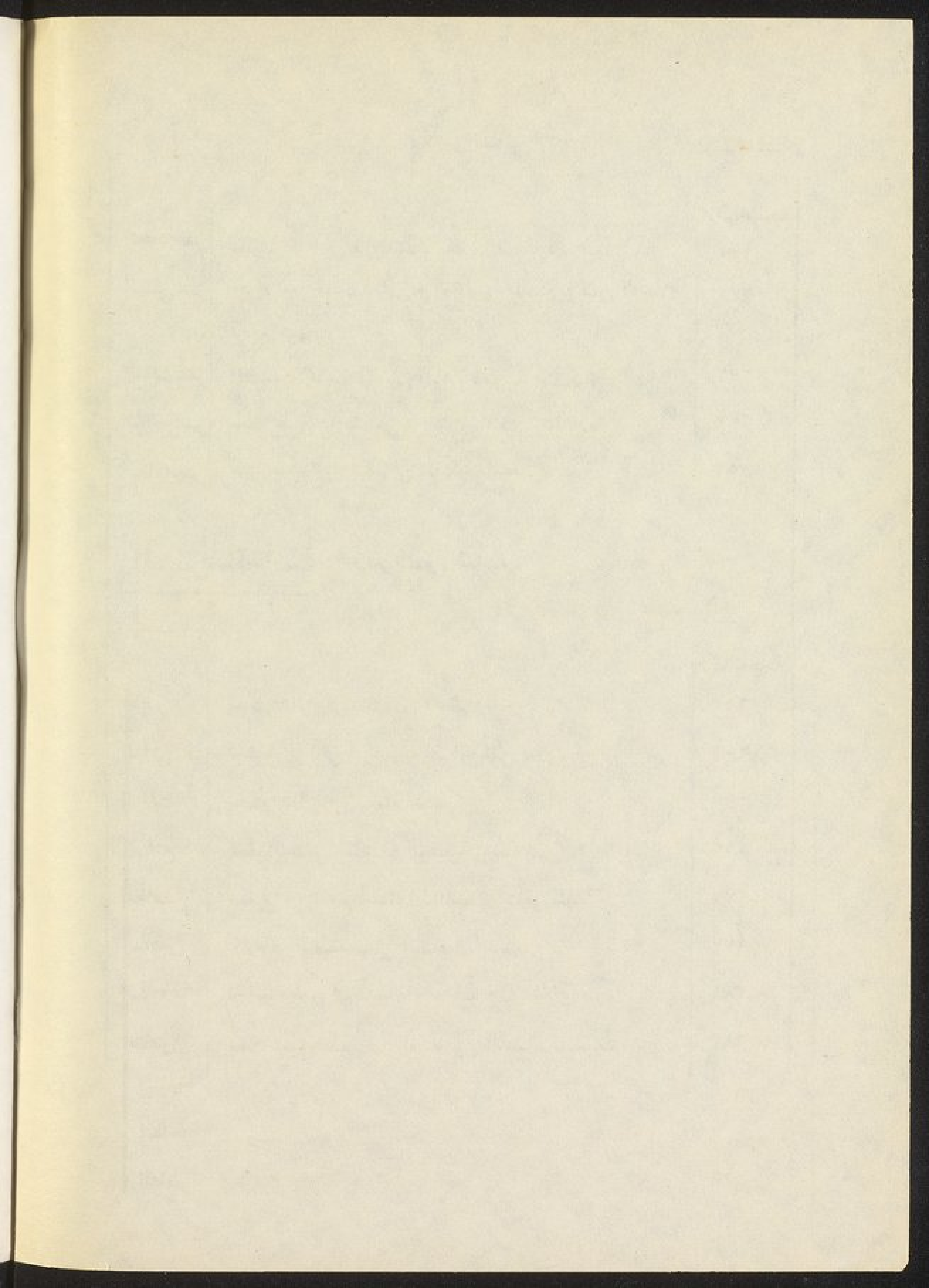
البصيرة الاولى : وفيها سبعة امور:

البصيرة الثانية : وفيها أمران :

البصيرة الثالثة : وفيها امور ثلاثة :

البصيرة الرابعة : وفيها خمسة عشر أمراً :

البصيرة الخامسة : وفيها امور ثمانية :



فهرس ما جاء في تفسير سورة الممتحنة

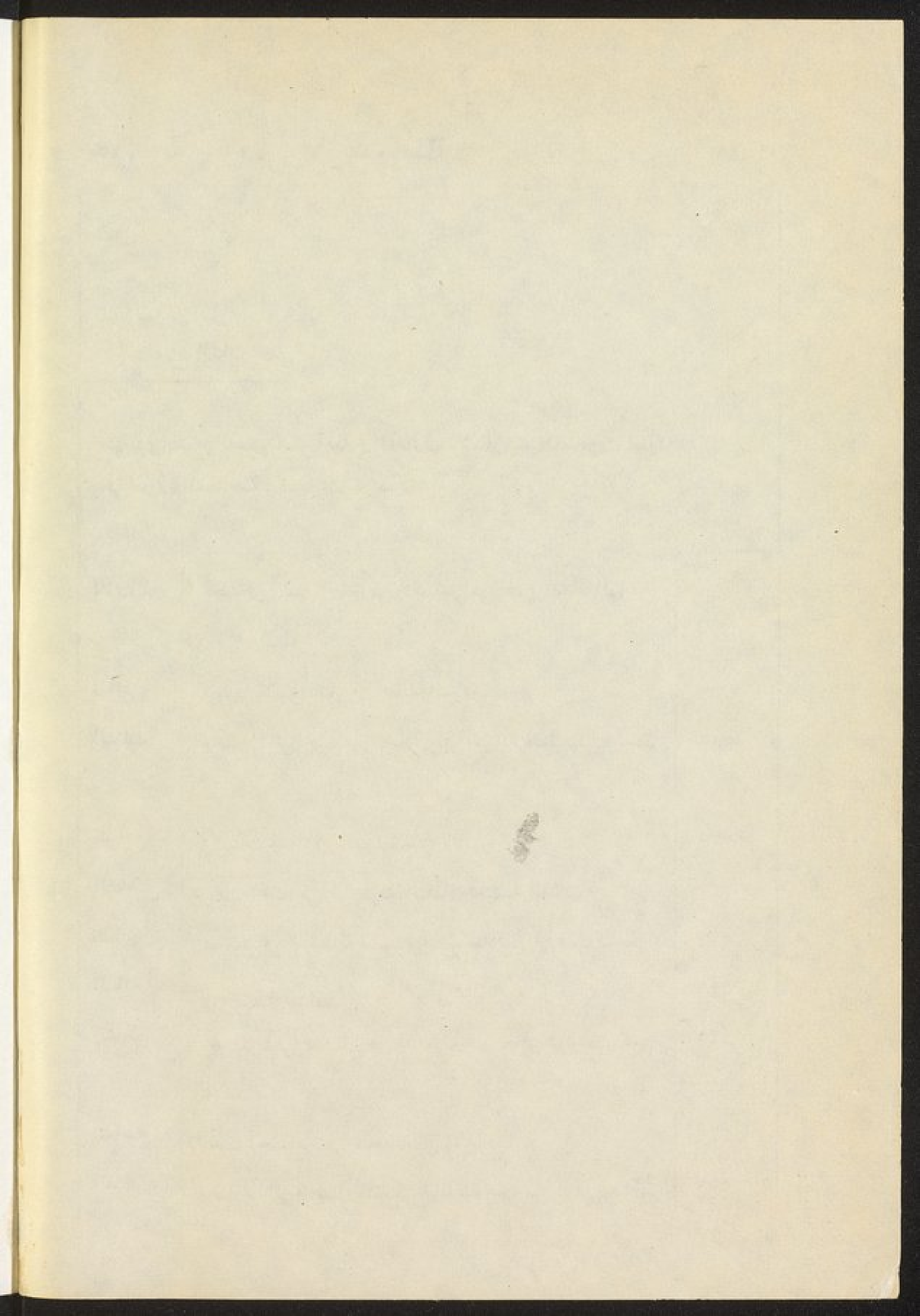
يدور البحث حولها على فصلين :

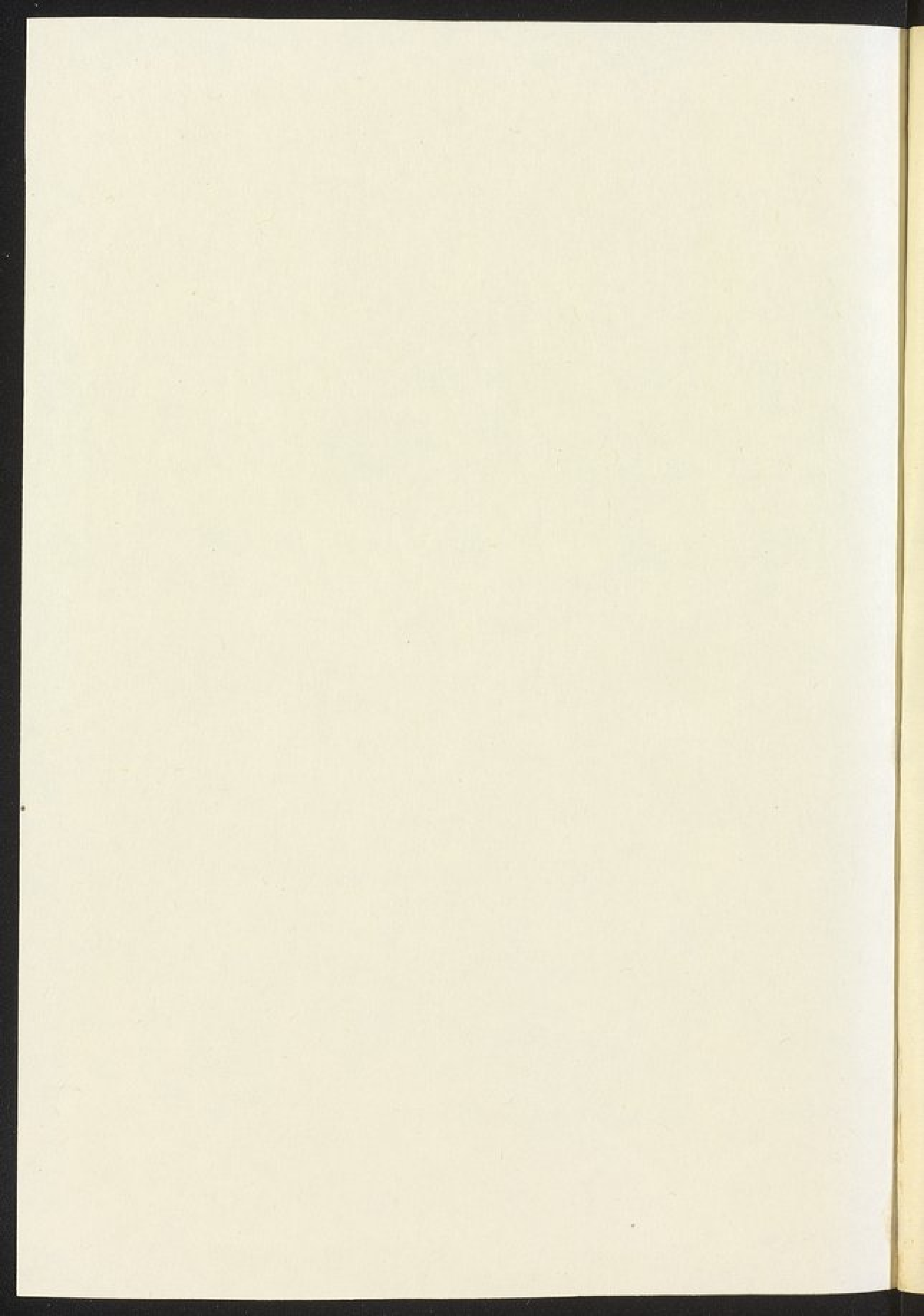
الاول : في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

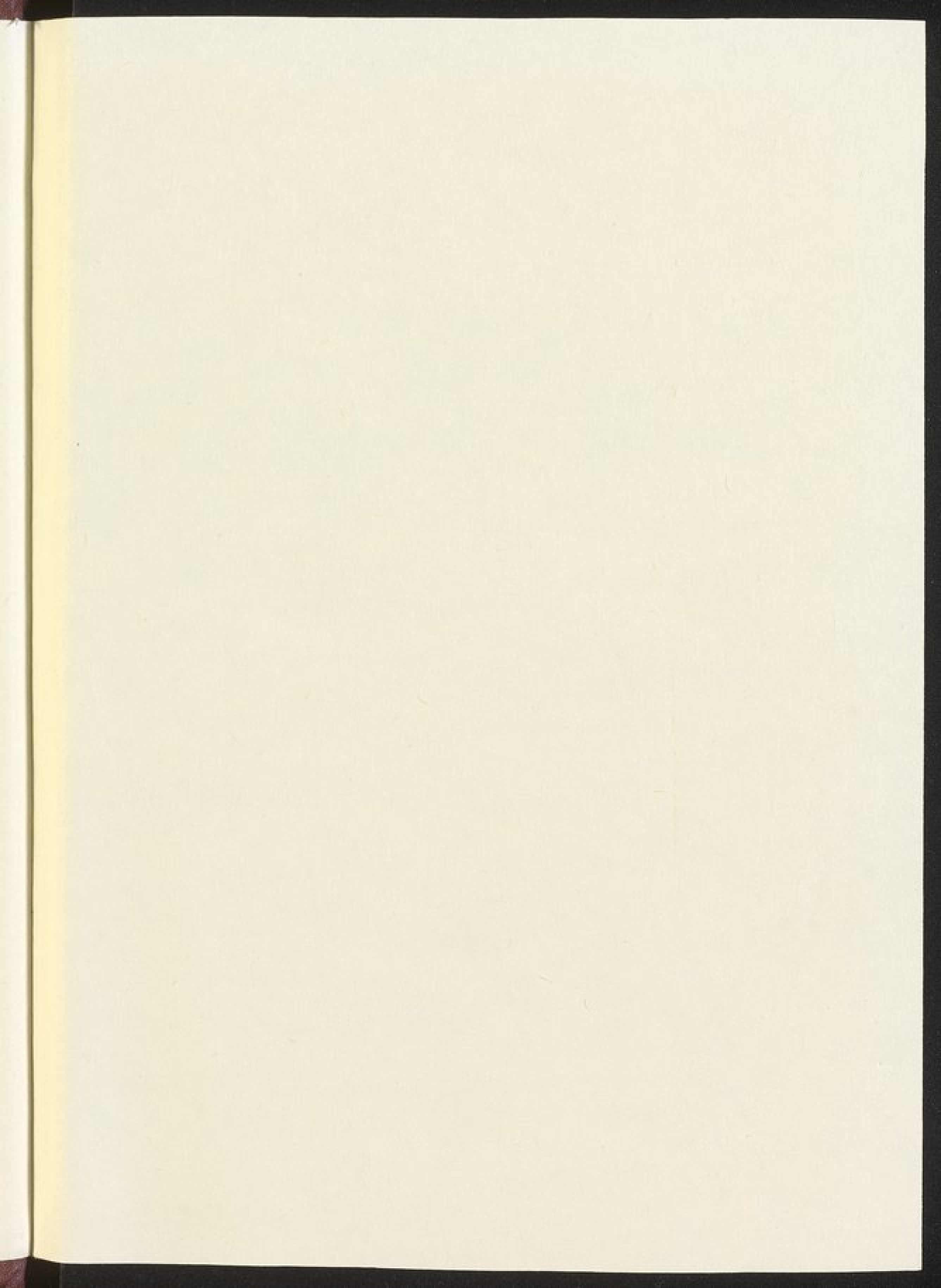


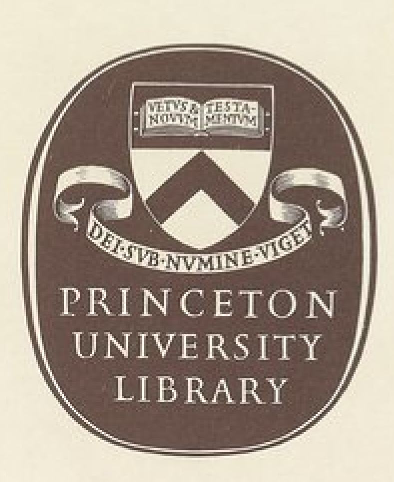
الفصل الثاني :

في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة الممتحنة وفيها عشرة امور :








VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY


WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
MAY - JUNE 1989
We're Quality Bound

